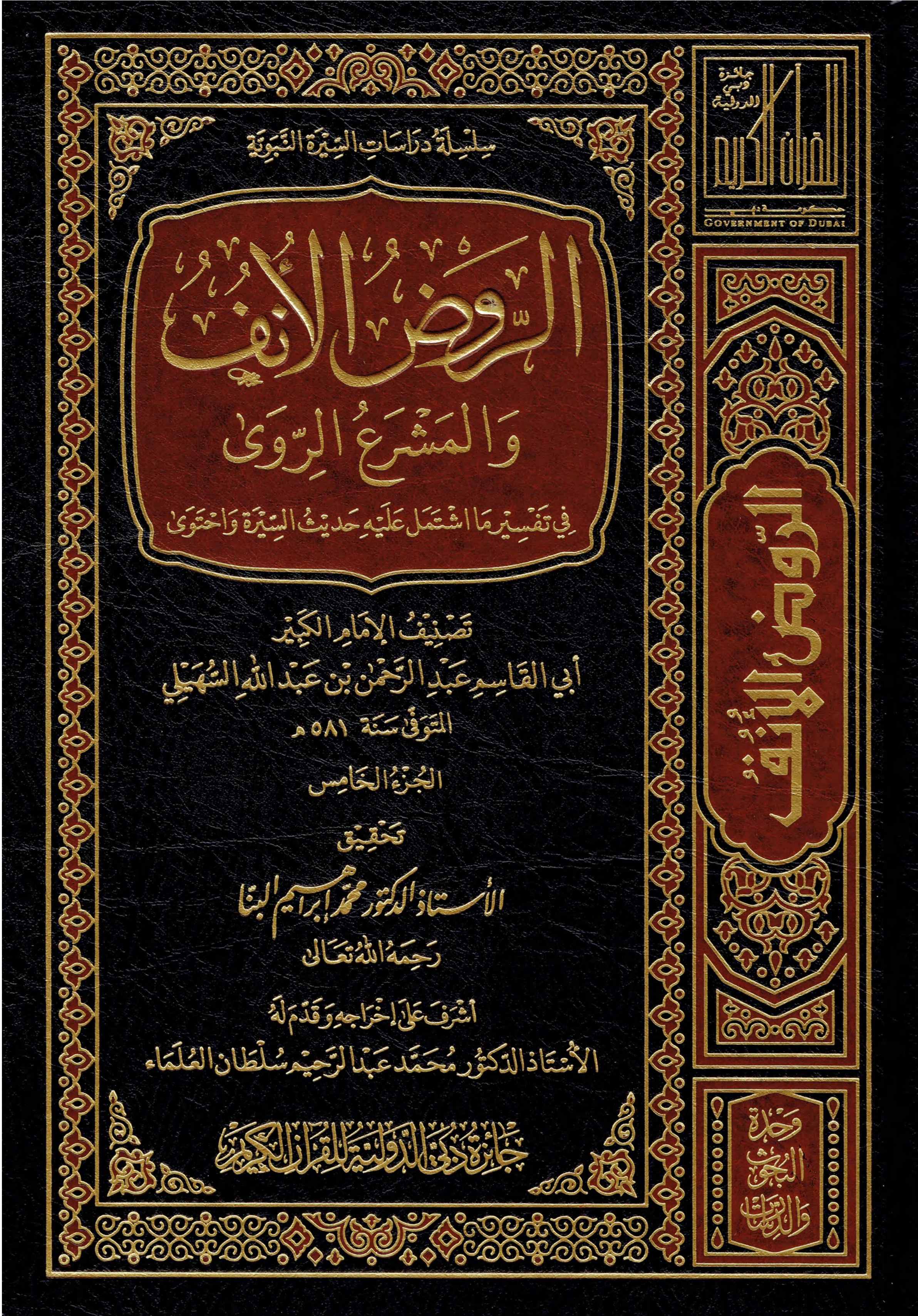
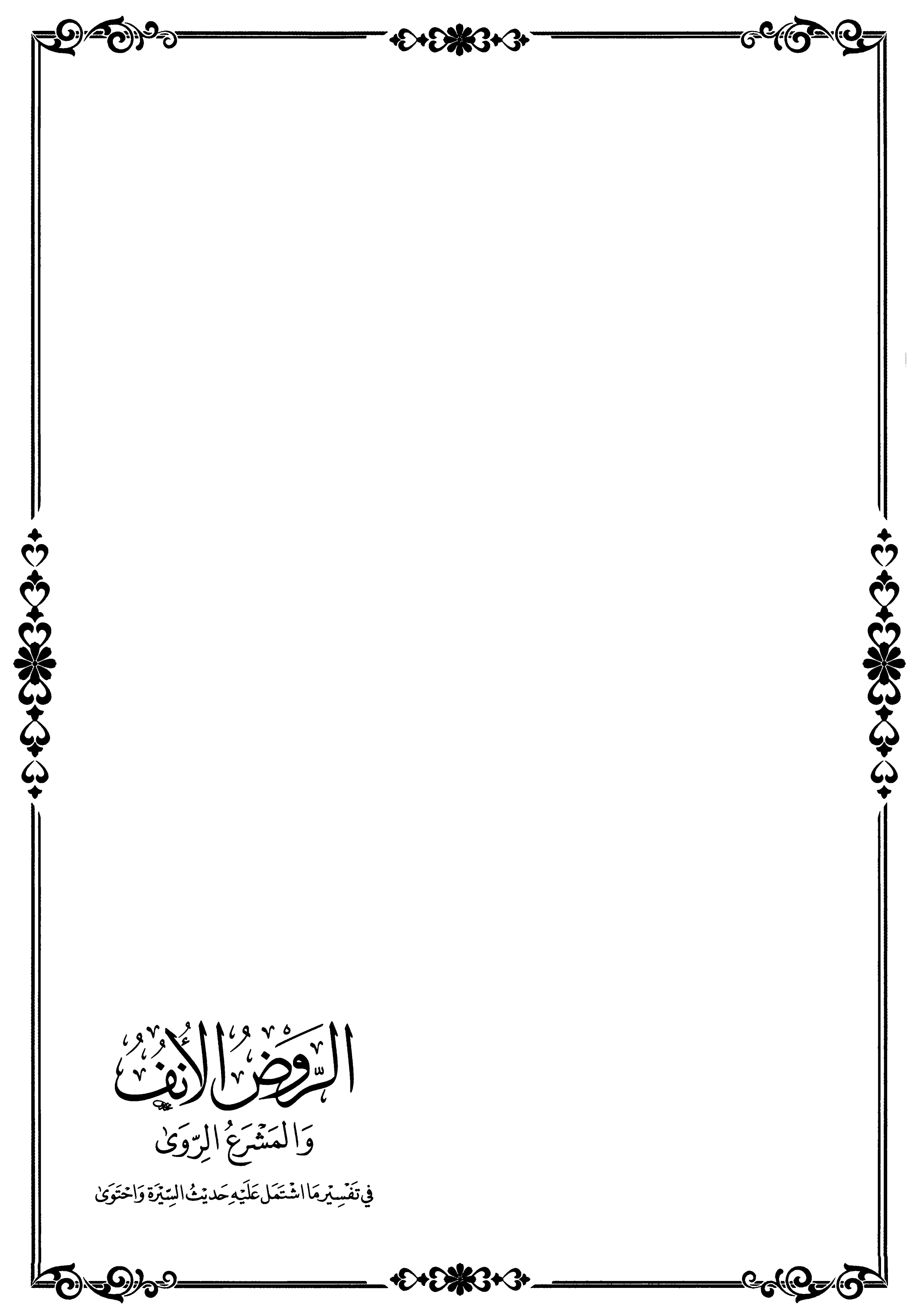

سلسلة دراسات السيرة النبوية
الروض الأنف
والمشرع الروى
في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى
تصنيف الإمام الكبير
أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي
المتوفى سنة ٥٨١ هـ
الجزء الخامس
تحقيق
الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنا
رحمه الله تعالى
أشرف على إخراجه وقدم له
الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء
جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم
القرآن الكريم
GOVERNMENT OF DUBAI
الروض الأنف
وحدة البحوث والدراسات



الروض الأنف

والمشرع الروى

في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى

الرّوض الأنف والمشرع الرَّوى في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى

تصنيف الإمام الكبير : أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي

تحقيق : الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنّا

الطبعة الأولى : ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

طبع بموجب إذن طباعة من المجلس الوطني للإعلام بدولة الإمارات العربية المتحدة

رقم (MC-03-01-2218168) تاريخ (٣٠/ ٠٣/ ٢٠٢١م)

الترقيم الدولي (ISBN) : 978-9948-8664-7-3









ص.ب: ٤٢٠٤٢ دبي - الإمارات العربية المتحدة

هاتف: ٢٦١٠٦٦٦ ٤ ٩٧١ +

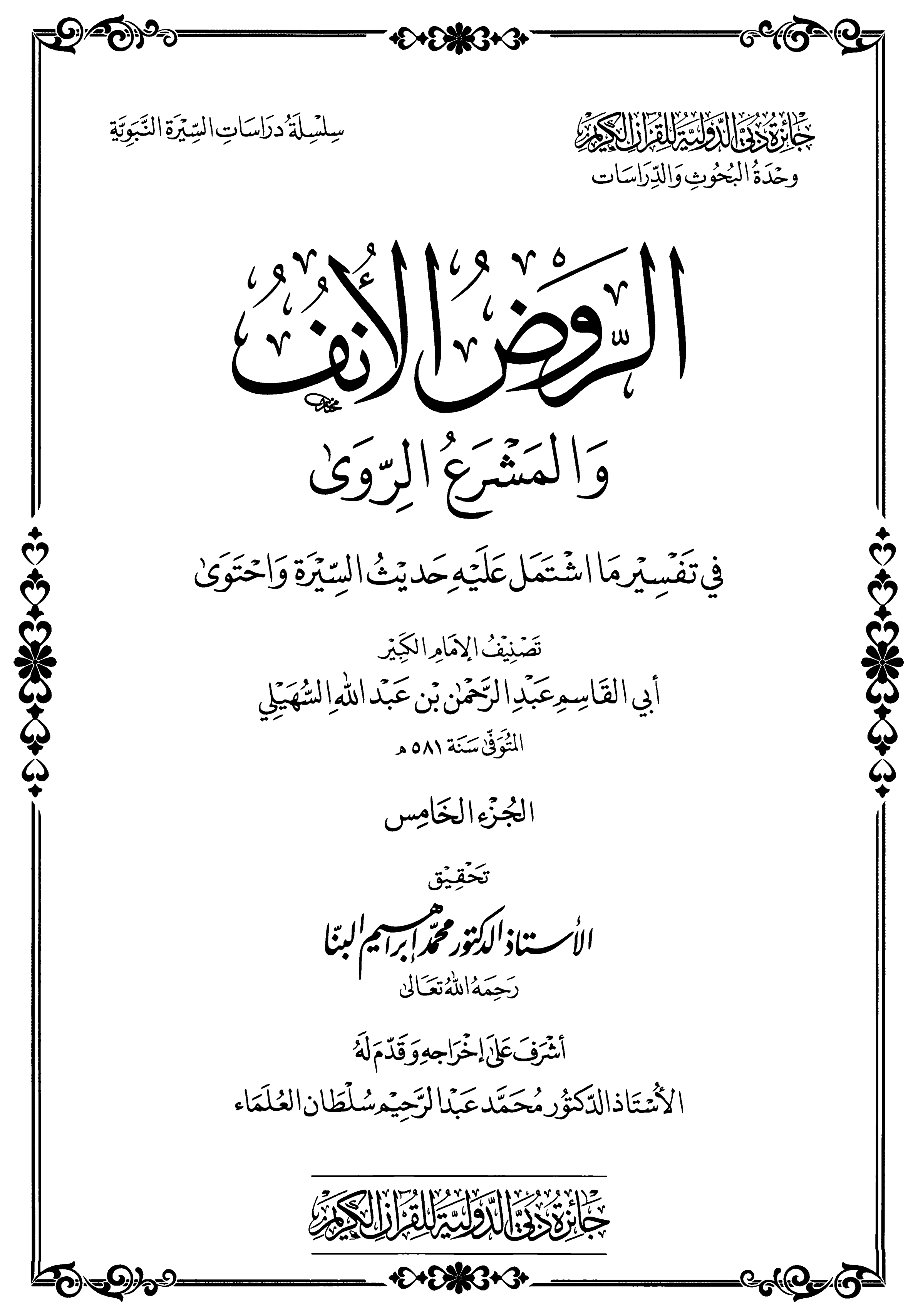
فاكس: ٢٦١٠٠٨٨ ٤ ٩٧١ +

الموقع على الإنترنت : www.quran.gov.ae

البريد الإلكتروني : research@quran.gov.ae







جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم
وحدة البحوث والدراسات

سلسلة دراسات السيرة النبوية

الروض الأنف

والمشرع الروى

في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة واحتوى

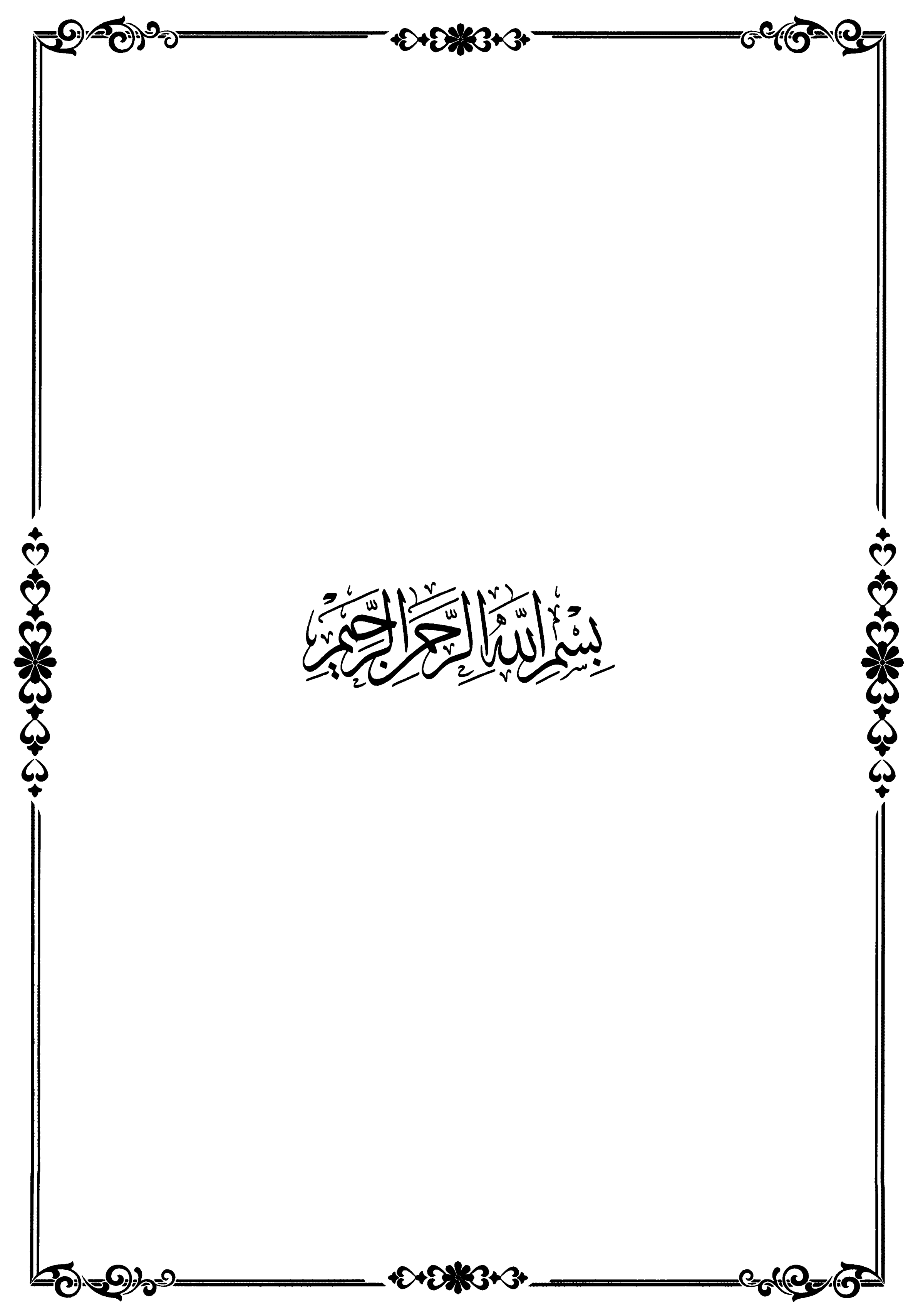
تصنيف الإمام الكبير
أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي
المتوفى سنة ٥٨١ هـ

الجزء الخامس

تحقيق
الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم البنا
رحمه الله تعالى

أشرف على إخراجه وقدم له
الأستاذ الدكتور محمد عبد الرحيم سلطان العلماء

جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم


بسم الله الرحمن الرحيم

أمْرُ السَّيِّدِ والعاقِبِ وذِكْرُ المُباهَلةِ

[مَعْنى العاقِبِ والسَّيِّدِ والأسْقُفِّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدِمَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ وفْدُ نَصارى نَجْرانَ، سِتُّونَ راكِبًا، فيهِمْ أرْبَعةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أشْرافِهِمْ، في الأرْبَعةَ عَشَرَ مِنْهُمْ ثَلاثةُ نَفَرٍ إلَيْهِمْ يَؤُولُ أمْرُهُمْ: العاقِبُ، أمِيرُ القَوْمِ وذُو رَأْيِهِمْ، وصاحِبُ مَشُورَتِهِمْ، والَّذِي لا يَصْدُرُونَ إلّا عَنْ رَأْيِهِ، واسْمُهُ: عَبْدُ المَسِيحِ، والسَّيِّدُ لَهُمْ: ثِمالُهُمْ، وصاحِبُ رَحْلِهِمْ ومُجْتَمَعِهِمْ، واسْمُهُ: الأيْهَمُ، وأبو حارِثةَ بنُ عَلْقَمةَ، أحَدُ بَنِي بَكْرِ بنِ وائِلٍ، أسْقُفُّهُمْ وحَبْرُهُمْ وإمامُهُمْ، وصاحِبُ مِدْراسِهِمْ.

[مَنْزِلةُ أبي حارِثةَ عِنْدَ مُلُوكِ الرُّومِ]

وَكانَ أبو حارِثةَ قَدْ شَرُفَ فيهِمْ، ودَرَسَ كُتُبَهُمْ، حَتّى حَسُنَ عِلْمُهُ في دِينِهِمْ، فكانَتْ مُلُوكُ الرُّومِ مِن النَّصْرانِيّةِ قَدْ شَرَّفُوهُ ومَوَّلُوهُ وأخْدَمُوهُ، وبَنَوْا لَهُ الكَنائِسَ، وبَسَطُوا عَلَيْهِ الكَراماتِ؛ لِما يَبْلُغُهُمْ عَنْهُ مِنْ عِلْمِهِ واجْتِهادِهِ في دِينِهِمْ.

[سَبَبُ إسْلامِ كُوزِ بنِ عَلْقَمةَ]

فَلَمّا رَجَعُوا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ نَجْرانَ، جَلَسَ أبو حارِثةَ على بَغْلةٍ لَهُ مُوَجِّهًا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وإلى جَنْبِهِ أخٌ لَهُ يُقالُ لَهُ: كُوزُ بنُ عَلْقَمةَ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: كُرْزٌ ـ فعَثَرَتْ بَغْلةُ أبي حارِثةَ، فقالَ كُوزٌ: تَعِسَ الأبْعَدُ؛

يُرِيدُ: رَسُولَ الله ﷺ. فَقالَ لَهُ أبو حارِثَةَ: بَلْ أنْتَ تَعِسْتَ! فقالَ: ولِمَ يا أخِي؟ قالَ: والله إنَّهُ لَلنَّبِيُّ الَّذي كُنّا نَنْتَظِرُ، فقالَ لَهُ كُوزٌ: ما يَمْنَعُكَ مِنْهُ وأنْتَ تَعْلَمُ هذا؟ قالَ: ما صَنَعَ بِنا هَؤُلاءِ القَوْمُ؛ شَرَّفُونا ومَوَّلُونا وأكْرَمُونا، وقَدْ أبَوْا إلّا خِلافَهُ، فلَوْ فعَلْتُ نَزَعُوا مِنّا كُلَّ ما تَرى. فأضْمَرَ عَلَيْها مِنْهُ أخُوهُ كُوزُ بنُ عَلْقَمَةَ، حَتّى أسْلَمَ بَعْدَ ذلك، فهُوَ كانَ يُحَدِّثُ عَنْهُ هذا الحَدِيثَ فيما بَلَغَنِي.

[رُؤَساءُ نَجْرانَ وإسْلامُ أحَدِهِمْ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَلَغَنِي أنَّ رُؤَساءَ نَجْرانَ كانُوا يَتوارَثُونَ كُتُبًا عِنْدَهُمْ، فكُلَّما ماتَ رَئِيسٌ مِنْهُم فَأَفْضَتِ الرِّياسةُ إلى غَيْرِهِ، خَتَمَ على تِلْكَ الكُتُبِ خاتَمًا مَعَ الخَواتِمِ الَّتِي كانَتْ قَبْلَهُ ولَمْ يَكْسِرْها، فخَرَجَ الرَّئِيسُ الَّذي كانَ على عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ يَمْشِي فعَثَرَ، فقالَ لَهُ ابنُهُ: تَعِسَ الأبْعَدُ! يُرِيدُ: النَّبِيَّ ﷺ، فقالَ لَهُ أبوهُ: لا تَفْعَلْ؛ فإنَّهُ نَبِيٌّ، واسْمُهُ في الوَضائِعِ، يَعْنِي: الكُتُبَ. فَلَمّا ماتَ لَمْ تَكُنْ لِابنِهِ هِمّةٌ إلّا أنْ شَدَّ فكَسَرَ الخَواتِمَ، فوَجَدَ فيها ذِكْرَ النَّبِيِّ ﷺ، فأسْلَمَ فحَسُنَ إسْلامُهُ وحَجَّ، وهُوَ الَّذي يَقُولُ:

إلَيْكَ تَعْدُو قَلِقًا وضِينُها ... مُعْتَرِضًا في بَطْنِها جَنِينُها
مُخالِفًا دِينَ النَّصارى دِينُها

قالَ ابنُ هِشامٍ: الوَضِينُ: الحِزامُ، حِزامُ النّاقةِ. وقالَ هِشامُ بنُ عُرْوةَ: وزادَ فيهِ أهْلُ العِراقِ:

مُعْتَرِضًا في بَطْنِها جَنِينُها

فَأمّا أبو عُبَيْدةَ فأنْشَدَناهُ فيهِ.

[صَلاتُهُمْ إلى المَشْرِقِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، قالَ: لَمّا قَدِمُوا على رَسُولِ الله ﷺ المَدِينةَ، فدَخَلُوا عَلَيْهِ مَسْجِدَهُ حَيْنَ صَلّى العَصْرَ، عَلَيْهِمْ ثِيابُ الحِبَراتِ؛ جُبَبٌ وأرْدِيَةٌ، في جَمالِ رِجالِ بَنِي الحارِثِ بنِ كَعْبٍ.

قالَ: يَقُولُ بَعْضُ مَنْ رَآهُمْ مِنْ أصْحابِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمئِذٍ: ما رَأيْنا وفْدًا مِثْلَهُمْ، وقَدْ حانَتْ صَلاتُهُمْ، فقامُوا في مَسْجِدِ رَسُولِ الله ﷺ يُصَلُّونَ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «دَعُوهُمْ»، فصَلَّوْا إلى المَشْرِقِ.

[أسْماءُ الوَفْدِ ومُعْتَقَدُهُمْ، ومُناقَشَتُهُم الرَّسُولَ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فكانَتْ تَسْمِيةُ الأرْبعَةَ عَشَرَ الَّذينَ يَؤُولُ إلَيْهِمْ أمْرُهُمْ: العاقِبُ، وهُوَ عَبْدُ المَسِيحِ، والسَّيِّدُ، وهُوَ الأيْهَمُ، وأبو حارِثَةَ بنُ عَلْقَمةَ أخُو بَنِي بَكْرِ بنِ وائِلٍ، وأوْسٌ، والحارِثُ، وزَيْدٌ، وقَيْسٌ، ويَزِيدُ، ونُبَيهٌ، وخُوَيْلِدٌ، وعَمْرٌو، وخالِدٌ، وعَبْدُ اللهِ، ويُحَنَّسُ، في سِتِّينَ راكِبًا. فكَلَّمَ رَسُولَ الله ﷺ مِنْهُمْ أبو حارِثَةَ بنُ عَلْقَمةَ، والعاقِبُ عَبْدُ المَسِيحِ، والأيْهَمُ السَّيِّدُ، وهُمْ مِن النَّصْرانِيّةِ على دِينِ المَلِكِ، مَعَ اخْتِلافٍ مِنْ أمْرِهِمْ؛ يَقُولُونَ: هُوَ الله، ويَقُولُونَ: هُوَ ولَدُ الله، ويَقُولُونَ: هُوَ ثالِثُ ثَلاثةٍ. وكَذلك قَوْلُ النَّصْرانِيّةِ.

فَهُمْ يَحْتَجُّونَ في قَوْلِهِمْ: «هُوَ الله» بِأنَّهُ كانَ يُحْيِي المَوْتى، ويُبْرِئُ الأسْقامَ، ويُخْبِرُ بِالغُيُوبِ، ويَخْلُقُ مِن الطِّينِ كَهَيْئةِ الطَّيْرِ، ثُمَّ يَنْفُخُ فيهِ فيكُونُ طائِرًا، وذلك كُلُّهُ بِأمْرِ الله تَبارَكَ وتَعالى: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١].

وَيَحْتَجُّونَ في قَوْلِهِمْ: «إنَّهُ ولَدُ الله» بِأنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ أبٌ يُعْلَمُ، وقَدْ تَكَلَّمَ في المَهْدِ، وهذا لَمْ يَصْنَعْهُ أحَدٌ مِنْ ولَدِ آدَمَ قَبْلَهُ.

وَيَحْتَجُّونَ في قَوْلِهِمْ: «إنَّهُ ثالِثُ ثَلاثَةٍ» بِقَوْلِ الله: فعَلْنا، وأمَرْنا، وخَلَقْنا، وقَضَيْنا، فيقُولُونَ: لَوْ كانَ واحِدًا ما قالَ إلّا: فعَلْتُ، وقَضَيْتُ، وأمَرْتُ، وخَلَقْتُ، ولَكِنَّهُ هُوَ وعِيسى ومَرْيَمُ. ففي كُلِّ ذلك مِنْ قَوْلِهِمْ قَدْ نَزَلَ القُرْآنُ.

فلَمّا كَلَّمَهُ الحَبْرانِ، قالَ لَهُما رَسُولُ الله ﷺ: «أسْلِما»، قالا: قَدْ أسْلَمْنا، قالَ: «إنَّكُما لَمْ تُسْلِما فَأسْلِما»، قالا: بَلى، قَدْ أسْلَمْنا قَبْلَكَ. قالَ: «كَذَبْتُما، يَمْنَعُكُما مِن الإسْلامِ دُعاؤُكُما لله ولَدًا، وعِبادَتُكُما الصَّلِيبَ، وأكْلُكُما الخِنْزِيرَ»، قالا: فمَنْ أبوهُ يا مُحَمَّدُ؟ فصَمَتَ عَنْهُما رَسُولُ الله ﷺ فلَمْ يُجِبْهُما.

[ما نَزَلَ مِنْ آلِ عِمْرانَ فيهِمْ]

فَأنْزَلَ الله تَعالى في ذلك مِنْ قَوْلِهِمْ، واخْتِلافِ أمْرِهِمْ كُلِّهِ، صَدْرَ سُورةِ آلِ عِمْرانَ إلى بِضْعٍ وثَمانِينَ آيةً مِنْها، فقالَ جَلَّ وعَزَّ: ﴿ الٓمٓ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [آل عمران: ١-٢]، فافْتَتَحَ السُّورةَ بِتَنْزِيهِ نَفْسِهِ عَمّا قالُوا، وتَوْحِيدِهِ إيّاها بِالخَلْقِ والأمْرِ، لا شَرِيكَ لَهُ فيهِ، رَدًّا عَلَيْهِمْ ما ابْتَدَعُوا مِن الكُفْرِ، وجَعَلُوا مَعَهُ مِن الأنْدادِ، واحْتِجاجًا بِقَوْلِهِمْ عَلَيْهِمْ في صاحِبِهِمْ؛ لِيُعَرِّفَهُمْ بِذلك ضَلالَتَهُمْ، فقالَ: ﴿الٓمٓ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١-٢]: لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُهُ شَرِيكٌ في أمْرِهِ، ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾: الحَيُّ الَّذي لا يَمُوتُ، وقَدْ ماتَ عِيسى وصُلِبَ في قَوْلِهِمْ. والقَيُّومُ: القائِمُ على مَكانِهِ مِنْ سُلْطانِهِ في خَلْقِهِ لا يَزُولُ، وقَدْ زالَ عِيسى في قَوْلِهِمْ عَنْ مَكانِهِ الَّذي كانَ بِهِ، وذَهَبَ عَنْهُ إلى غَيْرِهِ.

﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [آل عمران: ٣]، أيْ: بِالصِّدْقِ فيما اخْتَلَفُوا فيهِ، ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴾: التَّوْراةَ على مُوسى، والإنْجِيلَ على عِيسى،

كَما أنْزَلَ الكُتُبَ على مَنْ كانَ قَبْلَهُ، ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ٤]، أي: الفَصْلَ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ فيما اخْتَلَفَ فيهِ الأحْزابُ مِنْ أمْرِ عِيسى وغَيْرِهِ.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾، أيْ: إنَّ الله مُنْتَقِمٌ مِمَّنْ كَفَرَ بِآياتِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ بِها، ومَعْرِفَتِهِ بِما جاءَ مِنْهُ فيها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]، أيْ: قَدْ عَلِمَ ما يُرِيدُونَ وما يَكِيدُونَ وما يُضاهُونَ بِقَوْلِهِمْ في عِيسى؛ إذْ جَعَلُوهُ إلَهًا ورَبًّا، وعِنْدَهُمْ مِنْ عِلْمِهِ غَيْرُ ذلك، غِرَّةً باللهِ، وكُفْرًا بِهِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦]، أيْ: قَدْ كانَ عِيسى مِمَّنْ صُوِّرَ في الأرْحامِ، لا يَدْفَعُونَ ذلك ولا يُنْكِرُونَهُ، كَما صُوِّرَ غَيْرُهُ مِنْ ولَدِ آدَمَ، فكَيْفَ يَكُونُ إلَهًا وقَدْ كانَ بِذلك المَنْزِلِ؟!

ثُمَّ قالَ تَعالى إنْزاهًا لِنَفْسِهِ، وتَوْحِيدًا لَها مِمّا جَعَلُوا مَعَهُ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: العَزِيزُ في انْتِصارِهِ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ إذا شاءَ، الحَكِيمُ في حُجَّتِهِ وعُذْرِهِ إلى عِبادِهِ.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧] فيهِنَّ حُجّةُ الرَّبِّ، وعِصْمةُ العِبادِ، ودَفْعُ الخُصُومِ والباطِلِ، لَيْسَ لَهُنَّ تَصْرِيفٌ ولا تَحْرِيفٌ عَمّا وُضِعْنَ عَلَيْهِ، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ لَهُنَّ تَصْرِيفٌ وتَأْوِيلٌ، ابْتَلى اللهُ فيهِنَّ العِبادَ، كَما ابْتَلاهُمْ في الحَلالِ والحَرامِ ألّا يُصْرَفْنَ إلى الباطِلِ، ولا يُحَرَّفْنَ عَنِ الحَقِّ.

يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، أيْ: مَيْلٌ عَنِ الهُدى، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾، أيْ: ما تَصَرَّفَ مِنْهُ؛ لِيُصَدِّقُوا بِهِ ما ابْتَدَعُوا وأحْدَثُوا؛

لِتَكُونَ لَهُمْ حُجّةً، ولَهُمْ على ما قالُوا شُبْهةٌ، ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾، أي: اللَّبْسِ، ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ ذلك على ما رَكِبُوا مِن الضَّلالةِ في قَوْلِهِمْ: خَلَقْنا وقَضَيْنا. يَقُولُ الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾، أي: الَّذي بِهِ أرادُوا ما أرادُوا إلّا الله، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ فكَيْفَ يَخْتَلِفُ وهُوَ قَوْلٌ واحِدٌ، مِنْ رَبٍّ واحِدٍ؟! ثُمَّ رَدُّوا تَأْوِيلَ المُتَشابِهِ على ما عَرَفُوا مِنْ تَأْوِيلِ المُحْكَمةِ الَّتِي لا تَأْوِيلَ لِأحَدٍ فيها إلّا تَأْوِيلٌ واحِدٌ، واتَّسَقَ بِقَوْلِهِم الكِتابُ، وصَدَّقَ بَعْضُهُ بَعْضًا، فنَفَذَتْ بِهِ الحُجّةُ، وظَهَرَ بِهِ العُذْرُ، وزاحَ بِهِ الباطِلَ، ودَمَغَ بِهِ الكُفْرَ. يَقُولُ الله تَعالى في مِثْلِ هذا: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ في مِثْلِ هذا ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، أيْ: لا تُمِلْ قُلُوبَنا، وإنْ مِلْنا بِأحْداثِنا. ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾.

ثُمَّ قالَ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] بِخِلافِ ما قالُوا، ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾، أيْ: بِالعَدْلِ فيما يُرِيدُ، ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، أيْ: ما أنْتَ عَلَيْهِ ـ يا مُحَمَّدُ ـ التَّوْحِيدُ لِلرَّبِّ، والتَّصْدِيقُ لِلرُّسُلِ. ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾، أي: الَّذي جاءَكَ، أيْ: أنَّ الله الواحِدَ الَّذي لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ، ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ * فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ [آل عمران: ١٩-٢٠]، أيْ: بِما يَأْتُونَ بِهِ مِن الباطِلِ مِنْ قَوْلِهِمْ: خَلَقْنا وفَعَلْنا وأمَرْنا؛ فإنَّما هِيَ شُبْهةُ باطِلٍ قَدْ عَرَفُوا ما فيها مِن

الحَقِّ، ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾، أيْ: وحْدَهُ، ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾ الَّذينَ لا كِتابَ لَهُمْ، ﴿أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

[ما نَزَلَ مِن القُرْآنِ فيما أحْدَثَ اليَهُودُ والنَّصارى]

ثُمَّ جَمَعَ أَهْلَ الكِتابَيْنِ جَمِيعًا، وذَكَرَ ما أَحْدَثُوا وما ابْتَدَعُوا، مِن اليَهُودِ والنَّصارى، فقالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾، إلى قَوْلِهِ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢١-٢٦]، أيْ: رَبَّ العِبادِ والمَلِكَ الَّذي لا يَقْضِي فيهِمْ غَيْرُهُ، ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ﴾، أيْ: لا إلَهَ غَيْرُكَ، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أيْ: لا يَقْدِرُ على هذا غَيْرُكَ بِسُلْطانِكَ وقُدْرَتِكَ. ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ﴾ [آل عمران: ٢٧] بِتِلْكَ القُدْرَةِ، ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لا يَقْدِرُ على ذلك غَيْرُكَ، ولا يَصْنَعُهُ إلّا أنْتَ، أيْ: فإنْ كُنْتُ سَلَّطْتُ عِيسى على الأشْياءِ الَّتي بِها يَزْعُمُونَ أنَّهُ إلَهٌ؛ مِنْ إحْياءِ المَوْتى، وإبْراءِ الأسْقامِ، والخَلْقِ لِلطَّيْرِ مِن الطِّينِ، والإخْبارِ عَن الغُيُوبِ، لِأجْعَلَهُ بِهِ آيَةً لِلنّاسِ، وتَصْدِيقًا لَهُ في نُبُوَّتِهِ الَّتي بَعَثْتُهُ بِها إلى قَوْمِهِ؛ فإنَّ مِنْ سُلْطاني وقُدْرَتي ما لَمْ أُعْطِهِ تَمْلِيكَ المُلُوكِ بِأمْرِ النُّبُوّةِ، ووَضْعَها حَيْثُ شِئْتَ، وإيلاجَ اللَّيْلِ في النَّهارِ، والنَّهارِ في اللَّيْلِ، وإخْراجَ الحَيِّ مِن المَيِّتِ، وإخْراجَ المَيِّتِ مِن الحَيِّ، ورِزْقَ مَنْ شِئْتُ مِنْ بَرٍّ أوْ فاجِرٍ بِغَيْرِ حِسابٍ، فكُلُّ ذلك لَمْ أُسَلِّطْ عِيسى عَلَيْهِ، ولَمْ أُمَلِّكْهُ إيّاهُ،

أَفَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ في ذلك عِبْرَةٌ وبَيِّنَةٌ؟! أنْ لَوْ كانَ إلهًا كانَ ذلك كُلُّهُ إلَيْهِ، وهُوَ في عِلْمِهِمْ يَهْرَبُ مِن المُلُوكِ، ويَنْتَقِلُ مِنْهُمْ في البِلادِ، مِنْ بَلَدٍ إلى بَلَدٍ.

[ما نَزَلَ مِن القُرْآنِ في وعْظِ المُؤْمِنِينَ]

ثُمَّ وعَظَ المُؤْمِنِينَ وحَذَّرَهُمْ، ثُمَّ قالَ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ [آل عمران: ٣١]، أيْ: إنْ كانَ هذا مِنْ قَوْلِكُمْ حَقًّا حُبًّا لله وتَعْظِيمًا لَهُ، ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، أيْ: ما مَضى مِنْ كُفْرِكُمْ، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران: ٣٢]؛ فأنْتُمْ تَعْرِفُونَهُ وتَجِدُونَهُ في كِتابِكُمْ، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾، أيْ: على كُفْرِهِمْ، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

[ما نَزَلَ مِن القُرْآنِ في خَلْقِ عِيسى]

ثُمَّ اسْتَقْبَلَ لَهُمْ أمْرَ عِيسى عَلَيْهِ السَّلامُ، وكَيْفَ كانَ بَدْءُ ما أرادَ الله عز وجل بِهِ، فقالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٤].

ثُمَّ ذَكَرَ أمْرَ امْرَأةِ عِمْرانَ، وقَوْلَها: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾، أيْ: نَذَرْتُهُ فجَعَلْتُهُ عَتِيقًا، تَعَبَّدُهُ لله، لا يُنْتَفَعُ بِهِ لِشَيْءٍ مِن الدُّنْيا، ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٦]، أيْ: لَيْسَ الذَّكَرُ كالأُنْثى لِما جَعَلْتُها له مُحَرَّرًا لَكَ نَذِيرةً، ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾. يَقُولُ الله تَبارَكَ وتَعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧] بَعْدَ أبِيها وأُمِّها.

قالَ ابنُ هِشامٍ: كَفَّلَها: ضَمَّها.

[خَبَرُ زَكَرِيّا ومَرْيَمَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فذَكَرَها بِاليُتْمِ، ثُمَّ قَصَّ خَبَرَها وخَبَرَ زَكَرِيّا، وما دَعا بِهِ، وما أعْطاهُ؛ إذْ وهَبَ لَهُ يَحْيَى. ثُمَّ ذَكَرَ مَرْيَمَ، وقَوْلَ المَلائِكَةِ لَها: ﴿يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۞ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢-٤٣]، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ﴾، أيْ: ما كُنْتَ مَعَهُمْ ﴿إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: أقْلامَهُمْ: سِهامَهُمْ، يَعْنِي: قِداحَهُم الَّتِي اسْتَهَمُوا بِها عَلَيْها، فخَرَجَ قِدْحُ زَكَرِيّا فضَمَّها، فيما قالَ الحَسَنُ بنُ أبي الحَسَنِ البَصْرِيُّ.

[كَفالةُ جُرَيْجٍ الرّاهِبِ لِمَرْيَمَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: كَفَلَها هٰهُنا جُرَيْجٌ الرّاهِبُ؛ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ نَجّارٌ، خَرَجَ السَّهْمُ عَلَيْهِ بِحَمْلِها، فحَمَلَها، وكانَ زَكَرِيّا قَدْ كَفَلَها قَبْلَ ذلك، فأصابَتْ بَنِي إسْرائِيلَ أزْمَةٌ شَدِيدَةٌ، فعَجَزَ زَكَرِيّا عَنْ حَمْلِها، فاسْتَهَمُوا عَلَيْها أيُّهُمْ يَكْفُلُها؟ فخَرَجَ السَّهْمُ على جُرَيْجٍ الرّاهِبِ بِكُفُولِها فكَفَلَها.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾، أيْ: ما كُنْتَ مَعَهُمْ إذْ يَخْتَصِمُونَ فيها؛ يُخْبِرُهُ بِخَفِيِّ ما كَتَمُوا مِنْهُ مِن العِلْمِ عِنْدَهُمْ؛ لِتَحْقِيقِ نُبُوَّتِهِ والحُجّةِ عَلَيْهِمْ بِما يَأْتِيهِمْ بِهِ مِمّا أخْفَوْا مِنْهُ.

ثُمَّ قالَ: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾، أيْ: هٰكَذا كانَ أمْرُهُ، لا كَما تَقُولُونَ فيهِ، ﴿وَجِيهٗا

﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾، أيْ: عِنْدَ اللهِ، ﴿وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥-٤٦] يُخْبِرُهُمْ بِحالاتِهِ الَّتِي يَتَقَلَّبُ فيها في عُمْرِهِ، كَتَقَلُّبِ بَنِي آدَمَ في أعْمارِهِمْ، صِغارًا وكِبارًا، إلّا أنَّ اللهَ عز وجل خَصَّهُ بِالكَلامِ في مَهْدِهِ آيةً لِنُبُوَّتِهِ، وتَعْرِيفًا لِلْعِبادِ بِمَواقِعِ قُدْرَتِهِ.

﴿قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، أيْ: يَصْنَعُ ما أرادَ، ويَخْلُقُ ما يَشاءُ مِنْ بَشَرٍ أوْ غَيْرِ بَشَرٍ، ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن﴾ مِمّا يَشاءُ وكَيْفَ شاءَ، ﴿فَيَكُونُ﴾ كَما أرادَ.

[ما نَزَلَ مِن القُرْآنِ في بَيانِ آياتِ عِيسى عَلَيْهِ السَّلامُ]

ثُمَّ أخْبَرَها بِما يُرِيدُ بِهِ، فقالَ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ الَّتِي كانَتْ فيهِمْ مِنْ عَهْدِ مُوسى قَبْلَهُ، ﴿وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ كِتابًا آخَرَ أحْدَثَهُ الله عَزَّ وجَلَّ إلَيْهِ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ إلّا ذِكْرُهُ أنَّهُ كائِنٌ مِن الأنْبِياءِ بَعْدَهُ، ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾، أيْ: يُحَقِّقُ بِها نُبُوَّتِي أنِّي رسول منه إليكم، ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ الَّذي بَعَثَنِي إلَيْكُمْ، وهُوَ رَبِّي ورَبُّكُمْ، ﴿وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ﴾.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: الأكْمَهُ: الَّذي يُولَدُ أعْمى. قالَ رُؤْبةُ بنُ العَجّاجِ:

هَرَّجْتُ فارْتَــدَّ ارْتِدادَ الأكْمَهِ

وَجَمْعُهُ: كُمْهٌ. قالَ ابنُ هِشامٍ: هَرَّجْتُ: صِحْتُ بِالأسَدِ، وجَلَبْتُ عَلَيْهِ.
وَهذا البَيْتُ في أرجوزة لَهُ.

﴿وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ﴾ أنّي رَسُولُ اللهِ مِن اللهِ إلَيْكُمْ، ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾، أيْ: لِما سَبَقَني عَنْها، ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾، أيْ: أُخْبِرُكُمْ بِهِ أَنَّهُ كانَ عَلَيْكُمْ حَرامًا فتَرَكْتُموهُ، ثُمَّ أُحِلُّهُ لَكُمْ تَخْفيفًا عَنْكُمْ، فتُصِيبُونَ يُسْرَهُ، وتَخْرُجُونَ مِنْ تِباعاتِهِ، ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾، أيْ: تبرِّيًا مِن الَّذينَ يَقُولُونَ فيهِ، واحْتِجاجًا لِرَبِّهِ عَلَيْهِمْ، ﴿فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾، أيْ: هذا الَّذي قَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَيْهِ وجِئْتُكُمْ بِهِ.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ والعُدْوانَ عَلَيْهِ، ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ هذا قَوْلُهم الَّذي أصابُوا بِهِ الفَضْلَ مِنْ رَبِّهِمْ، ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ لا ما يَقُولُ هَؤُلاءِ الَّذينَ يُحاجُّونَكَ فيهِ، ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، أيْ: هَكَذا كانَ قَوْلُهُمْ وإيمانُهُم.

[رَفْعُ عِيسى عَلَيْهِ السَّلامُ]

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحانَهُ وتَعالى رَفْعَهُ عِيسى إلَيْهِ حَيْنَ اجْتَمَعُوا لِقَتْلِهِ، فقالَ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾. ثُمَّ أخْبَرَهُمْ ورَدَّ عَلَيْهِمْ فيما أقَرُّوا لِلْيَهُودِ بِصَلْبِهِ، كَيْفَ رَفعَهُ وطَهَّرَهُ مِنْهُمْ، فقالَ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا - إذْ هَمُّوا مِنْكَ بِما هَمُّوا - وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

ثُمَّ القِصّةَ، حتّى انْتَهى إلى قَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ - يا مُحَمَّدُ - مِنَ ٱلْآيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ القاطِعِ الفاصِلِ، الحَقِّ الَّذي لا يُخالِطُهُ الباطِلُ، مِنَ الخَبَرِ عَنْ عِيسى، وعَمّا اخْتَلَفُوا فيهِ مِنْ أمْرِهِ، فلا تَقْبَلَنَّ خَبَرًا غَيْرَهُ.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ - فاسْتَمِعْ - كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ * ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، أيْ: ما جاءَكَ مِنَ الخَبَرِ عَنْ عِيسى، ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾، أيْ: قَدْ جاءَكَ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فلا تَمْتَرِيَنَّ فيهِ، وإنْ قالُوا: خُلِقَ عِيسى مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ فقَدْ خَلَقْتُ آدَمَ مِنْ تُرابٍ بِتِلْكَ القُدْرةِ مِنْ غَيْرِ أُنْثى ولا ذَكَرٍ، فكانَ كَما كانَ عِيسى لَحْمًا ودَمًا، وشَعْرًا وبَشَرًا، فلَيْسَ خَلْقُ عِيسى مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ بِأعْجَبَ مِنْ هذا.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾، أيْ: مِنْ بَعْدِ ما قَصَصْتُ عَلَيْكَ مِنْ خَبَرِهِ، وكَيْفَ كانَ أمْرُهُ، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: قالَ أبو عُبَيْدَةَ: نَبْتَهِلْ: نَدْعُو بِاللَّعْنَةِ، قالَ أعْشى بَنِي قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ:

لا تَقْعُدَنَّ وقَدْ أكَّلْتَها حَطَبًا نَعُوذُ مِنْ شَرِّها يَوْمًا ونَبْتَهِلُ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. يَقُولُ: نَدْعُو بِاللَّعْنَةِ. وتَقُولُ العَرَبُ: بَهَلَ الله فُلانًا، أيْ: لَعَنَهُ، وعَلَيْهِ بَهْلَةُ الله. قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: بَهْلَةُ الله، أيْ: لَعْنَةُ الله، ونَبْتَهِلُ أيْضًا: نَجْتَهِدُ في الدُّعاءِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الَّذي جِئْتُ بِهِ مِن الخَبَرِ عَنْ عِيسى ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ مِنْ أمْرِهِ، ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ * قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ فدعاهُمْ إلى النَّصَفِ، وقَطَعَ عَنْهُم الحُجّةَ.

[إباؤُهم المُلاعَنةَ]

فَلَمّا أتى رَسُولَ الله ﷺ الخَبَرُ مِن الله عَنْهُ، والفَصْلُ مِن القَضاءِ بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ، وأمَرَ بِما أُمِرَ بِهِ مِنْ مُلاعَنَتِهِمْ إنْ رَدُّوا ذلك عَلَيْهِ؛ دَعاهُمْ إلى ذلك، فقالُوا لَهُ: يا أبا القاسِمِ، دَعْنا نَنْظُرْ في أمْرِنا، ثُمَّ نَأْتِيكَ بِما نُرِيدُ أنْ نَفْعَلَ فيما دَعَوْتَنا إلَيْهِ. فانْصَرَفُوا عَنْهُ، ثُمَّ خَلَوْا بِالعاقِبِ ـ وكانَ ذا رَأْيِهِمْ ـ فقالُوا: يا عَبْدَ المَسِيحِ، ماذا تَرى؟ فقالَ: واللهِ يا مَعْشَرَ النَّصارى لَقَدْ عَرَفْتُمْ أنَّ مُحَمَّدًا لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ، ولَقَدْ جاءَكُمْ بِالفَصْلِ مِنْ خَبَرِ صاحِبِكُمْ، ولَقَدْ عَلِمْتُمْ ما لاعَنَ قَوْمٌ نَبِيًّا قَطُّ فبَقِيَ كَبِيرُهُمْ، ولا نَبَتَ صَغِيرُهُمْ، وإنَّهُ لَلِاسْتِئْصالُ مِنْكُمْ إنْ فعلْتُمْ، فإنْ كُنْتُمْ قَدْ أبَيْتُمْ إلّا إلْفَ دِينِكُمْ، والإقامةَ على ما أنْتُمْ عَلَيْهِ مِن القَوْلِ في صاحِبِكُمْ، فوادِعُوا الرَّجُلَ، ثُمَّ انْصَرِفُوا إلى بِلادِكُمْ. فأتَوْا رَسُولَ الله ﷺ فقالُوا له: يا أبا القاسِمِ، قَدْ رَأيْنا ألّا نُلاعِنَكَ، وأنْ نَتْرُكَكَ على دِينِكَ ونَرْجِعَ على دِينِنا، ولَكِن ابْعَثْ مَعَنا رَجُلًا مِنْ أصْحابِكَ تَرْضاهُ لَنا، يَحْكُمْ بَيْنَنا في أشْياءَ اخْتَلَفْنا فيها مِنْ أمْوالِنا؛ فإنَّكُمْ عِنْدَنا رِضًا.

[تَوْلِيةُ أبي عُبَيْدةَ أُمورَهُم]

قالَ مُحَمَّدُ بنُ جَعْفرٍ: فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ائْتُوني العَشِيّةَ أبْعَثْ مَعَكُم القَوِيَّ الأمِينَ». قالَ: فكانَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ يَقُولُ: ما أحْبَبْتُ الإمارةَ قَطُّ حُبِّي إيّاها يَوْمئِذٍ؛ رَجاءَ أنْ أكُونَ صاحِبَها، فرُحْتُ إلى الظُّهْرِ مُهَجِّرًا، فلَمّا صَلّى بِنا رَسُولُ الله ﷺ الظُّهرَ سَلَّمَ، ثُمَّ نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ وعَنْ يَسارِهِ، فجَعَلْتُ أتَطاوَلُ لَهُ لِيَرانِي، فلَمْ يَزَلْ يَلْتَمِسُ بِبَصَرِهِ حَتّى رَأى أبا عُبَيْدةَ بنَ الجَرّاحِ، فدَعاهُ فقالَ: «اخْرُجْ مَعَهُمْ، فاقْضِ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ فيما اخْتَلَفُوا فيهِ». قالَ عُمَرُ: فذَهَبَ بِها أبو عُبَيْدةَ.

ذِكرُ نَصارى نَجْرانَ وما أنزلَ اللهُ فيهم

قَدْ تَقَدَّمَ أنّ نَجْرانَ عُرِفَتْ بِنَجْرانَ بنِ زيدِ بنِ يَشْجُبَ بنِ يعرُبَ بنِ قحطانَ[1]، وأمّا أهْلُها فهُمْ: بَنُو الحارِثِ بنِ كَعْبٍ؛ مِنْ[2] مَذْحِجَ.

ذَكرَ فيهِ قَوْلَهُمْ لِلنّبِيِّ ﷺ: مَنْ أبُوهُ يا مُحَمّدُ؟ يَعْنُونَ: عِيسى، فأنْزَلَ اللهُ سبحانهُ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾، إلى قولِه: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وفيها نُكْتةٌ؛ فإنّ ظاهِرَ الكَلامِ أنْ يَقُولَ: خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ، ثُمّ قالَ لَهُ: كُنْ فكانَ. فيَعْطِفُ بِلَفْظِ الماضِي على الماضِي.

والجَوابُ: أنّ الفاءَ قد تُعْطِي التَّعْقِيبَ والتَّسْبِيبَ، فلَوْ قالَ: «فكانَ» لَمْ

(١) انظر: (١: ٢٢٤).

(٢) في (ف): «بن».

تَدُلَّ الفاءُ إلّا على التّسْبيبِ، وأنّ القَوْلَ سَبَبٌ لِلْكَوْنِ، فلَمّا جاءَ بلَفْظِ الحالِ دَلَّ مَعَ التّسْبيبِ على اسْتِعْقابِ الكَوْنِ لِلْأمْرِ مِنْ غَيْرِ مَهَلٍ، وأنّ الأمْرَ بَيْنَ الكافِ والنُّونِ، قالَ لَهُ: كُنْ[١]، فإذا هُو كائِنٌ، واقْتَضى لَفْظُ فِعْلِ الحالِ كَوْنَهُ في الحالِ.

فإنْ قِيلَ ـ وهِيَ مَسْألةٌ أُخْرى ـ: إنّ آدَمَ مَكَثَ دَهْرًا طَويلًا وهُو طِينٌ صَلْصالٌ، وقَوْلُهُ لِلشّيْءِ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ يَقْتَضِي التّعْقيبَ، وقَدْ خَلَقَ السّمواتِ والأرْضَ في سِتّةِ أيّامٍ، وهِيَ سِتّةُ آلافِ سَنةٍ، فأيْنَ قَوْلُهُ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ مِنْ هذا؟

فالجواب: ما قاله أهْلُ العِلْمِ في هذهِ المَسْألةِ: وهُو أنّ قَوْلَ الباري سُبْحانَهُ: ﴿كُن﴾ يَتوجّهُ إلى المَخْلُوقِ مُطْلَقًا ومُقَيَّدًا، فإذا كانَ مُطْلَقًا كانَ كَما أرادَ لِحِينِهِ، وإذا كانَ مُقَيَّدًا بِصِفةٍ أوْ بزَمانٍ كانَ كَما أرادَ على حَسَبِ ذَلِكَ الزّمانِ الّذي تَقَيّدَ الأمْرُ بِهِ، فإنْ قالَ لَهُ: كُنْ في ألْفِ سَنةٍ، كانَ في ألْفِ سَنةٍ، وإنْ قالَ لَهُ: كُنْ فيما دُونَ اللّحْظةِ[٢]، كانَ كَذَلِكَ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ صَدْرَ سُورةِ آلِ عِمْرانَ، وفَسَّرَ مِنْهُ كَثِيرًا، فمِنْهُ قَوْلُهُ سُبْحانَهُ: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، وهو ما لا يَحْتَمِلُ إلّا تَأْوِيلًا واحِدًا، وهُو عِنْدِي مِنْ: أحَكَمْتُ الفَرَسَ بِحَكَمَتِهِ؛ أيْ: مَنَعْتُهُ مِن العُدُولِ عن طريقِه، كما قال حَسّانُ[٣]: [من الوافر]

ونُحْكِمُ بِالقَوافي مَنْ هَجانا

(١) في (ف): «كن فيكون».

(٢) في (أ)، (ج): «لحظة».

(٣) لم أجده في «الديوان».

أيْ: نُلْجِمُهُ فنَمْنَعُهُ، وكَذَلِكَ الآيةُ المُحْكَمةُ لا تتَصَرّفُ بقارِئِها التّأْويلاتُ، ولا تَتَعارَضُ عَلَيْهِ الاحْتِمالاتُ، ولَيْسَ مِنْ لَفْظِ الحِكْمةِ، بل القُرْآنُ كُلُّهُ حِكْمةٌ وعِلْمٌ، والمُتَشابهُ يَميلُ بالنّاظِرِ فيهِ إلى وُجُوهٍ مُخْتَلِفةٍ، وطُرُقٍ متباينةٍ، وقولُه سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١]، هَذا مِن الحِكْمةِ، ومِن الإحْكامِ الّذِي هُو الإتْقانُ؛ فالقُرْآنُ كُلُّهُ مُحْكَمٌ على هَذا، وهُو كُلُّهُ مِنْ هَذا الوجْهِ مُتَشابِهٌ أيْضًا؛ لِأنّ بَعْضَهُ يُشْبِهُ بَعْضًا في بَراعةِ اللّفْظِ، وإعْجازِ النّظْمِ، وجَزالةِ المَعْنى، وبَدائِعِ الحِكْمةِ، فكُلُّهُ مُتَشابِهٌ وكُلّهُ مُحْكَمٌ. وعلى المَعْنى الأوّلِ: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، فأهْلُ الزَّيْغِ يَعْطِفُونَ المُتَشابِهَ على أهْوائِهِمْ، ويُجادِلُونَ بِهِ عَنْ آرائِهِمْ، والرّاسِخُونَ [في العِلْمِ][١] يَرُدُّونَ المتشابه إلى المحكَم أخذًا بِقَوْلِه[٢] سبحانه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وعِلْمًا بأنّ الكُلَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ، فلا يُخالِفُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

رَوتْ عائِشةُ رضي الله عنها عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ في قَوْلِهِ سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]، قالَ: «إذا رَأيْتُم الّذِينَ يُجادِلُون فيهِ فهُمْ أولئك[٣]، فاحذَرُوهم»[٤].

وللسَّلفِ في معنى المُحْكَمِ ومَعْنى المُتَشابِهِ أقْوالٌ مُتَقارِبةٌ، إلّا أنّ منهم مَنْ يَرى الوقْفَ على قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، ويَرَوْنَهُ

(١) عن (أ)، (ب).

(٢) في (ف): «بقول الله».

(٣) «فهم أولئك» في (ف): «فأولئك هم».

(٤) «مسند أحمد» (٦: ٤٨)، و«سنن ابن ماجه»، المقدمة: (ص: ١٨-١٩)، وانظر: «تفسير ابن كثير» (٢: ٦٨١-٦٨٢).

تَمامَ الكَلامِ، ويَحْتَجُّونَ بِقِراءةِ ابنِ عَبّاسٍ: «ويقولُ الرّاسخون في العِلْمِ»[١]، وهُو قَوْلُ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزيزِ: أنّ الرّاسِخِينَ في العِلْمِ لا يَفهمُونَ[٢] التّأْويلَ وإنْ عَلِمُوا التّفْسيرَ، والتّأْويلُ عِنْدَ هَؤُلاءِ غَيْرُ التّفْسيرِ[٣]، إنّما هُو عِنْدَهُمْ في مَعْنى قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣][٤].

وطائفةٌ يَرَوْنَ أنّ قَوْلَهُ سبحانه: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ مَعْطُوفٌ على ما قَبْلَهُ، وأنّهُمْ عالِمُونَ بِالتّأْويلِ، ويَحْتَجُّونَ بِما يَطُولُ ذِكْرُهُ مِنْ أثَرٍ ونَظَرٍ.

والّذِي أرْتَضِيهِ مِنْ ذَلِكَ مَذْهَبٌ ثالِثٌ، وهُو الّذِي قالَهُ ابنُ إسْحاقَ في هَذا الكِتابِ، ومَعْناهُ كُلُّهُ: أنّ الكلامَ قد تمَّ في قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾: مبتدأٌ، ولكن لا نقولُ: إنّهُمْ لا يَعْلَمُونَ تأْويلَهُ كَما قالَت الطّائِفةُ الأُولى، ولَكِنْ نَقُولُ: إنّهُمْ يَعْلَمُونَهُ بِرَدِّ المُتَشابِهِ إلى المُحْكَمِ، وبالاستدلالِ على الخَفيِّ بِالجَلِيِّ، وعلى المُخْتَلَفِ فيهِ بِالمُتّفَقِ عَلَيْهِ، فتَنْفُذُ بِذَلِكَ الحُجّةُ، ويَزِيحُ الباطِلُ، وتَعْظُمُ دَرَجةُ العالِمِ عِنْدَ اللهِ تعالى؛ لِأنّهُ يَقُولُ: آمَنْتُ بِهِ، كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبّي، فكَيْفَ يَخْتَلِفُ[٥]؟! ولَمّا كانَ العِلْمانِ مُخْتَلِفَيْنِ: عِلْمُ اللهِ، وعِلْمُ الرّاسِخِينَ في العِلْمِ، لم يَجُزْ أن يُعطَفَ «الراسخون» على ما قَبْلَهُ، فاللهُ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ بالعِلْمِ القديمِ؛ لا بِتَذَكُّرٍ، ولا بِتَفَكُّرٍ، ولا بِتَدْقِيقِ نَظَرٍ، ولا بِفَحْصٍ عَنْ دَلِيلٍ، فلا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ هَكَذا إلّا اللهُ، والرّاسِخُونَ في العِلْمِ يَعْلَمُونَ

---

(١) «البحر المحيط» لأبي حيان: (٢: ٣٨٤).

(٢) في (ف): «لا يعلمون».

(٣) انظر في هذا: «التفسير والمفسرون» للذهبي: (١: ١٣) وما بعدها، و«مفردات الراغب» (ص: ٩٩) وما بعدها، و«البحر المحيط» (١: ١٣)، و«الكليات» لأبي البقاء: (ص: ٢٦١).

(٤) أي: ما وُعد به من العذاب والنكال والجنة والنار.

(٥) بعده في (ف): «فيه».

تَأْوِيلَهُ بِالفَحْصِ عَنِ الدَّلِيلِ، وتَدْقِيقِ[(١)] النَّظَرِ، وتَسْدِيدِ العِبَرِ، فهُمْ كما قالَ اللهُ سبحانه: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، وهذا [مَعْنى][(٢)] كَلامِ ابنِ إسْحاقَ في الآيةِ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ احْتِجاجَ الأحْبارِ والقِسِّيسِينَ مِنْ أَهْلِ نَجْرانَ بِقَوْلِهِ عَزّ وجَلّ: ﴿خَلَقْنَا﴾ [الأعراف: ١٨١]، و﴿أَمَرْنَا﴾ [الإسراء: ١٦]، وأشْباهِ ذَلِكَ، وقالُوا: هَذا يَدُلُّ على أنّهُ ثالِثُ ثَلاثةٍ، تَعالى اللهُ عَنْ قَوْلِهِمْ[(٣)]، وهَذا مِنَ الزّيْغِ والتعلُّق بِالمُتَشابهِ، دُونَ رَدِّهِ إلى المُحْكَمِ، نَحْو قَوْلِهِ: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل: ٢٢]، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، والعَجَبُ مِنْ ضَعْفِ عُقُولِهِمْ: كَيْفَ احْتَجُّوا على مُحَمّدٍ بما أُنْزِلَ على مُحَمّدٍ، وهُو أَعْلَمُ بما أُنْزِلَ[(٤)] عَلَيْهِ؟! لِأنّ [هَذا][(٥)] اللّفْظَ الّذِي احْتَجُّوا بِهِ مَجازٌ عَرَبِيٌّ، ولَيْسَ هُو لَفْظَ التّوْراةِ ولا الإنْجِيلِ، وأصْلُ هَذا المَجازِ في العَرَبِيّةِ: أنّ الكِتابَ إذا صَدَرَ عَنْ حَضْرةِ مَلِكٍ كانَت العِبارةُ فيهِ عَن المَلِكِ بِلَفْظِ الجَمْعِ؛ دَلالةً على أنّهُ كَلامُ مَلِكٍ مَتْبُوعٍ على أمْرِهِ وقَوْلِهِ، فلَمّا خاطَبَهُم اللهُ سبحانه بهَذا الكِتابِ العَزِيزِ أنْزَلَهُ على مَذاهِبِهِمْ في الكَلامِ، وجاءَ الكَلامُ[(٦)] فيهِ على أُسْلُوبِ الكَلامِ الصّادِرِ عَنْ حَضْرةِ المَلِكِ، ولَيْسَ هَذا في غَيْرِ اللِّسانِ العَرَبِيِّ، ولا يَتَطَرّقُ هَذا المَجازُ في حُكْمِ العَقْلِ إلى

(١) في (ف): «وبتدقيق».
(٢) سقط من (ب).
(٣) في (أ)، (ف): «عن ذلك».
(٤) في (ب): «بما أنزل الله»، وفي (ف): «ما أنزل».
(٥) ليس في (أ)، (ب)، (ف).
(٦) في (ف): «وجاء اللفظ».

الكَلامِ القَدِيمِ؛ إنّما هُو في اللّفْظِ المُنَزّلِ، ولِذَلِكَ تجِدُهُ إذا أخْبرَ عَنْ قَوْلٍ قالَهُ لِنَبيٍّ قَبْلَنا، أوْ خاطَبَ بِهِ غَيْرَنا نَحْو قَوْلِهِ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، ولَمْ يَقُلْ: خَلَقْنا بِأيْدِينا، كَما قالَ: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١][1]، وقالَ حِكايَةً عَنْ وحْيِهِ لِمُوسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]، ولَمْ يَقُلْ كَما قالَ في الآيةِ الأُخْرى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]؛ لِأنّهُ أخْبرَ عَنْ قَوْلٍ قالَهُ لَمْ يُنْزِلْهُ[2] بِهَذا اللّسانِ العَرَبِيِّ ولَمْ يَحْكِ[3] لَفْظًا أنْزَلَهُ، وإنّما أخْبرَ عَن المَعْنى[4]، ولَيْسَ المَجازُ في المَعْنى، وكَذَلِكَ لا يَجُوزُ لِعَبْدٍ أنْ يَقُولَ: رَبِّ اغْفِرُوا لي، ولا ارْحَمُوني، ولا عَلَيْكُمْ تَوكّلْت، ولا إلَيْكُمْ أنَبْتُ، ولا قالَها نَبيٌّ قَطُّ في مُناجاتِهِ، ولا وليٌّ في دُعائِهِ؛ لِوجْهَيْنِ:

أحَدِهِما: أنّهُ واجِبٌ على العَبْدِ أنْ يُشْعِرَ قَلْبَهُ التّوْحِيدَ؛ حَتّى يُشاكِلَ لَفْظُهُ عَقْدَهُ.

الثّانِي: ما قَدّمْناهُ مِنْ سِرِّ هَذا المَجازِ، وأنّ سَبَبَهُ صُدُورُ [هذا][5] الكَلامِ عَنْ حَضْرةِ المَلِكِ؛ مُوافَقَةً لِلْعَرَبِ في [مثلِ][6] هَذا الأُسْلُوبِ مِنْ كَلامِها، واخْتِصاصِهِ بِعادةِ مُلُوكِها وأشْرافِها.

---

(١) في (ب)، (ص): «مما عملته أيدينا»، وفي (أ): «ومما عملته أيدينا». وصواب الآية ما أثبت، وفي سورة يس آية أخرى هي ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ورقمها (٣٥)، ولا يصح الاستشهاد بها هنا.

(٢) في (ب): «ينزل».

(٣) في (ب): «يحكه».

(٤) في (ب): «معنى».

(٥) ليس في (أ)، (ب)، (ف).

(٦) عن (أ)، (ب).

ولا تنْظُرْ لِقَوْلِ مَنْ قالَ في هذهِ المَسْألةِ: وبذَلِك رُوجِعُوا، يَعْنِي: بلَفْظِ الجَمْعِ، واحْتَجّ بقَوْلِهِ سُبْحانَهُ [خَبَرًا][(١)] عَمّنْ حَضَرَهُ المَوْتُ مِن الكُفّارِ؛ إذْ يَقُولُ: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٩].

فيُقالُ لَهُ: هَذا خَبَرٌ عَمّنْ حَضَرَتْهُ الشّياطِينُ؛ ألا تَرى قَبْلَهُ: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٨]، وإنما[(٢)] جاءَ هَذا حِكايةً عَمّنْ حَضَرَتْهُ الشّياطِينُ، وحَضَرَتْهُ زَبانِيةُ العَذابِ، وجَرى على لِسانِهِ في المَوْتِ ما كانَ يَعْتادُهُ في الحَياةِ مِنْ رَدِّ الأمْرِ للمخْلُوقِينَ؛ فلِذَلِكَ خَلَّطَ، فقالَ: ﴿رَبِّ﴾، ثُمّ قالَ: ﴿ٱرۡجِعُونِ﴾، وإلّا فأنْتَ أَيُّها الرّجُلُ المُجِيزُ لِهَذا اللّفْظِ في مُخاطَبَةِ الرّبِّ سُبْحانَهُ، هَلْ قُلْتَ[(٣)] في دُعائِك: ارْجُعونِ يا رَبِّ، أو ارْزُقُونِ؟! بَلْ لَوْ سَمِعْتَ غَيْرَكَ يَقُولُها لسطوتَ به.

وأما قولُ مالِكٍ وغَيْرِهِ مِن الفُقَهاءِ: الأمْرُ عِنْدَنا، أوْ رَأَيْنا كَذا، أوْ نَرى كَذا؛ فإنّما ذَلِكَ لِأنّهُ قَوْلٌ لَمْ يَنْفَرِدْ بِهِ، ولَو انْفَرَدَ بِهِ لَكانَ بِدْعةً، ولَمْ يَقْصِدْ بِهِ تَعْظِيمًا لِنَفْسِهِ، لا هُو ولا غَيْرُهُ مِنْ أهْلِ الدِّينِ والرِّعةِ[(٤)].

وأمّا احْتِجاجُ القِسِّيسِينَ بأنّهُ كانَ يُحْيِي المَوْتى، ويَخْلُقُ مِن الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطّيْرِ فيَنْفُخُ فيهِ، فلَوْ تَفَكَّرُوا لَأبْصَرُوا أنّها حُجّةٌ عَلَيْهِمْ؛ لِأنّ اللهَ سبحانه خَصّهُ دُونَ الأنْبِياءِ بِمُعْجِزاتٍ تُبْطِلُ مَقالةَ مَنْ كَذّبَهُ، وتُبْطِلُ [أيْضًا][(٥)] مَقالةَ مَنْ زَعَمَ أنّهُ إلَهٌ أوِ ابنُ إلهٍ، واسْتَحالَ عِنْدَهُ أنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا مِنْ غَيْرِ أبٍ، فكانَ نَفْخُهُ

---

(١) ليست في (ب).

(٢) في (أ)، (ج)، (ف): «فإنما».

(٣) في (ف): «قلت قط».

(٤) يقال: وَرَع يَرَع ـ بفتح العين وكسرها في الماضي والمضارع ـ وَرَعًا ورِعةً: توقّى المحارم وصار ورِعًا.

(٥) ليس في (ب).

في الطِّينِ فيعودُ طائرًا حيًّا، تَنْبيهًا لَهُمْ لَوْ عَقَلُوا على أنَّ مَثَلَهُ كَمَثَلِ آدَمَ؛ خُلِقَ مِنْ طِينٍ، ثُمّ نُفِخَ فيهِ الرّوحُ، فكانَ بَشَرًا حَيًّا، فَنَفْخُ الرّوحِ في الطّائِرِ الّذي خَلَقَهُ عِيسى مِنْ طِينٍ لَيْسَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذَلِكَ، الكُلّ فِعْلُ اللهِ، وكَذَلِكَ[1] إحْياؤُهُ لِلْمَوْتى، وكَلامُهُ في المَهْدِ، كُلّ ذَلِكَ يَدُلُّ على أنّهُ مَخْلُوقٌ مِنْ نَفْخَةِ رُوحِ القُدسِ في جَيْبِ أُمِّهِ، ولَمْ يُخْلَقْ مِنْ مَنِيِّ الرّجالِ، فكانَ مَعْنى الرّوحِ فيهِ عَلَيْهِ السّلامُ أقْوى مِنْهُ في غَيْرِهِ، فكانَتْ مُعْجِزاتُهُ رُوحانِيّةً دالّةً على قُوّةِ المُناسَبةِ بَيْنَهُ وبَيْنَ رُوحِ الحَياةِ، ومِنْ ذَلِكَ بَقاؤُهُ حَيًّا إلى قُرْبِ السّاعةِ.

[ورُوِيَ عَنْ أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ: أنّ الرُّوحَ الّذي تَمَثّلَ لَها بَشَرًا هُو الرّوحُ الّذي حَمَلَتْ بِهِ، وهُو عِيسى؛ دَخَلَ مِنْ فيها إلى جَوْفِها. رَواهُ الكشّيُّ بِإسْنادٍ حَسَنٍ يَرْفَعُهُ إلى أُبَيٍّ][2]، وخُصّ بِإبْراءِ الأكمَهِ والأبرصِ، وفي اختصاصِهِ بِإبْراءِ هاتَيْنِ الآفَتَيْنِ مُشاكَلةٌ لِمَعْناهُ عَلَيْهِ السّلامُ؛ وذَلِكَ أنّ فِرْقةً عَمِيَتْ بَصائِرُهُمْ، فكَذّبُوا نُبُوّتَهُ، وهُم اليَهُودُ، وطائِفةً غَلَوْا في تعظيمِهِ بعدَما ابْيَضّتْ قُلُوبُهُمْ بِالإيمانِ، ثُمّ أفْسَدُوا إيمانَهُمْ بِالغُلُوِّ، فمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الأبْرَصِ؛ ابيضَّ بَياضًا فاسِدًا، ومَثَلُ الآخَرِينَ كمَثَلِ الكُمْهِ والعُمْيِ[3]، وقَدْ أعطاهُ اللهُ مِن الدّلائِلِ على الفَرِيقَيْنِ ما يُبْطِلُ المَقالَتَيْنِ، فدَلائِلُ الحُدُوثِ تُثْبِتُ لَهُ العُبُودِيّةَ، وتَنْفي عَنْهُ الرّبُوبِيّةَ، وخَصائِصُ مُعْجِزاتِهِ تَنْفي عَنْ أُمّهِ الرِّيبةَ وتُثْبِتُ لَها ولَهُ النّبُوّةَ والصِّدِّيقِيّةَ، فكانَ في مَسِيحِ الهُدى مِن الآياتِ ما يُشاكِلُ حالَهُ ومَعْناهُ حِكْمةً مِن اللهِ، كَما جُعِلَ[4] في الصورةِ الظّاهرةِ مِنْ مَسِيحِ الضّلالةِ - وهُو الأعْورُ الدّجّالُ - ما يُشاكِلُ حالَهُ،

(١) في (ب): ونحو ذلك.
(٢) عن (أ)، (ب).
(٣) في (ف): «الكمه العمي» بدوان واو.
(٤) في (ب): جعله.

ويُناسِبُ صُورَتَهُ الباطِنَةَ، على نَحْوِ(١) ما شَرَحْنا وبَيّنّا في إمْلاءٍ أمْلَيْناهُ على هذهِ النّكْتةِ في غَيْرِ هَذا الكِتابِ، والحَمْدُ للهِ.

فَصْلٌ

وذَكرَ في تَفْسِيرِ ما نَزَلَ فيهِمْ قَوْلَ حَنّةَ أُمِّ مَرْيَمَ - وهي بنتُ ماثانَ -: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]، قالَ بَعْضُ أهْلِ التّأْوِيلِ: أشارَتْ إلى مَعْنى الحَيْضِ؛ لأن الأُنْثى تَحِيضُ، فلا تَخْدُمُ المَسْجِدَ، ولذلك(٢) قال: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]؛ لِأنّ الذَّكَرَ لا يَحِيضُ، فهُو أبَدًا في خِدْمةِ المَسْجِدِ، وهذهِ إشارةٌ حَسَنةٌ.

فإنْ قِيلَ: كانَ القِياسُ [في الكَلامِ أنْ يُقالَ](٣): ولَيْسَ الأُنْثى كالذّكَرِ؛ لِأنّها دُونَهُ، فما بالُهُ بَدَأ بِالذّكرِ؟

فالجَوابُ: أنّ الأُنْثى إنّما هِيَ دُونَ الذّكَرِ في نَظَرِ العَبْدِ لِنَفْسِهِ؛ لِأنّهُ(٤) يَهْوى ذُكرانَ البنينَ، وهم مع الأموالِ(٥) زِينةُ الحَياةِ الدُّنْيا وأقْرَبُ إلى فِتْنةِ العَبْدِ، ونَظَرُ الرّبِّ لِلْعَبْدِ خَيْرٌ(٦) مِنْ نَظَرِهِ لِنَفْسِهِ، فلَيْسَ الذّكَرُ كالأُنْثى على هَذا، بَل الأُنْثى أفْضَلُ في المَوْهِبةِ؛ ألا تَراهُ سُبْحانَهُ يَقُولُ: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]؟ فبدأ بذكرِهِنَّ قبل الذُّكورِ، وفي الحديثِ: «ابدؤوا

(١) «نحو» ليست في (ف).

(٢) في (ف): «فلذلك».

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (ف).

(٤) في (ف): «أنه».

(٥) في (ف): «المال».

(٦) في (ف): «خير له».

بالإناثِ»[١]، يَعْنِي: في الرّحْمةِ وإدْخالِ السُّرُورِ على البَنِينَ، وفي الحَدِيثِ أيْضًا: «مَنْ عالَ جارِيَتَيْنِ دَخَلْتُ أنا وهُو الجَنّةَ كَهاتَيْنِ»[٢]، فتَرَتّبَ الكَلامُ في التّنْزِيلِ على حَسَبِ الأفْضَلِ في نَظَرِ اللهِ لِلْعَبْدِ، واللهُ أعْلَمُ بِما أرادَ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ دُعاءَهُ عَلَيْهِ السّلامُ أهْلَ نَجْرانَ إلى المُباهَلةِ[٣]، وأنهم رَضُوا بِبَذْلِ الجِزْيةِ والصَّغار، وألّا يُلاعِنُوهُ، وكَذلِكَ رُوِيَ أنّ بَعْضَهُمْ قالَ لِبَعْضٍ: «إنْ لاعَنْتُمُوهُ ودَعَوْتُمْ باللّعْنةِ على الكاذِبِ اضْطَرَمَ الوادِي نارًا عَلَيْكُمْ»، وفي «تَفْسِيرِ الكَشّيّ»[٤]: أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ: «لَقَدْ تَدَلّى إلَيْهِم[٥] العَذابُ، والّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ باهَلُونِي لاسْتُؤْصِلُوا مِنْ على جَدِيدِ الأرْضِ»[٦].

نُكْتةٌ

في قولِهِ سبحانه: ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، وبَدَأ بالأبناءِ والنّساءِ قَبْلَ الأنْفُسِ.

والجَوابُ: أنّ أهْلَ التّفْسِيرِ قالُوا: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]؛ أيْ: لِيَدْعُ بَعْضُنا بَعْضًا، وهَذا نَحْوُ قَوْلُهُ: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]

---

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤: ٢٤٠). (ج)

(٢) في حاشية (أ): «أي: السبابة والوسطى»، والحديث أخرجه مسلم والترمذي في كتاب البر، مسلم في (٤: ٢٠٢٧-٢٠٢٨)، والترمذي في (٨: ١٠٤-١٠٥).

(٣) «إلى المباهلة» في (ف): «للمباهلة».

(٤) في حاشية (أ): «الكش قرية بجرجان»، وقد سبق التعريف بالكشي، انظر: (٣: ٢٩٦).

(٥) في (ف): «لهم».

(٦) انظر «تفسير الطبري» (٣: ١٩٢)، و«تاريخ المدينة المنورة» لعمر بن شبة (٢: ٥٨٢).

في أَحَدِ القَوْلَيْنِ، أيْ: لِيُسَلِّمْ بَعْضُكُمْ على بَعْضٍ، فبَدَأ بِذِكْرِ الأَوْلادِ الّذِينَ هُمْ فِلَذُ الأَكْبادِ، ثُمّ بِالنّساءِ اللّائي[1] جَعَلَ بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ مَودّةً ورَحْمةً، ثُمّ بمَنْ وراءَهُمْ مِنْ دُعاءِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا؛ لِأنّ الإنْسانَ لا يَدْعُو نَفْسَهُ، وانْتَظَمَ الكَلامُ على الأُسْلُوبِ المُعْتادِ في إعْجازِ القُرْآنِ.

وفي حَدِيثِ أَهْلِ نَجْرانَ زِيادةٌ كَثِيرةٌ عَنِ ابنِ إسْحاقَ مِنْ غَيْرِ رِوايةِ ابنِ هِشامٍ؛ مِنْها: أنّ راهِبَ نَجْرانَ حِينَ رَجَعَ الوفْدُ وأَخْبَرُوهُ الخَبَرَ رَحَلَ إلى النّبِيّ ﷺ فسمِعَ منه وأهْدى إلَيْهِ القَضِيبَ والقَعْبَ[2] والبُرْدَ الّذِي هُو الآن عند خلفاء بني العبّاس يتوارثونه.

* * *

(١) في (ف): «اللاتي».

(٢) القَعْبُ: القَدَحُ الضَّخم الغليظ، وقيل: قدح من خشب مقعَّر. «لسان العرب» (قعب). (ج)

نُبَذٌ مِنْ ذِكْرِ المُنافِقِينَ

[ابنُ أُبَيٍّ وابنُ صَيْفي]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينةَ ـ كَما حَدَّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ ـ وسَيِّدُ أهْلِها عَبْدُ الله بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ العَوْفي، ثُمَّ أحَدُ بَنِي الحُبْلى، لا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ في شَرَفِهِ مِنْ قَوْمِهِ اثْنانِ، ولَمْ تَجْتَمِع الأوْسُ والخَزْرَجُ قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ على رَجُلٍ مِنْ أحَدِ الفَرِيقَيْنِ، حَتّى جاءَ الإسْلامُ غَيْرَهُ، ومَعَهُ في الأوْسِ رَجُلٌ، هُوَ في قَوْمِهِ مِن الأوْسِ شَرِيفٌ مُطاعٌ؛ أبو عامِرٍ عَبْدُ عَمْرِو ابنُ صَيْفيِّ بنِ النُّعْمانِ، أحَدُ بَنِي ضُبَيْعَةَ بنِ زَيْدٍ، وهُوَ أبو حَنْظَلةَ، الغَسِيلُ يَوْمَ أُحُدٍ، وكانَ قَدْ تَرَهَّبَ في الجاهِلِيّةِ ولَبِسَ المُسُوحَ، وكانَ يُقالُ لَهُ: الرّاهِبُ. فشَقِيا بِشَرَفِهِما وضَرَّهُما.

[إسْلامُ ابنِ أُبَيٍّ]

فَأمّا عَبْدُ الله بنُ أُبَيٍّ فكانَ قَوْمُهُ قَدْ نَظَمُوا لَهُ الخَرَزَ لِيُتَوِّجُوهُ ثُمَّ يُمَلِّكُوهُ عَلَيْهِمْ، فجاءَهُم الله تَعالى بِرَسُولِهِ ﷺ وهُمْ على ذلك، فلَمّا انْصَرَفَ قَوْمُهُ عَنْهُ إلى الإسْلامِ ضَغِنَ، ورَأى أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قد اسْتَلَبَهُ مُلْكًا، فلَمّا رَأى قَوْمَهُ قَدْ أبَوْا إلّا الإسْلامَ دَخَلَ فيهِ كارِهًا مُصِرًّا على نِفاقٍ وضِغْنٍ.

[إصْرارُ ابنِ صَيْفيٍّ على كُفْرِهِ]

وَأمّا أبو عامِرٍ فأبى إلّا الكُفْرَ والفِراقَ لِقَوْمِهِ حِينَ اجْتَمَعُوا على الإسْلامِ،

فخَرَجَ مِنْهُمْ إلى مَكّةَ بِبِضْعةَ عَشَرَ رَجُلًا مُفارِقًا لِلْإسْلامِ ولِرَسُولِ الله ﷺ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ ـ كَما حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ أبي أُمامةَ، عَنْ بَعْضِ آلِ حَنْظَلةَ ابنِ أبي عامِرٍ ـ: «لا تَقُولُوا: الرّاهِبَ، ولَكِنْ قُولُوا: الفاسِقَ».

[ما نالَ ابنَ صَيْفِي جَزاءَ تَعْرِيضِهِ بِالرَّسُولِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي جَعْفَرُ بنُ عَبْدِ الله بنِ أبي الحَكَمِ ـ وكانَ قَدْ أَدْرَكَ وسَمِعَ، وكانَ راوِيةً ـ: أنَّ أبا عامِرٍ أتى رَسُولَ الله ﷺ حِينَ قَدِمَ المَدِينةَ قَبْلَ أنْ يَخْرُجَ إلى مَكّةَ، فقالَ: ما هذا الدِّينُ الَّذي جِئْتَ بِهِ؟ فقالَ: «جِئْتُ بِالحَنِيفيةِ؛ دِينِ إبْراهِيمَ»، قالَ: فأنا عَلَيْها، فقالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّكَ لَسْتَ عَلَيْها»، قالَ: بَلى، قالَ: إنَّكَ أدخَلْتَ يا مُحَمَّدُ في الحَنِيفيةِ ما لَيْسَ مِنْها، قالَ: «ما فعَلْتُ، ولَكِنِّي جِئْتُ بِها بَيْضاءَ نَقِيّةً»، قالَ: الكاذِبُ أماتَهُ اللهُ طَرِيدًا غَرِيبًا وحِيدًا. يُعَرِّضُ بِرَسُولِ الله ﷺ، أيْ: أنَّكَ جِئْتَ بِها كَذلك. قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أجَلْ، فمَنْ كَذَبَ ففَعَلَ اللهُ تَعالى ذلك بِهِ». فكانَ هُوَ ذلك عَدُوَّ الله، خَرَجَ إلى مَكّةَ، فلَمّا افْتَتَحَ رَسُولُ الله ﷺ مَكّةَ خَرَجَ إلى الطّائِفِ، فلَمّا أسْلَمَ أهْلُ الطّائِفِ لَحِقَ بِالشّامِ، فماتَ بِها طَرِيدًا غَرِيبًا وحِيدًا.

[الِاحْتِكامُ إلى قَيْصَرَ في مِيراثِهِ]

وَكانَ قَدْ خَرَجَ مَعَهُ عَلْقَمةُ بنُ عُلاثةَ بنِ عَوْفِ بنِ الأحْوَصِ بنِ جَعْفَرِ ابنِ كِلابٍ، وكِنانةُ بنُ عَبْدِ يالِيلَ بنِ عَمْرِو بنِ عُمَيْرٍ الثَّقَفي، فلَمّا ماتَ اخْتَصَما في مِيراثِهِ إلى قَيْصَرَ صاحِبِ الرُّومِ، فقالَ قَيْصَرُ: يَرِثُ أهْلُ المَدَرِ أهْلَ المَدَرِ، ويَرِثُ أهْلُ الوَبَرِ أهْلَ الوَبَرِ. فوَرِثَهُ كِنانةُ بنُ عَبْدِ يالِيلَ بِالمَدَرِ دُونَ عَلْقَمةَ.

[هِجاءُ كَعْبٍ لِابنِ صَيْفي]

فَقالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ لِأبي عامِرٍ فيما صَنَعَ:

مَعـــاذَ اللهِ مِنْ عَمَلٍ خَبِيــثٍ   كَسَعْيِكَ في العَشِيرةِ عَبْدَ عَمْرِو
فَإمّــا قُلْتَ: لِي شَـــرَفٌ ونَخْلٌ   فقِدْمًــا بِعْــتَ إيمانًــا بِكُفْرِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى:

فَإمّا قُلْــتَ: لِي شَرَفٌ ومالٌ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأمّا عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ فأقامَ على شَرَفِهِ في قَوْمِهِ مُتَرَدِّدًا، حَتّى غَلَبَهُ الإسْلامُ، فدَخَلَ فيهِ كارِهًا.

[خُرُوجُ قَوْمِ ابنِ أُبَيٍّ عَلَيْهِ وشِعْرُهُ في ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ فحَدَّثَني مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أُسامةَ بنِ زَيْدِ بنِ حارِثةَ؛ حِبِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قالَ: رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى سَعْدِ بنِ عُبادةَ يَعُودُهُ مِنْ شَكْوٍ أصابَهُ على حِمارٍ عَلَيْهِ إكافٌ فوْقَهُ قَطِيفةٌ فدَكِيّةٌ مُخْتَطِمةٌ بِحَبْلٍ مِنْ لِيفٍ، وأرْدَفَني رَسُولُ اللهِ ﷺ خَلْفَهُ. قالَ: فمَرَّ بِعَبْدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ وهُوَ في ظِلِّ مُزاحِمٍ أُطُمِهِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: مُزاحِمٌ: اسْمُ الأُطُمِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَوْلَهُ رِجالٌ مِنْ قَوْمِهِ. فلَمّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَذَمَّمَ مِنْ أنْ يُجاوِزَهُ حَتّى يَنْزِلَ، فنَزَلَ فسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ قَلِيلًا فتَلا القُرْآنَ ودَعا إلى اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وذَكَّرَ باللهِ وحَذَّرَ، وبَشَّرَ وأنْذَرَ، قالَ: وهُوَ زامٌّ لا يَتَكَلَّمُ، حَتّى إذا فرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ مَقالَتِهِ، قالَ: يا هذا، إنَّهُ لا أحْسَنَ مِنْ

حَدِيثِكَ هذا إنْ كانَ حَقًّا فاجْلِسْ في بَيْتِكَ؛ فَمَنْ جاءَكَ لَهُ فحَدِّثْهُ إيّاه، ومَنْ لَمْ يأتِكَ فلا تَغُتَّهُ بِهِ، ولا تَأْتِهِ في مَجْلِسِهِ بِما يَكْرَهُ مِنْهُ. قالَ: فقالَ عَبْدُ الله بنُ رَواحةَ في رِجالٍ كانُوا عِنْدَهُ مِن المُسْلِمِينَ: بَلى، فاغْشَنا بِهِ، وائْتِنا في مَجالِسِنا ودُورِنا وبُيُوتِنا؛ فهُوَ واللهِ مِمّا نُحِبُّ، ومِمّا أكْرَمَنا اللهُ بِهِ وهَدانا لَهُ، فقالَ عَبْدُ الله بنُ أُبَيٍّ حِينَ رَأى مِنْ خِلافِ قَوْمِهِ ما رَأى:

مَتى ما يَكُنْ مَوْلاكَ خَصْمَكَ لا تَزَلْ تَذِلُّ ويَصْرَعْكَ الَّذِينَ تُصارِعُ
وَهَلْ يَنْهَضُ البازِي بِغَيْرِ جَناحِهِ وإنْ جُذَّ يَوْمًا رِيشُهُ فهُوَ واقِعُ؟

قالَ ابنُ هِشامٍ: البَيْتُ الثّانِي عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

[غَضَبُ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ كَلامِ ابنِ أُبَيٍّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أُسامةَ، قالَ: وقامَ رَسُولُ الله ﷺ، فدَخَلَ على سَعْدِ بنِ عُبادةَ وفي وجْهِهِ ما قالَ عَدُوُّ اللهِ ابنُ أُبَيٍّ، فقالَ: واللهِ يا رَسُولَ الله، إنِّي لأرى في وجْهِكَ شَيْئًا، لَكَأنَّكَ سَمِعْتَ شَيْئًا تَكْرَهُهُ، قالَ: «أجَلْ»، ثُمَّ أخْبَرَهُ بِما قالَ ابنُ أُبَيٍّ، فقالَ سَعْدٌ: يا رَسُولَ الله، ارْفُقْ بِهِ؛ فوَاللهِ لَقَدْ جاءَنا اللهُ بِكَ، وإنّا لَنَنْظِمُ لَهُ الخرزَ لِنُتَوِّجَه، فوَاللهِ إنَّهُ لَيَرى أنْ قَدْ سَلَبْتَهُ مُلْكًا.

فَصْلٌ

وذَكَرَ قِصّةَ عَبْدِ اللهِ بنِ أُبيّ بن سَلُولَ، وسَلُولُ: هِيَ أُمّ أُبَيّ، وهِيَ خُزاعِيّةٌ، وهُو أُبَيّ بنُ مالِكٍ مِنْ بَنِي الحُبْلى، واسْمُ الحُبْلى: سالِمٌ، والنّسَبُ إلَيْهِ: حُبُلِيّ

بِضَمّتَيْنِ[١]، كَرِهُوا أَنْ يَقُولُوا: حُبْلَوِيّ، أَوْ حُبْلِيّ، أَوْ حُبْلاوِيّ على قِياسِ النّسَبِ؛ لِأَنّ حُبْلى وسَكْرى ونَحْوهُما إذا كانَ[٢] اسْمًا لِرَجُلٍ، لَمْ يَجِئ[٣] في الجَمْعِ على حُكْمِ التّأْنِيثِ، وكَذَلِكَ فَعْلاءُ في المَدّ[٤] تَقُولُ في جَمْعِ رَجُلٍ اسْمُهُ: سَلْمى أَوْ وَرْقاءُ: الوَرْقاوُونَ والسَّلْمُونَ[٥]، وهَذا بِخِلافِ تاءِ التّأْنِيثِ؛ فإنّك تَقُولُ في طَلْحةَ اسْمِ رَجُلٍ: طَلَحاتٍ، كَما [كُنْت][٦] تَقُولُ في غَيْرِ العَلَمِيّةِ؛ لِأَنّ التّاءَ[٧] لا تَكُونُ إلّا لِلتّأْنِيثِ، والألِفُ تَكُونُ لِلتّأْنِيثِ وغَيْر التأنيث، فلَمّا كانَتْ أَلِفُ التّأْنِيثِ بِخِلافِ تاءِ التّأْنِيثِ في الأَسْماءِ الأَعْلامِ كانَ[٨] النّسَبُ إِلَيْها مُخالِفًا لِلنّسَبِ إلى ما فيهِ أَلِفُ التّأْنِيثِ في غَيْرِ الأَعْلامِ، غَيْرَ أَنّ هَذا في بابِ النّسَبِ لا يَطّردُ وإنِ اطّرَدَ الجَمْعُ، كَما قَدّمْنا، وكَأَنّ[٩] النُّكْتَةَ الّتِي خُصّ بِها النّسَبُ في بَنِي الحُبْلى بِمُخالَفَةِ القِياسِ كَراهِيَتُهُمْ لِحُكْمِ التّأْنِيثِ فيهِ؛ لِأَنّ الحُبْلى وصْفٌ لِلْمَرْأةِ بِالحَبَلِ، [فلَيْسَ كَراهِيَتُهُمْ[١٠] حُكْمَ التّأْنِيثِ فيمَن اسْمُهُ سَلْمى مِن الرّجالِ كَكَراهِيَتِهِمْ لِبَقاءِ حُكْمِ التّأْنِيثِ فيمَن اسْمُهُ: حُبْلى؛ فلِذَلِكَ

(١) سبق للسهيلي الحديث عن النسب إلى بني الحبلى، وأنه بضمتين، لا بضم ففتح، كما هو في «كتاب سيبويه»، انظر: (١: ١٤٤).

(٢) في (ف): «كانا».

(٣) في (ف): «لم يجز».

(٤) في (ف): «بالمد».

(٥) انظر: «كتاب سيبويه» (٣: ٣٩٤)، و«المقاصد الشافية» للشاطبي: (٦: ٤٥٤) وما بعدها.

(٦) ليس في (أ).

(٧) في (ب): «الهاء».

(٨) في (ج)، (ص): «وكان».

(٩) في (أ)، (ب)، (ف): «وكانت».

(١٠) بعده في (ف): «إبقاء».

غَيَّرُوا النَّسَبَ، حَتّى كَأنَّهُمْ نَسَبُوا إلى حُبُلٍ][١]، والله أعلم.

وأمّا سَلُولٌ في خُزاعةَ ـ وقَدْ تَقَدّمَ عِنْدَ ذكرِ حُبْشِيّةَ بنِ سَلُولٍ[٢] ـ فاسمُ رَجُلٍ مَصْرُوفٌ، وأمّا بَنُو سَلُولَ بنِ صَعْصَعةَ إخْوةُ بَنِي عامرٍ، فهُمْ: بَنُو مُرّةَ ابنِ صَعْصَعةَ. وسَلُولُ: أُمّهُمْ، وهِيَ بِنْتُ ذُهْلِ بنِ شَيْبانَ، فجَمِيعُ ما وقَعَ في [كتاب][٣] «السّيَرِ[٤]» لِابنِ إسْحاقَ مِنْ سَلُول ثَلاثةٌ[٥]: واحِدٌ اسْمُ رَجُلٍ مَصْرُوفٌ، وثِنْتانِ غَيْرُ مَصْرُوفَتَيْنِ، وهُما اللّتانِ ذَكَرْنا.

وذَكَرَ أنّ الأنْصارَ[٦] قَدْ نَظَمُوا الخَرَزَ لِعَبْدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ لِيُتَوِّجُوهُ ويُمَلِّكُوهُ عَلَيْهِمْ؛ وذَلِكَ أنّ الأنْصارَ يَمَنٌ، وقَدْ كانَت المُلُوكُ المُتَوَّجُونَ مِن اليَمَنِ في آلِ قَحْطانَ، وكانَ أوّلُ مَنْ تَتَوّجَ مِنْهُمْ سَبأَ بنَ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحْطانَ، ولَمْ يُتَوَّجْ مِن العَرَبِ إلّا قَحْطانِيٌّ، كَذَلِكَ قالَ أبُو عُبَيْدةَ، فقِيلَ لَهُ: قَدْ تَتَوّجَ هَوْذةُ بنُ عَلِيٍّ الحَنَفِيُّ صاحِبُ اليَمامةِ، وقالَ فيه الأعشى[٧]: [من البسيط]

مَنْ يَرَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غَيْرَ مُتَّئِبٍ ... إذا تَعَمّمَ فوْقَ التّاجِ أوْ وضَعا

وقال[٨] أبو عبيدة: لم يكنْ تاجًا، وإنّما كانَتْ خَرَزاتٍ تُنْظَمُ له، وفي

---

(١) سقط من (ج)، (ص).
(٢) انظر: (١: ٤٦٦).
(٣) عن: (ص).
(٤) في (ف): «السيرة».
(٥) في (أ)، (ب)، (ف): «فثلاثة».
(٦) بعدها في (ف): «كانوا».
(٧) «ديوانه» (ص: ١٢٣)، و«اللسان» (وأب، هوذ). «واتّأبَ الرجل من الشيء يتّئب فهو مُتَّئِبٌ: استحيا».
(٨) في (ف): «فقال».

الخَرَزاتِ الّتِي بِمَعْنى التّاجِ يَقُولُ الشّاعِرُ في هَوْذة[١]: [من الطويل]

رَعى خَرَزاتِ المُلْكِ عِشْرِينَ حِجّةً وعِشْـرِينَ حَتّى فادَ والشَّيْبُ شاملُ

وكانَ سَبَبُ تَتَوُّجِ هَوْذَةَ: أَنّهُ أجارَ لَطِيمةً[٢] لِكَسْرى مَنَعَها مِمّنْ أرادَها مِن العَرَبِ، فلَمّا وفَدَ عَلَيْهِ تَوجَّهَ لِذَلِكَ ومَلّكَهُ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ في حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ، أنّ رَسُولَ الله ﷺ مرّ به وهو في ظِلِّ مُزاحِمٍ أُطُمِهِ، وآطامُ المَدِينةِ: سُطُوحٌ[٣]، ولَها أسْماءٌ، فمِنْها: مُزاحِمٌ، ومِنْها: الزّوْراءُ أُطُمُ بَنِي الجُلاحِ، ومِنْها: مُعْرِضٌ أُطُمُ بَنِي ساعِدَةَ، ومِنْها: فارعٌ أُطُمُ بَنِي جدِيلَةَ، ومِنْها: مُسْعطٌ، ومِنْها: واقِمٌ، وفي مُعْرِضٍ يَقُولُ الشّاعِرُ[٤]: [من الطويل]

ونَحْنُ دَفَعْنـا عَنْ بُضاعةَ كُلِّها ونَحْنُ بَنَيْنا مُعْرِضًا فهُو مُشْرِفُ
فَأَصْبَحَ مَعْمُـورًا طَوِيلًا قَذالُهُ وتحوم[٥] آطامٌ بِه[٦] وتَقَصَّفُ

---

(١) «ديوانه» (ص: ٢٦٦)، و«اللسان» (خرز). فاد: مات.

(٢) اللطيمة: العِيرُ التي تحمل المسك. وانظر الخبر في: «تاريخ الطبري» (٢: ١٦٩).

(٣) الآطام: جمع أُطُم، وهو حصن مبني بالحجارة، وكل بيت مربع مسطح، والسطح: ظهر البيت إذا كان مستورًا لانبساطه، وجمعه سطوح.

(٤) هو أبو أُسَيْد مالك بن ربيعة الساعدي، والبيتانِ في «معجم ما استعجم» للبكري: (١: ٢٥٥) مع اختلاف يسير، هكذا:

نحن حمينا عن بضاعة كلِّها ونحن بنينا مُعرِضًا فهو مُشرِفُ
فأصبح معمورًا طويلًا قذالهُ وتخربُ آطامٌ بهـا وتَقَصّفُ

وانظر: «أحكام القرآن» لأبي بكر بن العربي: (٣: ٣٩١).

(٥) كذا في (ب)، (ج)، (ص)، وفي (أ)، (ف): «وتخرب».

(٦) في (ف): «بها».

وبُضاعةُ: أرْضُ بَنِي ساعِدةَ، وإلَيْها تُنْسَبُ بِئْرُ بُضاعةَ.

[وقولُه في هذا الخبرِ: «وعبد الله بنُ أبيٍّ زامٌّ»؛ أي: رافعٌ رأسَهُ. ومنه حديثُ الحجّاجِ حين سألَ الشَّعبيَّ عن الفريضةِ الخمسيةِ(١). قال(٢): فزمَّ الحجّاجُ بأنفهِ، وقال: ما قالَ فيها أبو تُرابٍ؟ أي: رفع أنفَهُ. ومنه اشتُقَّ الزِّمامُ؛ لأنه يُرفَعُ به رأسُ الناقةِ](٣).

و[من آطامِ المدينةِ](٤) الأجَشُّ، وكانَ بِقُباء، والحَمِيمُ والنّوّاحانِ، وهُما أُطُمانِ لِبَنِي أُنَيْفٍ، وصِرارٌ بالصادِ، وكانَ بالجُوّانيّةِ، والرَّيّانُ والشَّبعانُ، وهو(٥) في ثَمْغٍ(٦)، وراتج(٧)، والأبيض، ومنها عاصم والرِّعل(٨)، وكانَ لِحُضَيرِ ابنِ سِماكٍ، ومِنْها خَيْطٌ(٩) وواسِطٌ(١٠) وحُبَيْشٌ، والأغْلَبُ ومَنِيعٌ، فهذِهِ آطامُ

---

(١) هي إحدى مسائل المواريث، وقد اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله ﷺ: عبد الله ابن مسعود، وعلي، وعثمان، وزيد، وابن عباس، فقال له الحجاج: ما تقول في أم وأخت وجَد؟ فذكر له الشعبي قول كل صحابي، إلى أن قال له: فما قال فيها أبو تراب؟ يعني: الإمام عليًّا رضي الله عنه، وكان قد جعلها من ستة: للأخت ثلاثة، وللأب اثنان، وللجد سهم واحد، فقال الحجاج: مُر القاضي فليمضها على ما أمضاها أمير المؤمنين.

(٢) في (ب): «فقال».

(٣) ما بين المعقوفين ليس في (أ)، (ب)، (ف).

(٤) ليس في (أ)، (ب)، (ف).

(٥) في (ف): «وهما».

(٦) قال البكري في «المعجم»: «ثمغ: موضع تلقاء المدينة» ولم يذكر الأطم. (١: ٣٤٦).

(٧) راتج: موضع تلقاء المدينة. المصدر السابق: (١: ٦٢٥). واسمه في نسخة (أ): «راتح» بالحاء المهملة.

(٨) الرَّعْل: موضع قِبَل واقم. المصدر نفسه: (١: ٦٦١)، وفي (ج): «الدعل».

(٩) كذا في (ص)، وفي (أ): «خبط»، وفي (ج): «حبط».

(١٠) قال البكري في «المعجم» (٢: ١٣٦٣): «واسط: حصن بني السمين، وهو الذي يقال =

المَدِينةِ، وذَكَرَ أكثَرَها الزُّبَير.

وأُطُم[١]: اسْمٌ مَأْخُوذٌ مِن ائْتَطَمَ: إذا ارْتَفَعَ وعَلا، يُقال: ائْتَطَمَ عَلَيَّ فُلانٌ: إذا غَضِبَ وانْتَفَخَ، والأطَماتُ[٢]: نِيرانٌ مَعْرُوفةٌ في جِبالٍ لا تَخْمُدُ فيها، تَأْخُذُ بِأعْنانِ السّماءِ، فهي أبَدًا باقِيةٌ؛ لِأنّها في مَعادِنِ الكِبْرِيتِ، وقَدْ ذَكَرَ المَسْعُودِيُّ مِنْها جُمْلةً، وذَكَرَ مَواضِعَها.

وقَوْلُ عَبْدِ اللهِ [بنِ أُبَيّ][٣][٤]: [من الطويل]

مَتى ما يَكُنْ مَوْلاك خَصْمَك لم تَزَلْ   تَـذِلُّ ويَصْرَعْـكَ الّذِيـنَ تُصارِعُ

يُقالُ: إنّ ابنَ أُبَيٍّ تَمَثّلَ بِها[٥]، ويقال: إنها لخُفافِ بنِ نُدْبةَ[٦]. وخُفافٌ هُو: ابنُ عَمْرِو بنِ الشّرِيدِ أحَدُ غِرْبانِ العَرَبِ، وأُمّهُ: نَدْبةَ، ويُقالُ فيها: نَدْبةُ ونُدْبةُ، وهُو سُلَمِيٌّ.

وذَكَرَ في حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ أنه عليه السلام دَخَلَ على سَعْدِ بنِ عُبادةَ يَعُودُهُ، وفي رِوايةِ يُونُسَ زِيادةٌ فيها فِقْهٌ؛ قالَ: كانَ سَعْدٌ قَدْ دَعاهُ رَجُلٌ مِن اللّيْلِ، فخَرَجَ إلَيْهِ، فضَرَبَهُ الرّجُلُ...

= له: تَجْدَل».

(١) في (أ): «والآطام»، وفي (ب): «والأطم».

(٢) كذا في (ب)، (ج)، وفي (أ): «والأطمان».

(٣) ليس في (أ)، (ف).

(٤) عزاه ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (١: ٨٧) لأبي بن كعب. ونُسب لقتادة بن جرير والكميت بن معروف في عدد من المصادر. (ج)

(٥) «الشعر والشعراء» (١: ٨٦).

(٦) جمع الدكتور مهدي حمود القيسي شعر خفاف بن ندبة ضمن كتابه «شعراء إسلاميون»، وليس هذا البيت فيه.

بِسَيْفٍ[١] فأشْواهُ[٢]، فجاءَهُ النّبيّ ﷺ يَعُودُهُ مِنْ تِلْكَ الضَّرْبةِ، ولامَهُ على الخروج لَيْلًا، وهَذا [هُو][٣] مَوْضِعُ الفِقْهِ.

ذِكْرُ مَنِ اعْتَلَّ مِنْ أَصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ

[مَرَضُ أبي بَكْرٍ وعامِرٍ وبِلالٍ، وحَدِيثُ عائِشةَ عَنْهُمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي هِشامُ بنُ عُرْوةَ، وعُمَرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عُرْوةَ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عائِشةَ رَضِيَ الله عَنْها، قالَتْ: لَمّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينةَ، قَدِمَها وهِيَ أَوْبَأُ أَرْضِ الله مِن الحُمّى، فأصابَ أصْحابَهُ مِنْها بَلاءٌ وسَقَمٌ، فصَرَفَ الله تَعالى ذلك عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ. قالَتْ: فكانَ أبو بَكْرٍ، وعامِرُ بنُ فُهَيْرةَ وبِلالٌ مَوْلَيا أبي بَكْرٍ مَعَ أبي بَكْرٍ في بَيْتٍ واحِدٍ، فأصابَتْهُم الحُمّى، فدَخَلْتُ عَلَيْهِمْ أعُودُهُمْ، وذلك قَبْلَ أنْ يُضْرَبَ عَلَيْنا الحِجابُ، وبِهِمْ ما لا يَعْلَمُهُ إلّا الله مِنْ شِدّةِ الوَعْكِ، فدَنَوْتُ مِنْ أبي بَكْرٍ، فقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ تَجِدُكَ يا أبَتِ؟ فقالَ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ في أهْلِهِ ... والمَوْتُ أدْنى مِنْ شِراكِ نَعْلِهِ

قالَتْ: فقُلْتُ: واللهِ ما يَدْرِي أبي ما يَقُولُ! قالَتْ: ثُمَّ دَنَوْتُ إلى عامِرِ ابنِ فُهَيْرةَ فقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ تَجِدُكَ يا عامِرُ؟ فقالَ:

لَقَدْ وجَدْتُ المَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ ... إنَّ الجَبانَ حَتْفُهُ مِنْ فَوْقِهِ

---

(١) في (ف): «بسيفه».

(٢) في حاشية (أ): «أي: لم يصب مقتله، بل شواه، والشوى: ما دون المقتل».

(٣) ليس في (ب)، (ج).

كُلُّ امْرِئٍ مُجاهِدٌ بِطَوْقِهِ كالثَّوْرِ يَحْمِي جِلْدَهُ بِرَوْقِهِ

«بِطَوْقِهِ» يُرِيدُ: بِطاقَتِهِ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

قالَتْ: فقُلْتُ: واللهِ ما يَدْرِي عامِرٌ ما يَقُولُ! قالَتْ: وكانَ بِلالٌ إذا تَرَكَتْهُ الحُمّى اضْطَجَعَ بِفِناءِ البَيْتِ، ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ فقالَ:

ألا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أبيتَنَّ لَيْلَةً بِفَـخٍّ وحَوْلِي إذْخِـرٌ وجَلِيلُ؟
وَهَـلْ أرِدَنْ يَوْمًا مِيـاهَ مَجَنَّةٍ؟ وهَلْ يَبْدُوَن لِي شامةٌ وطَفِيلُ؟

قالَ ابنُ هِشامٍ: شامة وطُفيلٌ: جَبَلانِ بِمَكَّةَ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ عائِشَةَ حِينَ وُعِكَ أبو بكرٍ، وبلالٌ، وعامرُ بنُ فُهَيرةَ، وما أجابُوها بِهِ مِن الرَّجَزِ، فيُذْكَرُ أنَّ قولَ عامرٍ: [من الرجز]

لَقَدْ وجَدْتُ المَوْتَ قَبْلَ ذَوْقِهِ

أنّهُ لِعَمْرِو بنِ مامةَ(١).

وأمّا قَوْلُ بلالٍ: [من الطويل]

بِفَخٍّ وحَوْلِـي إذْخِرٌ وجَلِيلُ

فَفَخٌّ: مَوْضِعٌ خارِجَ مَكّةَ بِهِ مُويْهٌ يَقُولُ فيهِ الشّاعِرُ(٢): [من البسيط]

---

(١) الرجز في «اللسان» (طوق)، منسوبًا إلى عمرو بن أمامة. على أنه في (موم)، قال: «ومامةُ: اسم أم عمرو بن مامة».

(٢) البيت غير منسوب في «أخبار مكة» للفاكهي: (٤: ٢١٧). (ج)

ماذا بِفَخٍّ مِن الإشْراقِ والطِّيبِ ومِنْ جَوارٍ نَقِيّاتٍ رَعابِيبِ؟[١]

وبِفَخٍّ اغْتَسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وهُو مُحْرِمٌ[٢]، والإذْخِرُ: مِنْ نَباتِ مَكّةَ. قالَ أحْمَدُ بنُ داوُدَ - وهُو أبُو حَنِيفةَ الدِّينَورِيّ صاحِبُ كِتابِ «النّباتِ»[٣] -: الإذْخِرُ فيما حُكِيَ عَن الأعْرابِ الأُولِ لَهُ أصْلٌ مُنْدَفِنٌ وقُضْبانٌ دِقاقٌ، وهُو ذَفِرُ[٤] الرِّيحِ، وهُو مِثْلُ أسلِ[٥] الكَوْلانِ، إلّا أنّهُ أعْرَضُ [وأصغر][٦] كُعُوبًا، ولَهُ ثَمَرةٌ كَأنّها مَكاسِحُ[٧] القَصَبِ، إلّا أنّها أرَقُّ وأصْغَرُ.

وقالَ أبُو زِيادٍ[٨]: الإذْخِرُ يُشَبّهُ في نَباتِهِ بِنَباتِ الأسَلِ الّذِي تُعْمَلُ مِنْهُ الحُصْرُ، ويُشْبِهُ نَباتُهُ الغَرَزَ، والغَرَزُ: ضَرْبٌ مِن الثُّمام، واحدته[٩]: غرزة، ويُتّخذ من الغَرز الغَرابِيلُ، والإذْخِرُ أرَقّ مِنْهُ، والإذْخِرُ يُطْحَنُ فيَدْخُلُ في الطِّيبِ. وقالَ أبُو عَمْرٍو: وهُو مِن الجنبة، وقلّما تنبت الإذخرةُ منفردة، وقالَ في الجَلِيلِ عَنْ

---

(١) في حاشية (أ): «أي حسان الخَلْق».

(٢) «عارضة الأحوذي»، كتاب الحج: (٤: ٨٥-٨٦).

(٣) لم أجده فيما طُبِعَ من النبات حديثًا عن الإذخر.

(٤) حاشية (أ): «أي: طيب الريح».

(٥) في (أ)، (ب)، (ف): «الأسل والكولان». والمثبت يوافق ما في «تاج العروس» (ذخر)، وفي كتاب «النبات» (ص: ٢٥٠): «والأسل: هذه العيدان التي تنبت طوالًا دقاقًا مستوية لا ورق لها يُعمَل منها الحصر، وهو الكولان». وفي حاشية (أ): «والكولان: البردي».

(٦) ليس في (أ)، (ب)، (ف).

(٧) جمع مكسحة، وهي: المكنسة.

(٨) هو يزيد بن عبد الله، له كتاب «النوادر»، ذكره ابن خير في «فهرسته» (ص: ٣٧٩-٣٨٠). وأبو حنيفة يكثر النقل عنه في كتابه «النبات». تُوفّي سنة (٢١٥هـ). وانظر: «الفهرست» لابن النديم: (ص: ٦٧)، و«خزانة الأدب» (٦: ٤٦٦).

(٩) في (ف): «وواحدته».

أَبِي نَصْرٍ[١]: إنّ أَهْلَ الحِجازِ يُسَمّونَ الثُّمامَ: الجَلِيلَ[٢]، ومَعْنى الجَنَبَةِ الّتِي ذَكرَ أَبُو عَمْرٍو: وهُو كُلّ نَباتٍ له أصولٌ ثابتةٌ، لا تذهب بذَهابِ فرعِه في القيظ، وتُلَقّحُ في الخَرِيفِ[٣]، ولَيْسَتْ كالشَّجَرِ الّذِي يَبْقى أَصْلُهُ وفَرْعُهُ في القَيْظِ، ولا كالنّجْمِ الّذِي يَذْهَبُ فرْعُهُ[٤] وأَصْلُهُ، [فلا يَعُودُ][٥] إلّا زَرِيعَتُهُ[٦]، جانَبَ النّجْمَ والشّجَرَ، فسُمِّيَ: جَنَبةً. ويُقالُ لِلْجَنَبةِ أيْضًا: الطّرِيقةُ، قالَهُ أَبُو حَنِيفةَ.

ومَجَنّةٌ[٧]: سُوقٌ مِنْ أَسْواقِ العَرَبِ بَيْنَ عُكاظَ وذي المَجازِ، وكُلُّها أَسْواقٌ، وقَدْ[٨] تَقَدّمَ ذِكْرُها.

ومَجَنّةٌ يَجُوزُ أَنْ يكُونَ[٩] مَفْعَلةً وفَعلّةً مثل الشَّرَبّة؛ فقَدْ قالَ سِيبَوَيْهِ في المِجَنِّ: إنّ مِيمَه أَصْلِيّةٌ[١٠]، وإنّهُ فِعَلٌّ، وخالفه في ذلك الناسُ وجَعَلُوهُ مِفْعَلًا، مِنْ جَنّ: إذا سَتَرَ.

---

(١) هو أبو نصر أحمد بن حاتم الباهليّ (ت ٢٣١هـ)، صاحب الأصمعي، وقيل: إنه كان ابن أخته. روى عنه كتبه، وعن أبي عبيدة، وأبي زيد، وصنف: «النبات والشجر»، و«أبيات المعاني»، و«اللبأ واللبن»، و«الإبل»، و«الخيل»، و«الطير»، و«الجراد»، و«الزرع والنخل»، و«اشتقاق الأسماء»، و«ما يلحن فيه العامة». «بغية الوعاة» (١: ٣٠١). (ج)

(٢) انظر: «المخصص» لابن سيده: (١١: ١٤٢).

(٣) السابق: (١٠: ٢٠٢).

(٤) بعده في (أ)، (ب)، (ف): «في لقيظ»، وهو سهو من الناسخ.

(٥) ليس في (ب).

(٦) الزَّرِيعة: ما بُذِر، بتخفيف الراء، نبَّه عليه ابن برّي.

(٧) ورُسِمَت «مجنة» في (أ) بكسر الميم وفتحها، وكتب فوقها: «معًا»؛ أي: هي بوجهين. وكلاهما مروي.

(٨) في (ف): «تقدم» بدون الواو.

(٩) في (ف): «تكون».

(١٠) «الكتاب» (٤: ٢٧٧).

ومِنْ أسْواقِهِمْ أيْضًا: حُباشَةُ، وهِيَ أبْعَدُ مِنْ هذهِ، وأمّا شامةُ وطَفِيلٌ، فقالَ الخَطّابِيّ في كِتابِ «الأعْلامِ» في شَرْحِ [كتاب][1] البُخارِيّ: كُنْتُ أحْسَبُهُما جَبَلَيْنِ، حَتّى مَرَرْتُ بِهِما، ووقَفْتُ عَلَيْهِما، فإذا هُما عَيْنانِ مِنْ ماءٍ[2]، ويُقَوّي قَوْلَ الخَطّابِيّ: «إنّهُما عَيْنانِ» قَوْلُ كُثَيِّرٍ[3]: [من الطويل]

وما أنْسَ مِ الأشْياءِ[4] لا أنْسَ مَوْقِفًا ... لَنا ولَها بِالخَبْتِ خَبْتِ طَفيلِ

والخَبْتُ: مُنْخَفَضُ الأرْضِ.

[وفي هَذا الخَبَرِ وما ذُكِرَ [فيهِ][5] مِنْ حَنِينِهِمْ إلى مَكّةَ، ما جُبِلَتْ عَلَيْهِ النُّفوسُ مِنْ حُبِّ الوطَنِ والحَنِينِ إلَيْهِ، وقَدْ جاءَ في حَدِيثِ أُصَيْلٍ الغِفارِيّ - ويُقالُ فيهِ: الهُذَلِيّ - أنّهُ قَدِمَ مِنْ مَكّةَ، فسَألْته عائِشَةُ: كَيْفَ تَرَكْت مَكّةَ يا أُصَيْلُ؟ فقالَ: تركتُها حينَ ابيضّتْ أباطحُها، وأحجَنَ ثمامُها، وأعذقَ إذْخِرُها[6]، وأمْشَرَ سَلَمُها، فاغْرَوْرَقَتْ عَيْنا رَسُولِ اللهِ ﷺ وقال: «لا تُشَوِّقْنا[7]». ويُرْوى أنّهُ قالَ لَهُ: «دَعِ القُلُوبَ ....

(١) عن (ص).
(٢) «أعلام الحديث» (٢: ٩٣٨).
(٣) «ديوانه» (ص: ١٠٩)، وفيه يُرْوى:
تواهقْنَ بالحُجّاجِ من بطنِ نخلةٍ ... ومن عَزورٍ والخبت خبت طفيلِ
(٤) في (ص): «من الأشياء»، ولا يستقيم به الوزن.
(٥) في (أ): «فيهم»، وليست في: (ب).
(٦) أي: بدا ورقه. وفي «غريب الخطابي» (١: ٢٧٨): «وأسلب ثُمامُها؛ أي: أخْوصَ، والسلب: خوصُ الثُّمام. ومعنى أخوص: صار ذا خوص. ويعني أعذق إذخرها: صارت له أفنان كالعذوق، والعذوق: جمع عذق، وهو كل غصن له شعب. وأمشر سَلَمها: أورقَ واخضرَّ. والسَّلَم: شجر يُدبَغ بورقه».
(٧) بعده في (أ)، (ب)، (ف): «يا أُصَيل».

تَقِرُّ[١]». وقَدْ قالَ الأوّلُ[٢]: [من الطويل]

ألا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أبيتَنَّ لَيْلَةً بِوادِي الخُزامى حَيْثُ رَبّتْنِي أَهْلِي
بِلادٌ بِها نِيطَتْ عَلَيّ تَمائِمِي وقُطّعْنَ عَنّي حِينَ أدْرَكَنِي عَقْلِي][٣]

[دُعاءُ الرَّسُولِ ﷺ بِنَقْلِ وباءِ المَدِينةِ إلى مَهْيَعَةَ]

قالَتْ عائِشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها: فذَكَرْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ما سَمِعْتُ مِنْهُمْ، فقُلْتُ: إنَّهُمْ لَيَهْذُونَ وما يَعْقِلُونَ مِنْ شِدّةِ الحُمّى. قالَتْ: فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ حَبِّبْ إلَيْنا المَدِينةَ كما حَبَّبْتَ إلَيْنا مَكّةَ، أوْ أشَدَّ، وبارِكْ لَنا في مُدِّها وصاعِها، وانْقُلْ وباءَها إلى مَهْيَعَةَ». ومَهْيَعَةُ: الجُحْفةُ.

وذَكَرَ قَوْلَ النّبِيّ ﷺ: «اللهُمّ حَبِّبْ إلَيْنا المَدِينةَ، وبارِكْ لَنا في صاعِها ومُدِّها»[٤]، يَعْنِي: الطَّعامَ الّذِي يُكالُ بِالصّاعِ والمُدِّ؛ ولِذَلِكَ قالَ في حَدِيثٍ آخَرَ: «كِيلُوا طَعامَكُمْ يُبارَكْ لَكُمْ فيهِ»[٥]، وشَكا إلَيْهِ قَوْمٌ سُرْعةَ فَناءِ طَعامِهِمْ، فقالَ: «أتَهِيلُونَ أمْ تَكِيلُونَ؟» فقالُوا: بَلْ نَهِيلُ، فقالَ: «كِيلُوا ولا تَهِيلُوا»، ومَنْ

(١) انظر: الحديث في «غريب الخطابي» (١: ٢٧٨)، و«أسد الغابة» (١: ١٢١-١٢٢). وانظر: «المغازي» للواقدي: (٢: ٥٩١-٥٩٣).

(٢) ابن ميادة، وهو الرماح بن أبرد، غطفاني، تُوفِّي نحو سنة (١٤٦هـ). والبيتان في ديوانه «شعر ابن ميادة» (ص: ١٩٩). وانظر: «الشعر والشعراء» (ص: ٧٧٢).

(٣) ثبت هذا النص في (ج)، (ص) في أول الفصل بعد قوله: «وبفخ اغتسل رسول الله ﷺ وهو محرم».

(٤) «فتح الباري»، مناقب الأنصار: (٧: ٢٦٢)، ومسلم، كتاب الحج: (٢: ١٠٠٢-١٠٠٣).

(٥) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب ما يستحب من الكيل، رقم (٢١٢٨)، من حديث المِقدام بن معدي كرب رضيَ الله عنه. (ج)

رَواهُ: «قُوتُوا(١) طَعامَكُمْ يُبارَكْ لَكُمْ(٢)»، فمَعْناهُ عِنْدَهُمْ: تَصْغِيرُ الأرْغِفةِ، وهَكَذا رَواهُ البَزّارُ(٣) مِنْ طَرِيقِ أبِي الدّرْداءِ، [وذَكرَ في تَفْسِيرِهِ ما قُلْناهُ](٤).

وذَكرَ أبُو عُبَيْدٍ المُدَّ في كِتابِ «الأمْوالِ»(٥) ـ أعْنِي: مُدّ المَدِينةِ ـ فقالَ: هُو رِطْلٌ وثُلُثٌ، والرّطْلُ: مِئةٌ وثَمانِيةٌ وعِشْرُونَ دِرْهَمًا، والدِّرْهَمُ: خَمْسُونَ حَبّةً وخُمُسانِ.

وقَوْلُهُ ﷺ: «وانْقُلْ حُمّاها(٦)، واجْعَلْها بِمَهْيَعَةَ»(٧)(٨)، وهِيَ الجُحْفةُ، كَأنّهُ عَلَيْهِ السّلامُ لَمْ يُرِدْ إبْعادَ الحُمّى عن جميعِ أرضِ الإسلامِ، ولَوْ أرادَ ذَلِكَ لَقالَ: انْقُلْ حُمّاها، ولَمْ يَخُصّ مَوْضِعًا، أوْ كانَ يَخُصُّ بِلادَ الكُفْرِ؛ وذَلِكَ ـ واللهُ أعْلَمُ ـ لِأنّهُ قَدْ نَهى عَنْ سَبِّ الحُمّى ولَعْنِها في حَدِيثِ أُمِّ المُسَيَّبِ(٩)

---

(١) كذا ضُبط في «اللسان» و«النهاية» (قوت)، وفي (أ) و«كشف الأستار»: «قوِّتوا». أمر من قَوَّت على وزن فَعَّل.

(٢) بعده في (ف): «فيه».

(٣) «البحر الزخار» (١٠: ٤٣)، رقم (٤١٠٤).(ج)

(٤) عن (أ)، (ب).

(٥) «الأموال» (ص: ٦٢٦).

(٦) في «السيرة»: «وباءها».

(٧) الجحفة: ميقات أهل مصر والشام إن لم يمروا بالمدينة، وكانت قرية كبيرة على طريق المدينة، من مكة على أربع مراحل، وبينها وبين المدينة ست مراحل، وكان اسمها مهيعة، وإنما سُميت الجحفة لأن السيل اجتحفها واجترفها.

(٨) أخرجه البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، رقم (١٨٨٩)، ومسلم: كتاب الحج، باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها، رقم (١٣٧٦) من حديث عائشة رضيَ الله عنها. (ج)

(٩) ويقال لها: أم السائب، والحديث أخرجه مسلم في كتاب البر (٤: ١٩٩٣)، وانظر «أسد الغابة» (٧: ٣٣٦-٣٣٧)، (٧: ٣٩٤).

وأَخْبَرَ أنّها طَهُورٌ، وأنّها حَظّ كُلّ مُؤْمِنٍ من النار، فجَمَعَ بَيْنَ الرِّفْقِ بأَصْحابِهِ، فدَعا لَهُمْ بِالشّفاءِ مِنْها، وبَيْنَ ألّا يُحرمُوا [أيْضًا][1] الأجْرَ فيما يُصِيبُون[2] مِنْها، فلَمْ يُبْعِدْها كُلّ البُعْدِ.

وأمّا مَهْيَعةُ، فقَد اشْتَدّ الوباءُ فيها بِسَبَبِ هذهِ الدّعْوةِ، حَتّى قِيلَ: إنّ الطّيْرَ[3] يَمُرّ بِغَدِيرِ خُمٍّ فيَسْقَمُ، وغَدِيرُ خُمٍّ فيها، ويُقالُ[4]: إنّها ما وُلِدَ فيها مَوْلُودٌ فبَلَغَ [فيها][5] الحُلُمَ، وهِيَ أرْضُ نجْعةٍ لا تُسْكَنُ، ولا يُقامُ فيها إقامةً دائِمةً فيما بَلَغَنِي، واللهُ أعْلَمُ.

وذَكَرَ[6] تَحْرِيمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ المَدِينةَ، وفي غَيْرِ هذهِ الرّوايةِ عَنِ ابنِ إسْحاقَ، عَنْ شُرَحْبِيلَ بنِ سَعْدٍ، قالَ: كُنْتُ أصْطادُ في حَرَمِ المَدِينةِ بالوقاقِيصِ ـ وهِيَ شِباكٌ للطّيْرِ ـ فاصْطَدْتُ نُهَسًا[7]، فأخَذَهُ زَيْدُ بنُ ثابِتٍ، وصَكّ في قَفايَ، ثُمّ أرْسَلَهُ[8].

* * *

(١) ليس في (ب).
(٢) في (ف): «يصيبهم».
(٣) في (ف): «الطائر».
(٤) في (ف): «وقيل».
(٥) عن (ص)، (ج).
(٦) لم أجده في السيرة.
(٧) النهس: طائر يشبه الصُّرَد، طائر أكبر من العصفور، ضخم الرأس والمنقار، يصيد صغار الحشرات. كره زيد رحمه الله صيد المدينة لأنها حرم كمكة. انظر: «غريب أبي عبيد» (٤: ١٥٦-١٥٧)، و«الفائق للزمخشري» (١: ٦٢٤)، و «النهاية» (نهس).
(٨) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٥: ٤٥٤)، رقم (٢١٥٧٦). (ج)

[ما جَهَدَ المُسْلِمِينَ مِن الوَباء]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وذكَرَ ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ عَمْرِو بنِ العاصِي: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمّا قَدِمَ المَدِينةَ هُوَ وأصْحابُهُ أصابَتْهُمْ حُمّى المَدِينةِ، حَتّى جُهِدُوا مَرَضًا، وصَرَفَ الله تَعالى ذلك عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ، حَتّى كانُوا ما يُصَلُّونَ إلّا وهُمْ قُعودٌ، قالَ: فخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ وهُمْ يُصَلُّونَ كَذلك، فقالَ لَهُمْ: «اعْلَمُوا أنَّ صَلاةَ القاعِدِ على النِّصْفِ مِنْ صَلاةِ القائِمِ». قالَ: فتَجَشَّمَ المُسْلِمُونَ القِيامَ على ما بِهِمْ مِن الضَّعْفِ والسَّقَمِ التِماسَ الفَضْلِ.

[بَدْءُ قِتالِ المُشْرِكِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ رَسُولَ الله ﷺ تَهَيَّأَ لِحَرْبِهِ، وقامَ فيما أمَرَهُ الله بِهِ مِنْ جِهادِ عَدُوِّهِ، وقِتالِ مَنْ أمَرَهُ الله بِهِ مِمَّنْ يَلِيهِ مِن المُشْرِكِينَ؛ مُشْرِكِي العَرَبِ، وذلك بَعْدَ أنْ بَعَثَهُ الله تَعالى بِثَلاثَ عَشْرةَ سَنةً.

وذَكَرَ حَدِيثَ[١] عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو، وقَوْلَهُ عَلَيْهِ السلام: «صلاةُ القاعِدِ على النِّصْفِ مِنْ صَلاةِ القائِمِ»، حِينَ رَآهُمْ يصلُّون قُعُودًا مِن الوعْكِ[٢]، قالَ: فتَجَشَّمَ النّاسُ القِيامَ على ما بِهِمْ مِن السُّقْمِ. وهَذا الحَدِيثُ بِهَذا اللَّفْظِ يُقَوّي ما تَأَوَّلَهُ

---

(١) «حديث» ليس في (ف).

(٢) أي: من الوجع وشدة الألم، يقال: وعك المرضُ فلانًا: آذاه وأوجعه.

الخَطّابِيُّ في صَلاةِ القاعِدِ أنّها على النِّصْفِ مِنْ صَلاةِ القائِمِ، قالَ الخَطّابِيّ: إنّما ذَلِكَ لِلضّعِيفِ الّذي يَسْتَطِيعُ[١] القِيامَ بِكُلْفة، وإنْ كانَ عاجِزًا عَن القِيامِ ألبَتّةَ فصَلاتُهُ مِثْلُ صَلاةِ القائِمِ، وهَذا كُلُّهُ في الفَرِيضةِ والنّافِلةِ، وخالَفَ أبا عُبَيْدٍ في تَخْصِيصِهِ هَذا الحَدِيثَ بِصَلاةِ النّافِلةِ في حالِ الصّحّةِ، واحْتَجّ الخَطّابِيُّ بِحَدِيثِ عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ، وفيهِ: «فصَلاتُهُ[٢] نائِمًا على النِّصْفِ مِنْ صَلاتِهِ قاعِدًا»[٣]، قالَ: وقَدْ أجَمعَت[٤] الأُمّةُ ألّا يصلِّي أحدٌ مضطجعًا إلّا مِنْ مَرَضٍ، فدَلّ على أنّهُ لَمْ يُرِدْ بِهَذا الحَدِيثِ كُلِّهِ إلّا المَرِيضَ الّذي يَقْدِرُ على القِيامِ بِكُلْفةٍ، أوْ على القُعُودِ بِمَشَقّة[٥].

ونَسَبَ بَعْضُ النّاسِ النَّسائيَّ[٦] إلى التّصْحِيفِ في هَذا الحَدِيثِ، وقالُوا: إنّما هُو وصَلاتُهُ بإيماءٍ[٧] على النِّصْفِ مِنْ صَلاتِهِ قاعِدًا، فتَوهّمَهُ النّسائي[٨] نائِمًا؛ أيْ: مُضْطَجِعًا، فتَرْجَمَ عَلَيْهِ في كِتابِهِ: «بابُ صَلاةِ النّائِمِ»[٩]، ولَيْسَ كَما قالُوا؛ فإنّ في الرّوايةِ الثّانيةِ: «وصَلاةُ النّائِمِ على النِّصْفِ مِنْ صَلاةِ القاعِدِ»، ومِثْلُ هَذا

---

(١) في (أ): «لا يستطيع». و«لا» ملحقة بنص (أ)، وثابتة في صلب (ج)، وهي مخِلة بالمعنى.
(٢) في (أ)، (ب)، (ف): «وصلاته».
(٣) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب في صلاة القاعد، رقم (٩٥١)، والترمذي: أبواب الصلاة، باب ما جاء أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم، رقم (٣٧٢)، وابن ماجه: كتاب الصلاة، باب ما جاء في صلاة المريض، رقم (١٢٢٣). (ج)
(٤) في (أ)، (ج): «اجتمعت».
(٥) «أعلام الحديث» للخطابي: (١: ٦٣٠- ٦٣١).
(٦) في (ف): «النسوي».
(٧) في (ف): «نائمًا».
(٨) في (ف): «النسوي».
(٩) «سنن النسائي» كتاب قيام الليل وتطوع النهار: (٣: ٣٢٣- ٣٢٤).

لا يَتَصَحّفُ، وقَوْلُ الخَطّابيّ: «قد أجمَعَت الأُمّةُ على أنّ المُضْطَجِعَ لا يُصَلّي في حالِ الصّحّةِ نافِلةً ولا غَيْرَها»، ووافَقَهُ أبُو عُمَرَ على ادّعاءِ الإجْماعِ في هذهِ المَسْألةِ، ولَيْسَتْ بِمَسْألةِ إجْماعٍ كما زَعَما، بل كان من السّلفِ مَن يُجيزُ للصَّحيحِ أن يتنفّلَ مضطجعًا، منهم: الحَسَنُ البَصْرِيّ، ذَكرَ ذَلِكَ أبُو عِيسى التّرْمِذِيُّ في «مُصَنَّفِهِ»[١].

تارِيخُ الهِجْرةِ

بِالإسْنادِ المُتَقَدِّمِ عَنْ عَبْدِ المَلِكِ بنِ هِشامٍ، قالَ: حَدَّثَنا زِيادُ بنُ عَبْدِ الله البَكّائِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إسْحاقَ المُطَّلِبِيِّ، قالَ: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينةَ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ حِينَ اشْتَدَّ الضَّحاءُ، وكادَت الشَّمْسُ تَعْتَدِلَ، لِثِنْتَيْ عَشْرةَ لَيْلةً مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأوَّلِ، وهُوَ التّارِيخُ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

كتابُ تارِيخِ الهِجْرة[٢]

ذَكرَ قُدُومَ رَسُولِ الله ﷺ المَدِينةَ في يَوْمَ الاِثْنَيْنِ في[٣] شَهْرِ رَبِيعٍ [الأول][٤]، وقَدْ قَدّمْنا في بابِ الهِجْرةِ ما قالَهُ ابنُ الكَلْبِيّ وغَيْرُهُ في ذَلِكَ، وفي أيِّ شَهْرٍ كانَ قُدُومُهُ مِنْ شُهُورِ العَجَمِ[٥].

(١) «عارضة الأحوذي»، أبواب الصلاة (٢: ١٦٦ - ١٦٧).
(٢) مكانه هذا العنوان في (ف): «غزوة ودان».
(٣) في (ب): «وفي شهر ربيع»، وفي (ص): «وهو في شهر ربيع».
(٤) عن (ص) وحدها.
(٥) انظر: (٤: ٢١٤).

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ورَسُولُ الله ﷺ يَوْمَئِذٍ ابنُ ثَلاثٍ وخَمْسِينَ سَنةً، وذلك بَعْدَ أنْ بَعَثَهُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ بِثَلاثَ عَشْرةَ سَنةً، فأقامَ بِها بَقِيّةَ شَهْرِ رَبيعٍ الأوَّلِ، وشَهْرَ رَبِيعٍ الآخَرِ، وجُمادَيَيْنِ، ورَجَبًا، وشَعْبانَ، وشَهْرَ رَمَضانَ، وشَوّالًا، وذا القِعْدةِ، وذا الحَجّةِ ـ ووَلِيَ تِلْكَ الحَجّةَ المُشْرِكُونَ ـ والمُحَرَّمَ، ثُمَّ خَرَجَ غازِيًا في صَفَرَ على رَأْسِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مَقْدَمِهِ المَدِينةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ سَعْدَ بنَ عُبادةَ.

غَزْوةُ وَدّانَ وهِيَ أَوَّلُ غَزَواتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ

[مُوادَعةُ بَنِي ضَمْرةَ والرُّجُوعُ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَتّى بَلَغَ وَدّانَ ـ وهِيَ غَزْوةُ الأبْواءِ ـ يُرِيدُ قُرَيْشًا وبَنِي ضَمْرةَ بنِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ، فوادَعَتْهُ فيها بَنُو ضَمْرةَ، وكانَ الَّذي وادَعَهُ مِنْهُمْ عَلَيْهِمْ مَخْشِيُّ بنُ عَمْرٍو الضَّمْرِيُّ، وكانَ سَيِّدَهُمْ في زَمانِهِ ذلك.

ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ إلى المَدِينةِ، ولَمْ يَلْقَ كَيْدًا، فأقامَ بِها بَقِيّةَ صَفَرَ، وصَدْرًا مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأوَّلِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهِيَ أَوَّلُ غَزْوةٍ غَزاها.

وذَكَرَ أنّهُ أقامَ بِالمَدِينةِ بَقِيّةَ شَهْرِ رَبيعٍ الأوّلِ، وشَهْرَ رَبِيعٍ الآخَرِ، وجُمادَيَيْنِ، وكانَ القِياسُ أنْ يَقُولَ: وشَهْرَيْ[1] جُمادى، أوْ يَقُولَ: وبَقِيّةَ[2]

---

(١) في (ب)، (ص): «شهري» دون واو.

(٢) في (ف): «بقية» دون واو.

رَبِيعٍ ورَبِيعًا الآخَرَ، كَما قالَ في سائِرِ الشُّهُورِ، ولَكِنِ الشَّهْرُ إذا سَمَّيْته بالِاسْمِ العَلَمِ لَمْ يَكُنْ ظَرْفًا، وكانَت الإقامةُ أو العَمَلُ فيهِ كُلِّه، إلّا أنْ تَقُولَ: شَهْرَ كَذا، كَما تَقَدَّمَ مِنْ كَلامِنا على شَهْرِ رَمَضانَ في حَدِيثِ المَبْعَثِ[١]، وكَذَلِكَ قالَ سِيبَوَيْهِ، فقَوْلُ ابنِ إسْحاقَ: «في جُمادَيَيْنِ ورَجَبًا» مُسْتَقِيمٌ[٢] على هَذا الأصْلِ.

وقَوْلُهُ: «بَقِيَّةَ شَهْرِ رَبِيعِ الأوَّل[٣]»؛ فلأنَّ العَمَلَ والإقامةَ كانَ في بَعْضِهِ؛ فلِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ: بَقِيَّةَ رَبِيعِ الأوَّلِ، لَكِنَّهُ قالَ: «وشَهْرَ رَبِيعِ الآخَرِ» لِيَزْدَوِجَ الكَلامُ ويُشاكِلَ ما قَبْلَهُ، وهَذا كُلُّهُ مِنْ فصاحَتِهِ رَحِمَهُ اللهُ، أوْ مِنْ فصاحةِ مَنْ كانَ قَبْلَهُ إنْ كانَ رَواهُ على هذا اللَّفْظِ.

وقَوْلُهُ: «وجُمادَيَيْنِ ورَجَبًا» كانَ القِياسُ أنْ يَقُولَ: «والجُمادَيَيْنِ» بالألِفِ واللّامِ؛ لِأنَّهُ اسْمُ عَلَمٍ، ولا يُثَنّى العَلَمُ فيَكُونُ مَعْرِفةً إلّا أنْ تَدْخُلَ عَلَيْهِ الألِفُ واللّامُ، فتَقُولُ: الزَّيْدانِ والعَمْرانِ؛ لأنه اسمُ عَلَمٍ، لَكِنَّهُ أجْراهُ - بِفَصاحَتِهِ - مُجْرى أبانَيْنِ وقَنَوَيْنِ، وكُلُّ واحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ اسْمٌ لِجَبَلَيْنِ[٤][٥]، ولا تَدْخُلُهُ الألِفُ واللّامُ؛ لِأنَّ تعريفَه لم يَزُلْ بالتَّثنيةِ؛ لأنهما أبدًا متلازمانِ، فالتَّثْنِيةُ لازِمةٌ لَهُما مَعَ العَلَمِيّةِ بِخِلافِ الآدَمِيِّينَ، ولَمّا كانَ جُمادَيانِ شَهْرَيْنِ متلازمينِ جَعَلَهُما في الزَّمانِ[٦] كَأبانَيْنِ في المَكانِ، ولَمْ يَجْعَلْهُما كالزَّيْدَيْنِ والعَمْرَيْنِ

(١) انظر: (٢: ٣٦٧).

(٢) في (ص): «سليم».

(٣) «الأول» ليس في (ف).

(٤) في (ف): «جبلين».

(٥) انظر: «معجم البلدان»: أبانان، وقنوان.

(٦) في (ف): «الزمانين».

اللّذَيْنِ لا تَلازُمَ بَيْنَهُما، وهَذا من كَلامِ العَرَبِ. قالَ الحُطَيْئَةُ(١): [من الكامل]

باتَتْ لَهُ بِكَثِيبِ جَرْبَةَ لَيْلَةٌ وطَفاءُ بَيْنَ جُمادَيَيْنِ دَرُورُ

فَإِنْ قُلْت: فقَدْ قالُوا: السِّماكَيْنِ في النّجُومِ، وهُما مُتَلازِمانِ، وكَذَلِكَ الشَّرَطانُ(٢)؟

قُلْنا: إنّما كانَ ذَلِكَ لِوُجُودِ مَعْنى الصّفةِ فيهما، وهُو عِنْدَهُ(٣) مِنْ بابِ الحارِثِ والعَبّاسِ في الآدَمِيّينَ، ولكشف سِرّ العَلَمِيّةِ في الشّهُورِ والأيّامِ، وتَقْسِيمِ أنْواعِ العَلَمِيّةِ، والمُرادِ بِها؛ مَوْضِعٌ غَيْرُ هَذا، وإنّما أعْجَبَتْنِي فصاحةُ ابنِ إسْحاقَ في قَوْلِهِ: «بَقِيّةَ شَهْرِ كَذا وشَهْرَ كَذا، وجُمادَيَيْنِ، ورَجَبًا، وشَعْبانَ»، ونَزّلَ الألْفاظَ على مَنازِلِها عندَ أرْبابِ اللّغةِ الفاهِمِينَ لِحَقائِقِها، يَرْحَمُهُ اللهُ.

* * *

(١) «ديوانه» (ص: ٢٨). وفي النسخ: «جربة» بالجيم، وفي «الديوان»: «حربة» بالحاء المهملة. وحربة ـ كما في «تاج العروس» ـ: موضع ببلاد هذيل. وفي «الأنواء» لابن قتيبة: (ص: ١٨١): «خربة» بالمعجمة. وسحابة وطفاء: مسترخية الجوانب؛ لكثرة مائها، أو هي الدائمة السَّحّ.

(٢) السماكانِ: نجمانِ نَيِّران، أحدهما في الشمال، وهو السماك الرامح، والآخر في الجنوب، وهو السماك الأعزل، والشرطانِ: نجمانِ يُقال لهما: قرنا الحمل، وهما أول نجم من الربيع.

(٣) يريد سيبويه، انظر: «الكتاب» (٢: ١٠٠-١٠٢).

سَرِيّـةُ عُبَيْـدةَ بنِ الحارِثِ وهِيَ أوَّلُ رايةٍ عَقَدَها عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ

[ما وقَعَ بَيْنَ الكُفّارِ، وإصابةُ سَعْدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ في مُقامِهِ ذلك بِالمَدِينةِ عُبَيْدةَ ابنَ الحارِثِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ قُصَيٍّ في سِتِّينَ أوْ ثَمانِينَ راكِبًا مِن المُهاجِرِينَ، لَيْسَ فيهِمْ مِن الأنْصارِ أحَدٌ، فسارَ حَتّى بَلَغَ ماءً بِالحِجازِ بِأسْفَلِ ثَنِيّةِ المُرّةِ، فلَقِيَ بِها جَمْعًا عَظِيمًا مِنْ قُرَيْشٍ، فلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتالٌ، إلّا أنَّ سَعْدَ بنَ أبي وقّاصٍ قَدْ رمى يَوْمَئِذٍ بِسَهْمٍ، فكانَ أوَّلَ سَهْمٍ رُمِيَ بِهِ في الإسْلامِ.

[مَنْ فرَّ مِن المُشْرِكِينَ إلى المُسْلِمِينَ]

ثُمَّ انْصَرَفَ القَوْمُ عَن القَوْمِ، ولِلْمُسْلِمِينَ حامِيةٌ. وفَرَّ مِن المُشْرِكِينَ إلى المُسْلِمِينَ المِقْدادُ بنُ عَمْرٍو البَهْرانِيُّ، حَلِيفُ بَنِي زُهْرةَ، وعُتْبةُ بنُ غَزْوانَ بن جابِرٍ المازِنِيُّ، حَلِيفُ بَنِي نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ، وكانا مُسْلِمَيْنِ، ولَكِنَّهُما خَرَجا لِيَتَوَصَّلا بِالكُفّارِ. وكانَ على القَوْمِ عِكْرِمةُ بنُ أبي جَهْلٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنِي ابنُ أبي عَمْرِو بنِ العَلاءِ، عَنْ أبي عَمْرٍو المَدَنِيِّ: أنَّهُ كانَ عَلَيْهِمْ مِكْرَزُ بنُ حَفْصِ بنِ الأخْيَفِ، أحَدُ بَنِي مَعِيصِ بنِ عامِرِ ابنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرٍ.

وذَكرَ في غَزْوةِ عُبَيْدةَ ولِقائِهِ المُشْرِكِينَ: «وعلى المُشْرِكِينَ مِكْرَزُ بنُ حَفْصِ ابنِ الأخْيَفِ»، هَكَذا الرّوايةُ حَيْثُ وقَعَ مِكْرَزُ بِكَسْرِ المِيمِ. وذَكرَ ابنُ ماكُولا في «المُؤْتَلِفِ والمُخْتَلِفِ»[١] عَنْ أبِي عبيدة[٢] النّسّابةِ، أنّهُ كانَ يَقُولُ فيهِ: «مَكْرَز» بِفَتْحِ المِيمِ، [وكَأنّهُ مَفْعَلٌ أوْ مِفْعَلٌ مِن الكَرِيزِ[٣]، وهُو الأقِطُ][٤]، وكَذَلِكَ ذَكرَ هُو وغَيْرُهُ في الأخْيَفِ هاهُنا أنّهُ بِفَتْحِ الهَمْزةِ وسُكُونِ الخاءِ، وقالَ ابْنُ ماكُولا وَحْدَه في الأخْيَفِ[٥]: مِنْ بَنِي أُسَيِّدِ بنِ عَمْرِو بنِ تَمِيمٍ، وهُو جَدّ الخَشْخاشِ التّمِيمِيّ: «أُخَيفَ»[٦] بضَمَّ الهمزةِ وفتْحِ الخاءِ، وقال فيه الدارَقُطنيُّ: «أَخْيَف» كَما قالُوا في الأوّلِ.

* * *

(١) «الإكمال» لابن ماكولا: (١: ٢٦). (ج)

(٢) في «الإكمال»، (ف): «عبدة».

(٣) الكَرِيز كعزيز: الأقِط، ويُقال له: الكريص. والأقِط: لبن محمَّض يُجمَّد حتى يستحجر ويُطبَخ، أو يُطبخ به.

(٤) عن (أ)، (ب).

(٥) بعده في (ف): «ههنا: إنه».

(٦) «الإكمال» (١: ٢٦، ٢٧). (ج)

[شِعْرُ أبي بَكْرٍ فيها]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في غَزْوةِ عُبَيْدَةَ ابنِ الحارِثِ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: وأَكْثَرُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُ هَذِهِ القَصِيدةَ لِأبي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ:

أمِنْ طَيْفِ سَلْمى بِالبِطاحِ الدَّمائِثِ ... أرِقْتَ وأمْرٍ في العَشِـيرةِ حادِثِ؟
تَرى مِنْ لُـؤَيٍّ فِرْقــةً لا يَصُدُّها ... عَنِ الكُفْرِ تَذْكِيرٌ ولا بَعْثُ باعِثِ
رَسُـولٌ أتاهُـمْ صـادِقٌ فتَكَذَّبُوا ... عَلَيْهِ وقالُوا: لَسْتَ فينا بِماكِـثِ
إذا مـا دَعَوْناهُمْ إلى الحَـقِّ أدْبَرُوا ... وهَرُّوا هَرِيرَ المُجْحَراتِ اللَّواهِثِ
فَكَمْ قَـدْ مَتَتْنـا فيهِـمُ بِقَرابةٍ ... وتَرْكُ التُّـقى شَيْءٌ لَهُمْ غَيْرُ كارِثِ
فَإنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وعُقُوقِهِمْ ... فما طَيِّبـاتُ الحِلِّ مِثْـلُ الخَبائِثِ
وَإنْ يَرْكَبُـوا طُغْيانَهُـمْ وضَلالَهُمْ ... فلَيْسَ عَـذابُ اللهِ عَنْهُمْ بِلابِثِ
وَنَحْـنُ أناسٌ مِـنْ ذُؤابـةِ غالِبٍ ... لَنا العِزُّ مِنْهـا في الفُرُوعِ الأثائِثِ
فَـأُولِي بِـرَبِّ الرّاقِصاتِ عَشِـيّةً ... حَراجِيجُ تُحْدى في السَّرِيحِ الرَّثائِثِ
كَأُدْمِ ظِبـاءٍ حَوْلَ مَكّـةَ عُكَّفٍ ... يَرِدْنَ حِياضَ البِـئْرِ ذاتِ النَّبائِثِ
لَئِنْ لَمْ يُفيقُوا عاجِلًا مِنْ ضَلالِهِمْ ... ولَسْـتُ إذا آلَيْـتُ قـولًا بِحانِثِ
لَتَبْتَدِرَنْهُـمْ غارةٌ ذاتُ مَصْـدَقٍ ... تُحَرِّمُ أطْهـارَ النِّسـاءِ الطَّوامِثِ
تُغادِرُ قَتْلى تَعْصِـبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ ... ولا تَرْأفُ الكُفّارَ رَأْفَ ابنِ حارِثِ
فَأبْلِـغْ بَنِي سَـهْمٍ لَدَيْكَ رِسـالةً ... وكُلَّ كَفُـورٍ يَبْتَـغِي الـشَّرَّ باحِثِ
فَإنْ تَشْعَثُوا عِرْضِي على سُوءِ رَأْيِكُمْ ... فإنِّيَ مِنْ أعْراضِكُمْ غَيْرُ شـاعِثِ

[شِعْرُ ابنِ الزِّبَعْرى في الرَّدِّ على أبي بَكْرٍ]

فَأجابَهُ عَبْدُ الله بنُ الزِّبَعْرى السَّهْمِيُّ، فقالَ:

أمِنْ رَسْـمِ دارٍ أقْفَرَتْ بِالعَثاعِثِ ... بَكَيْتَ بِعَيْنٍ دَمْعُها غَيْرُ لابِثِ؟
وَمِنْ عَجَبِ الأيّـامِ والدَّهْرُ كُلُّهُ ... لَهُ عَجَبٌ مِنْ سـابِقاتٍ وحادِثِ
لِجَيْـشٍ أتانـا ذِي عُـرامٍ يَقُودُهُ ... عُبَيْدَةُ يُدْعى في الهِياجِ ابنَ حارِثِ
لِنَـتْرُكَ أصْنامًـا بِمَكَّـةَ عُكَّفا ... مَوارِيثَ مَوْرُوثٍ كَرِيـمٍ لِوارِثِ
فَلَمّـا لَقِيناهُـمْ بِسُـمْرٍ رُدَيْنَةٍ ... وجُرْدٍ عِتـاقٍ في العَجاجِ لَواهِثِ
وَبِيضٍ كَأنَّ المِلْحَ فـوْقَ مُتُونِها ... بِأيْدِي كُماةٍ كاللُّيُـوثِ العَوائِثِ
نُقِيمُ بِها إصْعارَ مَـنْ كانَ مائِلًا ... ونَشْفِي الذُّحُولَ عاجِلًا غَيْرَ لابِثِ
فَكَفُّوا على خَوْفٍ شَـدِيدٍ وهَيْبَةٍ ... وأعْجَبَهُـمْ أمْرٌ لَهُمْ أمْـرُ رائِثِ
وَلَـوْ أنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا ناحَ نِسْـوَةٌ ... أيامى لَهُمْ مِـن بَين نَسْءٍ وطامِثِ
وَقَدْ غُـودِرَتْ قَتْلى يُخَـبِّرُ عَنْهُمُ ... حَـفِيٌّ بِهِمْ أوْ غافِـلٌ غَيْرُ باحِثِ
فَأبْلِـغْ أبـا بَكْرٍ لَدَيْكَ رِسـالَةً ... فما أنْتَ عَنْ أعْراضِ فِهْرٍ بِماكِثِ
وَلَمّا تَجِـبْ مِنِّي يَمِـينٌ غَلِيظَةٌ ... تُجَـدِّدُ حَرْبًا حَلْفَـةً غَيْرَ حانِثِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: تَرَكْنا مِنْها بَيْتًا واحِدًا، وأكْثَرُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُ هَذِهِ القَصِيدَةَ لِابنِ الزِّبَعْرى.

[شِعْرُ ابنُ أبِي وقّاصٍ في رَمْيَتِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ سَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ في رَمْيَتِهِ تِلْكَ ـ فيما يَذْكُرُونَ ـ:

ألا هَـلْ اتىٰ رَسُـولَ الله أنِّي ... حَمَيْتُ صَحابَتِي بِصُدُورِ نَبْلِي

أَذُودُ بِهــا أوائِلَهُــمْ ذِيــادًا بِكُلِّ حُزُونةٍ وبِكُلِّ سَهْلِ
فَمــا يَعْتَــدُّ رامٍ في عَــدُوٍّ بِسَــهْمٍ يا رَسُــولَ الله قَبْلِي
وَذلك أنَّ دِينَــكَ دِينُ صِدْقٍ وذُو حَــقٍّ أَتَيْتَ بِــهِ وعَدْلِ
يُنَجّى المُؤْمِنُــونَ بِهِ ويُجْزى بِهِ الكُفّارُ عِنْــدَ مَقامِ مَهْلِ
فَمَهْلًا قَدْ غَوِيتَ فلا تَعِبْنِي غَوِيَّ الحَيِّ ويْحَكَ يا ابنَ جَهْلِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأَكْثَرُ أَهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِسَعْدٍ.

[أَوَّلُ رايةٍ في الإِسْلامِ كانَتْ لِعُبَيْدَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فكانَتْ رايةُ عُبَيْدةَ بنِ الحارِثِ ـ فيما بَلَغَنِي ـ أوَّلَ رايةٍ عَقَدَها رَسُولُ الله ﷺ في الإِسْلامِ لِأَحَدٍ مِن المُسْلِمِينَ. وبَعْضُ العُلَماءِ يَزْعُمُ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَهُ حِينَ أَقْبَلَ مِنْ غَزْوةِ الأَبْواءِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إلى المَدِينةِ.

سَرِيّةُ حَمْزةَ إلى سِيفِ البَحْرِ

[ما جَرى بَيْنَ المُسْلِمِينَ والكُفّارِ]

وَبَعَثَ في مَقامِهِ ذلك حَمْزةَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ إلى سِيفِ البَحْرِ، مِنْ ناحِيةِ العِيصِ، في ثَلاثِينَ راكِبًا مِن المُهاجِرِينَ، لَيْسَ فيهِمْ مِن الأَنْصارِ أَحَدٌ.

فَلَقِيَ أبا جَهْلِ بنَ هِشامٍ بِذلك السّاحِلِ في ثَلاثِ مئة راكِبٍ مِنْ أَهْلِ مَكّةَ، فحَجَزَ بَيْنَهُمْ مَجْدِيُّ بنُ عَمْرٍو الجُهَنِيُّ، وكانَ مُوادِعًا لِلْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا، فانْصَرَفَ بَعْضُ القَوْمِ عَنْ بَعْضٍ، ولَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتالٌ.

[كانَتْ رايةُ حَمْزةَ أوَّلَ رايةٍ في الإسْلامِ، وشِعْرُ حَمْزةَ في ذلك]

وَبَعْضُ النّاسِ يَقُولُ: كانَتْ رايةُ حَمْزةَ أوَّلَ رايةٍ عَقَدَها رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأحَدٍ مِن المُسْلِمِينَ؛ وذلك أنَّ بَعْثَهُ وبَعْثَ عُبَيْدةَ كانا مَعًا، فشُبِّهَ ذلك على النّاسِ. وقَدْ زَعَمُوا أنَّ حَمْزةَ قَدْ قالَ في ذلك شِعْرًا يَذْكُرُ فيهِ أنَّ رايَتَهُ أوَّلُ رايةٍ عَقَدَها رَسُولُ اللهِ ﷺ، فإنْ كانَ حَمْزةُ قَدْ قالَ ذلك، فقَدْ صَدَقَ إنْ شاءَ اللهُ؛ لَمْ يَكُنْ يَقُولُ إلّا حَقًّا، فاللهُ أعْلَمُ أيَّ ذلك كانَ. فأمّا ما سَمِعْنا مِنْ أهْلِ العِلْمِ عِنْدَنا، فعُبَيْدةُ بنُ الحارِثِ أوَّلُ مَنْ عُقِدَ لَهُ.

فقالَ حَمْزةُ في ذلك ـ فيما يَزْعُمُونَ ـ:

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأكْثَرُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُ هذا الشِّعْرَ لِحَمْزةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ألا يا لَقَوْمِي لِلتَّحَلُّمِ والجَهْلِ ... ولِلنَّقْصِ مِنْ رَأْيِ الرِّجالِ ولِلْعَقْلِ
وَلِلرّاكِبِينا بِالمَظالِمِ لَمْ نَطَأْ ... لَهُمْ حُرُماتٍ مِنْ سَوامٍ ولا أهْلِ
كَأنّا تَبَلْناهُمْ ولا تَبْلَ عِنْدَنا ... لَهُمْ غَيْرُ أمْرٍ بِالعَفافِ وبِالعَدْلِ
وَأمْرٍ بِإسْلامٍ فَلا يَقْبَلُونَهُ ... ويَنْزِلُ مِنْهُمْ مِثْلَ مَنْزِلَةِ الهَزْلِ
فَما بَرِحُوا حَتّى انْتَدَبْتُ لِغارةٍ ... لَهُمْ حَيْثُ حَلُّوا أبْتَغِي راحةَ الفَضْلِ
بِأمْرِ رَسُولِ اللهِ أوَّلُ خافِقٍ ... عَلَيْهِ لِواءٌ لَمْ يَكُنْ لاحَ مِنْ قَبْلِي
لِواءٌ لَدَيْهِ النَّصْرُ مِنْ ذِي كَرامةٍ ... إلَهٍ عَزِيزٍ فِعْلُهُ أفْضَلُ الفِعْلِ
عَشِيّةَ سارُوا حاشِدِينَ وكُلُّنا ... مَراجِلُهُ مِنْ غَيْظِ أصْحابِهِ تَغْلِي
فَلَمّا تَراءَيْنا أناخُوا فعَقَّلُوا ... مَطايا وعَقَّلْنا مدى غَرَضِ النَّبْلِ
فَقُلْنا لَهُمْ: حَبْلُ الإلَهِ نَصِيرُنا ... وما لَكُمُ إلّا الضَّلالةُ مِنْ حَبْلِ

فَثارَ أبــو جَهْــلٍ هُنالِــكَ باغِيًا فخــابَ ورَدَّ اللهُ كَيْــدَ أبي جَهْلِ
وَمــا نَحْــنُ إلّا في ثَلاثِــينَ راكِبًا وهُــمْ مِئَتــانِ بَعْدَ واحِــدةٍ فضْلِ
فيا لَلُــؤيٍّ لا تُطِيعُــوا غُواتَكُمْ وفيئُوا إلى الإسْلامِ والمَنْهَجِ السَّهْلِ
فَــإنِّي أخافُ أنْ يُصَــبَّ عَلَيْكُمُ عَذابٌ فتَدْعُــوا بِالنَّدامةِ والثُّكْلِ

[شِعْرُ أبي جَهْلٍ في الرَّدِّ على حَمْزَةَ]

فَأجابَهُ أبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ، فقالَ:

عَجِبْتُ لِأسْــبابِ الحَفيظَةِ والجَهْلِ ولِلشّــاغِبِينَ بِالخِــلافِ وبِالبُطْلِ
وَلِلتّارِكِــينَ مــا وجَدْنــا جُدُودَنا عَلَيْهِ ذَوِي الأحْسابِ والسُّؤْدَدِ الجَزْلِ
أتَوْنــا بِإفْــكٍ كَيْ يُضِلُّــوا عُقُولَنا ولَيْسَ مُضِلًّا إفْكُهُمْ عَقْلَ ذِي عَقْلِ
فَقُلْنا لَهُــمْ: يا قَوْمَنــا لا تُخالِفُوا على قَوْمِكُمْ إنَّ الخِلافَ مدى الجَهْلِ
فَإنَّكُــمُ إنْ تَفْعَلُوا تَدْعُ نِسْــوةٌ لَهُــنَّ بَــواكٍ بِالرَّزِيّــةِ والثُّــكْلِ
وَإنْ تَرْجِعُــوا عَمّــا فعَلْتُــمْ فإنَّنا بَنُو عَمِّكُمْ أهْلُ الحَفائِظِ والفَضْلِ
فَقالُــوا لَنــا: إنّــا وجَدْنــا مُحَمَّدًا رِضًا لِذَوِي الأحْلامِ مِنّا وذِي العَقْلِ
فَلَمّــا أبَــوْا إلّا الخِــلافَ وزَيَّنُوا جِمــاعَ الأُمُورِ بِالقَبِيحِ مِن الفِعْلِ
تَيَمَّمْتُهُــمْ بِالسّــاحِلَيْنِ بِغــارةٍ لِأتْرُكَهُمْ كالعَصْفِ لَيْسَ بِذِي أصلِ
فورّعَــني مَجْدِيُّ عَنْهُــمْ وصُحْبَتِي وقَدْ وازَرُونِي بِالسُّــيُوفِ وبِالنَّبْلِ
لِإلٍّ عَلَيْنــا واجِــبٍ لا نُضِيعُــهُ أمِينٍ قُواهُ غَــيْرُ مُنْتَكِــثِ الحَبْلِ
فَلَوْلا ابنُ عَمْرٍو كُنْتُ غادَرْتُ مِنْهُمُ مَلاحِمَ لِلطَّيْرِ العُكُــوفِ بِلا تَبْلِ
وَلَكِنَّــهُ آلى بِــإلٍّ فقَلَّصَــتْ بِأيْمانِنا حَدُّ السُّــيُوفِ عَن القَتْلِ
فَإنْ تُبْقِــنِي الأيّامُ أرْجِــعْ عَلَيْهِمُ بِبِيضٍ رِقاقِ الحَــدِّ مُحْدَثةِ الصَّقْلِ

بِأيْدِي حُمـــاةٍ مِنْ لُــؤَيِّ بنِ غالِبٍ كِرامِ المَساعِي في الجُدُوبةِ والمَحْلِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأكْثَرُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُ هذا الشِّعْرَ لِأبي جَهْلٍ.

فَصْلٌ

وذَكرَ ابنُ إسْحاقَ القَصِيدةَ الّتِي تُعْزى إلى أبِي بَكْرٍ، ونَقِيضَتَها لِابنِ الزِّبَعْرى، والزِّبَعْرى في اللغة: السَّيِّئ الخُلُقِ، يُقالُ: رَجُلٌ زِبَعْرى، وامْرَأةٌ زِبَعْراة، والزِّبَعْرى أيْضًا: البَعِيرُ الأزَبّ الكَثِيرُ شَعْرِ الأُذُنَيْنِ مَعَ قِصَرٍ، قالَهُ الزُّبَيْرُ.

وفي هَذا الشِّعْرِ أو الّذِي بَعْدَهُ ذِكرُ الدَّبّة، وهُو الكَثِيبُ مِن الرَّمْلِ، وأمّا الدُّبّةُ بِضَمِّ الدّالِ فإنّهُ يُقالُ: جَرى فُلانٌ على دُبّةِ فُلانٍ؛ أيْ: على سَنَنه وطَرِيقَتِهِ. والدَّبّـةُ أيْضًا ظَرْفٌ لِلزّيْتِ، قالَ الرّاجِزُ[1]: [من الرجز]

لبَّكَ بِالعنْـفِ عِفاصَ الدَّبّه

والدِّبّةُ بِكَسْرِ الدّالِ: هَيْئةُ الدّبِيبِ.

وقوله: [من الطويل]

حراجِيجُ[2] تَخْدِي في السَّــرِيح الرّثائثِ

السَّرِيحُ: شِبْهُ النّعْلِ تَلْبَسُهُ أخْفافُ الإبِلِ، يُرِيدُ: أنّ هذهِ الإبِلَ الحَراجِيجَ ـ وهِيَ الطِّوالُ ـ تخـدِي؛ أي: تُسـرِعُ في سريحٍ قـد رَثَّ من طول السير. قال

(١) لم نقفْ عليه بهذا اللفظ. وفي «الوحشيات الحماسة الصغرى» (ص: ٢٩٧): «غمز العبادي عفاص الدبة» نسبه إلى الأغلب بن جُشَم العِجلي. (ج)

(٢) ليس في (أ)، (ب)، (ف)، ومكانه في (ص)، (ج): «وهو من آخر»!

الشاعر[١]: [من الوافر]

دوامي الأَيْدِ يَخبِطْنَ السَّـــرِيحا

وذَكرَ العَثاعِثَ، واحِدُها: عَثْعَثٌ، وهُو مِنْ أَكْرَمِ مَنابِتِ العُشْبِ، قالَهُ أَبُو حَنِيفةَ[٢]، وفي «العَيْنِ»: «العَثْعَثُ: ظَهْرُ الكَثِيبِ الّذِي لا نَباتَ فيهِ»[٣].

وذَكرَ ابنُ هِشامٍ أَنّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ [العِلْمِ][٤] بالشِّعْرِ أَنْكَرُوا أَنْ تكُونَ هذهِ القَصِيدةُ لِأَبِي بَكْرٍ، ويَشْهَدُ لِصِحّةِ من أَنْكَرَ أَنْ تكونَ لَهُ: ما رَواه[٥] عَبْدُ الرّزّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوةَ، عَنْ عائِشةَ قالَتْ: «كَذَبَ[٦] مَنْ أَخْبَرَكُمْ أَنّ أَبا بَكْرٍ قالَ بَيْتَ شِعْرٍ في الإِسْلامِ»[٧]، رَواهُ مُحَمّدٌ خ[٨]، عَنِ ابنِ المُتَوكِّلِ، عَنْ عَبْدِ الرّزّاقِ.

وقَوْلُ ابنِ الزِّبَعْرى: «بَيْنَ[٩] نَسْءٍ وطامِثٍ»، والنَّسْءُ[١٠]: المرأَةُ التي تأَخَّر

---

(١) البيت من «شواهد سيبويه» (١: ٢٧)، واختُلِفَ في قائله، وصدره:

فطــرتُ بمُنْصُلي في يَعمَلاتٍ

(٢) لم أجده فيما طُبِع من كتاب «النبات».

(٣) «العين» (١: ٨٤).

(٤) كذا في (أ)، (ب)، وفي غيرهما: «من أهل الشعر».

(٥) في (أ)، (ب)، (ف): «ما روى».

(٦) «كذب» ليس في (ف).

(٧) نص الحديث في (أ)، (ب)، (ف): «من أخبركم... فقد كذب».

وفي «سير أعلام النبلاء» (سير الخلفاء الراشدين ص ١٤-١٥): «قال عنبسة بن عبد الواحد: حدثني يونس، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة أنها كانت تدعو على من زعم أن أبا بكرٍ قال هذه الأبيات، وقالت: والله ما قال أبو بكر شعرًا في جاهلية ولا في إسلام..».

[والحديث أخرجه معمر في «الجامع» (١١: ٢٦٦)، رقم (٢٠٥٠٧). (ج)].

(٨) في (أ)، (ف): «ح»، وفي (ط): «البخاري».

(٩) في (ف): «من بين».

(١٠) في (ف): «النسء» بدون واو.

حيضُها، وجمعها نِساءٌ، فتقول على هذا إذا وصفت: نِساءٌ نِساءٌ، والطّامِثُ مَعْرُوفٌ يُقالُ: أُنسِئَتِ[١] المَرْأَةُ: إذا تَأخَّرَ حَيْضُها مِنْ أجْلِ الحَمْلِ. مِنْ كِتابِ «العَيْنِ»[٢].

وقَوْلُ أبِي بَكْرٍ: «رَأْفَ ابنِ حارِثٍ»، يَعْنِي: عُبَيْدَةَ بنَ الحارِثِ بنِ المطَّلب[٣].

وقَوْلُ أبِي جَهْلٍ: [من الطويل]

«وورَّعَنِي مَجْـدِيٌّ عَنْهُمْ وصُحْبَتِي»

تَرَكَ[٤] صَرْفَ مَجْدِيٍّ؛ لِأَنَّهُ عَلَمٌ، وتَرْكُ التّنْوِينِ في المَعارِفِ كُلِّها أصلٌ، لا يُنوَّن مُضْمَرٌ، ولا مُبْهَمٌ، ولا ما فيهِ الألِفُ واللّامُ، ولا مُضافٌ، وكَذَلِكَ [كانَ][٥] قياسُ العَلَمِ، فإذا لَمْ يُنَوَّنْ في الشِّعْرِ فهُو الأصْلُ فيهِ؛ لِأنّ دُخُولَ التّنْوينِ في الأسْماءِ إنّما هُو عَلامةٌ لِانْفِصالِها عَن الإضافةِ، فما لا يُضافُ لا يَحْتاجُ إلى تَنْوِينٍ، وقَدْ كَشَفْنا سِرّ التّنْوِينِ وامْتِناعَ الخَفْضِ والتّنوينِ مِمّا لا ينصرِف في مسألةٍ[٦] أفْرَدْناها في هَذا البابِ، وأتَيْنا فيها بِالعَجَبِ العُجابِ، والشّواهِدِ على حَذْفِ التّنْوِينِ في الشِّعْرِ مِن الِاسْمِ العَلَمِ كَثِيرةٌ جِدًّا، فتَأمَّلْها في أشْعارِ المغازي والسِّيرِ تَجِدْها، وغَرَضُنا في شَرْحِ هذهِ الأشْعارِ الوارِدةِ في كِتابِ «السّيرةِ» أنْ نَشْرَحَ مِنْها ما اسْتَغْلَقَ لَفْظُهُ جِدًّا، أوْ غَمُضَ إعْرابُهُ على

---

(١) في (ف): «نسئت».

(٢) «العين» (٧: ٣٠٥).

(٣) كذا في (أ)، (ف)، وفي غيرها: «عبد المطلب». وعبيدة بن الحارث بن المطلب صحابي، وكان له قدر ومكانة عند رسول الله ﷺ. انظر: «أسد الغابة» (٣: ٥٥٣).

(٤) في (أ): «وترك».

(٥) عن (أ)، (ب)، (ف).

(٦) انظرها في: «أمالي السهيلي» (ص: ٢٦) وما بعدها.

شَرْطِنـا(١) في أوّلِ الكِتـابِ، لَكِنّي لا أعْرِضُ لِشَيْءٍ مِنْ أشْعارِ الكَفَرةِ الّتِي نالُوا فيها مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلّا شِعْرَ مَنْ أسْلَمَ وتابَ، كَضِرارٍ وابنِ الزِّبَعْرى.

وقَدْ كَرِهَ كَثِيرٌ مِنْ أهْلِ العِلْمِ فِعْلَ ابنِ إسْحاقَ في إدْخالِهِ الشِّعْرَ الّذِي نِيلَ فيهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ [ومِن الإسلام](٢)، ومَنِ(٣) اعْتَذَرَ عَنْهُ: قالَ حِكايةُ الكُفْرِ لَيْسَ بِكُفْرٍ، والشِّعْرُ كَلامٌ، ولا فرْقَ بين أنْ يُرْوى كَلامُ الكَفَرةِ ومُحاجّتُهُمْ لِلنّبيِّ ﷺ ورَدُّهُمْ عَلَيْهِ مَنْثُورًا وبَيْنَ أنْ يُرْوى مَنْظُومًا، وقَدْ حَكى رَبُّنا سُبْحانَهُ في كِتابِهِ العَزِيزِ مَقالاتِ الأُمَمِ لِأنْبيائِها، وما طَعَنُوا بِهِ عَلَيْهِمْ، فما ذُكِرَ مِنْ هَذا على جِهةِ الحِكايةِ نَظْمًا أوْ نَثْرًا فإنّما يُقْصَدُ بِهِ الِاعْتِبارُ بما مَضى، وتَذَكُّرُ نِعْمةِ اللهِ على الهُدى، والإنْقاذِ مِن العَمى، وقَدْ قالَ عَلَيْهِ السّلامُ: «لأن يَمتلِئَ جَوْفُ أحَدِكُمْ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَمتلِئَ شِعْرًا»(٤)، وتَأوّلَتْهُ عائِشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها في الأشْعارِ الّتِي هُجِيَ بها النبيُّ(٥) ﷺ، وأنْكَرَتْ قَوْلَ مَنْ حَمَلَهُ على العُمُومِ في جَمِيعِ الشِّعْرِ، وإذا قُلْنا بما رُوِيَ عَنْ عائِشةَ في ذَلِكَ، فلَيْسَ في الحَدِيثِ إلّا عَيْبُ امْتِلاءِ الجَوْفِ مِنْهُ.

وأمّا رِوايةُ اليَسِيرِ(٦) على جِهةِ الحِكايةِ، أو(٧) الِاسْتِشْهادُ على اللّغةِ، فلَمْ يَدْخُلْ في النّهْيِ، وقَدْ رَدّ أبُو عُبَيْدٍ على مَنْ تَأوّلَ الحَدِيثَ في الشِّعْرِ الّذِي

(١) في (ف): «ما شرطنا».
(٢) عن (ب)، (ف).
(٣) في (ص)، (ج): «ومن الناس من اعتذر».
(٤) «مسند أحمد» (٣: ٨)، و«فتح الباري»، كتاب الأدب: (١٠: ٥٤٨)، ومسلم، كتاب الشعر (٤: ١٧٧٠).
(٥) في (ف): «رسول الله».
(٦) في (ص): «السير».
(٧) في (ف): «و».

هُجِيَ بِهِ عليه السلام[١]، وقالَ: رِوايةُ نِصْفِ بَيْتٍ مِنْ ذَلِكَ الشِّعْرِ حَرامٌ، فكَيْفَ يَخُصّ امْتِلاءَ الجَوْفِ مِنْهُ بِالذّمّ؟![٢] وعائِشةُ أعْلَمُ منه؛ فإنّ البَيْتَ والبَيْتَيْنِ والأبْياتَ مِنْ تِلْكَ الأشْعارِ على جِهةِ الحِكايةِ بِمَنْزِلةِ الكَلامِ المَنْثُورِ الّذِي ذَمّوا فيه رَسُولَ اللهِ ﷺ لا فرْقَ، وقَوْلُ عائِشةَ الّذِي قَدّمْناهُ ذَكرَهُ ابنُ وهْبٍ في «جامعه».

وعلى القولِ بالإباحةِ، فإنَّ النفسَ تقْذَرُ تِلْكَ الأشْعارَ وتُبْغِضُها وقائِلِيها في اللهِ، فالإعْراضُ[٣] عَنْها خَيْرٌ مِن الخَوْضِ فيها والتّتَبّعِ لِمَعانِيها.

* * *

(١) ما عدا (أ)، (ف): «هجي به الإسلام».

(٢) «غريب الحديث» لأبي عبيد: (١: ٣٦-٣٧).

(٣) في (ف): «والإعراض».

غَزْوةُ بُواط

[يَوْمُها]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ غَزا رَسُولُ الله ﷺ في شَهْرِ رَبيعٍ الأوَّلِ يُرِيدُ قُرَيْشًا.

[ابنُ مَظْعُونٍ على المَدِينةِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ السّائِبَ بنَ عُثْمانَ بنِ مَظْعُونٍ.

[العَوْدةُ إلى المَدِينةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَتّى بَلَغَ بُواطَ مِنْ ناحِيةِ رَضْوى، ثُمَّ رَجَعَ إلى المَدِينةِ ولَمْ يَلْقَ كَيْدًا، فلَبِثَ بِها بَقِيّةَ شَهْرِ رَبِيعٍ الآخِرِ وبَعْضَ جُمادى الأُولى.

غَزْوةُ بُواطَ

و«بُواطُ»(١): جَبَلانِ فرْعانِ لأصْلٍ واحِدٍ، أحدُهما: جَلْسِيٌّ، والآخَرُ غَوْرِيٌّ(٢)،

---

(١) بُواط: بضم الباء وفتحها. وعرَّفها ابن حبيب: بأنها على ثلاث مراحل من المدينة في طريق الشام، «المحبر» (ص: ١١٠)، وقال الواقدي: هي من الجُحفة قريب. وقال: وبواط: حيال ضبة من ناحية ذي خشب، بين بواط والمدينة ثلاثة بُرُد. «المغازي» (١: ٢، ١٢). وقال ابن حجر: جبل من جبال جهينة بقرب ينبع. «فتح الباري» (٧: ٢٨٠). وانظر: «معجم البلدان»: بواط.

(٢) جلسيّ: نسبة إلى جلس، وهو ما ارتفع عن الغور، والغور: المطمئن من الأرض.

وفي الجَلْسِيِّ [بَنُو دِينارٍ][١] يُنْسَبُونَ إلى دِينارٍ مَولى عبدِ الملكِ بنِ مرْوانَ.

ذَكرَ فيهِ اسْتِخْلافَ رَسُولِ اللهِ ﷺ على المدينةِ السائبَ بنَ مَظْعُونٍ، وهُو أخُو عُثْمانَ بنِ مَظْعُونِ بنِ حَبِيبِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ، شَهِدَ بَدْرًا في قَوْلِ ابنِ إسْحاقَ، ولَمْ يَذْكُرْهُ مُوسى بنُ عُقْبةَ في البَدْرِيِّينَ[٢]، وأمّا السّائِبُ ابنُ عُثْمانَ ـ وهُو ابنُ أخِي هَذا ـ فشَهِدَ بَدْرًا في قَوْلِ جَمِيعِهِمْ، إلّا ابنَ الكَلْبِيّ، وقُتِلَ يَوْمَ اليَمامةِ شَهِيدًا[٣].

غَزْوةُ العُشَيرةِ

[أبو سَلَمةَ على المَدِينةِ]

ثُمَّ غَزا قُرَيْشًا، فاسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ أبا سَلَمةَ بنَ عَبْدِ الأسَدِ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

[الطَّرِيقُ إلى العُشَيرةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فسَلَكَ على نَقْبِ بَنِي دِينارٍ، ثُمَّ على فيفاءِ الخَبارِ، فنَزَلَ تَحْتَ شَجَرةٍ بِبَطْحاءِ ابنِ أزْهَرَ، يُقالُ لَها: ذاتُ السّاقِ، فصَلّى عِنْدَها. فثَمَّ مَسْجِدُهُ ﷺ، وصُنِعَ لَهُ عِنْدَها طَعامٌ، فأكَلَ مِنْهُ، وأكَلَ النّاسُ مَعَهُ، فمَوْضِعُ أثافِيِّ البُرْمةِ مَعْلُومٌ هُنالِكَ، واسْتُقِيَ لَهُ مِنْ ماءٍ بِهِ، يُقالُ لَهُ: المُشْتَرِبُ، ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فتَرَكَ الخَلائِقَ بِيَسارٍ، وسَلَكَ شُعْبةً يُقالُ لَها: شُعْبةُ

---

(١) مكانه في (ص)، (ج): «موالي كليب بن كبير».

(٢) «أسد الغابة» (٢: ٣١٩-٣٢٠).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (سير الخلفاء الراشدين): (ص: ٥٧).

عَبْدِ الله، وذلك اسْمُها اليَوْمُ، ثُمَّ صَبَّ لِلْيَسارِ حَتّى هَبَطَ يَلْيَلَ، فنَزَلَ بِمُجْتَمَعِهِ ومُجْتَمَعِ الضَّبُوعةِ، واسْتَقى مِنْ بِئْرٍ بالضَّبُوعةِ، ثُمَّ سَلَكَ الفَرْشَ: فرْشَ مَلَلٍ، حَتّى لَقِيَ الطَّرِيقَ بِصُخَيْراتِ اليَمامِ، ثُمَّ اعْتَدَلَ بِهِ الطَّرِيقُ، حَتّى نَزَلَ العُشَيْرَةَ مِنْ بَطْنِ يَنْبُعَ، فأقامَ بِها جُمادى الأُولى ولَيالِيَ مِنْ جُمادى الآخِرةِ، وادَعَ فيها بَنِي مُدْلِجٍ وحُلَفاءَهُمْ مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ، ثُمَّ رَجَعَ إلى المَدِينةِ، ولَمْ يَلْقَ كَيْدًا.

غَزْوةُ العُشَيْرة

يُقالُ[١] فيها: العُشَيْرةُ والعُشَيْراءُ، وبِالسّينِ المُهْمَلَةِ أيْضًا: العُسَيْرةُ والعُسَيْراءُ، أخْبَرَنا[٢] بِذَلِكَ الإمامُ الحافِظُ أبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ، وفي البُخارِيّ: أنّ قَتادةَ سُئِلَ عَنْها فقالَ: العُشَيْرُ[٣][٤]، ومَعْنى العُسَيْرةِ والعُسَيْراءِ[٥]: أنّهُ اسْمٌ مُصَغَّرٌ مِن العُسْرى والعَسْراءِ، وإذا صُغِّرَ تَصْغِيرَ التّرْخِيمِ قِيلَ: عُسَيْرةُ، وهِيَ بَقْلةٌ تَكُونُ أذَنةً[٦]؛ أيْ: عَصِيفةً، ثُمّ تكُونُ سِحاءً، ثم يقالُ لها: العسْرى. قال الشّاعرُ[٧]: [من الطويل]

---

(١) في (ف): «ويقال».

(٢) في (ف): «أخبرني».

(٣) في (ف): «العشيرة».

(٤) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٧: ٢٧٩)، وانظر ما قاله ابن حجر: (٧: ٢٨٤).

(٥) في (ص): «والعسيرة». وفي (ف): «ومعنى العسيراء والعسيرة».

(٦) الأذَنة: ورق الحب، والأذَنة أيضًا: التبنة وهي العصيفة. والسحاء: قشر كل شيء، ولفظ «تاج العروس»: «ثم تكون سحاء إذا التوت».

(٧) البيت في «اللسان» و«التاج» (عسر)، غير منسوب.

وما مَنَعاها الماءَ إلّا ضَنانةً بأطْرافِ عَشْرى شوكُها قد تخدَّدا[١]

ومَعْنى هَذا البَيْتِ كَمَعْنى الحَدِيثِ: «لا يُمْنَعُ فضْلُ الماءِ لِيُمْنَعَ بِهِ الكَلأُ»[٢].

وأمّا العُشَيْرةُ بِالشِّينِ المَنْقُوطةِ، فواحِدةُ العُشَرِ مُصَغّرةٌ.

وذَكرَ فيهِ الضَّبُوعةَ، وهُو: اسْمُ مَوْضِعٍ، وهُو فَعُولةٌ مِنْ ضَبَعَت الإبلُ: إذا مدَّتْ أضْباعَها[٣] في المسيرِ، وفي الضَّبُوعةِ نَزَلَ عِنْدَ شَجَرةٍ يُقالُ لَها: ذاتُ السّاقِ، وابْتَنى ثَمّ مَسْجِدًا، واسْتَسْقى مِنْ ماءٍ هُنالِكَ يُقالُ لَهُ: المُشَيْرِبُ، كَذَلِكَ جاءَ في رِوايةِ البَكّائِيّ وغَيْرِهِ عَن ابنِ إسْحاقَ.

وذَكرَ فيهِ[٤] مَلَلًا، وهُو اسْمُ مَوْضِعٍ يُقالُ: إنّهُ سُمِّيَ مَلَلًا؛ لأنّ الماشِيَ إلَيْهِ مِن المَدِينةِ لا يَبْلُغُهُ إلّا بَعْدَ جَهْدٍ ومَلَلٍ، وهُو على عِشْرِينَ مِيلًا مِن المَدِينةِ، أوْ أكْثَر قَلِيلًا.

وذَكرَ الحَلائِقَ[٥]، وهِيَ آبارٌ معلومة. ورواها غَيْرُ أبِي الولِيدِ «الخَلائِقَ» بِخاءٍ مَنْقُوطةٍ، وفَسّرَها بعضهم: جَمْعُ خَلِيقةٍ، وهِيَ البِئْرُ الّتِي لا ماءَ فيها، وأكْثَرُ

---

(١) في (أ)، (ص)، (ف): «تحدَّدا»، وفي (ب)، (ج) و«معجم البلدان» (العشيرة): «تجردا». والمثبت عن «اللسان» و«تاج العروس». ومعنى تخدّد: تقبَّض.

(٢) «فتح الباري»، كتاب الحرث والمزارعة: (٥: ٣١). وفي «تاج العروس»: «عن الصاغاني: منعاها الماءَ بُخلًا بالكلأ؛ لأنها إذا شربت رعت، وإذا كانت عطاشًا لم تلتفت إلى المرعى».

(٣) الضَّبْع: ما بين الإبط إلى نصف العضُد من أعلاها، وهما ضَبْعان. ويقال أيضًا: ضَبعتِ الدابة ضَبَعًا: أرادت الفحل واشتدت شهوتها، فهي ضَبعة. وسمعتُ بعض أهل القرى في مصر الآن يردِّدون هذا اللفظ بهذا المعنى.

(٤) «فيه» ليس في (ف).

(٥) انظر: «معجم البلدان»: الحلائق، و«شرح السيرة» لأبي ذر: (ص: ١٥٢).

رِواياتِ الكِتابِ على هَذا، واللهُ[1] أعْلَمُ.

وذَكرَ «فرْشَ مَلَلٍ»، والفَرْشُ ـ فيما ذَكرَ أبُو حَنِيفةَ ـ: «مَكانٌ مُسْتَوٍ يُنبِتُ العُرْفُطَ[2] والسّيالَ والسّمُرَ، يَكُونُ نَحْوًا مِنْ مِيلٍ أوْ فرْسَخٍ، فإنْ أنْبَتَ العُرْفُطَ وحْدَهُ فهُو وهْطٌ، كما يقالُ له إذا أنْبَتَ الطّلْحَ وحْدَهُ: غَوْلٌ[3]، وجَمْعُهُ: غُلانٌ[4] على غَيْرِ قِياسٍ، وإذا أنْبَتَ النَّصِيّ والصِّلِّيانَ، وكانَ نَحْوًا مِنْ مِيلَيْنِ قِيلَ لَهُ: لُمعةٌ.

* * *

(١) في (ف): «فالله».

(٢) العُرفُط: شجرة قصيرة متدانية الأغصان ذات شوك كثير، وصمغها كثير، والسَّيال: شجر شائك متوسط الحجم له قشر أحمر يُستعمل في الدباغة. والسمر: شجر عظام ترعاه الإبل. والوهط: المكان المطمئن من الأرض المستوي. والغَول: جماعة الطلح لا يشاركه شيء. «تاج العروس». والصليان: من أطيب الكلأ ينبت صُعُدًا، وأضخمه أعجازه، ومنابته السهول والرياض، والنَّصيّ: نبت رطب، وهو من أفضل المرعى كذلك. واللمعة: بقعة ذات نبات ابيضّ لما فيها من النصيّ والصِّليان.

(٣) في (ب): «عُول وجمعه علان».

(٤) في (ف): «غلال»، وفي (أ): «غلّان» هكذا مشدَّدة اللام، ولم أتحققه بعد. وهي غير واضحة في (ص). وفي «معجم البلدان» (ملل): «غيلان».

[تَكْنِيةُ الرَّسُولِ ﷺ لِعَلِيٍّ بِأبي تُرابٍ]

وَفي تِلْكَ الغَزْوةِ قالَ لِعَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ عَلَيْهِ السَّلامُ ما قالَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني يَزِيدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ خَيْثَمٍ المُحارِبِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ ابنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ خَيْثَمٍ أبي يَزِيدَ، عَنْ عَمّارِ بنِ ياسِرٍ، قالَ: كُنْتُ أنا وعَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ رَفيقَيْنِ في غَزْوةِ العُشَيْرةِ، فلَمّا نَزَلَها رَسُولُ اللهِ ﷺ وأقامَ بِها، رَأيْنا أُناسًا مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ يَعْمَلُونَ في عَيْنٍ لَهُمْ وفي نَخْلٍ، فقالَ لِي عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ: يا أبا اليَقْظانِ، هَلْ لَكَ في أنْ تَأْتِيَ هَؤُلاءِ القَوْمَ، فنَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلُونَ؟ قالَ: قُلْتُ: إنْ شِئْتَ، قالَ: فجِئْناهُمْ، فنَظَرْنا إلى عَمَلِهِمْ ساعةً، ثُمَّ غَشِيَنا النَّوْمُ. فانْطَلَقْتُ أنا وعَلِيٌّ حَتّى اضْطَجَعْنا في صُورٍ مِن النَّخْلِ، وفي دَقْعاءَ مِن التُّرابِ فنِمْنا، فوَاللهِ ما أهَبَّنا إلّا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَرِّكُنا بِرِجْلِهِ، وقَدْ تَتَرَّبْنا مِنْ تِلْكَ الدَّقْعاءِ الَّتِي نِمْنا فيها، فيوْمَئِذٍ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ: «ما لَكَ يا أبا تُرابٍ؟»؛ لِما يَرى عَلَيْهِ مِن التُّرابِ، ثُمَّ قالَ: «ألا أُحَدِّثُكُما بِأشْقى النّاسِ رَجُلَيْنِ؟» قُلْنا: بَلى يا رَسُولَ اللهِ، قالَ: «أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الَّذي عَقَرَ النّاقةَ، والَّذِي يَضْرِبُكَ يا عَلِيُّ على هَذِهِ» ووَضَعَ يَدَهُ على قَرْنِهِ «حَتّى يَبُلَّ مِنْها هَذِهِ» وأخَذَ بِلِحْيَتِهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ حَدَّثَني بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ إنَّما سَمّى عَلِيًّا: أبا تُرابٍ؛ أنَّهُ كانَ إذا عَتَبَ على فاطِمةَ في شَيْءٍ لَمْ يُكَلِّمْها، ولَمْ يَقُلْ لَها شَيْئًا تَكْرَهُهُ، إلّا أنَّهُ يَأْخُذُ تُرابًا فيضَعُهُ على رَأْسِهِ. قالَ: فكانَ

رَسُولُ الله ﷺ إذا رَأى عَلَيْهِ التُّرابَ عَرَفَ أنَّهُ عاتِبٌ على فاطِمةَ، فيقُولُ: «ما لَكَ يا أبا تُرابٍ؟» فالله أعْلَمُ أيَّ ذلك كانَ.

سَرِيّةُ سَعْدِ بنِ أبي وقّاصٍ

[ذَهابُهُ إلى الخَرّارِ ورُجُوعُهُ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ كانَ بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ فيما بَيْنَ ذلك مِنْ غَزْوِهِ سَعْدَ بنَ أبي وقّاصٍ، في ثَمانِيةِ رَهْطٍ مِن المُهاجِرِينَ، فخَرَجَ حَتّى بَلَغَ الخَرّارَ مِنْ أرْضِ الحِجازِ، ثُمَّ رَجَعَ ولَمْ يَلْقَ كَيْدًا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ذَكَرَ بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ أنَّ بَعْثَ سَعْدٍ هذا كانَ بَعْدَ حَمْزةَ.

غَزْوةُ صَفْوانَ وهِيَ غَزْوةُ بَدْرٍ الأُولى

[إغارةُ كُرْزٍ والخُرُوجُ في طَلَبِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمْ يُقِمْ رَسُولُ الله ﷺ بِالمَدِينةِ حِينَ قَدِمَ مِنْ غَزْوةِ العُشَيْرةِ إلّا لَيالِيَ قَلائِلَ لا تَبْلُغُ العَشْرَ، حَتّى أغارَ كُرْزُ بنُ جابِرٍ الفِهْرِيُّ على سَرْحِ المَدِينةِ، فخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ في طَلَبِهِ، واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ زَيْدَ بنَ حارِثةَ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

[فَواتُ كُرْزٍ والرُّجُوعُ مِنْ غَيْرِ حَرْبٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَتّى بَلَغَ وادِيًا يُقالُ لَهُ: سَفْوانُ، مِنْ ناحِيةِ بَدْرٍ، وفاتَهُ كُرْزُ بنُ جابِرٍ، فلَمْ يُدْرِكْهُ، وهِيَ غَزْوةُ بَدْرٍ الأُولى. ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ إلى المَدِينةِ، فأقامَ بِها بَقِيّةَ جُمادى الآخِرةِ ورَجَبًا وشَعْبانَ.

وذكرَ حديثَينِ في تكْنيةِ عَلِيّ رضي الله عنه بأبي تُرابٍ، وأصَحُّ مِنْ ذَلِكَ ما رَواهُ البُخاريُّ في «جامِعِهِ»: وهُو أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وجَدَهُ في المَسْجِدِ نائِمًا وقَدْ تَرِبَ جَنْبُهُ، فجَعَلَ يَحُتُّ التّرابَ عَنْ جَنْبِهِ، ويَقُولُ: «قُمْ أبا تُرابٍ»، وكانَ قَدْ خَرَجَ إلى المَسْجِدِ مُغاضِبًا لِفاطِمةَ رضي الله عنها، وهَذا مَعْنى الحَدِيثِ[١]، وما ذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ مِنْ حَدِيثِ عَمّارٍ مُخالِفٌ لَهُ، إلّا أنْ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَنّاهُ بِها مَرّتَيْنِ؛ مَرّةً في المَسْجِدِ، ومَرّةً في هذهِ الغَزْوةِ، واللهُ[٢] أعْلَمُ.

وذَكرَ أشْقى النّاسِ، وهُو[٣] أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الذي عقرَ ناقةَ صالحٍ عليه السلام، [واسمُهُ][٤]: قُدارُ بنُ سالِف، وأُمّهُ قُدَيْرةُ، وهُو مِن التّسْعةِ الرَّهْطِ المَذْكُورِينَ في سُورةِ النّمْلِ[٥]، وقَدْ ذَكَرْتُ أسَماءَهُمْ في كِتابِ «التّعْرِيفِ والإعْلامِ»[٦].

وذَكرَ مُوادَعَتَهُ لِبَنِي ضَمْرةَ، وهُمْ بَطْنٌ مِنْ كِنانةَ، ثُمّ مِنْ بَنِي لَيْثٍ، وهُمْ بَنُو غِفارٍ وبَنُو نُعَيْلةَ[٧] لا بَنِي مُلَيْلِ بنِ ضَمْرةَ، وكانَتْ نُسْخةُ المُوادعةِ ـ فيما ذَكرَه[٨] غَيْرُ ابنِ إسْحاقَ ـ: «بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ، هَذا كِتابٌ مِنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِبَنِي ضَمْرةَ، بأنّهُمْ آمِنُونَ على أمْوالِهِمْ وأنْفُسِهِمْ، وأنّ لَهُم النّصْرَ على مَنْ

---

(١) «فتح الباري»، كتاب الأدب: (١٠: ٥٨٧).

(٢) في (ف): «فالله».

(٣) في (أ): «فقال: هو»، وفي (ج): «وقال: هو»، وفي (ف): «قال: وهو».

(٤) ليس في (ب).

(٥) من الآية: (٤٨).

(٦) ذكرهم السهيلي معتمدًا على كتاب «المحبّر» لابن حبيب: (ص: ٣٥٧).

(٧) في (أ): «ثعيلة». انظر: «جمهرة النسب» للكلبي: (ص: ١٥٥). و«المؤتلف» للدارقطني: (١: ٣٤٠).

(٨) في غير (أ): «ذكر».

رامَهُمْ، ألّا يُحارَبُوا في دِينِ اللهِ ما بَلّ بَحْرٌ صُوفةً(١)، وأنّ النّبيّ ﷺ إذا دَعاهُمْ لِنَصْرِهِ أجابُوهُ، عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ ذِمّةُ اللهِ وذِمّةُ رَسُولِهِ، ولَهُم النّصْرُ على مَنْ بَرّ مِنْهُمْ واتّقى».

سَرِيّةُ عَبْدِ الله بنِ جحشٍ ونزولُ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾

[بَعْثُهُ، والكِتابُ الّذي حَمَلَهُ]

وَبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ عَبْدَ الله بنَ جَحْشِ بنِ رِئابٍ الأَسَدِيَّ في رَجَبٍ، مَقْفَلَهُ مِنْ بَدْرٍ الأُولى، وبَعَثَ مَعَهُ ثَمانِيَةَ رَهْطٍ مِن المُهاجِرِينَ، لَيْسَ فيهِمْ مِن الأنْصارِ أحَدٌ، وكَتَبَ لَهُ كِتابًا وأمَرَهُ ألّا يَنْظُرَ فيهِ حَتّى يَسِيرَ يَوْمَيْنِ ثُمّ يَنْظُرَ فيهِ، فيمْضِيَ لِما أمَرَهُ بِهِ، ولا يَسْتَكْرِهَ مِنْ أصْحابِهِ أحَدًا.

[أصْحابُ ابنِ جَحْشٍ في سَرِيَّتِهِ]

وَكانَ أصْحابُ عَبْدِ الله بنِ جَحْشٍ مِن المُهاجِرِينَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: أبو حُذَيْفَةَ بنُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، ومِنْ حُلَفائِهِمْ: عَبْدُ الله بنُ جَحْشٍ، وهُوَ أمِيرُ القَوْمِ، وعُكّاشَةُ بنُ مِحْصَنِ ابنِ حُرْثانَ، أحَدُ بَنِي أسَدِ بن خُزَيْمَةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ. ومِنْ بَنِي نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: عُتْبَةُ بنُ غَزْوانَ بنِ جابِرٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ. ومِنْ بَنِي زُهْرَةَ بنِ كِلابٍ: سَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ. ومِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ: عامِرُ بنُ رَبِيعةَ،

---

(١) صُوفة البحر: شيء على شكل هذا الصوف الحيواني يطفو على سطحه. وفي «تاج العروس»: «ومن الأبديات قولهم: لا آتيك ما بل البحرُ صوفةً». وهو مَثَل ذكره الزمخشري في «المستقصى» (٢: ٣٤٦).

حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ عَنْزِ بنِ وائِلٍ، وواقِدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ عَرِينِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ يَرْبُوعٍ، أحَدُ بَنِي تَمِيمٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ، وخالِدُ بنُ البُكَيْرِ، أحَدُ بَنِي سَعْدِ بنِ لَيْثٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ. ومِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ فِهْرٍ: سُهَيْلُ بنُ بَيْضاءَ.

[فَضُّ ابنِ جَحْشٍ كِتابَ النَّبِيِّ ﷺ ومُضِيُّهُ لِطِيَّتِهِ]

فَلَمّا سارَ عَبْدُ اللهِ بنُ جَحْشٍ يَوْمَيْنِ فتَحَ الكِتابَ، فنَظَرَ فيهِ فإذا فيهِ: «إذا نَظَرْتَ في كِتابِي هذا فامْضِ حَتّى تَنْزِلَ نَخْلَةَ، بَيْنَ مَكّةَ والطّائِفِ، فتَرَصَّدْ بها قُرَيْشًا وتَعَلَّمْ لَنا مِنْ أخْبارِهِمْ». فلَمّا نَظَرَ عَبْدُ اللهِ بنُ جَحْشٍ في الكِتابِ، قالَ: سَمْعًا وطاعةً، ثُمَّ قالَ لِأصْحابِهِ: قَدْ أمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أنْ أمْضِيَ إلى نَخْلَةَ، أرْصُدُ بِها قُرَيْشًا، حَتّى آتِيَهُ مِنْهُمْ بِخَبَرٍ، وقَدْ نَهانِي أنْ أسْتَكْرِهَ أحَدًا مِنْكُمْ، فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ الشَّهادةَ ويَرْغَبُ فيها فلْيَنْطَلِقْ، ومَنْ كَرِهَ ذلك فلْيَرْجِعْ، فأمّا أنا فماضٍ لِأمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فمَضى ومَضى مَعَهُ أصْحابُهُ، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ مِنْهُمْ أحَدٌ.

[تَخَلُّفُ القَوْمِ بِمَعْدِنٍ]

وَسَلَكَ على الحِجازِ، حَتّى إذا كانَ بِمَعْدِنٍ فوْقَ الفُرُعِ يُقالُ لَهُ: بَحْرانُ، أضَلَّ سَعْدُ بنُ أبِي وقّاصٍ وعُتْبةُ بنُ غَزْوانَ بَعِيرًا لَهُما كانا يَعْتَقِبانِهِ، فَتَخَلَّفا عَلَيْهِ في طَلَبِهِ، ومَضى عَبْدُ اللهِ بنُ جَحْشٍ وبَقِيّةُ أصْحابِهِ حَتّى نَزَلَ بِنَخْلَةَ، فمَرَّتْ بِهِ عِيرٌ لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ زَبِيبًا وأدَمًا، وتِجارةً مِنْ تِجارةِ قُرَيْشٍ، فيها عَمْرُو بنُ الحَضْرَمِيِّ.

سَرِيّةُ عبدِ الله بنِ جَحْشٍ

وهُو المُجَدَّعُ في[1] اللهِ تعالى، وسَيأْتِي حَدِيثُهُ في غَزْوةِ أُحُدٍ[2]. وتَرْجَمَ البُخارِيُّ على هَذا الحَدِيثِ في كِتابِ العِلْمِ[3] احْتِجاجًا بِهِ على صِحّةِ الرِّوايةِ بِالمُناولةِ؛ لِأنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ناولَ عَبْدَ اللهِ بنَ جَحْشٍ كِتابَهُ، ففَتَحَهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ فعَمِلَ على ما فيهِ، وكَذَلِكَ العالِمُ إذا ناولَ التِّلْمِيذَ كِتابًا جازَ له أن يروي عَنْهُ ما فيهِ، وهُو فِقهٌ صَحِيحٌ، غَيْرَ أنّ النّاسَ جَعَلُوا المُناولةَ[4] اليَوْمَ على غَيْرِ[5] هذهِ الصّورةِ؛ يَأْتِي الطّالِبُ الشّيْخَ[6] فيَقُولُ: ناولْنِي كُتُبَك، فيُناوِلُهُ ثُمّ يُمْسِكُ مَتاعَهُ عِنْدَهُ، ثُمّ يَنْصَرِفُ الطّالِبُ، فيَقُولُ: حَدّثَنِي فُلانٌ مُناولةً، وهذهِ رِوايةٌ لا تَصِحُّ على هَذا الوجْهِ، حَتّى يَذْهَبَ بِالكِتابِ مَعَهُ، وقَدْ أذِنَ لَهُ أنْ يُحَدِّثَ عَنْهُ بما فيهِ، ومِمّنْ قالَ بِصِحّةِ المُناولةِ على الوجْهِ الّذِي ذَكَرْناهُ: مالِكُ بنُ أنس، روى إسماعيلُ بنُ صالِحٍ، عَنْهُ: أنّهُ أخرَجَ لَهُمْ كُتُبًا مَسدُودةً[7]، فقالَ: هذهِ كُتُبِي صَحّحْتُها ورَوِيْتُها، فارْوُوها عَنِّي، فقالَ لَهُ إسْماعِيلُ بنُ صالِحٍ: فنَقُولُ: حَدّثَنا مالِكٌ؟ قالَ: نَعَمْ، رَوى قِصّةَ إسْماعِيلَ هذهِ الدّارقطني في كِتاب «رُواةِ مالِكٍ» رَحِمَهُ اللهُ.

* * *

(١) بعده في (ف): «سبيل».

(٢) انظر: (٦: ٢٨).

(٣) «فتح الباري»، كتاب العلم: (١: ١٥٣-١٥٤). وانظر: ما قاله ابن حجر: (١: ١٥٥).

(٤) في (ف): «مناولة».

(٥) «غير» ليست في (ف).

(٦) في (ف): «للشيخ».

(٧) في (أ)، (ف): «مشدودة».

[اسْمُ الحَضْرَمِيِّ ونَسَبُهُ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْمُ الحَضْرَمِيِّ: عَبْدُ الله بنُ عَبّادٍ، وَيُقالُ: مالِكُ بن عَبّادٍ، أحَدُ الصَّدِفِ، واسْمُ الصَّدِفِ: عَمْرُو بنُ مالِكٍ، أحَدُ السَّكُونِ بنِ أشْرَسَ بنِ كِنْدةَ، ويُقالُ: كِنْدِيٌّ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعُثْمانُ بنُ عَبْدِ الله بنِ المُغِيرةِ، وأخُوهُ نَوْفَلُ بنُ عَبْدِ الله، المَخْزُومِيّانِ، والحَكَمُ بنُ كَيْسانَ، مَوْلى هِشامِ بنِ المُغِيرةِ.

وذَكَرَ عَمْرَو بنَ الحَضْرَمِيِّ، وكانُوا ثَلاثةً: عَمْرًا وعامِرًا والعَلاءَ، فأمّا العَلاءُ فمِنْ أفاضِلِ الصّحابةِ، وأُخْتُهُم الصّعْبةُ أُمّ طَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ الله، وكانَتْ قَبْلَ أبيهِ عِنْدَ أبِي سُفْيانَ بنِ حَرْبٍ، وفيها يَقُولُ حِينَ فارَقَها[1]: [من المتقارب]

وإنّـي وصَعْبَـةَ فيمـا نُـرى ... بَعِيـدانِ والـودُّ ودٌّ قَرِيـبْ
فَـإلّا يَكُـنْ نَسَـبٌ ثاقِـبٌ ... فعِنْـدَ الفَتاةِ جَمـالٌ وطِيبْ
فيـالَ قُصَـيٍّ ألا تَعْجَبُـونَ ... إلى الوبْرِ صارَ الغَزالَ الرّبِيبْ

وفي نَسَبِ بَنِي الحَضْرَمِيّ اضْطِرابٌ؛ فقَدْ قِيلَ ما ذكرهُ[2] ابنُ إسْحاقَ، وقِيلَ: هُو عَبْدُ اللهِ بنُ عِمادِ بنِ رَبِيعةَ، وقِيلَ: ابنُ عَيّادٍ، وابنُ عَبّادٍ بِالباءِ، والّذِي ذَكَرَهُ

(١) الأبيات في «المعارف» لابن قتيبة: (ص: ٣٣٩)، و«عيون الأخبار» (٤: ١٠١).
(٢) في (ص)، (ج): «قال».

ابنُ إسْحاقَ أصَحّ، وهُمْ مِن الصَّدَفِ[(١)]، ويُقالُ فيهِ: الصَّدِفُ بكَسْرِ[(٢)] الدّالِ، قالَهُ ابنُ دُرَيْدٍ، والصَّدَفُ[(٣)]: مالِكُ بنُ مُرَتِعِ بنِ ثَوْرٍ، وهُو كِنْدةُ، وقَدْ قَدّمْنا ما قِيلَ في اسْمِ كِنْدةَ وفي مَعْناهُ في المَبْعَثِ[(٤)]، وقَدْ قِيلَ في الصّدِفِ: هُو ابنُ سَمّال - أو شهال[(٥)] - بنِ دُعْمِيّ [بنِ زِيادٍ][(٦)] بنِ حضرموتَ، وقيل في حضرموتَ: إنّهُ مِنْ ولَدِ حِمْيَرَ بنِ سَبَأٍ، وقِيلَ: هُو ابنُ قَحطانَ بنِ عابِرٍ، واللهُ أعْلَمُ.

[ما جَرى بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ، وما خَلَصَ بِهِ ابنُ جَحْشٍ]

فَلَمّا رَآهُم القَوْمُ هابُوهُمْ وقَدْ نَزَلُوا قَرِيبًا مِنْهُمْ، فأشْرَفَ لَهُمْ عُكّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ، وكانَ قَدْ حَلَقَ رَأْسَهُ، فلَمّا رَأَوْهُ أمِنُوا، وقالُوا: عُمّارٌ، لا بَأْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ.

وَتَشاوَرَ القَوْمُ فيهِمْ، وذلك في آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ، فقالَ القَوْمُ: واللهِ لَئِنْ تَرَكْتُم القَوْمَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ لَيَدْخُلُنَّ الحَرَمَ، فلَيَمْتَنِعُنَّ مِنكُمْ بِهِ، ولَئِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ لَتَقْتُلُنَّهُمْ في الشَّهْرِ الحَرامِ، فتَرَدَّدَ القَوْمُ، وهابُوا الإقْدامَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ شَجَّعُوا أنْفُسَهُمْ عَلَيْهِمْ، وأجْمَعُوا على قَتْلِ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْهُمْ، وأخْذِ ما مَعَهُمْ. فرَمى واقِدُ بنُ عَبْدِ اللهِ التَّمِيمِيُّ عَمْرَو بنَ الحَضْرَمِيِّ بِسَهْمٍ فقَتَلَهُ، واسْتَأْسَرَ عُثْمانَ بنَ عَبْدِ اللهِ، والحَكَمَ بنَ كَيْسانَ، وأفْلَتَ القَوْمَ نَوْفَلُ بنُ

(١) في (ب): «وهم من بني الصدف».
(٢) انظر: «المؤتلف» للدارقطني: (٢: ٨٥٤)، و«تبصير المنتبه» (٣: ٨٣٤).
(٣) كذا ضُبط بفتح الدال في (أ).
(٤) انظر: (٤: ٤٩).
(٥) في (ب): «شمال». انظر: «المؤتلف» للدارقطني: (٢: ٨٥٤).
(٦) ليس في: (ب). وفي «المؤتلف» للدارقطني: (٢: ٨٥٤): «دعمي بن زيد بن حضرموت».

عَبْدِ الله فأعْجَزَهُمْ. وأقْبَلَ عَبْدُ الله بنُ جَحْشٍ وأصْحابُهُ بِالعِيرِ وبِالأسِيرَيْنِ حَتّى قَدِمُوا على رَسُولِ الله ﷺ المَدِينَةَ.

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ آلِ عَبْدِ الله بنِ جَحْشٍ: أنَّ عَبْدَ الله قالَ لِأصْحابِهِ: إنَّ لِرَسُولِ الله ﷺ مِمّا غَنِمْنا الخُمُسَ. وذلك قَبْلَ أنْ يَفْرِضَ الله تَعالى الخُمُسَ مِن المَغانِمِ، فعَزَلَ لِرَسُولِ الله ﷺ خُمُسَ العِيرِ، وقَسَّمَ سائِرَها بَيْنَ أصْحابِهِ.

[نُكْرانُ الرَّسُولِ ﷺ على ابنِ جَحْشٍ قِتالَهُ في الشَّهْرِ الحَرامِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا قَدِمُوا على رَسُولِ الله ﷺ المَدِينَةَ، قالَ: «ما أمَرْتُكُمْ بِقِتالٍ في الشَّهْرِ الحَرامِ». فوَقَّفَ العِيرَ والأسِيرَيْنِ، وأبى أنْ يَأْخُذَ مِنْ ذلك شَيْئًا، فلَمّا قالَ ذلك رَسُولُ الله ﷺ سُقِطَ في أيْدِي القَوْمِ، وَظَنُّوا أنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، وعَنَّفَهُمْ إخْوانُهُمْ مِن المُسْلِمِينَ فيما صَنَعُوا. وقالَتْ قُرَيْشٌ: قَد اسْتَحَلَّ مُحَمَّدٌ وأصْحابُهُ الشَّهْرَ الحَرامَ، وسَفَكُوا فيهِ الدَّمَ، وأخَذُوا فيهِ الأمْوالَ، وأسَرُوا فيهِ الرِّجالَ، فقالَ مَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِن المُسْلِمِينَ مِمَّنْ كانَ بِمَكَّةَ: إنَّما أصابُوا ما أصابُوا في شَعْبانَ.

[تَوَقُّعُ اليَهُودِ بِالمُسْلِمِينَ الشَّرَّ]

وَقالَتْ يَهُودُ ـ تَفاءَلُ بِذلك على رَسُولِ الله ﷺ ـ: عَمْرُو بنُ الحَضْرَمِيِّ قَتَلَهُ واقِدُ بنُ عَبْدِ الله، عَمْرٌو: عَمِرَت الحَرْبُ، والحَضْرَمِيُّ: حَضَرَت الحَرْبُ، وواقِدُ بنُ عَبْدِ الله: وقَدَت الحَرْبُ. فجَعَلَ الله ذلك عَلَيْهِمْ لا لَهُمْ.

[نُزُولُ القُرْآنِ في فِعْلِ ابنِ جَحْشٍ، وإقْرارُ الرَّسُولِ لَهُ ﷺ في فِعْلِهِ]

فَلَمّا أكْثَرَ النّاسُ في ذلك أنْزَلَ الله جل ثناؤه على رَسُوله ﷺ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ

عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ﴾، أيْ: إنْ كُنْتُمْ قَتَلْتُمْ في الشَّهْرِ الحَرامِ فقَدْ صَدُّوكُمْ عَنْ سَبِيلِ الله، مَعَ الكُفْرِ بِهِ، وعَنِ المَسْجِدِ الحَرامِ، وإخْراجُكُمْ مِنْهُ ـ وأنْتُمْ أهْلُهُ ـ أكْبَرُ عِنْدَ الله مِنْ قَتْلِ مَنْ قَتَلْتُمْ مِنْهُمْ، ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾، أيْ: قَدْ كانُوا يَفْتِنُونَ المُسْلِمَ في دِينِهِ حَتّى يَرُدُّوهُ إلى الكُفْرِ بَعْدَ إيمانِهِ، فذلك أكْبَرُ عِنْدَ الله مِن القَتْلِ، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة: ٢١٧]، أيْ: ثُمَّ هُمْ مُقِيمُونَ على أخْبَثِ ذلك وأعْظَمِهِ، غَيْرَ تائِبِينَ ولا نازِعِينَ. فلَمّا نَزَلَ القُرْآنُ بِهذا مِن الأمْرِ، وفَرَّجَ الله تَعالى عَن المُسْلِمِينَ ما كانُوا فيهِ مِن الشَّفَقِ، قَبَضَ رَسُولُ الله ﷺ العِيرَ والأسِيرَيْنِ، وبَعَثَتْ إلَيْهِ قُرَيْشٌ في فِداءِ عُثْمانَ بنِ عَبْدِ الله والحَكَمِ بنِ كَيْسانَ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا نُفْدِيكُمُوهما حَتّى يَقْدَمَ صاحِبانا». يَعْنِي: سَعْدَ بنَ أبي وقّاصٍ وعُتْبَةَ بنَ غَزْوانَ؛ «فإنّا نَخْشاكُمْ عَلَيْهِما، فإنْ تَقْتُلُوهُما نَقْتُلْ صاحِبَيْكُمْ». فقَدِمَ سَعْدٌ وعُتْبَةُ، فأفْداهُما رَسُولُ الله ﷺ مِنْهُمْ.

[إسْلامُ ابنِ كَيْسانَ، ومَوْتُ عُثْمانَ كافِرًا]

فَأمّا الحَكَمُ بنُ كَيْسانَ فأسْلَمَ فحَسُنَ إسْلامُهُ، وأقامَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ حَتّى قُتِلَ يَوْمَ بِئْرِ مَعُونةَ شَهِيدًا، وأمّا عُثْمانُ بنُ عَبْدِ الله فلَحِقَ بِمَكّةَ، فماتَ بِها كافِرًا.

[طَمَعُ ابنِ جَحْشٍ في الأجْرِ، وما نَزَلَ في ذلك]

فَلَمّا تَجَلّى عَنْ عَبْدِ الله بنِ جَحْشٍ وأصْحابِهِ ما كانُوا فيهِ حِينَ نَزَلَ

القُرْآنُ، طَمِعُوا في الأجْرِ، فقالُوا: يا رَسُولَ الله، أنَطْمَعُ أنْ تَكُونَ لَنا غَزْوةٌ نُعْطى فيها أجْرَ المُجاهِدِينَ؟ فأنْزَلَ الله عَزَّ وجَلَّ فيهِمْ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨]، فوَضَعَهُم الله عَزَّ وجَلَّ مِنْ ذلك على أعْظَمِ الرَّجاءِ.

والحَدِيثُ في هذا عَن الزُّهْرِيِّ ويَزِيدَ بنِ رُومانَ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ آلِ عَبْدِ الله بنِ جَحْشٍ: أنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قَسَمَ الفيءَ حِينَ أحَلَّهُ، فجَعَلَ أرْبعَةَ أخْماسٍ لِمَنْ أفاءَهُ الله، وخُمُسًا إلى الله ورَسُولِهِ، فوَقَعَ على ما كانَ عَبْدُ الله بنُ جَحْشٍ صَنَعَ في تِلْكَ العِيرِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهِيَ أوَّلُ غَنِيمةٍ غَنِمَها المُسْلِمُونَ. وعَمْرُو بنُ الحَضْرَمِيِّ أوَّلُ مَنْ قَتَلَهُ المُسْلِمُونَ، وعُثْمانُ بنُ عَبْدِ الله والحَكَمُ بنُ كَيْسانَ أوَّلُ مَنْ أسَرَ المُسْلِمُونَ.

[شِعْرٌ في هَذِهِ السَّرِيّةِ يُنْسَبُ إلى أبي بَكْرٍ وإلى ابنِ جَحْشٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ الله عَنْهُ في غَزْوةِ عَبْدِ الله بنِ جَحْشٍ ـ ويُقالُ: بَلْ عَبْدُ الله بنُ جَحْشٍ قالَها ـ حِينَ قالَتْ قُرَيْشٌ: قَدْ أحَلَّ مُحَمَّدٌ وأصْحابُهُ الشَّهْرَ الحَرامَ، وسَفَكُوا فيهِ الدَّمَ، وأخَذُوا فيهِ المالَ، وأسَرُوا فيهِ الرِّجالَ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: هِيَ لِعَبْدِ الله بنِ جَحْشٍ ـ:

تَعُدُّونَ قَتْلًا في الحَرامِ عَظِيمةً ... وأعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرى الرُّشْدَ راشِدُ
صُدُودُكُمُ عَمّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ ... وكُفْرٌ بِهِ واللهُ راءٍ وشاهِدُ
وَإخْراجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ الله أهْلَهُ ... لِئَلّا يُرى لله في البَيْتِ ساجِدُ
فَإنّا وإنْ عَيَّرْتُمُونا بِقَتْلِهِ ... وأرْجَفَ بِالإسْلامِ باغٍ وحاسِدُ

سَقَيْنا مِن ابنِ الحَضْرَمِيِّ رِماحَنا ... بِنَخْلةَ لَمّا أَوْقَدَ الحَرْبَ واقِدُ
دَمًا وابنُ عَبْدِ الله عُثْمانُ بَيْنَنا ... يُنازِعُهُ غُلٌّ مِن القِدِّ عانِدُ

صَرْفُ القِبْلَةِ إلى الكَعْبَةِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ويُقالُ: صُرِفَت القِبْلَةُ في شَعْبانَ على رَأْسِ ثَمانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مَقْدَمِ رَسُولِ الله ﷺ المَدِينَةَ.

وذَكَرَ الشَّهْرَ الحَرامَ، وما كانَ مِنْ أَهْلِ السَّرِيَّةِ فيهِ، وأَنَّهُ سُقِطَ في أَيْدِيهِمْ لِما أَصابُوا فيهِ مِن الدَّمِ؛ وذَلِكَ أَنَّ تَحْرِيمَ القِتالِ في الأَشْهُرِ الحُرُمِ كانَ حُكْمًا مَعْمُولًا بِهِ مِنْ عَهْدِ إبْراهِيمَ وإسْماعِيلَ عليهما السلام، وكانَ مِنْ حُرُماتِ اللهِ، ومِمّا جَعَلَهُ مَصْلَحةً لِأَهْلِ مَكَّةَ، قالَ اللهُ سبحانه: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ ﴾ [المائدة: ٩٧]، وذَلِكَ لَمّا دَعا إبْراهِيمُ لِذُرِّيَّتِهِ بِمَكَّةَ - إذْ كانُوا بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ - أَنْ يَجْعَلَ أَفْئِدَةً مِن النّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، فكانَ فيما فُرِضَ على النّاسِ مِنْ حَجِّ البَيْتِ قِوامًا لِمَصالِحِهِمْ(١) ومَعايِشِهِمْ، ثُمّ جَعَلَ الأَشْهُرَ الحُرُمَ أَرْبَعةً: ثَلاثةً سَرْدًا(٢)، وواحدًا فردًا، وهو رجب، وأما(٣) الثلاثة فلِيَأْمَنَ الحُجّاجُ وارِدِينَ إلى مَكَّةَ، وصادِرِينَ عَنْها شَهْرًا قَبْلَ شَهْرِ الحَجِّ، وشَهْرًا آخرَ بَعْدَهُ قَدْرَ(٤) ما يَصِلُ الرّاكِبُ مِنْ أَقْصى بِلادِ العَرَبِ، ثُمّ يَرْجِعُ، حِكْمةً مِن اللهِ، وأَمّا رَجَبٌ فلِلْعُمّارِ يَأْمَنُونَ فيهِ مُقْبِلِينَ وراجِعِينَ نِصْفُ شَهْرٍ(٥)

(١) في (أ): «لمصالحتهم». وفي سائر النسخ: «لمصلحتهم».
(٢) في (ف): «سردٌ».
(٣) في (أ)، (ف): «أما».
(٤) في (أ): «وقدر».
(٥) في (ف): «الشهر».

لِلْإِقْبالِ، ونِصْفُهُ لِلْإِيابِ؛ إِذْ لا تكُونُ العُمْرةُ مِنْ أقاصِي بِلادِ العَرَبِ كَما يَكُونُ الحَجّ؛ ألا تَرى أنّنا(١) لا نَعْتَمِرُ مِنْ بِلادِ المَغْرِبِ، فإذا أرَدْنا عُمْرةً فإنّما تكُونُ مَعَ الحَجّ، وأقْصى مَنازِلِ المُعْتَمِرِينَ خَمْسةَ عَشَرَ يَوْمًا، فكانَت الأقْواتُ تَأْتِيهِمْ في المَواسِمِ، وفي سائِرِ العامِ تَنْقَطِعُ عَنْهُمْ، يقطعها ذُؤْبانُ العَرَبِ وقُطّاعُ السُّبُلِ، فكانَ في رَجَبٍ أمانٌ لِلسّالِكِينَ إلَيْها مَصْلَحةً لِأهْلِها، ونَظَرًا مِن اللهِ لَهُمْ دبّرَهُ وأبْقاهُ مِنْ مِلّةِ إبْراهِيمَ لَمْ يُغَيّرْ حَتّى جاءَ الإسْلامُ، فكانَ القِتالُ فيهِ مُحَرَّمًا كَذَلِكَ صَدْرًا مِن الإسْلامِ، ثُمّ أباحَتْهُ آيةُ السّيْفِ، وبَقِيَتْ حُرْمةُ الأشْهُرِ الحُرُمِ لَمْ تُنْسَخْ، قالَ اللهُ سُبْحانَهُ: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦]، فتَعْظِيمُ حُرْمَتِها باقٍ، وإنْ أُبيحَ القِتالُ، وقَدْ رُوِيَ عَنْ عَطاءٍ: أنّ تَحْرِيمَ القِتالِ فيها حُكْمٌ ثابتٌ لَمْ يُنْسَخْ، وقَدْ تَقَدّمَ في بابِ نَسَبِ النّبِيّ ﷺ ذكرُ سعدِ رجب(٢)، وهُو أوّلُ مَنْ سَنّهُ لِلْعَرَبِ فيما زَعَمُوا. والله أعلم.

* * *

---

(١) في (ف): «أنا».

(٢) انظر: (١: ١٢٠).

غَزْوةُ بَدْرٍ الكُبْرى

[عِيرُ أبي سُفيانَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ رَسُولَ الله ﷺ سَمِعَ بِأبي سُفيانَ بنِ حَرْبٍ مُقْبِلًا مِن الشَّأْمِ في عِيرٍ لِقُرَيْشٍ عَظِيمةٍ، فيها أمْوالٌ لِقُرَيْشٍ وتِجارةٌ مِنْ تِجاراتِهِمْ، وفيها ثَلاثُونَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ أوْ أرْبَعُونَ، مِنْهُمْ مَخْرَمةُ بنُ نَوْفَلِ بنِ أُهَيْبِ ابنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ زُهْرةَ، وعَمْرُو بنُ العاصِ بنِ وائِلِ بنِ هِشامٍ. قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: عَمْرُو بنُ العاصِ بنِ وائِلِ بنِ هاشِمٍ.

[نَدْبُ المُسْلِمِينَ لِلْعِيرِ وحَذَرُ أبي سُفيانَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ، وعاصِمُ بنُ عُمَرَ ابنِ قَتادةَ، وعَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ، ويَزِيدُ بنُ رُومانَ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ وغَيْرُهُمْ مِنْ عُلَمائِنا، عَن ابنِ عَبّاسٍ، كُلٌّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضَ هذا الحَدِيثِ، فاجْتَمَعَ حَدِيثُهُمْ فيما سُقْتُ مِنْ حَدِيثِ بَدْرٍ، قالُوا: لَمّا سَمِعَ رَسُولُ الله ﷺ بِأبي سُفيانَ مُقْبِلًا مِن الشّامِ، نَدَبَ المُسْلِمِينَ إلَيْهِمْ، وقالَ: «هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ، فيها أمْوالُهُمْ، فاخْرُجُوا إلَيْها؛ لَعَلَّ الله يُنَفِّلُكُمُوها». فانْتَدَبَ النّاسُ، فخَفَّ بَعْضُهُمْ وثَقُلَ بَعْضُهُمْ، وذلك أنَّهُمْ لَمْ يَظُنُّوا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَلْقى حَرْبًا، وكانَ أبو سُفيانَ حِينَ دَنا مِن الحِجازِ يَتَحَسَّسُ الأخْبارَ ويَسْألُ مَنْ لَقِيَ مِن الرُّكْبانِ تَخَوُّفًا على أمْرِ النّاسِ، حَتّى أصابَ خَبَرًا مِنْ بَعْضِ الرُّكْبانِ: أنَّ

مُحَمَّدًا قَد اسْتَنْفَرَ أَصْحابَهُ لَكَ ولِعِيرِكَ، فحَذِرَ عِنْدَ ذلك، فاسْتَأْجَرَ ضَمْضَمَ ابنَ عَمْرٍو الغِفارِيَّ، فبَعَثَهُ إلى مَكّةَ، وأمَرَهُ أنْ يَأْتِيَ قُرَيْشًا فيسْتَنْفِرَهُمْ إلى أمْوالِهِمْ، ويُخْبِرَهُمْ أنَّ مُحَمَّدًا قَدْ عَرَضَ لَهَا في أصْحابِهِ. فخَرَجَ ضَمْضَمُ بنُ عَمْرٍو سَرِيعًا إلى مَكّةَ.

غَزْوةُ بَدْرٍ

وبَدْرٌ: اسْمُ بِئْرٍ احْتفَرَها[١] رَجُلٌ مِنْ غِفارٍ، ثُمّ مِنْ بَنِي النّارِ مِنْهُمْ، اسْمُهُ: بَدْرٌ، وقَدْ ذَكَرْنا في هَذا الكِتابِ قَوْلَ مَنْ قالَ: هُو بَدْرُ بنُ قُرَيْشِ بنِ يَخْلُدَ ابنِ النَّضْرِ[٢] الّذِي سُمّيَتْ قُرَيْشٌ بِهِ[٣]. ورَوى يُونُسُ، عَن ابنِ أَبِي زَكَرِيّا، عَن الشّعْبِيّ قالَ: بَدْرٌ: اسْمُ رَجُلٍ كانَتْ لَهُ بَدْرٌ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ أَبا سُفْيانَ، وأنّهُ حِينَ دَنا مِن الحِجازِ كانَ يَتَحَسّسُ الأخْبارَ. التَّحَسُّسُ بِالحاءِ: هو أنْ تَسَمَّعَ الأخْبارَ بنَفْسِك، والتّجَسّسُ بِالجِيمِ: أنْ[٤] تَفْحَصَ عَنْها بِغَيْرِك[٥]. وفي الحَدِيثِ: «لا تَحَسّسُوا ولا تجَسّسُوا»[٦][٧].

(١) في (ج)، (ص): «حفرها».
(٢) في (ف) زيادة «الغفاري».
(٣) انظر: (١: ٤٢٧).
(٤) في (ف): «هو أن».
(٥) في (ج)، (ص): «لغيرك».
(٦) في (ف): «لا تجسسوا ولا تحسسوا».
(٧) «فتح الباري»، كتاب الأدب: (١٠: ٤٨٤)، ومسلم، كتاب البر (٤: ١٩٨٥).

ذِكْرُ رُؤْيا عاتِكةَ بِنْتِ عَبْدِ المُطَّلِبِ

[عاتِكةُ تَقُصُّ رُؤْياها على أخِيها العَبّاسِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأخْبَرَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ، عَنْ عِكْرِمةَ، عَن ابنِ عَبّاسٍ. ويَزِيدُ بنُ رُومانَ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، قالا: وقَدْ رَأتْ عاتِكةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ قَبْلَ قُدُومِ ضَمْضَمٍ مَكّةَ بِثَلاثِ لَيالٍ رُؤْيا أفْزَعَتْها، فبَعَثَتْ إلى أخِيها العَبّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فقالَتْ لَهُ: يا أخِي، واللهِ لَقَدْ رَأيْتُ اللَّيْلةَ رُؤْيا أفْظَعَتْنِي، وتَخَوَّفْتُ أنْ يَدْخُلَ على قَوْمِكَ مِنْها شَرٌّ ومُصِيبةٌ، فاكْتُمْ عَنِّي ما أُحَدِّثُكَ بِهِ. فقالَ لَها: وما رَأيْتِ؟ قالَتْ: رَأيْتُ راكِبًا أقْبَلَ على بَعِيرٍ لَهُ حَتّى وقَفَ بِالأبْطَحِ، ثُمَّ صَرَخَ بِأعلى صَوْتِهِ: ألا انْفِرُوا يا لَغُدُرٍ لِمَصارِعِكُمْ في ثَلاثٍ، فأرى النّاسَ اجْتَمَعُوا إلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِدَ والنّاسُ يَتْبَعُونَهُ، فبَيْنَما هُمْ حَوْلَهُ مَثَلَ بِهِ بَعِيرُهُ على ظَهْرِ الكَعْبةِ، ثُمَّ صَرَخَ بِمِثْلِها: ألا انْفِرُوا يا لَغُدُرٍ لِمَصارِعِكُمْ في ثَلاثٍ، ثُمَّ مَثَلَ بِهِ بَعِيرُهُ على رَأْسِ أبي قُبَيْسٍ، فصَرَخَ بِمِثْلِها، ثُمَّ أخَذَ صَخْرةً فأرْسَلَها، فأقْبَلَتْ تَهْوِي، حَتّى إذا كانَتْ بِأسْفَلِ الجَبَلِ ارْفَضَّتْ، فما بَقِيَ بَيْتٌ مِنْ بُيُوتِ مَكّةَ ولا دارٌ إلّا دَخَلَتْها مِنْها فِلْقةٌ، قالَ العَبّاسُ: واللهِ إنَّ هَذِهِ لَرُؤْيا، وأنْتِ فاكْتُمِيها ولا تَذْكُرِيها لِأحَدٍ.

[الرُّؤْيا تَذِيعُ في قُرَيْشٍ]

ثُمَّ خَرَجَ العَبّاسُ، فلَقِيَ الوَلِيدَ بنَ عُتْبةَ بنِ رَبِيعةَ، وكانَ لَهُ صَدِيقًا، فذَكَرَها لَهُ، واسْتَكْتَمَهُ إيّاها، فذَكَرَها الوَلِيدُ لِأبِيهِ عُتْبةَ، ففَشا الحَدِيثُ بِمَكّةَ، حَتّى تَحَدَّثَتْ بِهِ قُرَيْشٌ في أنْدِيَتِها.

[ما جَرى بَيْنَ أبي جَهْلٍ والعبّاس بِسَبَبِ الرُّؤْيا]

قالَ العَبّاسُ: فغَدَوْتُ لِأَطُوفَ بِالبَيْتِ وأبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ في رَهْطٍ مِنْ قُرَيْشٍ قُعُودٌ يَتحَدَّثُونَ بِرُؤْيا عاتِكَةَ، فلَمّا رَآنِي أبو جَهْلٍ قالَ: يا أبا الفَضْلِ، إذا فرَغْتَ مِنْ طَوافِكَ فأقْبِلْ إلَيْنا، فلَمّا فرَغْتُ أقْبَلْتُ حَتّى جَلَسْتُ مَعَهُمْ، فقالَ لِي أبو جَهْلٍ: يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، مَتى حَدَثَتْ فيكُمْ هَذِهِ النَّبِيَّةُ؟ قالَ: قُلْتُ: وما ذاكَ؟ قالَ: تِلْكَ الرُّؤْيا الَّتِي رَأَتْ عاتِكَةُ، قالَ: فقُلْتُ: وما رَأَتْ؟ قالَ: يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ، أما رَضِيتُمْ أنْ يَتَنَبَّأَ رِجالُكُمْ حَتّى تَتَنَبَّأَ نِساؤُكُمْ؟! قَدْ زَعَمَتْ عاتِكَةُ في رُؤْياها أنَّهُ قالَ: انْفِرُوا في ثَلاثٍ، فسَنَتَرَبَّصُ بِكُمْ هَذِهِ الثَّلاثَ، فإنْ يَكُ حَقًّا ما تَقُولُ فسَيَكُونُ، وإنْ تَمْضِ الثَّلاثُ ولَمْ يَكُنْ مِنْ ذلك شَيْءٌ، نَكْتُبْ عَلَيْكُمْ كِتابًا أنَّكُمْ أكْذَبُ أهْلِ بَيْتٍ في العَرَبِ. قالَ العبّاس: فوَاللهِ ما كانَ مِنِّي إلَيْهِ كَبِيرٌ إلّا أنِّي جَحَدْتُ ذلك، وأنْكَرْتُ أنْ تَكُونَ رَأَتْ شَيْئًا. قالَ: ثُمَّ تَفَرَّقْنا.

[نِساءُ عَبْدِ المُطَّلِبِ يَلُمْنَ العَبّاسَ لِلِينِهِ مَعَ أبي جَهْلٍ]

فَلَمّا أمْسَيْتُ لَمْ تَبْقَ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ إلّا أتَتْنِي، فقالَتْ: أقْرَرْتُمْ لِهذا الفاسِقِ الخَبِيثِ أنْ يَقَعَ في رِجالِكُمْ، ثُمَّ قَدْ تناوَلَ النِّساءَ وأنْتَ تَسْمَعُ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ غِيَرٌ لِشَيْءٍ مِمّا سَمِعْتَ! قالَ: قُلْتُ: قَدْ واللهِ فعَلْتُ، ما كانَ مِنِّي إلَيْهِ مِنْ كَبِيرٍ، وايْمُ اللهِ لَأَتَعَرَّضَنَّ لَهُ، فإنْ عادَ لَأَكْفِيَنَّكَهُ.

[العَبّاسُ يَقْصِدُ أبا جَهْلٍ لِيَنالَ مِنْهُ، فيصْرِفُهُ عَنْهُ تَحَقُّقُ الرُّؤْيا]

قالَ: فغَدَوْتُ في اليَوْمِ الثّالِثِ مِنْ رُؤْيا عاتِكَةَ وأنا حَدِيدٌ مُغْضَبٌ، أُرى أنِّي قَدْ فاتَنِي مِنْهُ أمْرٌ أُحِبُّ أنْ أُدْرِكَهُ مِنْهُ. قالَ: فدَخَلْتُ المَسْجِد

فرأيْتُه، فوَاللهِ إنِّي لَأَمْشِي نَحْوَهُ أتَعَرَّضُهُ، لِيَعُودَ لِبَعْضِ ما قالَ فأقَعَ بِهِ، وكانَ رَجُلًا خَفيفًا، حَدِيدَ الوَجْهِ، حَدِيدَ اللِّسانِ، حَدِيدَ النَّظَرِ. قالَ: إذْ خَرَجَ نَحْوَ بابِ المَسْجِدِ يَشْتَدُّ. قالَ: فقُلْتُ في نَفْسِي: ما لَهُ لَعَنَهُ اللهُ، أكُلُّ هذا فَرَقٌ مِنِّي أنْ أُشاتِمَهُ؟! قالَ: وإذا هُوَ قَدْ سَمِعَ ما لَمْ أسْمَعْ: صَوْتَ ضَمْضَمِ ابنِ عَمْرٍو الغِفارِيِّ وهُوَ يَصْرُخُ بِبَطْنِ الوادِي واقِفًا على بَعِيرِهِ، قَدْ جَدَعَ بَعِيرَهُ، وحَوَّلَ رَحْلَهُ، وشَقَّ قَمِيصَهُ، وهُوَ يَقُولُ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اللَّطِيمَةَ اللَّطِيمَةَ! أمْوالُكُمْ مَعَ أبِي سُفيانَ قَدْ عَرَضَ لَها مُحَمَّدٌ في أصْحابِهِ، لا أُرى أنْ تُدْرِكُوها، الغَوْثَ الغَوْثَ. قالَ: فشَغَلَنِي عَنْهُ وشَغَلَهُ عَنِّي ما جاءَ مِن الأمْرِ.

وذَكَرَ رُؤْيا عاتِكَةَ، والصّارِخَ الّذِي رَأتْهُ يَصْرُخُ بِأعْلى صَوْتِهِ: «يا لَغُدُرِ!» هَكَذا هُو بِضَمِّ الغَيْنِ والدّالِ جَمْعُ غَدُورٍ، ولا تَصِحُّ رِوايَةُ مَنْ رواه: «يا لَغُدَرِ» بفتح الدال مع كسر الرّاءِ، ولا فتْحِها؛ لِأنّهُ لا يُنادِي واحِدًا، ولِأنّ لامَ الِاسْتِغاثَةِ لا تَدْخُلُ على مِثْلِ هَذا البِناءِ في النّداءِ[1]، وإنّما يَقُولُ: «يا لَغُدُرِ انْفِرُوا» تَحْرِيضًا لَهُمْ، أيْ: إنْ تَخَلّفْتُمْ، فأنْتُمْ غُدُرٌ لِقَوْمِكُمْ، وفُتِحَتْ لامُ الِاسْتِغاثَةِ؛ لِأنّ المُنادى قَدْ وقَعَ مَوْقِعَ الِاسْمِ المُضْمَرِ؛ ولِذَلِكَ بُنِي، فلَمّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لامُ الِاسْتِغاثَةِ - وهِيَ لامُ جَرٍّ - فُتِحَتْ كَما تُفْتَحُ لامُ الجَرّ إذا دَخَلتْ على المُضمَرات، هَذا قَوْلُ ابنِ السَّراجِ[2]، ولِأبِي سَعِيدٍ السِّيرافيّ فيها تَعْلِيلٌ غَيْرُ هَذا كَرِهْنا الإطالَةَ

(١) أي: بناء فُعَل، بضم ففتح؛ لأنَّ غُدَر أكثر ما يُستعمل في النداء في الشتم، وما كان كذلك لا يُستغاث به.
(٢) «الأصول» (١: ٣٥١).

بِذِكْرِهِ، وهَذا القَوْلُ مِنِّي في شَرْحِ[١] «يا لَغُدُرِ»[٢]، إنّما هُو على رِوايةِ الشّيْخِ[٣] وما وقَعَ في أصْلِهِ، وأمّا أبُو عُبَيْدٍ، فقالَ في «المُصَنّفِ»: تَقُولُ يا غُدَرُ؛ أيْ: يا[٤] غادِرُ، فلو[٥] جَمَعْتَ قُلْتَ: يا آلَ غُدَرِ، وهَكَذا... واللهُ أعْلَمُ. كانَ الأصْلُ في هَذا الخَبَرِ، والّذِي تَقَدَّمَ تَغْيِيرٌ.

وقَوْلُهُ: «ثُمّ مَثَلَ بِهِ بَعِيرُهُ على أبِي قُبَيْسٍ»، سُمِّيَ هَذا الجَبَلُ أبا قُبَيْسٍ بِرَجُلٍ هَلَكَ فيهِ مِنْ جُرْهُمَ، اسْمُهُ قُبَيْسُ بنُ شالِخَ، وقَعَ ذِكْرُهُ في حَدِيثِ عَمْرِو بنِ مُضاضٍ، كَما سُمِّيَ حُنَيْنٌ الّذِي كانَتْ فيهِ غزوة حُنَيْنٍ، بِحُنَيْنِ بنِ قانيةَ بنِ مِهْلاييلَ[٦]، أظُنّهُ كانَ مِن العَمالِيقِ، وقَدْ ذَكَرَهُ البَكْرِيُّ في كِتابِ «مُعْجَمِ ما اسْتَعْجَمَ»[٧].

* * *

(١) في (ف): «وهذا القول على».
(٢) في (أ)، (ب): «وهذا القول مني على: (يا لغدر)».
(٣) في (ف): «للشيخ».
(٤) «يا» ليست في (ف).
(٥) في (ف): «فإذا».
(٦) في (ف): «مهلايل».
(٧) (١: ٤٧٢).

[تَجَهُّزُ قُرَيْشٍ لِلْخُرُوجِ]

فَتَجَهَّزَ النّاسُ سِراعًا، وقالُوا: أَيَظُنُّ مُحَمَّدٌ وأَصْحابُهُ أَنْ تَكُونَ كَعِيرِ ابنِ الحَضْرَمِيِّ؟! كَلّا واللهِ لِيَعْلَمَنَّ غَيْرَ ذلك. فكانُوا بَيْنَ رَجُلَيْنِ؛ إمّا خارِجٍ، وإمّا باعِثٍ مَكانَهُ رَجُلًا. وأَوْعَبَتْ قُرَيْشٌ، فلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ أَشْرافِها أَحَدٌ، إلّا أَنَّ أبا لَهَبِ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ قد تَخَلَّفَ، وبَعَثَ مَكانَهُ العاصِيَ بنَ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ، وكانَ قَدْ لاطَ لَهُ بِأَرْبَعةِ آلافِ دِرْهَمٍ كانَتْ لَهُ عَلَيْهِ، أَفْلَسَ بِها، فاسْتَأْجَرَهُ بِها على أَنْ يُجْزِئَ عَنْهُ، بَعَثَهُ فخَرَجَ عَنْهُ، وتَخَلَّفَ أبو لَهَبٍ.

وذَكَرَ حَدِيثَ أَبِي لَهَبٍ، وبَعْثَهُ العاصِيَ بنَ هِشامٍ، وكانَ «لاطَ لَهُ بأَرْبَعةِ[1] آلاف» «لاطَ لَهُ» أَيْ: أَرْبى لَهُ، وكَذَلِكَ جاءَ اللِّياطُ مُفَسَّرًا في «غَرِيبِ الحَدِيثِ» لِلْخَطّابِيّ، وهُو قَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ في الكِتابِ الّذِي كَتَبَهُ لِثَقِيفَ: «وما كانَ لَهُمْ مِنْ دَينٍ لا رَهْنَ فيهِ فهُو لِياطٌ مُبَرّأٌ مِن الله»[2]. وقال أبو عبيد: سُمِّيَ الرّبا لِياطًا؛ لِأَنّهُ مُلْصَقٌ بِالبَيْعِ، ولَيْسَ بِبَيْعٍ[3]، وقِيلَ: سُمِّيَ الرِّبا لياطًا؛ لِأَنّهُ لاصِقٌ بِصاحِبِهِ لا يَقْضِيهِ، ولا يُوضَعُ عَنْهُ، وأَصْلُ هَذا اللفظ من اللُّصوق.

---

(١) في (ص): «بعشرة».

(٢) لم أجده في «غريب الخطابي»، والحديث في «غريب أبي عبيد» (١: ١٩٧-١٩٨).

(٣) «غريب أبي عبيد» (٣: ١٩٨).

[عُقْبةُ يَتَهَكَّمُ بِأُمَيّةَ لِقُعُودِهِ فيخْرُجُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني عَبْدُ اللهِ بنُ أبي نَجِيحٍ: أنَّ أُمَيّةَ بنَ خَلَفٍ كانَ أجْمَعَ القُعُودَ ـ وكانَ شَيْخًا جَلِيلًا جَسِيمًا ثَقِيلًا ـ فأتاهُ عُقْبةُ بنُ أبي مُعَيْطٍ وهُوَ جالِسٌ في المَسْجِدِ بَيْنَ ظَهرانَيْ قَوْمِهِ بِمِجْمَرةٍ يَحْمِلُها، فيها نارٌ ومِجْمَرٌ، حَتّى وضَعَها بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قالَ: يا أبا عَلِيٍّ، اسْتَجْمِرْ، فإنَّما أنْتَ مِن النِّساءِ! قالَ: قَبَّحَكَ اللهُ وقَبَّحَ ما جِئْتَ بِهِ، قالَ: ثُمَّ تَجَهَّزَ فخَرَجَ مَعَ النّاسِ.

[الحَرْبُ بَيْنَ كِنانةَ وقُرَيْشٍ، وتَحاجُزُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا فرَغُوا مِنْ جَهازِهِمْ، وأجْمَعُوا المَسِيرَ، ذَكَرُوا ما كانَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ بَنِي بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ مِن الحَرْبِ، فقالُوا: إنّا نَخْشى أنْ يَأْتُونا مِنْ خَلْفِنا.

وكانَت الحَرْبُ الَّتِي كانَتْ بَيْنَ قُرَيْشٍ وبَيْنَ بَنِي بَكْرٍ ـ كَما حَدَّثَني بَعْضُ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ سَعِيدِ بنِ المُسَيِّبِ ـ في ابنٍ لِحَفْصِ ابنِ الأخْيَفِ؛ أحَدِ بَنِي مَعِيصِ بنِ عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ، خَرَجَ يَبْتَغِي ضالّةً لَهُ بِضَجْنانَ وهُوَ غُلامٌ حَدَثٌ، في رَأْسِهِ ذُؤابةٌ، وعَلَيْهِ حُلّةٌ لَهُ، وكانَ غُلامًا وضِيئًا نَظِيفًا، فمَرَّ بِعامِرِ بنِ يَزِيدَ بنِ عامِرِ بنِ المُلَوَّحِ ـ أحَدِ بَنِي يَعْمَرَ بنِ عَوْفِ بنِ كَعْبِ بنِ عامِرِ بنِ لَيْثِ بنِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ ـ وهُوَ بِضَجْنانَ ـ وهُوَ سَيِّدُ بَنِي بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ ـ فرَآهُ فأعْجَبَهُ، فقالَ: مَنْ أنْتَ يا غُلامُ؟ قالَ: أنا ابنٌ لِحَفْصِ بنِ الأخْيَفِ القُرَشِيِّ. فلَمّا ولّى الغُلامُ، قالَ عامِرُ ابنُ زَيْدٍ: يا بَنِي بَكْرٍ، ما لَكُمْ في قُرَيْشٍ مِنْ دَمٍ؟ قالُوا: بَلى واللهِ، إنَّ لَنا فيهِمْ لَدِماءً، قالَ: ما كانَ رَجُلٌ لِيَقْتُلَ هذا الغُلامَ بِرَجُلِهِ إلّا كانَ قَد اسْتَوْفى دَمَهُ. قالَ: فتَبِعَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي بَكْرٍ، فقَتَلَهُ بِدَمٍ كانَ لَهُ في قُرَيْشٍ، فتَكَلَّمَتْ

فيهِ قُرَيْشٌ، فقالَ عامِرُ بنُ يَزِيدَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، قَدْ كانَتْ لَنا فيكُمْ دِماءٌ، فما شِئْتُمْ؟ إنْ شِئْتُمْ فأدُّوا عَلَيْنا ما لَنا قِبَلَكُمْ، ونُؤَدِّي ما لَكُمْ قِبَلَنا، وإنْ شِئْتُمْ فإنَّما هِيَ الدِّماءُ: رَجُلٌ بِرَجُلٍ، فتَجافَوْا عَمّا لَكُمْ قِبَلَنا، ونَتَجافى عَمّا لَنا قِبَلَكُمْ، فهانَ ذلك الغُلامُ على هذا الحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، وقالُوا: صَدَقَ، رَجُلٌ بِرَجُلٍ. فلَهَوْا عَنْهُ، فلَمْ يطْلبُوا بِهِ.

قالَ: فبَيْنَما أخُوهُ مِكْرَزُ بنُ حَفْصِ بنِ الأخْيَفِ يَسِيرُ بِمَرِّ الظَّهْرانِ، إذْ نَظَرَ إلى عامِرِ بنِ يَزِيدَ بنِ عامِرِ بنِ المُلَوَّحِ على جَمَلٍ لَهُ، فلَمّا رَآهُ أقْبَلَ إلَيْهِ حَتّى أناخَ بِهِ، وعامِرٌ مُتَوَشِّحٌ سَيْفَهُ، فعَلاهُ مِكْرَزٌ بِسَيْفِهِ حَتّى قَتَلَهُ، ثُمَّ خاضَ بَطْنَهُ بِسَيْفِهِ، ثُمَّ أتى بِهِ مَكَّةَ، فعَلَّقَهُ مِن اللَّيْلِ بِأسْتارِ الكَعْبَةِ، فلَمّا أصْبَحَتْ قُرَيْشٌ رَأوْا سَيْفَ عامِرِ بنِ يَزِيدَ بنِ عامِرٍ مُعَلَّقًا بِأسْتارِ الكَعْبَةِ، فعَرَفُوهُ، فقالُوا: إنَّ هذا لَسَيْفُ عامِرِ بنِ يَزِيدَ، عَدا عَلَيْهِ مِكْرَزُ بنُ حَفْصٍ فقَتَلَهُ، فكانَ ذلك مِنْ أمْرِهِمْ.

فبَيْنَما هُمْ في ذلك مِنْ حَرْبِهِمْ، حَجَزَ الإسْلامُ بَيْنَ النّاسِ، فتَشاغَلُوا بِهِ، حَتّى أجْمَعَتْ قُرَيْشٌ المَسِيرَ إلى بَدْرٍ، فذَكَرُوا الّذي بَيْنَهُمْ وبَيْنَ بَنِي بَكْرٍ فخافُوهُمْ.

وذكر عَزْمَ أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ على القُعُودِ، وأنَّ عُقبَةَ بنَ أبي مُعَيطٍ جاءَهُ[1] بِمِجْمَرةٍ فيها نارٌ ومِجْمَرٌ، فقالَ: «تبخَّر؛ فإنّما[2] أنْتَ مِن النّساءِ».

المِجْمَرةُ: هِيَ الأداةُ الّتِي يُجْعَلُ فيها البَخُورُ، والمِجْمَرُ: هُو البَخُورُ نَفْسُهُ،

---

(١) في (ج)، (ص): «جاء».

(٢) في (ج)، (ص): «إنما».

وفي الحَدِيثِ فـي صِفةِ أهْلِ الجنّةِ: «مَجامِرُهُم الأُلُوّةُ»(١)، فهَذا جَمْعُ مِجْمَرٍ لا مِجْمَرةٍ، والأُلُوّةُ: هِيَ العُودُ الرّطْبُ، وفيها أرْبَعُ لُغاتٍ: أَلُوّةٌ(٢)، وأُلُوّةٌ، ولُوّةٌ [بِغَيْرِ ألِفٍ](٣)، ولِيّةٌ، قالَهُ أبُو حَنِيفةَ(٤).

[شِعْرُ مِكْرَزٍ في قَتْلِهِ عامِرًا]

وَقالَ مِكْرَزُ بنُ حَفْصٍ في قَتْلِهِ عامِرًا:

لَمّـا رَأيْـتُ أنّـهُ هُـوَ عامِـرٌ ... تَذَكَّرْتُ أشْلاءَ الحَبِيبِ المُلَحَّبِ
وَقُلْتُ لِنَفْـسِي: إنّهُ هُـوَ عامِرٌ ... فلا تَرْهَبِيـهِ وانْظُرِي أيَّ مَرْكَبِ
وَأيْقَنْـتُ أنّي إنْ أُجَلِّلْـهُ ضَرْبةً ... مَتى مـا أُصِبْهُ بِالفُرافِـرِ يَعْطَبِ
خَفَضْتُ لَهُ جَأْشِي وألْقَيْتُ كَلْكَلِي ... على بَطَلٍ شاكِي السِّـلاحِ مُجَرَّبِ
وَلَمْ أكُ لَمّا التَـفَّ رُوعِي ورُوعُهُ ... عُصارةَ هُجْنٍ مِنْ نِسـاءٍ ولا أبِ
حَلَلْتُ بِهِ وِتْرِي ولَمْ أنْسَ ذَحْلَهُ ... إذا ما تَناسى ذَحْلَـهُ كُلُّ عَيْهَبِ

قالَ ابنُ هِشـامٍ: الفُرافِـرُ في غَيْرِ هذا المَوْضِعِ: الرَّجُـلُ الأضْبَطُ، وَفي هذا المَوْضِعِ: السَّيْـفُ، والعَيْهَبُ: الّذي لا عَقْـلَ لَهُ، ويُقالُ لِتَيْسِ الظِّباءِ وفَحْلِ النَّعامِ: العَيْهَبُ. قالَ الخَلِيلُ: العَيْهَبُ: الرَّجُلُ الضَّعِيفُ عَنْ إدْراكِ وِتْرِهِ.

---

(١) «فتح الباري»، كتاب بدء الخلق: (٦: ٣١٨-٣١٩)، ومسلم، كتاب الجمعة (٤: ٢١٨٠).
(٢) في مطبوعة «النبات»: «آلوة». بمد الهمزة. وانظر: «غريب أبي عبيد» (١: ٥٤)، و«اللسان» (ألا).
(٣) عن (أ)، (ب)، (ف).
(٤) «النبات» (ص: ٢١٩).

[إبْلِيسُ يُغْرِي قُرَيْشًا بِالخُرُوجِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ رُومانَ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، قالَ: لَمّا أجْمَعَتْ قُرَيْشٌ المَسِيرَ ذَكَرَت الَّذي كانَ بَيْنَها وبَيْنَ بَنِي بَكْرٍ، فكادَ ذلك يَثْنِيهِمْ، فتَبَدّى لَهُمْ إبْلِيسُ في صُورةِ سُراقةَ بنِ مالِكِ بنِ جُعْشُمٍ المُدْلِجِيِّ ـ وكانَ مِنْ أشْرافِ بَنِي كِنانةَ ـ فقالَ لَهُمْ: أنا لَكُمْ جارٌ مِنْ أنْ تأْتِيَكُمْ كِنانةُ مِنْ خَلْفِكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فخَرَجُوا سِراعًا.

[خُرُوجُ رَسُولِ اللهِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في لَيالٍ مَضَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ في أصْحابِهِ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: خَرَجَ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ لِثَمانِ لَيالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ ـ واسْتَعْمَلَ عَمْرَو بنَ أُمِّ مَكْتُومٍ ـ ويُقالُ: اسْمُهُ: عَبْدُ اللهِ بنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ـ أخا بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ على الصَّلاةِ بِالنّاسِ، ثُمَّ رَدَّ أبا لُبابةَ مِن الرَّوْحاءِ، واسْتَعْمَلَهُ على المَدِينةِ.

[صاحِبُ اللِّواءِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ودَفَعَ اللِّواءَ إلى مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرِ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الدّارِ. قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ أبْيَضَ.

[رايَتا الرَّسُولِ ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ أمامَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رايَتانِ سَوْداوانِ، إحْداهُما مَعَ عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ، يُقالُ لَها: العُقابُ، والأُخْرى مَعَ بَعْضِ الأنْصارِ.

[عَدَدُ إبِلِ المُسْلِمِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَتْ إبِلُ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ بَعِيرًا، فاعْتَقَبُوها، فكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وعَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، ومَرْثَدُ بنُ أبي مَرْثَدٍ الغَنَوِيُّ يَعْتَقِبُونَ بَعِيرًا، وكانَ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وزَيْدُ بنُ حارِثَةَ، وأبو كَبْشَةَ وأنَسَةُ مَوْلَيا رَسُولِ اللهِ ﷺ يَعْتَقِبُونَ بَعِيرًا، وكانَ أبو بَكْرٍ، وعُمَرُ، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ يَعْتَقِبُونَ بَعِيرًا.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وجَعَلَ على السّاقةِ قَيْسَ بنَ أبي صَعْصَعةَ أخا بَنِي مازِنِ بنِ النَّجّارِ. وكانَتْ رايةُ الأنْصارِ مَعَ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

[طَرِيقُ المُسْلِمِينَ إلى بَدْرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فسَلَكَ طَرِيقَهُ مِن المَدِينةِ إلى مَكّةَ على نَقْبِ المَدِينةِ، ثُمَّ على العَقِيقِ، ثُمَّ على ذِي الحُلَيْفةِ، ثُمَّ على أُولاتِ الجَيْشِ. قالَ ابنُ هِشامٍ: ذات الجَيْشِ.

وذَكَرَ في شِعْرِ مِكْرَزٍ: [من الطويل]

«تَذَكّرْتُ أشلاءَ الحبيبِ المُلَحَّبِ»

الأشْلاءُ: أعْضاءٌ مُقَطَّعةٌ، والمُلَحَّبُ مِنْ قَوْلِهِمْ: لَحَبْتُ اللّحْمَ[1]: إذا قَطَعْته طُولًا، ذَكَرَهُ صاحِبُ «العَيْنِ»[2].

وذَكَرَ في شِعْرِ مِكْرَزٍ: [من الطويل]

(١) في (ف): «العظم».
(٢) «العين» (٣: ٢٣٩).

«مَتى ما أُجَلِّلْهُ الفُرافِرَ يَعْطَبِ»

وقَدْ فسّرَ ابنُ هِشامٍ الفُرافِرَ، وقالَ: هُو اسْمُ سَيْفٍ، وهُو عِنْدِي مِنْ فرْفَرَ اللّحْمَ: إذا قَطَعَهُ، أنْشَدَ أبُو عُبَيْدٍ[1]: [من المنسرح]

كَكَلْبِ طَسْمٍ وقَدْ تَرَبَّبَهُ   يَعُلُّهُ بالحَلِيبِ في الغَلَسِ
أنْحى عَلَيْـهِ يَوْمًا يُفَرْفِرُهُ   إلّا يَلَغْ في الدِّماءِ يَنْتَهِسِ

ويُرْوى: «يُشَرشِرُه».

والغَيْهَب: الذي لا عَقْلَ لَهُ، ويُقالُ لِذَكَرِ النّعامِ: غيْهَبٌ.

* * *

(١) البيتان في «ديوان طرفة» (ص: ١٩٥)، و«الحيوان» للجاحظ: (١: ١٩١)، و«ثمار القلوب» للثعالبي: (ص: ٣٩٣)، يقول الثعالبي: «كان لطسم كلبٌ يحسنون إليه، فدلَّ بنباحه العدوَّ عليهم، فاستباحوهم وقتلوهم». وطسم: قبيلة كانت تنزل اليمامة، بادت. والغلس: ظلمة آخر الليل. وولغَ الكلب وغيره من السباع في الإناء يَلَغ: شرب ما فيه. ونهس اللحم: أخذه بمقدم أسنانه، وانتهس مبالغة في النهس. وقد استشهد الجاحظ بأبيات طرفة على أنه ربما كَلِبَ الكلبُ على صاحبه، وكَلِب على أهله.

[الرَّجُلُ الَّذي اعْتَرَضَ الرَّسُولَ ﷺ، وجَوابُ سَلَمَةَ لَهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ مَرَّ على تُرْبانَ، ثُمَّ على مَلَلٍ، ثُمَّ غَمِيسِ الحَمامِ مِنْ مَرَيَيْنِ، ثُمَّ على صُخَيْراتِ اليَمامِ، ثُمَّ على السَّيّالةِ، ثُمَّ على فجِّ الرَّوْحاءِ، ثُمَّ على شَنُوكةَ، وهِيَ الطَّرِيقُ المُعْتَدِلةُ، حَتّى إذا كانَ بِعِرْقِ الظُّبْيَةِ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: «الظُّبْيةُ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ ـ لَقُوا رَجُلًا مِن الأعْرابِ، فسَألُوهُ عَن النّاسِ، فلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهُ خَبَرًا، فقالَ لَهُ النّاسُ: سَلِّمْ على رَسُولِ الله ﷺ، قالَ: أوَفيكُمْ رَسُولُ الله؟ قالُوا: نَعَمْ، فسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قالَ: إنْ كُنْتَ رَسُولَ الله فأخْبِرْنِي عَمّا في بَطْنِ ناقَتِي هَذِهِ. قالَ لَهُ سَلَمةُ بنُ سَلامةَ بنِ وقْشٍ: لا تَسْألْ رَسُولَ الله ﷺ، وأقْبِلْ عَلَيَّ فأنا أُخْبِرُكَ عَنْ ذلك؛ نَزَوْتَ عَلَيْها، ففي بَطْنِها مِنْكَ سَخْلةٌ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَهْ، أفْحَشْتَ على الرَّجُلِ». ثُمَّ أعَرَضَ عَنْ سَلَمةَ.

وذَكرَ «عِرْقَ الظُّبْيةِ» والظُّبْيةُ: شَجَرةٌ شِبْهُ القَتادةِ يُسْتَظَلُّ بِها، وجَمْعُها: ظِبْيان، على غير قياسٍ. وكَذَلِكَ ذَكرَ السَّيالةَ في طَرِيقِ بَدْرٍ، والسَّيالُ: شَجَرٌ، ويُقالُ: هُو عِظامُ السَّلَمِ، قالَهُ أبُو حَنِيفةَ.

[بَقِيّةُ الطَّرِيقِ إلى بَدْرٍ]

وَنَزَلَ رَسُولُ الله ﷺ سَجْسَجَ ـ وهِيَ بِئْرُ الرَّوْحاءِ ـ ثُمَّ ارْتَحَلَ مِنْها، حَتّى إذا كانَ بِالمُنْصَرَفِ تَرَكَ طَرِيقَ مَكّةَ بِيَسارٍ، وسَلَكَ ذاتَ اليَمِينِ على النّازِيةِ يُرِيدُ بَدْرًا، فسَلَكَ في ناحِيةٍ مِنْها، حَتّى جَزَعَ وادِيًا يُقالُ لَهُ: رُحْقانُ، بَيْنَ

النّازِيةِ وبَيْنَ مَضِيقِ الصَّفْراءِ، ثُمَّ علا المَضِيقَ، ثُمَّ انْصَبَّ مِنْهُ، حَتّى إذا كانَ قَرِيبًا مِن الصَّفْراءِ، بَعَثَ بَسْبَسَ بنَ الجُهَنِيِّ، حَلِيفَ بَنِي ساعِدَةَ، وعَدِيَّ ابنَ أبي الزَّغْباءِ الجُهَنِيَّ، حَلِيفَ بَنِي النَّجّارِ، إلى بَدْرٍ يَتَحَسَّسانِ لَهُ الأَخْبارَ عَنْ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبٍ وغَيْرِهِ.

وذَكَرَ «النّازِيةَ»، وهِيَ رَحَبَةٌ واسِعةٌ فيها عِضاهٌ ومُرُوجٌ. وذَكَرَ «سَجْسَجًا»، وهِيَ[1] بالرَّوحاء، وسُمِّيت سجسجًا؛ لأنها بين جَبَلينِ، وكُلُّ شَيْءٍ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فهُو سَجْسَجٌ. وفي الحَدِيثِ: «إنّ هَواءَ الجَنّةِ سَجْسَجٌ»[2]؛ أيْ: لا حَرٌّ ولا بَرْدٌ، وهُو عِنْدِي مِنْ لَفْظِ السَّجاجِ، وهُو لَبَنٌ غَيْرُ خالِصٍ؛ وذَلِكَ إذا كثُرَ مزجُه بِالماءِ، قالَ الشّاعِرُ[3]: [من الطويل]

ويَشْـرَبُها صِرْفًا ويَسْقِي عِيالَهُ ... سَجاجًا كَأَقْرابِ الثّعالِبِ أَوْرَقا

وهَذا القَوْلُ جارٍ على قِياسِ مَنْ يَقُولُ: إنّ الثّرْثارةَ مِنْ لفظ: الثَّرّة، ورَقْرَقتُ مِنْ لَفْظِ: رَقَقْتُ، إلى آخِرِ البابِ.

ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وقَدْ قَدِمَها، فلَمّا اسْتَقْبَلَ الصّفراءَ ـ وهِي قريةٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ ـ سَأَلَ عَنْ جَبَلَيْهِما؛ ما اسْماهُما؟ فقالُوا: يُقالُ لِأَحَدِهِما: هذا مُسْلِحٌ، ولِلْآخَرِ: هذا مُخْرِئٌ، وسَأَلَ عَنْ أَهْلِهِما، فقِيلَ: بَنُو النّارِ وبَنُو حُراقٍ، بَطْنانِ مِنْ بَنِي غِفارٍ، فكَرِهَهُما رَسُولُ اللهِ ﷺ والمُرُورَ بَيْنَهُما، وتَفاءَلَ

---

(١) في (ف): «وهو».

(٢) «غريب الحديث» للخطابي (٢: ٤٧٣).

(٣) البيت في «الحيوان» للجاحظ: (٦: ٣١١)، و«اللسان» (سجح، مذق، ورق) غير منسوب. والأقراب: جمع قُرْب: الخاضرة. والأورق: ما لونه لون الرماد.

بِأسْمائِهِما وأسْماءِ أهْلِهِما. فتَرَكَهُما رَسُولُ الله ﷺ والصَّفْراءَ بِيَسار، وسَلَكَ ذاتَ اليَمِينِ على وادٍ يُقالُ لَهُ: ذَفِرانُ، فجَزَعَ فيهِ، ثُمَّ نَزَلَ.

[أبو بَكْرٍ وعُمَرُ والمِقْدادُ وكَلِماتُهُمْ في الجِهادِ]

وَأتاهُ الخَبَرُ عَنْ قُرَيْشٍ بِمَسِيرِهِمْ لِيَمْنَعُوا عِيرَهُمْ، فاسْتَشارَ النّاسَ، وأخْبَرَهُمْ عَنْ قُرَيْشٍ، فقامَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فقالَ وأحْسَنَ، ثُمَّ قامَ عُمَرُ ابنُ الخَطّابِ فقالَ وأحْسَنَ، ثُمَّ قامَ المِقْدادُ بنُ عَمْرٍو فقالَ: يا رَسُولَ الله، امْضِ لِما أراكَ اللهُ فنَحْنُ مَعَكَ، واللهِ لا نَقُولُ لَكَ كَما قالَتْ بَنُو إسْرائِيلَ لِمُوسى: اذْهَبْ أنْتَ ورَبُّكَ فقاتِلا إنّا ههُنا قاعِدُونَ، ولَكِنِ اذْهَبْ أنْتَ ورَبُّكَ فقاتِلا إنّا مَعَكُما مُقاتِلُونَ، فوَالّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَوْ سِرْتَ بِنا إلى بِرْكِ الغِمادِ لَجالَدْنا مَعَكَ مَنْ دُونَهُ حَتّى تَبْلُغَهُ، فقالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ خَيْرًا، ودَعا لَهُ بِهِ.

[اسْتِيثاقُ الرَّسُولِ ﷺ مِنْ أمْرِ الأنْصارِ]

ثُمَّ قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أشِيرُوا عَلَيَّ أيُّها النّاسُ» وإنَّما يُرِيدُ الأنْصارَ؛ وذلك أنَّهُمْ عَدَدُ النّاسِ، وأنَّهُمْ حِينَ بايَعُوهُ بِالعَقَبَةِ، قالُوا: يا رَسُولَ الله، إنّا بَراءٌ مِنْ ذِمامِكَ حَتّى تَصِلَ إلى دِيارِنا، فإذا وصَلْتَ إلَيْنا، فأنْتَ في ذِمَّتِنا نَمْنَعُكَ مِمّا نَمْنَعُ مِنْهُ أبناءَنا ونِساءَنا. فكانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَخَوَّفُ ألّا تَكُونَ الأنْصارُ تَرى عَلَيْها نَصْرَهُ إلّا مِمَّنْ دَهَمَهُ بِالمَدِينةِ مِنْ عَدُوِّهِ، وأنْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أنْ يَسِيرَ بِهِمْ إلى عَدُوٍّ مِنْ بِلادِهِمْ. فلَمّا قالَ ذلك رَسُول الله ﷺ، قالَ لَهُ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ: والله لَكَأنَّكَ تُرِيدُنا يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «أجَلْ»، قالَ: فقَدْ آمَنّا بِكَ وصَدَّقْناكَ، وشَهِدْنا أنَّ ما جِئْتَ بِهِ هُوَ الحَقُّ، وأعْطَيْناكَ

على ذلك عُهُودَنا ومَواثِيقَنا، على السَّمْعِ والطّاعةِ، فامْضِ يا رَسُولَ الله لِما أرَدْتَ؛ فنحْن مَعَك، فوَالّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لَو اسْتَعْرَضْتَ بِنا هذا البَحْرَ فخُضْتَهُ لَخُضْناهُ مَعَكَ، ما تَخَلَّفَ مِنّا رَجُلٌ واحِدٌ، وما نَكْرَهُ أنْ تَلْقى بِنا عَدُوَّنا غَدًا؛ إنّا لَصُبُرٌ في الحَرْبِ، صُدُقٌ في اللِّقاءِ، لَعَلَّ اللهَ يُرِيكَ مِنّا ما تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فسِرْ بِنا على بَرَكَةِ الله. فسُرَّ رَسُولُ الله ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ، ونَشَّطَهُ ذلك، ثُمَّ قالَ: «سِيرُوا وأبْشِرُوا؛ فإنَّ الله تَعالى قَدْ وعَدَنِي إحْدى الطّائِفَتَيْنِ، والله لَكَأنِّي الآنَ أنْظُرُ إلى مَصارِعِ القَوْمِ».

[الرَّسُولُ ﷺ وأبو بَكْرٍ يَتَعَرَّفانِ أخْبارَ قُرَيْشٍ]

ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ ذَفِرانَ، فسَلَكَ على ثَنايا يُقالُ لَها: الأصافِرُ، ثُمَّ انْحَطَّ مِنْها إلى بَلَدٍ يُقالُ لَهُ: الدَّبَّةُ، وتَرَكَ الحَنّانَ بِيَمِينٍ ـ وهُوَ كَثِيبٌ عَظِيمٌ كالجَبَلِ العَظِيمِ ـ ثُمَّ نَزَلَ قَرِيبًا مِنْ بَدْرٍ، فرَكِبَ هُوَ ورَجُلٌ مِنْ أصْحابِهِ. قالَ ابنُ هِشامٍ: الرَّجُلُ هُوَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ ـ كَما حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ يَحْيى بنِ حِبّانَ ـ: حَتّى وقَفَ على شَيْخٍ مِن العَرَبِ، فسَألَهُ عَنْ قُرَيْشٍ، وعَنْ مُحَمَّدٍ وأصْحابِهِ، وما بَلَغَهُ عَنْهُمْ، فقالَ الشَّيْخُ: لا أُخْبِرُكُما حَتّى تُخْبِرانِي مِمَّنْ أنْتُما؟ فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إذا أخْبَرْتَنا أخْبَرْناكَ». قالَ: أذاكَ بِذاكَ؟ قالَ: «نَعَمْ»، قالَ الشَّيْخُ: فإنَّهُ بَلَغَنِي أنَّ مُحَمَّدًا وأصْحابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ كَذا وكَذا، فإنْ كانَ صَدَقَ الَّذي أخْبَرَنِي، فهُم اليَوْمَ بِمَكانِ كَذا وكَذا، لِلْمَكانِ الَّذي بِهِ رَسُولُ الله ﷺ، وبَلَغَنِي أنَّ قُرَيْشًا خَرَجُوا يَوْمَ كَذا وكَذا، فإنْ كانَ الَّذي أخْبَرَنِي صَدَقَنِي، فهُم اليَوْمَ بِمَكانِ كَذا وكَذا، لِلْمَكانِ الَّذي فيهِ قُرَيْشٌ. فلَمّا فرَغَ مِنْ خَبَرِهِ، قالَ: «مِمَّنْ

أنْتُما؟» فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نَحْنُ مِنْ ماءٍ». ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ. قالَ: يَقُولُ الشَّيْخُ: ما مِنْ ماءٍ؟ أمِنْ ماءِ العِراقِ؟ قالَ ابنُ هِشامٍ: يُقالُ: ذلك الشَّيْخُ سُفيانُ الضَّمْرِيُّ.

[ظَفَرُ المُسْلِمِينَ بِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ يَقِفانِهِمْ على أخْبارِهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ الله ﷺ إلى أصْحابِهِ، فلَمّا أمْسى بَعَثَ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ، والزُّبَيْرَ بنَ العَوّامِ، وسَعْدَ بنَ أبي وقّاصٍ في نَفَرٍ مِنْ أصْحابِهِ إلى ماءِ بَدْرٍ، يَلْتَمِسُونَ الخَبَرَ لَهُ عَلَيْهِ ـ كَما حَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ رُومانَ، عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ ـ فأصابُوا راوِيَةً لِقُرَيْشٍ فيها أسْلَمُ؛ غُلامُ بَنِي الحَجّاجِ، وعَرِيضٌ أبو يَسارٍ؛ غُلامُ بَنِي العاصِ بنِ سَعِيدٍ، فأتَوْا بِهِما فسَألُوهُما، ورَسُولُ الله ﷺ قائِمٌ يُصَلِّي، فقالا: نَحْنُ سُقاةُ قُرَيْشٍ، بَعَثُونا نَسْقِيهِمْ مِن الماءِ. فكَرِهَ القَوْمُ خَبَرَهُما، ورَجَوْا أنْ يَكُونا لِأبي سُفيانَ، فضَرَبُوهُما، فلَمّا أذْلَقُوهُما، قالا: نَحْنُ لِأبي سُفيانَ، فتَرَكُوهُما، ورَكَعَ رَسُولُ الله ﷺ وَسَجَدَ سَجْدَتَيْهِ، ثُمَّ سَلَّمَ، وقالَ: «إذا صَدَقاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُما، وإذا كَذَباكُمْ تَرَكْتُمُوهُما، صَدَقا، والله إنَّهُما لِقُرَيْشٍ، أخْبِرانِي عَنْ قُرَيْشٍ؟» قالا: هُمْ والله وراءَ هذا الكَثِيبِ الَّذي تَرى بِالعُدْوةِ القُصْوى ـ والكَثِيبُ: العَقَنْقَلُ ـ فقالَ لَهُما رَسُولُ الله ﷺ: «كَم القَوْمُ؟» قالا: كَثِيرٌ، قالَ: «ما عِدَّتُهُمْ؟» قالا: لا نَدْرِي، قالَ: «كَمْ يَنْحَرُونَ كُلَّ يَوْمٍ؟» قالا: يَوْمًا تِسْعًا، ويَوْمًا عَشْرًا، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «القَوْمُ فيما بَين التسعِ مئةٍ والألْفِ».

ثُمَّ قالَ لَهُما: «فمَنْ فيهِمْ مِنْ أشْرافِ قُرَيْشٍ؟» قالا: عُتْبَةُ بنُ رَبِيعةَ، وشَيْبَةُ بنُ رَبِيعةَ، وأبو البَخْتَرِيِّ بنُ هِشامٍ، وحَكِيمُ بنُ حِزامٍ، ونَوْفَلُ بنُ

خُوَيْلِدٍ، والحارِثُ بنُ عامِرِ بنِ نَوْفَلٍ، وطُعَيْمةُ بنُ عَدِيِّ بنِ نَوْفَلٍ، والنَّضْرُ ابنِ الحارِثِ، وزَمَعةُ بنُ الأسْوَدِ، وأبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ، وأُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، ونُبَيْهٌ ومُنَبِّهٌ ابنا الحَجّاجِ، وسُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، وعَمْرُو بنُ عَبْدِ وُدٍّ. فأقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ على النّاسِ، فقالَ: «هَذِهِ مَكّةُ قَدْ ألْقَتْ إلَيْكُمْ أفْلاذَ كَبِدِها».

[بَسْبَسٌ وعَدِيٌّ يَتَجَسَّسانِ الأخْبارَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ بَسْبَسُ بنُ عَمْرٍو وعَدِيُّ بنُ أبي الزَّغْباءِ قَدْ مَضَيا حَتّى نَزَلا بَدْرًا، فأناخا إلى تَلٍّ قَرِيبٍ مِن الماءِ، ثُمَّ أخَذا شَنًّا لَهُما يَسْتَقِيانِ فيهِ، ومَجْدِيُّ بنُ عَمْرٍو الجُهَنِيُّ على الماءِ. فسَمِعَ عَدِيٌّ وبَسْبَسٌ جارِيَتَيْنِ مِنْ جَوارِي الحاضِرِ وهُما يَتلازَمانِ على الماءِ، والمَلْزُومةُ تَقُولُ لِصاحِبَتِها: إنَّما تَأْتِي العِيرُ غَدًا أوْ بَعْدَ غَدٍ، فأعْمَلُ لَهُمْ ثُمَّ أقْضِيكِ الَّذي لَكِ. قالَ مَجْدِيٌّ: صَدَقْتِ، ثُمَّ خَلَّصَ بَيْنَهُما. وسَمِعَ ذلك عَدِيٌّ وبَسْبَسٌ، فجَلَسا على بَعِيرَيْهِما، ثُمَّ انْطَلَقا حَتّى أتَيا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فأخْبَراهُ بِما سَمِعا.

[حَذَرُ أبي سُفيانَ وهَرَبُهُ بِالعِيرِ]

وَأقْبَلَ أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ، حَتّى تَقَدَّمَ العِيرَ حَذَرًا، حَتّى ورَدَ الماءَ، فقالَ لِمَجْدِيِّ بنِ عَمْرٍو: هَلْ أحْسَسْتَ أحَدًا؟ فقالَ: ما رَأيْتُ أحَدًا أُنْكِرُهُ، إلّا أنِّي قَدْ رَأيْتُ راكِبَيْنِ قَدْ أناخا إلى هذا التَّلِّ، ثُمَّ اسْتَقَيا في شَنٍّ لَهُما، ثُمَّ انْطَلَقا.

فَأتى أبو سُفيانَ مُناخَهُما، فأخَذَ مِنْ أبْعارِ بَعِيرَيْهِما، ففَتَّهُ، فإذا فيهِ النَّوى، فقالَ: هَذِهِ واللهِ عَلائِفُ يَثْرِبَ. فرَجَعَ إلى أصْحابِهِ سَرِيعًا، فضَرَبَ وجْهَ عِيرِهِ عَن الطَّرِيقِ، فساحَلَ بِها، وتَرَكَ بَدْرًا بِيَسارٍ، وانْطَلَقَ حَتّى أسْرَعَ.

[رُؤْيا جُهَيْمِ بنِ الصَّلْتِ في مَصارِعِ قُرَيْشٍ]

قالَ: وأَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ، فلَمّا نَزَلُوا الجُحْفةَ، رَأى جُهَيْمُ بنُ الصَّلْتِ بنِ مَخْرَمةَ بنِ المُطَّلِبِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ رُؤْيا، فقالَ: إنِّي رَأيْتُ فيما يَرى النّائِمُ، وإنِّي لَبَيْنَ النّائِمِ واليَقِظانِ؛ إذْ نَظَرْتُ إلى رَجُلٍ قَدْ أقْبَلَ على فرَسٍ حَتّى وقَفَ، ومَعَهُ بَعِيرٌ لَهُ، ثُمَّ قالَ: قُتِلَ عُتْبةُ بنُ رَبِيعةَ، وشَيْبةُ بنُ رَبِيعةَ، وأبو الحَكَمِ ابنُ هِشامٍ، وأُمَيّةُ بنُ خَلَفٍ، وفُلانٌ وفُلانٌ، فعَدَّدَ رِجالًا مِمَّنْ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ أشْرافِ قُرَيْشٍ، ثُمَّ رَأيْتُهُ ضَرَبَ في لَبّةِ بَعِيرِهِ، ثُمَّ أرْسَلَهُ في العَسْكَرِ، فما بَقِيَ خِباءٌ مِنْ أخْبِيةِ العَسْكَرِ إلّا أصابَهُ نَضْحٌ مِنْ دَمِهِ.

قالَ: فبَلَغَتْ أبا جَهْلٍ، فقالَ: وهذا أيْضًا نَبِيٌّ آخَرُ مِنْ بَنِي المُطَّلِبِ، سَيَعْلَمُ غَدًا مَن المَقْتُولُ إنْ نَحْنُ التَقَيْنا.

[رِسالةُ أبِي سُفيانَ إلى قُرَيْشٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا رَأى أبو سُفيانَ أنَّهُ قَدْ أحْرَزَ عِيرَهُ، أرْسَلَ إلى قُرَيْشٍ: إنَّكُمْ إنَّما خَرَجْتُمْ لِتَمْنَعُوا عِيرَكُمْ ورِجالَكُمْ وأمْوالَكُمْ، فقَدْ نَجّاها اللهُ، فارْجِعُوا، فقالَ أبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ: واللهِ لا نَرْجِعُ حَتّى نَرِدَ بَدْرًا ـ وكانَ بَدْرٌ مَوْسِمًا مِنْ مَواسِمِ العَرَبِ، يَجْتَمِعُ لَهُمْ بِهِ سُوقٌ كُلَّ عامٍ ـ فنُقِيمَ عَلَيْهِ ثَلاثًا، فنَنْحَرَ الجُزُرَ، ونُطْعِمَ الطَّعامَ، ونُسْقِيَ الخَمْرَ، وتَعْزِفَ عَلَيْنا القِيانُ، وتَسْمَعَ بِنا العَرَبُ وبِمَسِيرِنا وجَمْعِنا، فلا يَزالُونَ يَهابُونَنا أبَدًا بَعْدَها، فامْضُوا.

[رُجُوعُ الأخْنَسِ بِبَنِي زُهْرةَ]

وَقالَ الأخْنَسُ بنُ شَرِيقِ بنِ عَمْرِو بنِ وهْبٍ الثَّقَفِيُّ ـ وكانَ حَلِيفًا لِبَنِي

زُهْرةَ ـ وهُمْ بِالجُحْفةِ: يا بَنِي زُهْرةَ، قَدْ نَجّى اللهُ لَكُمْ أمْوالَكُمْ، وخَلَّصَ لَكُمْ صاحِبَكُمْ مَخْرَمةَ بنَ نَوْفَلٍ، وإنَّما نَفرْتُمْ لِتَمْنَعُوهُ ومالَهُ، فاجْعَلُوا لِي جُبنَها وارْجِعُوا؛ فإنَّهُ لا حاجةَ لَكُمْ بِأنْ تَخْرُجُوا في غَيْرِ ضَيْعةٍ، لا ما يَقُولُ هذا. يَعْنِي: أبا جَهْلٍ.

فَرَجَعُوا، فلَمْ يَشْهَدْها زُهْرِيٌّ واحِدٌ، أطاعُوهُ وكانَ فيهِمْ مُطاعًا. ولَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ قُرَيْشٍ بَطْنٌ إلّا وقَدْ نَفرَ مِنْهُمْ ناسٌ، إلّا بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ؛ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُمْ رَجُلٌ واحِدٌ، فرَجَعَتْ بَنُو زُهْرةَ مَعَ الأخْنَسِ بنِ شَرِيقٍ، فلَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا مِنْ هاتَيْنِ القَبِيلَتَيْنِ أحَدٌ، ومَشى القَوْمُ.

وكانَ بَيْنَ طالِبِ بنِ أبِي طالِبٍ ـ وكانَ في القَوْمِ ـ وبَيْنَ بَعْضِ قُرَيْشٍ مُحاوَرةٌ، فقالُوا: واللهِ لَقَدْ عَرَفْنا يا بَنِي هاشِمٍ ـ وإنْ خَرَجْتُمْ مَعَنا ـ أنَّ هَواكُمْ لَمَعَ مُحَمَّدٍ. فرَجَعَ طالِبٌ إلى مَكّةَ مَعَ مَنْ رَجَعَ، وقالَ طالِبُ بنُ أبِي طالِبٍ:

لا هُمَّ إمّا يَغْزُوَنَّ طالِبْ ... في عُصْبةٍ مُحالِفٌ مُحارِبْ
في مِقْنَبٍ مِنْ هَذِهِ المَقانِبْ ... فلْيَكُنِ المَسْلُوبَ غَيْرَ السّالِبْ
وَلْيَكُنِ المَغْلُوبَ غَيْرَ الغالِبْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُهُ: «فَلْيَكُنِ المَسْلُوبَ»، وقَوْلُهُ: «وَلْيَكُنِ المَغْلُوبَ» عَنْ غَيْرِ واحِدٍ مِن الرُّواةِ لِلشِّعْرِ.

[نُزُولُ قُرَيْشٍ بِالعُدْوةِ والمُسْلِمِينَ بِبَدْرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومَضَتْ قُرَيْشٌ حَتّى نَزَلُوا بِالعُدْوةِ القُصْوى مِن الوادِي، خَلْفَ العَقَنْقَلِ وبَطْنِ الوادِي، وهُوَ يَلْيَلُ، بَيْنَ بَدْرٍ وبَيْنَ العَقَنْقَلِ، الكَثِيبُ الَّذي خَلْفَهُ قُرَيْشٌ، والقُلُبُ بِبَدْرٍ في العُدْوةِ الدُّنْيا مِنْ بَطْنِ يَلْيَلَ

إلى المَدِينةِ، وبَعَثَ اللهُ السَّماءَ، وكانَ الوادي دَهِسًا، فأصابَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وأصْحابُهُ مِنْها ما لَبَّدَ لَهُم الأرْضَ ولَمْ يَمْنَعْهُمْ عَن السَّيْرِ، وأصابَ قُرَيْشًا مِنْها ما لَمْ يَقْدِرُوا على أنْ يَرْتَحِلُوا مَعَهُ، فخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُبادِرُهم إلى الماءِ، حَتّى إذا جاءَ أدنى ماءٍ مِنْ بَدْرٍ نَزَلَ بِهِ.

وذَكرَ «الصَّفْراءَ»، وهِيَ وادٍ كَبيرٌ. وذَكرَ بَسْبَسَ بن عمرو الجُهنيَّ، وعَدِيَّ ابنَ أبي الزّغباءِ حِينَ بَعَثَهُما رَسُولُ اللهِ ﷺ يتجسّسانِ الأخْبارَ عَنْ عِيرِ قُرَيْشٍ، وفي «مُصَنّفِ أبي داوُدَ»(١): «بَسْبَسةُ»(٢) مَكان «بَسْبَسٍ»، وبَعْضُ رُواةِ أبي داوُدَ يَقُولُ فيه: «بُسْبُسة»، بِضَمّ الباءِ، وكَذَلِكَ وقَعَ في كِتابِ مُسْلِمٍ(٣)، ونَسَبَهُ ابنُ إسحاق إلى جُهينةَ، ونسَبَهُ غَيْرُهُ إلى ذُبْيانَ، وقالَ: هُو بَسْبَسُ بنُ عَمْرِو بنِ ثَعْلَبةَ ابنِ خَرَشةَ بنِ عَمْرِو بنِ سَعْدِ بنِ ذُبْيانَ.

وسمّى(٤) عَدِيَّ بنَ أَبِي الزّغباء، واسمُ أبي الزَّغباء: سنان بن سُبَيع بن ثَعْلَبَةَ ابنِ رَبيعةَ بنِ بُذَيْلٍ، ولَيْسَ في العَرَبِ «بُذَيْلٌ» بِالذّالِ المَنْقُوطةِ غَيْرُ هَذا، قالَهُ(٥) الـدّارَقُطْني(٦)، وهُو بُذَيْلُ بنُ سَعْدِ بنِ عَدِيِّ بنِ كاهلِ بن نَضرِ بن مَالِكِ ابنِ غَطَفانَ بنِ قَيْسِ بنِ جُهَيْنةَ، وجُهَيْنـةُ: هُو ابنُ سُـودِ بنِ أسْلُمَ(٧) ـ بِضَمّ اللّامِ ـ ابن الحـافِ بنِ قُضاعةَ.

---

(١) «سنن أبي داود»، كتاب الجهاد: (٣: ٣٨).

(٢) في (أ)، (ص): «بسيسة». وضُبِط في «سنن أبي داود»: بُسبَسة، بضم الباء الأولى وفتح الثانية.

(٣) مسلم، كتاب الجهاد: (٣: ١٥٠٩-١٥١١).

(٤) كذا في (ص). وفي غيرها: «وأمّا عدي».

(٥) في (ف): «قال».

(٦) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (١: ١٦٨)، (٤: ٢٢١٠).

(٧) انظر: «تبصير المنتبه» (١: ١٩).

قالَ مُوسى بنُ عُقْبَةَ: عَدِيُّ بنُ أَبِي الزَّغْباءِ حَلِيفُ بَنِي مالِكِ بنِ النَّجّارِ، ماتَ في خِلافةِ عُمَرَ، وكانَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وأُحُدًا والخَنْدَقَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وذَكَرَ أن رسول الله ﷺ مَرَّ بِجَبَلَيْنِ، فسَأَلَ على[1] اسْمَيْهِما، فقِيلَ لَهُ: أَحَدُهُما مُسْلِحٌ، والآخَرُ مُخرِئٌ، فعَدَلَ عَنْ طَرِيقِهِما، ولَيْسَ هَذا مِنْ بابِ الطِّيَرةِ الّتِي نَهى عَنْها عليه السلام، ولَكِنْ مِنْ بابِ كَراهِيَةِ الِاسْمِ القَبِيحِ؛ فقَدْ كانَ عَلَيْهِ السّلامُ يَكْتُبُ إلى أُمَرائِهِ: «إذا أَبَرَدْتُمْ[2] إلَيَّ بَرِيدًا، فأَبْرِدُوهُ[3] حَسَنَ الوجْهِ حَسَنَ الِاسْمِ[4]»، ذَكَرَهُ البَزّارُ[5] مِنْ طَرِيقِ بُرَيْدَةَ، وقَدْ قالَ عليه السلام في لَقْحةٍ: «مَنْ يَحْلُبُ هذهِ؟» فقامَ رَجُلٌ، فقالَ: أنا، فقالَ: «ما اسْمُكَ؟» فقالَ: مُرَّةُ، فقالَ: «اقْعُدْ»، حَتّى قالَ آخِرُهُمْ: اسْمِي يَعِيشُ، قالَ: «احْلُبْ». اخْتَصَرْتُ[6] الحَدِيثَ، وفيهِ زِيادةٌ رَواها ابنُ وهْبٍ قالَ: فقامَ عُمَرُ فقالَ: لا أدْرِي أأَقُولُ أمْ أسْكُتُ؟ فقالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُلْ»، فقالَ: قَدْ كُنْتَ نَهَيْتَنا عَنِ التَّطَيُّرِ! فقالَ عَلَيْهِ السّلامُ: «ما تَطَيَّرْتُ، ولَكِنّي آثَرْتُ الِاسْمَ الحَسَنَ»، أوْ كَما قالَ عَلَيْهِ السّلامُ. وقَدْ أمْلَيْتُ في شَرْحِ حَدِيثِ «المُوطَّأ» في الشُّؤْمِ، «وأَنَّهُ إنْ كانَ ففِي المَرْأةِ والفَرَسِ والدّارِ» تَحْقِيقًا وبَيانًا شافِيًا لِمَعْناهُ، وكَشْفًا[7] عَنْ فِقْهِهِ[8]، لَمْ أرَ أحَدًا ـ والحَمْدُ للهِ ـ سَبَقَنِي إلى مِثْلِهِ.

---

(١) في (ف): «عن».

(٢) في (ف): «بردتم».

(٣) في (ص): «فاجعلوه».

(٤) في (ف): «حسن الاسم، حسن الوجه».

(٥) «كشف الأستار عن زوائد البزار» (٢: ٤١١-٤١٢).

(٦) «الموطأ»، كتاب الاستئذان: (٢: ٩٧٣). وفيه مكان مرة: «حرب».

(٧) في (ف): «وكشفنا».

(٨) في (أ): «فقه».

وهذانِ الجَبَلانِ لِتَسْمِيَتِهِما بِهَذَيْنِ الِاسْمَيْنِ سَبَبٌ؛ وهُو أنّ عَبْدًا لِبَنِي غِفارٍ كانَ يَرْعى بِهِما غَنَمًا لِسَيِّدِهِ، فرَجَعَ ذاتَ يَوْمٍ عَن المَرْعى، فقالَ لَهُ سَيِّدُهُ: لِمَ رَجَعْت؟ فقالَ: إنّ هَذا الجبلَ مُسلِحٌ[1] لِلْغَنَمِ، وَإِنَّ هَذا الآخَرَ مُخرِئٌ، فسُمِّيا بذَلِكَ. وجَدْتُ هذا بِخَطِّ الشَّيْخِ الحافِظِ [أبي بحرٍ][2] فيما نَقَل عَنِ الوقَّشيِّ.

وذَكرَ قَوْلَ المِقْدادِ: «ولَوْ بَلَغْتَ بِنا بِرْكَ الغُمادِ»، وجَدْتُ في بَعْضِ كُتُبِ التَّفْسِيرِ[3] أنّها مَدِينةُ الحَبَشةِ.

* * *

(١) سَلَح: راث، وأسلحه فهو مسلح: جعله يسلح.

(٢) عن (أ)، (ب)، (ف).

(٣) في (أ)، (ب): «التفاسير».

[مَشُورةُ الحُبابِ على رَسُولِ الله ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحُدِّثْتُ عَنْ رِجالٍ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ، أَنَّهُمْ ذَكَرُوا: أنَّ الحُبابَ بنَ المُنْذِرِ بنِ الجَمُوحِ قالَ: يا رَسُولَ الله، أرأيْتَ هذا المَنْزِلَ؟ أمَنْزِلًا أنْزَلَكهُ الله لَيْسَ لَنا أنْ نَتقَدَّمَهُ ولا نَتأخَّرَ عَنْهُ، أمْ هُوَ الرَّأْيُ والحَرْبُ والمَكِيدةُ؟ قالَ: «بَلْ هُوَ الرَّأْيُ والحَرْبُ والمَكِيدةُ؟» فقالَ: يا رَسُولَ الله، فإنَّ هذا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فانْهَضْ بِالنّاسِ حَتّى نَأْتِيَ أدْنى ماءٍ مِن القَوْمِ، فنَنْزِلَهُ، ثُمَّ نُغَوِّرُ ما وراءَهُ مِن القُلُبِ، ثُمَّ نبنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فنَمْلَؤُهُ ماءً، ثُمَّ نُقاتِلُ القَوْمَ، فنَشْرَبُ ولا يَشْرَبُونَ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَقَدْ أشَرْتَ بِالرَّأْيِ». فنَهَضَ رَسُولُ الله ﷺ ومَنْ مَعَهُ مِن النّاسِ، فسارَ حَتّى إذا أتى أدْنى ماءٍ مِن القَوْمِ نَزَلَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أمَرَ بِالقُلُبِ فغُوِّرَتْ، وبَنى حَوْضًا على القَلِيبِ الَّذي نَزَلَ عَلَيْهِ، فمُلِئَ ماءً، ثُمَّ قَذَفُوا فيهِ الآنِيةَ.

[بِناءُ العَرِيشِ لِرَسُولِ الله ﷺ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ أنَّهُ حُدِّثَ: أنَّ سَعْدَ ابنَ مُعاذٍ قالَ: يا نَبِيَّ الله، ألا نبنِي لَكَ عَرِيشًا تَكُونُ فيهِ، ونُعِدُّ عِنْدَكَ رَكائِبَكَ، ثُمَّ نَلْقى عَدُوَّنا؟ فإنْ أعَزَّنا الله وأظْهَرَنا على عَدُوِّنا، كانَ ذلك ما أحْبَبنا، وإنْ كانَت الأُخْرى، جَلَسْتَ على رَكائِبِكَ، فلَحِقْتَ بِمَنْ وراءَنا؛ فقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أقْوامٌ ـ يا نَبِيَّ الله ـ ما نَحْنُ بِأشَدَّ لَكَ حُبًّا مِنْهُمْ، ولَوْ ظَنُّوا أنَّكَ تَلْقى حَرْبًا ما تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ الله بِهِمْ، يُناصِحُونَكَ ويُجاهِدُونَ مَعَكَ.

فأثنى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ خيْرًا، ودَعا لَهُ بِخَيْرٍ، ثُمَّ بُنِيَ لِرَسُولِ الله ﷺ عَرِيشٌ، فكانَ فيهِ.

[ارْتِحالُ قُرَيْشٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَد ارْتَحَلَتْ قُرَيْشٌ حِينَ أَصْبَحَتْ، فأقْبَلَتْ، فلَمّا رَآها رَسُولُ الله ﷺ تَصَوَّبَ مِن العَقَنْقَلِ ـ وهُوَ الكَثِيبُ الَّذي جاؤُوا مِنْهُ إلى الوادِي ـ قالَ: «اللهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخُيَلائِها وفَخْرِها، تُحادُّكَ وتُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللهُمَّ فنَصْرَكَ الَّذي وعَدْتنِي، اللهُمَّ أَحِنْهُمُ الغَداةَ».

وقَدْ قالَ رَسُولُ الله ﷺ ـ وقَدْ رَأى عُتْبَةَ بنَ رَبِيعةَ في القَوْمِ على جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرَ ـ: «إنْ يَكُنْ في أَحَدٍ مِن القَوْمِ خَيْرٌ فعِنْدَ صاحِبِ الجَمَلِ الأَحْمَرِ، إنْ يُطِيعُوهُ يَرْشُدُوا». وقَدْ كانَ خُفافُ بنُ إيماءَ بنِ رَحَضةَ الغِفارِيُّ ـ أوْ أبوهُ إيماءُ بنُ رَحَضةَ الغِفارِيُّ ـ بَعَثَ إلى قُرَيْشٍ حِينَ مَرُّوا بِهِ ابنًا لَهُ بِجَزائِرِهِ أهْداها لَهُمْ، وقالَ: إنْ أَحْبَبْتُمْ أنْ نُمِدَّكُمْ بِسِلاحٍ ورِجالٍ فعَلْنا. قالَ: فأرْسَلُوا إلَيْهِ مَعَ ابنِهِ: أنْ وصَلَتْكَ رَحِمٌ، قَدْ قَضَيْتَ الَّذي عَلَيْكَ، فلَعَمْرِي لَئِنْ كُنّا إنَّما نُقاتِلُ النّاسَ فما بِنا مِنْ ضَعْفٍ عَنْهُمْ، ولَئِنْ كُنّا إنَّما نُقاتِلُ الله ـ كَما يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ ـ فما لِأَحَدٍ بالله مِنْ طاقةٍ.

[إسْلامُ ابنِ حِزامٍ]

فَلَمّا نَزَلَ النّاسُ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ حَتّى ورَدُوا حَوْضَ رَسُولِ الله ﷺ فيهِمْ حَكِيمُ بنُ حِزامٍ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «دَعُوهُمْ»، فما شَرِبَ مِنْهُ رَجُلٌ يَوْمَئِذٍ إلّا قُتِلَ، إلّا ما كانَ مِنْ حَكِيمِ بنِ حِزامٍ؛ فإنَّهُ لَمْ يُقْتَلْ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدَ ذلك، فحَسُنَ إسْلامُهُ، فكانَ إذا اجْتَهَدَ في يَمِينِهِ قالَ: لا والَّذي نَجّانِي مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ.

[تَشاوُرُ قُرَيْشٍ في الرُّجُوعِ عَنِ القِتالِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي أبي إسْحاقُ بنُ يَسارٍ، وغَيْرُهُ مِنْ أهْلِ العِلْمِ، عَنْ أشْياخٍ مِن الأنْصارِ، قالُوا: لَمّا اطْمَأنَّ القَوْمُ، بَعَثُوا عُمَيْرَ بنَ وهْبٍ الجُمَحِيَّ، فقالُوا: احْزُرُوا لَنا أصْحابَ مُحَمَّدٍ، قالَ: فاسْتَجالَ بِفَرَسِهِ حَوْلَ العَسْكَرِ ثُمَّ رَجَعَ إلَيْهِمْ، فقالَ: ثَلاثُ مئةِ رَجُلٍ، يَزِيدُونَ قَلِيلًا أوْ يَنْقُصُونَ، ولَكِنْ أمْهِلُونِي حَتّى أنْظُرَ: ألِلْقَوْمِ كَمِينٌ أوْ مَدَدٌ؟ قالَ: فضَرَبَ في الوادِي حَتّى أبْعَدَ، فلَمْ يَرَ شَيْئًا، فرَجَعَ إلَيْهِمْ، فقالَ: ما وجَدْتُ شَيْئًا، ولَكِنِّي قَدْ رَأيْتُ ـ يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ـ البَلايا تَحْمِلُ المَنايا، نَواضِحُ يَثْرِبَ تَحْمِلُ المَوْتَ النّاقِعَ، قَوْمٌ لَيْسَ مَعَهُمْ مَنَعَةٌ ولا مَلْجَأٌ إلّا سُيُوفُهُمْ، واللهِ ما أرى أنْ يُقْتَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتّى يَقْتُلَ رَجُلًا مِنْكُمْ، فإذا أصابُوا مِنْكُمْ أعْدادَهُمْ فما خَيْرُ العَيْشِ بَعْدَ ذلك؟! فرَوْا رَأْيَكُمْ.

فَلَمّا سَمِعَ حَكِيمُ بنُ حِزامٍ ذلك مَشى في النّاسِ، فأتى عُتْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ، فقالَ: يا أبا الوَلِيدِ، إنَّكَ كَبِيرُ قُرَيْشٍ وسَيِّدُها، والمُطاعُ فيها، هَلْ لَكَ إلى ألّا تَزالَ تُذْكَرُ فيها بِخَيْرٍ إلى آخِرِ الدَّهْرِ؟ قالَ: وما ذاكَ يا حَكِيمُ؟ قالَ: تَرْجِعُ بِالنّاسِ، وتَحْمِلُ أمْرَ حَلِيفِكَ عَمْرِو بنِ الحَضْرَمِيِّ، قالَ: قَدْ فعَلْتُ، أنْتَ عَلَيَّ بِذلك، إنَّما هُوَ حَلِيفِي، فعَلَيَّ عَقْلُهُ وما أُصِيبَ مِنْ مالِهِ، فأْتِ ابنَ الحَنْظَلِيَّةِ.

[نَسَبُ الحَنْظَلِيَّةِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: والحَنْظَلِيَّةُ أُمُّ أبي جَهْلٍ، وهِيَ أسْماءُ بِنْتُ مُخَرِّبَةَ أحَدِ بَنِي نَهْشَلِ بنِ دارِمِ بنِ مالِكِ بنِ حَنْظَلَةَ بنِ مالِكِ بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ تَمِيمٍ.

فإنِّي لا أخْشى أنْ يَشْجُرَ أمْرَ النّاسِ غَيْرُهُ، يَعْنِي: أبا جَهْلِ بنَ هِشام. ثُمَّ قامَ عُتْبةُ بنُ رَبيعةَ خَطِيبًا، فقالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّكُمْ واللهِ ما تَصْنَعُونَ بِأنْ تلْقَوْا مُحَمَّدًا وأصْحابَهُ شَيْئًا، واللهِ لَئِنْ أصَبْتُمُوهُ لا يَزالُ الرَّجُلُ يَنْظُرُ في وجْهِ رَجُلٍ يَكْرَهُ النَّظَرَ إلَيْهِ؛ قَتَلَ ابنَ عَمِّهِ أو ابنَ خالِهِ، أوْ رَجُلًا مِنْ عَشِيرَتِهِ، فارْجِعُوا وخَلُّوا بَيْنَ مُحَمَّدٍ وبَيْنَ سائِرِ العَرَبِ، فإنْ أصابُوهُ فذاكَ الَّذي أرَدْتُمْ، وإنْ كانَ غَيْرَ ذلك ألْفاكُمْ ولَمْ تَعَرَّضُوا مِنْهُ ما تُرِيدُونَ.

وذَكرَ القُلُبَ الّتِي احْتَفَرَها المُشْرِكُونَ لِيَشْرَبُوا مِنْها، قالَ: «فأمَرَ بتِلْكَ القُلُبِ فعُورَتْ»، وهِيَ كَلِمةٌ نَبيلةٌ؛ وذَلِكَ أنّ القليبَ لَمّا كانَت[1] عَيْنًا جعَلَها كَعَيْنِ الإنْسانِ. ويُقالُ في عَيْنِ الإنْسانِ: عُرتُها فعارتْ، ولا يقال: عَوّرتُها، فكَذَلِكَ قالَ في القُلُبِ: «عُورَتْ» بِسُكُونِ الواوِ، ولَكِنْ لَما رَدّ الفِعْلَ إلى ما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ ضُمَّت العَيْنُ، فجاءَ على لُغةِ مَنْ يقول: قُولَ القولُ، وبُوعَ المتاعُ، وهي لُغةُ هُذَيْلٍ وبَنِي دُبَيْرٍ[2] مِنْ بَنِي أسَدٍ، وبَنِي فقْعَسٍ، وبَنُو دُبَيْرٍ هُو تَصْغِيرُ «أدْبَرَ» على التّرْخِيمِ، وهِي وإنْ كانَتْ لُغةً رَدِيّةً، فقَدْ حَسُنَتْ هُنا[3] لِلْمُحافَظةِ على لَفْظِ الواوِ؛ إذْ لَوْ قالُوا: عِيرَتْ، فأُمِيتَت الواو، لَمْ يُعْرَفْ أنّهُ مِن العَورِ إلّا بَعْدَ نَظَرٍ، كَما حافَظُوا في جَمْعِ عِيدٍ على لَفْظِ الياءِ في «عِيدٍ» فقالُوا: أعْيادٌ، وتَرَكُوا القِياسَ الّذِي في رِيحٍ وأرْواحٍ، [على أنّ أرْياحًا لُغةُ[4] بَنِي

(١) في (ج)، (ص)، (ف): «كان»، والقليب: البئر، يُذكَّر ويُؤنَّث.

(٢) في (ج)، (ص): «وبني ذبيان». والمعروف أنها لغة دبير وفقعس وهذيل، وقد نُسِبت إلى بني ضبّة. انظر: «المقاصد الشافية» للشاطبي: (٣: ١٣).

(٣) في (ف): «ههنا».

(٤) في (ف): «على لغة».

أَسَدٍ](١)؛ كَيلا تَذْهَبَ مِن اللّفْظِ الدّلالةُ على مَعْنى العيد، وإنْ كانَ مِن العَوْدةِ، وقِسْ على هَذا القَود، وصِحّةِ الواوِ فيهِ(٢)، كَما حافَظُوا على الضّمّةِ في سُبّوحٍ وقُدُّوسٍ، وقِياسُهُ: أنْ يَكُونَ على فَعُّولٍ بِفَتْحِ الفاءِ، كَتَنُّومٍ(٣) وشَبُّوطٍ وبابِهِ، ولَكِنْ حافِظُوا على الضّمَّتَيْنِ؛ لِيَسْلَمَ لَفْظُ القُدُسِ والسُّبُحات وسُبْحانَ اللهِ؛ كي يَسْتَشْعِرَ المُتَكَلِّمُ بِهَذَيْنِ الاِسْمَيْنِ مَعْنى القُدُسِ، ومَعْنى «سُبْحانَ» مِنْ أوّلِ وهْلةٍ، ولما ذَكَرْناهُ نظائرُ كَثِيرةٌ يُخرجنا إيرادُها عن الغَرَضِ.

[ومِنَ الشّاهِدِ لوصفِ القليبِ بالعَورِ، قول الراجز(٤): [من الرجز]

ومنَهـلٍ أعْـورِ إحـدى العَينَينْ بصيرةِ الأُخرى أصَمِّ الأُذُنينِ](٥)

* * *

(١) عن (أ)، (ب). و«الخصائص» (٣: ٥٢، ٣٢١).

(٢) انظر في هذا: «الكتاب» (٤: ٣٥٨، ٤٢٠)، و«شرح المفصل» لابن يعيش: (١: ٣٠).

(٣) في (أ)، (ب): «كتنُّور». والتّنُّوم كتنُّور: شجر فيه سواد تأكله الأنعام. والشَّبوط: سمك. فأمّا التَّنُّور فهو كانون يُخبز فيه.

(٤) الرجز في «اللسان» (صمم). و«خزانة الأدب» (٧: ٥٥٠)، قال البغدادي: «أنشده الفارسيّ في «تذكرته». وفيه يُروى:

بصيـرِ الأُخرى وأصمِّ الأذنين

قال: كانت في هذا الموضع بئرانِ، فَعَورت إحداهما؛ فلذلك قال: أعور إحدى العينين. وقوله: «وأصمِّ الأذنين»، يعني: أنه ليس به جبل فيسمع صوت الصّدى».

(٥) عن (أ)، (ب).

قالَ حَكِيمٌ: فانْطَلَقْتُ حَتّى جِئْتُ أبا جَهْلٍ، فوَجَدْتهُ قَدْ نَثَل دِرْعًا لَهُ مِنْ جِرابِها، فهُوَ يَهْنِئُها ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: يُهَيِّئُها ـ فقُلْتُ لَهُ: يا أبا الحَكَمِ، إنَّ عُتْبَةَ أرْسَلَنِي إلَيْكَ بِكَذا وكَذا، لِلَّذِي قالَ، فقالَ: انْتَفَخَ واللهِ سَحْرُهُ حِينَ رَأى مُحَمَّدًا وأصْحابَهُ، كَلّا واللهِ لا نَرْجِعُ حَتّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنا وبَيْنَ مُحَمَّدٍ، وما بِعُتْبَةَ ما قالَ، ولَكِنَّهُ قَدْ رَأى أنَّ مُحَمَّدًا وأصْحابَهُ أكَلَةُ جَزُورٍ، وفيهِم ابنُهُ، فقَدْ تَخَوَّفَكُمْ عَلَيْهِ.

ثُمَّ بَعَثَ إلى عامِرِ بنِ الحَضْرَمِيِّ، فقالَ: هذا حَلِيفُكَ يُرِيدُ أنْ يَرْجِعَ بِالنّاسِ، وقَدْ رَأيْتَ ثأْرَكَ بِعَيْنِكَ، فقُمْ فانْشُدْ خُفْرَتَكَ، ومَقْتَلَ أخِيكَ. فَقامَ عامِرُ بنُ الحَضْرَمِيِّ فاكْتَشَفَ ثمَّ صرخَ: واعمراه! واعمراه! فحَمِيَت الحَرْبُ، وحَقِبَ النّاسُ، واسْتَوْسَقُوا على ما هُمْ عَلَيْهِ مِن الشَّرِّ، وأُفْسِدَ على النّاسِ الرَّأْيُ الَّذي دَعاهُمْ إلَيْهِ عُتْبَةُ.

وذَكرَ قَوْلَ أبِي جَهْلٍ: «قُمْ فانْشُدْ خُفْرَتَكَ»؛ أي: اطْلُبْ مِنْ قُرَيْشٍ الوفاءَ بِخُفْرَتِهِمْ لَك؛ لِأنّهُ كانَ حَلِيفًا لَهُمْ وجارًا، يُقال: خَفَرْتُ الرّجُلَ خُفْرةً: إذا أجَرْتَه، والخَفيرُ: المُجِيرُ. قالَ العِبادِيّ[1]: [من الخفيف]

مَنْ رَأيْتَ الأيّامَ خَلَّدْنَ أمْ مَنْ ذا عَلَيْهِ مِــنْ أنْ يُضامَ خَفِيرُ؟

---

(١) هو عَدِيّ بن زيد، جاهلي، قال عنه ابن قتيبة: «وعلماؤنا لا يرون شعره حجة»، ولكنه عدَّ التي منها هذا البيت إحدى غُرر قصائده. انظر البيت في: «الشعر والشعراء» (ص: ٢٢٥)، و«الأغاني» (٢: ٥١٤).

وقَوْلُهُ: «حَقِبَ[١] الحَرْبُ»[٢]، يُقالُ: حَقِبَ الأمْرُ: إذا اشْتَدّ، وضاقَتْ فيهِ المَسالِكُ، وهُو مُسْتعارٌ مِنْ حَقِبَ البَعِيرُ: إذا اشتدّ عليه الحَقَبُ، وهو الحزام الأسْفَلُ، وراغَ حَتّى بلغ ثِيلَهُ[٣]، وضاقَ[٤] عَلَيْهِ مَسْلَكُ البَوْلِ.

فَلَمّا بَلَغَ عُتْبَةَ قَوْلُ أبي جَهْلٍ: «انْتَفَخَ واللهِ سَحْرُهُ»، قالَ: سَيَعْلَمُ مُصَفِّرُ اسْتِهِ مَن انْتَفَخَ سَحْرُهُ، أنا أمْ هُوَ؟

قالَ ابنُ هِشامٍ: السَّحْرُ: الرِّئةُ وما حَوْلَهَا مِمّا يَعْلَقُ بِالحُلْقُومِ مِنْ فوْقِ السُّرّةِ. وَما كانَ تَحْتَ السُّرّةِ، فهُوَ القُصْبُ، ومِنْهُ قَوْلُهُ: «رَأيْتُ عَمْرَو بنَ لُحَيٍّ يَجُرُّ قُصْبَهُ في النّارِ». قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنِي بِذلك أبو عُبَيْدَةَ.

ثُمَّ التَمَسَ عُتْبَةُ بَيْضةً لِيُدْخِلَها في رَأْسِهِ، فما وجَدَ في الجَيْشِ بَيْضةً تَسَعُهُ مِنْ عِظَمِ هامَتِهِ، فلَمّا رَأى ذلك اعْتَجَرَ على رَأْسِهِ بِبُرْدٍ لَهُ.

[مَقْتَلُ الأسْوَدِ المَخْزُومِيِّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ خَرَجَ الأسْوَدُ بنُ عَبْدِ الأسَدِ المَخْزُومِيُّ ـ وكانَ رَجُلًا شَرِسًا سَيِّئَ الخُلُقِ ـ فقالَ: أُعاهِدُ اللهَ لَأشْرَبَنَّ مِنْ حَوْضِهِمْ، أوْ لَأهْدِمَنَّهُ، أوْ لَأمُوتَنَّ دُونَهُ، فلَمّا خَرَجَ، خَرَجَ إلَيْهِ حَمْزةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فلَمّا التَقَيا ضَرَبَهُ حَمْزةُ فأطَنَّ قَدَمَهُ بِنِصْفِ ساقِهِ، وهُوَ دُونَ الحَوْضِ، فوَقَعَ على ظَهْرِهِ تَشْخُبُ رِجْلُهُ دَمًا نَحْوَ أصْحابِهِ، ثُمَّ حَبا إلى الحَوْضِ حَتّى اقْتَحَمَ فيهِ، يُرِيدُ

(١) في (ف): «حقبت».
(٢) نص «السيرة»: «حقب الناس».
(٣) الثِّيل: وعاء قضيب البعير، أو القضيب نفسه.
(٤) في (ف): «فضاق».

ـ زَعَمَ ـ أنْ يَبَرَّ يَمِينَهُ، وأتْبَعَهُ حَمْزةُ فضَرَبَهُ حَتّى قَتَلَهُ في الحَوْضِ.

[دُعاءُ عُتْبَةَ إلى المُبارَزةِ]

قالَ: ثمَّ خَرَجَ بعدَه عُتْبةُ بنُ رَبِيعةَ بَيْنَ أخِيهِ شَيْبَةَ بنِ رَبِيعةَ وابنِهِ الوَلِيدِ بنِ عُتْبَةَ، حَتّى إذا فصَلَ مِن الصَّفِّ دَعا إلى المُبارَزةِ، فخَـرَجَ إلَيْهِ فِتْيةٌ مِن الأنْصارِ ثَلاثةٌ، وهُمْ: عَوْفٌ، ومُعَوِّذٌ ابنا الحارِثِ، وأُمُّهُما عَفْراءُ، ورَجُلٌ آخَرُ، يُقالُ: هُوَ عَبْدُ الله بنُ رَواحةَ، فقالُوا: مَنْ أنْتُمْ؟ فقالُوا: رَهْطٌ مِن الأنْصارِ، قالُوا: ما لَنا بِكُمْ مِنْ حاجةٍ. ثُمَّ نادى مُنادِيهِمْ: يا مُحَمَّدُ، أخْرِجْ إلَيْنا أكْفاءَنا من قَوْمِنا، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قُمْ يا عُبَيْدةُ بنَ الحارِثِ، وقُمْ يا حَمْزةُ، وقُمْ يا عَلِيُّ»، فلَمّا قامُوا ودَنَوْا مِنْهُمْ، قالُوا: مَنْ أنْتُمْ؟ قالَ عُبَيْدةُ: عُبَيْدةُ، وقالَ حَمْزةُ: حَمْزةُ، وقالَ عَلِيٌّ: عَلِيٌّ، قالُوا: نَعَمْ، أكْفاءٌ كِرامٌ. فبارَزَ عُبَيْدةُ ـ وكانَ أسَنَّ القَوْمِ ـ عُتْبةَ بنَ رَبِيعةَ، وبارَزَ حَمْزةُ شَيْبةَ بنَ رَبِيعةَ، وبارَزَ عَلِيٌّ الوَلِيدَ بنَ عُتْبةَ، فأمّا حَمْزةُ فلَمْ يُمْهِلْ شَيْبةَ أنْ قَتَلَهُ، وأمّا عَلِيٌّ فلَمْ يُمْهِلِ الوَلِيدَ أنْ قَتَلَهُ، واخْتَلَفَ عُبَيْدةُ وعُتْبةُ بَيْنَهُما ضَرْبَتَيْنِ، كِلاهُما أثْبَتَ صاحِبَهُ، وكَرَّ حَمْزةُ وعَلِيٌّ بِأسْيافِهِما على عُتْبةَ فذَفَّفا عَلَيْهِ، واحْتَمَلا صاحِبَهُما فحازاهُ إلى أصْحابِهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ: أنَّ عُتْبةَ بنَ رَبِيعةَ قالَ لِلْفِتْيةِ مِن الأنْصارِ حِينَ انْتَسَبُوا: أكْفاءٌ كِرامٌ، إنَّما نُرِيدُ قَوْمَنا.

[التِقاءُ الفَرِيقَيْنِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ تَزاحَفَ النّاسُ ودَنا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وقَدْ أمَرَ رَسُولُ الله ﷺ أصْحابَهُ ألّا يَحْمِلُوا حَتّى يَأْمُرَهُمْ، وقالَ: «إن اكْتَنَفَكُم القَوْمُ

فانْضَحُوهُمْ عَنْكُمْ بِالنَّبْلِ»، ورَسُولُ الله ﷺ في العَرِيشِ مَعَهُ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ.

فَكانَتْ وقْعةُ بَدْرٍ يَوْمَ الجُمُعةِ صَبِيحةَ سَبْعَ عَشْرةَ مِنْ شَهْرِ رَمَضانَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: كَما حَدَّثَنِي أبو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ.

وقَوْلُ عُتْبَةَ في أَبِي جَهْلٍ: «سَيَعْلَمُ مُصَفِّرُ اسْتِهِ مَنِ انْتَفَخَ سَحْرُهُ». السَّحْرُ والسُّحْرُ: الرِّئةُ، والسَّحَرُ أيْضًا بِفَتْحِ الحاءِ، وهُو قياسٌ في كُلِّ اسْمٍ على فَعْلٍ إذا كانَ عَيْنُ الفِعْلِ حَرْفَ حَلْقٍ، [أنْ][1] يَجُوزَ فيهِ الفَتْحُ، فيُقالُ في الدَّهْرِ: الدَّهَرُ، وفي اللَّحْمِ: اللَّحَمُ، حَتّى قالُوا في النَّحْوِ: النَّحَوُ، ذَكرَها ابنُ جِنّي[2]، ولَمْ يَعْتَمِدُوا على هَذا التَّحْرِيكِ الَّذي مِنْ أجْلِ حَرْفِ الحَلْقِ لَمّا كانَ لِعِلَّةٍ، فلَمْ يَقْلِبُوا الواو مِنْ أجْلِهِ ألِفًا حِينَ قالُوا: النَّحَوُ والزَّهَوُ، ولَو اعْتَدُّوا بالفَتْحةِ، لَقَلَبُوا الواو ألِفًا، كَما لَمْ يَعْتَدُّوا بها في: يَضَعُ ويَهَبُ؛ إذْ كانَ الفَتْحُ فيهِ مِنْ أجْلِ حَرْفِ الحَلْقِ، ولَو اعْتَدُّوا بِهِ، لَرَدُّوا الواو فقالوا: يَوْضَعُ ويَوْهَبُ، كَما قالُوا: يَوْجَلُ.

وقَوْلُهُ: «مُصَفِّرُ اسْتِهِ»: كَلِمةٌ لَمْ يَخْتَرِعْها عُتْبةُ، ولا هُو بِأبِي عُذْرِها، قَدْ قِيلَتْ قَبْلُ لِقابُوسِ بنِ النُّعْمانِ، أوْ لِقابُوسِ بنِ المُنْذِرِ؛ لِأنّهُ كانَ مُرَفَّهًا لا يَغْزُو في الحُرُوبِ، فقِيلَ لَهُ: مُصَفِّرُ اسْتِهِ، يُرِيدُونَ: صُفْرةَ الخَلُوقِ والطِّيبِ، وقَدْ قالَ هذهِ الكَلِمةَ قَيسُ بنُ زُهَيرٍ في حُذَيْفةَ يَوْمَ الهَباءةِ[3]، ولَمْ يَقُلْ أحَدٌ: إنّ حُذَيْفةَ

(١) سقط من (أ)، (ف).

(٢) انظر في هذا: «الخصائص» (١: ١٤٧) وما بعدها.

(٣) الهباءَة: أرض ببلاد غطفان قُتل فيها حذيفة وحمل ابنا بدرٍ الفزاريان. انظر: «الأغاني» (١٨: ٦٤٩٨-٦٥٠٠)، و«معجم البلدان» (الهباءة).

كانَ مَسْتُوهًا[١]، فإذًا لا يَصِحُّ قَوْلُ مَنْ قالَ في أَبِي جَهْلٍ من أجلِ قَوْلِ عُتْبَةَ فيهِ هذهِ الكَلِمةَ: «إنّهُ كانَ مَسْتُوهًا»، واللهُ أعْلَمُ.

وسادةُ العَرَبِ لا تَسْتَعْمِلُ الخَلُوقَ والطِّيبَ[٢] إلّا في الدَّعةِ والخَفْضِ، وتَعِيبُهُ في الحَرْبِ أشَدَّ العَيْبِ، وأحْسِبُ أنّ أبا جَهْلٍ لَمّا سَلِمَتِ العِيرُ، وأرادَ أنْ يَنْحَرَ الجَزُورَ، ويَشْرَبَ الخَمْرَ ببَدْرٍ، وتَعْزِفَ عَلَيْهِ القِيانُ بها؛ اسْتَعْمَلَ الطِّيبَ أوْ هَمّ بِهِ، فلِذَلِكَ قالَ لَهُ عُتْبةُ هذهِ المَقالةَ، ألا تَرى إلى قَوْلِ الشّاعِرِ في بَنِي مَخْزُومٍ[٣]: [من الوافر]

ومِنْ جَهْــلٍ أبُو جَهْلٍ أخُوكُمْ ... غَــزا بَــدْرًا بِمِجْمَــرةٍ وتَوْرِ

يُرِيدُ: أنّهُ تَبَخّرَ وتَطَيّبَ في الحَرْبِ.

وقَوْلُهُ: «مُصَفِّرُ اسْتِهِ»، إنّما أرادَ مُصَفِّرَ بَدَنِهِ، ولكنه قَصَدَ المبالَغَةَ في الذَّمِّ فخصَّ منه بالذِّكْرِ ما يَسوؤُهُ أنْ يُذْكَرَ.

* * *

(١) بعده في (ف): «والله أعلم».

(٢) في (ف): «لا تستعمل خلوقًا وطيبًا».

(٣) ذكره المبرد في «الكامل» (١ : ١٤٣) دون نسبة. (ج)

[ابنُ غَزِيّةَ وضَرْبُ الرَّسُولِ لَهُ في بَطْنِهِ بِالقِدْحِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي حِبّانُ بنُ واسِعِ بنِ حِبّانَ، عَنْ أشْياخٍ مِنْ قَوْمِهِ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَدَّلَ صُفُوفَ أصْحابِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، وفي يَدِهِ قِدْحٌ يُعَدِّلُ بِهِ القَوْمَ، فمَرَّ بِسَوادِ بنِ غَزِيَّةَ، حَلِيفِ بَنِي عَدِيِّ بنِ النَّجّارِ - قالَ ابنُ هِشامٍ: يُقـالُ: سَوّادٌ، مُثَقَّلةٌ، وسَوادٌ في الأنْصارِ غَيْرُ هذا مُخَفَّفٌ - وهُوَ مُسْتَنْتِلٌ مِن الصَّفِّ - قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: مُسْتَنْصِلٌ مِن الصَّفِّ - فطُعِنَ في بَطْنِهِ بِالقِدْحِ، وقالَ: «اسْتَوِ يا سَوادُ»، فقالَ: يا رَسُولَ الله، أوْجَعْتَنِي وقَدْ بَعَثَكَ اللهُ بِالحَقِّ والعَدْلِ. قالَ: «فأقِدْنِي»، فكَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَطْنِهِ، وقالَ: «اسْتَقِدْ»، قالَ: فاعْتَنَقَهُ فقَبَّلَ بَطْنَهُ، فقالَ: «ما حَمَلَكَ على هذا يا سَوادُ؟» قالَ: يا رَسُولَ الله، حَضَرَ ما تَرى، فأرَدْتُ أنْ يَكُونَ آخِرُ العَهْدِ بِكَ أنْ يَمَسَّ جِلْدِي جِلْدَكَ. فدَعا لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِخَيْرٍ، وقالَهُ لَهُ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ قِصّةَ سَوادِ بنِ غَزِيّةَ حِينَ مَرّ به رسولُ الله ﷺ وهُو «مُسْتَنْتِلٌ أمامَ الصَّفِّ». قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: «مُسْتَنْصِلٌ».

قَوْلُهُ: «مُسْتَنْتِلٌ أمامَ الصَّفِّ»، يُقالُ: استَنتَلْتُ، واستَنْصَلتُ، وابرنذَعْتُ، وابْرَنتَيتُ[١] بِالرّاءِ المُهْمَلةِ وبِالزّايِ، هَكَذا تَقَيّدَ في «الغَرِيبِ........

(١) انظر: «اللسان» (برت)، (برذع).

المُصَنَّفِ»[١]: كُلُّ هَذا إذا تَقَدَّمْتَ.

«سَوادٌ» هَذا بِتَخْفيفِ الواوِ، وكُلُّ سَوادٍ في العَرَبِ كَذَلِكَ بِتَخْفيفِ الواوِ وفَتْحِ السِّينِ، إلّا عَمْرَو بنَ سَوّادٍ أحَدَ بَنِي عامِرِ بن لُؤَيٍّ مِنْ شُيُوخِ الحَدِيثِ، و«سُوادٌ» بِضَمِّ السِّينِ وتَخْفيفِ الواوِ، هو[٢] ابن مُرَيٍّ بن إراشة من قُضاعةَ ثُمّ مِنْ بَلِيّ حُلَفاءِ الأنْصارِ[٣]، ووقَعَ في الأصْلِ مِنْ كَلامِ[٤] ابنِ هِشامٍ سَوّادٌ - مُثقَّلة - ابن غَزِيّة، وهو خطأ، إنّما الصّوابُ ما تَقَدّمَ.

وسَوادٌ هَذا هُو عامِلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ على خَيْبَرَ الّذِي جاءَهُ بِتَمْرٍ جَنِيبٍ، ذَكَرَهُ مالِكٌ في «المُوطّأ» ولَمْ يُسَمّهِ[٥].

وقَوْلُ ابنِ هِشامٍ: «مُسْتَنْصِلٌ»، مَعْناهُ: خارِجٌ مِن الصَّفّ، مِنْ قولك[٦]: نصلتُ الرُّمْحَ: إذا أخَرَجْتَ ثَعْلَبَه مِن السِّنانِ.

* * *

(١) «الغريب المصنف» لأبي عبيد: (٢: ٢٩٣).

(٢) في (ف): «وهو».

(٣) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٢: ١٢٣٣-١٢٣٤).

(٤) في (ف): «قول».

(٥) «الموطأ»، كتاب البيوع: (٢: ٦٢٣). وخبيب: نوع جيد من التّمر.

(٦) في (ف): «قول».

[مُناشَدةُ الرَّسُولِ ﷺ رَبَّهُ النَّصْرَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ عَدَّلَ رَسُولُ الله ﷺ الصُّفُوفَ، ورَجَعَ إلى العَرِيشِ فدَخَلَهُ، ومَعَهُ فيهِ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، لَيْسَ مَعَهُ فيهِ غَيْرُهُ، ورَسُولُ الله ﷺ يُناشِدُ رَبَّهُ ما وعَدَهُ مِن النَّصْرِ، ويَقُولُ فيما يَقُولُ: «اللهُمَّ إنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصابةُ اليَوْمَ لا تُعْبَدْ»، وأبو بَكْرٍ يَقُولُ: يا نَبِيَّ الله: بَعْضَ مُناشَدَتِكَ رَبَّكَ؛ فإنَّ الله مُنْجِزٌ لَكَ ما وعَدَكَ. وقَدْ خَفَقَ رَسُولُ الله ﷺ خَفْقةً وهُوَ في العَرِيشِ، ثُمَّ انْتَبَهَ فقالَ: «أبْشِرْ يا أبا بَكْرٍ، أتاكَ نَصْرُ الله؛ هذا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِعِنانِ فرَسٍ يَقُودُهُ، على ثَناياهُ النَّقْعُ».

وذكر قولَ أبي بكرٍ: «بَعْضَ مُناشَدَتِك رَبَّك؛ فإنّ الله مُنجِزٌ لَك ما وعَدَك»[١]، ورَواهُ غَيْرُ ابنِ إسْحاقَ: «كَذاكَ[٢] مُناشَدَتَك»، وفَسّرَهُ قاسِم [بن ثابت][٣] في «الدَّلائِلِ»، فقالَ: «كَذاكَ»[٤] قَدْ يُرادُ بِها مَعْنى الإغْراءِ والأمْرِ بِالكَفِّ عَن الفِعْلِ، وأُنْشِدَ لِجَرِيرٍ[٥]: [من الوافر]

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الجهاد: (٣: ١٣٨٣-١٣٨٤).

(٢) في (أ)، (ج)، (ف): «كذلك».

(٣) عن (أ)، (ب)، (ف).

(٤) في (أ)، (ب)، (ج): «كذلك».

(٥) «ديوانه» (ص: ٤٧٧)، وصدره:

يقلن وقد تلاحقت المطايا

وانظر: «اللسان» (لحق).

كَذاكَ القَــوْلَ إنّ عَلَيْك عَيْنا

أيْ: حَسْبُـك مِن القَـوْلِ، فدَعْـهُ، وفي «البُخـارِيّ»: أنّ رسـول الله ﷺ قالَ لِأنْجَشَةَ: «يا أنْجَشةُ، رُوَيْدَكَ سَوْقَك بِالقَوارِيرِ»[1]، وأوْرَدَهُ مَرّةً أُخْرى فقالَ فيهِ: «كذاك[2] سوقَكَ بالقوارير». وإنّما دَخَلَهُ مَعْنى النّصَبِ كَما دَخَلَ في «عَلَيْك زَيْدًا» مَعْنى النّصَبِ، وفي دُونِك؛ لِأنّك إذا قُلْتَ: «دُونَك زَيْدًا» وهُو يَطْلُبُهُ فقَدْ أعْلَمْته بِمَكانِهِ، فكَأنّك قُلْت: خُذْهُ، ومَسْألةُ «كَذاكَ» مِنْ هَذا البابِ؛ لِأنّك إذا قُلْت: كَذاكَ القَوْلَ والسّيْرَ، فكَأنّك قُلْت: كَذاكَ أُمِرْتَ فاكْفُفْ ودَعْ، فأصلُ البابَيْنِ واحِدٌ، وهُو ظَرْفٌ بَعْدَهُ ابْتِداءٌ، وهُو خَبَرٌ يَتَضَمّنُ مَعْنى الأمْرِ والإغْراءِ[3] بِالشّيْءِ، أوْ تَرْكِهِ، فنَصَبُوا بِما في ضِمْنِ الكَلامِ، وحَسُنَ ذَلِكَ حَيْثُ لَمْ يَعْدِلُوا عَنْ عامِلٍ لَفْظِيٍّ إلى مَعْنَوِيٍّ، وإنّما عَدَلُوا عَنْ مَعْنَوِيٍّ إلى مَعْنَوِيٍّ، ولَوْ أنّهُمْ حِينَ قالُوا: «دُونَك زَيْدًا[4]» يَلْفِظُونَ بِالفِعْلِ فيَقُولُونَ: اسْتَقَرّ دُونَك زَيْدٌ، وهُمْ يُرِيدُونَ الإغْراءَ بِهِ والأمْرَ بِأخْذِهِ، لَما جازَ النّصْبُ بِوجْهٍ؛ لِأنّ الفِعْلَ ظاهِرٌ لَفْظِيّ، فهُو أقْوى مِن المَعْنَوِيّ.

فَصْلٌ

وفي هَذا الحَدِيثِ مِن المَعانِي أنْ يُقالَ: كَيْفَ جَعَلَ أبُو بَكْرٍ يَأْمُرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بالكفّ عَن الاِجْتِهادِ في الدُّعاءِ، ويُقَوِّي رَجاءَهُ ويُثَبِّتُهُ، ومَقامُ رَسُولِ اللهِ ﷺ هُو المقام الأحمَدُ، ويَقِينُهُ فوْقَ يَقِينِ كُلّ أحَدٍ؟

---

(١) «فتح الباري»، كتاب الأدب: (١٠: ٥٣٨، ٥٥٢)، وانظر الرواية الأخرى كذاك في «الشرح» (١٠: ٥٤٤). و«مسند الإمام أحمد» (٣: ١٨٦، ٢٠٦).

(٢) في (ب)، (ص): «كذلك».

(٣) في (ف): «أو الإغراء».

(٤) في (ف): «زيد».

فَسَمِعْتُ شَيْخَنا الحافِظَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ في هَذا: [كانَ][١] رَسُولُ اللهِ ﷺ في مَقامِ الخَوْفِ، وكانَ صاحِبُهُ في مَقامِ الرَّجاءِ، وكِلا المَقامَيْنِ سَواءٌ في الفَضْلِ، لا نَرِيدُ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ والصِّدّيقَ سَواءٌ، ولَكِن الرَّجاءُ والخَوْفُ مقامانِ لا بُدَّ للإيمانِ منْهما؛ فأبو بكر في تِلْكَ السّاعةِ كانَ في مَقامِ الرّجاءِ للهِ سُبْحانه، والنَّبِيُّ ﷺ كانَ في مَقامِ الخَوْفِ مِن اللهِ تبارك وتعالى؛ لِأَنّ للهِ أَنْ يَفْعَلَ ما يشاءُ، فخافَ أَلّا يَعْبُدَ اللهَ في الأَرْضِ بَعْدَها، فخَوْفُهُ ذَلِكَ عِبادةٌ.

وأَمّا قاسِمُ بنُ ثابتٍ، فذَهَبَ في مَعْنى الحَدِيثِ إلى غَيْرِ هَذا؛ وقالَ: إنّما قالَ ذَلِكَ الصِّدّيقُ مَأْوِيةً[٢] لِلنَّبيّ ﷺ ورِقّةً عَلَيْهِ؛ لِما رَأى مِنْ نَصَبِهِ في الدُّعاءِ والتَّضرُّعِ حَتّى سَقَطَ الرِّداءُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فقالَ لَهُ: بَعْضَ هَذا يا رَسُولَ اللهِ، أيْ: لِمَ تُتْعِبُ نَفْسَك هَذا التَّعَبَ واللهُ قَدْ وعَدَكَ بِالنّصْرِ؟! وكانَ رَقِيقَ القَلْبِ شَدِيدَ الإشْفاقِ على النَّبِيِّ ﷺ.

[قالَ المُؤَلّفُ رضي الله عنه][٣]: وأمّا شِدّةُ اجْتِهادِ النّبيّ ﷺ ونَصَبُهُ في الدُّعاءِ، فإنّهُ رَأى المَلائِكةَ تَنْصَبُّ[٤] في القِتالِ وجِبْرِيلَ على ثَناياهُ الغُبارُ، وأَنْصارَ اللهِ يَخُوضُونَ غِمارَ المَوْتِ. والجِهادُ على ضَرْبَيْنِ: جِهادٌ بالسَّيْفِ، وجِهادٌ بِالدُّعاءِ، ومِنْ سُنّةِ الإمامِ أَنْ يَكُونَ مِنْ وراءِ الجُنْدِ لا يُقاتِلُ مَعَهُمْ، فكانَ الكُلُّ في اجْتِهادٍ وجِدٍّ، ولَمْ يَكُنْ لِيُرِيحَ نَفْسَهُ مِنْ أَحَدِ الجِدّيْنِ والجِهادَيْنِ، وأَنْصارُ اللهِ ومَلائِكَتُهُ يَجْتَهِدُونَ، ولا لِيُؤْثِرَ الدَّعةَ وحِزْبُ اللهِ مَعَ أَعْدائِهِ يَجْتَلِدُونَ.

---

(١) ليس في (ب).
(٢) أي: رقّة، يقال: أوى لهُ وإليه أويًا، ومأوية ومأواة: رقَّ له ورحمه.
(٣) ليس في (أ).
(٤) أي: تتدافع فيه تدافع السيل.

وقَوْلُهُ: «بعض مُناشَدَتِك رَبَّك»، والمُفاعَلةُ لا تكُونُ إلّا مِن اثْنَيْنِ، والرّبُّ لا يَنْشُدُ عَبْدَهُ؛ فإنّما ذَلِكَ لِأنّها مُناجاةٌ لِلرَّبِّ، ومُحاولةٌ لِأمْرٍ يُرِيدُهُ، فلِذَلِكَ جاءَتْ على بِناءِ المُفاعَلةِ، ولا بُدّ في هَذا البابِ مِنْ فِعْلَيْنِ لِفاعِلَيْنِ؛ إمّا مُتَّفِقَيْنِ في اللّفْظِ، وإمّا مُتَّفِقَيْنِ في المَعْنى، وظَنّ أكْثَرُ أهْلِ اللُّغةِ أنّها قَدْ تكُونُ مِنْ واحِدٍ نَحْو: عاقَبْتُ العَبْدَ وطارَقْتُ النَّعْلَ، وسافَرْتُ، وعافاهُ اللهُ.

فنَقُولُ: أمّا «عاقَبْتُ العَبْدَ» فهِيَ مُعامَلةٌ بَيْنَك وبَيْنَهُ؛ عامَلَك بِالذّنْبِ، وعامَلْته بِالعُقُوبةِ، فأُخِذَ لَفْظُها مِن العُقُوبةِ، ووزْنُها مِن المُعاملة.

وأمّا «طارَقْتُ النّعْلَ»، فمِن الطّرْقِ، وهُو القوّة؛ فقَدْ قَوّيْتَها وقَوّتْك على المَشْيِ، فلَفْظُها مِن الطّرْقِ، وبِناؤُها على وزْنِ المُعاونةِ والمُقاواةِ، فهَذا اتّفاقٌ في المَعْنى واللّفْظِ.

وأمّا «سافَرَ الرّجُلُ» فمِنْ سَفَرْتُ: إذا كَشَفْتَ عَنْ وجْهِك، فقَدْ سَفَرَ لِقَوْمٍ، وسَفَرُوا لَهُ، فهذهِ[١] مُوافقَةٌ في اللّفْظِ والمَعْنى.

وأمّا المُعافاةُ، فإنّ السّيّدَ يُعْفي عَبْدَهُ مِنْ بَلاءٍ، فيُعْفي العَبْدُ سَيِّدَهُ مِن الشّكْوى والإلْحاحِ، فهذهِ مُوافقَةٌ في اللّفْظِ، ثُمّ تُضافُ إلى اللهِ اتّساعًا في الكَلامِ، ومَجازًا حَسَنًا.

فَصْلٌ

وذَكرَ قَوْلَ النّبِيِّ ﷺ: «هَذا جِبْرِيلُ على ثَناياهُ النّقْعُ»، وهُو الغُبارُ، وفي حَدِيثٍ آخَرَ أنّهُ قالَ: «رَأيْتُهُ على فرَسٍ [لَهُ][٢] شَقْراءَ، وعَلَيْهِ عِمامةٌ حَمْراءُ،

(١) في (أ): «فهذا».
(٢) عن (أ)، (ب)، (ف).

وقَدْ عَصَمَ ثَنِيَّتيْه[١] الغُبارُ»؛ قالَ ابنُ قُتَيْبةَ[٢]: عَصَمَ وعَصَبَ بِمَعْنًى واحِدٍ، يُقالُ: عَصَبَ الرّيقَ بفيهِ: إذا يَبِسَ، وأنْشَدَ[٣]: [من الرجز]

يَعْصِبُ فاهُ الرِّيقُ أيَّ عَصْبِ

وخالَفَهُ قاسِمُ بنُ ثابتٍ، وقالَ: إنما هُو عُصُمٌ مِن العَصِيمِ والعُصْم[٤]، وهِيَ كالبَقِيّةِ[٥] تَبْقى في اليَدِ ونحوِها مِنْ لَطْخِ حِنّاءٍ، أوْ عَرَقٍ، أوْ شَيْءٍ يُلْصَقُ بالعضْـوِ، كَما قالَت امْـرَأةٌ مِن العَرَبِ لِأُخْرى: «أعْطِني[٦] عُصُمَ حِنّائِك»؛ أيْ: ما سلتَتْهُ مِنْ[٧] حِنّائِها، وقَشَرَتْهُ مِنْ يَدِها.

❊ ❊ ❊

(١) في (أ)، (ج): «بثنيته»، وفي (ص): «بثنيتيه».
(٢) «غريب الحديث» له: (١: ٣٢٤).
(٣) الرجز في «النوادر» لأبي زيد: (ص: ١٨٥)، و«اللسان» (عصب، وطب) منسوبًا لأبي محمد الفقعسي.
(٤) كذا في (أ)، وفي (ب)، (ج): «من العصم والعصم»، وفي (ص): «من العصم وهي بقية». وانظر «اللسان» (عصم).
(٥) في (ف): «البقية».
(٦) في النسخ: «أعطني».
(٧) في (ب): «سلتته منه من». وانظر «اللسان» (عصم).

[مَقْتَلُ مِهْجَعٍ وابنِ سُراقَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ رُمِيَ مِهْجَعٌ مَوْلى عُمَرَ بنِ الخَطّابِ بِسَهْمٍ فقُتِلَ، فكانَ أوَّلَ قَتيلٍ مِن المُسْلِمِينَ، ثُمَّ رُمِيَ حارِثةُ بنُ سُراقةَ ـ أحَدُ بَنِي عَدِيِّ ابنِ النَّجّارِ ـ وهُوَ يَشْرَبُ مِن الحَوْضِ بِسَهْمٍ فأصابَ نَحْرَهُ، فقُتِلَ.

[تَحْرِيضُ المُسْلِمِينَ على القِتالِ]

قالَ: ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى النّاسِ فحَرَّضَهُمْ، وقالَ: «والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لا يُقاتِلُهُم اليَوْمَ رَجُلٌ فيُقْتَلُ صابِرًا مُحْتَسِبًا، مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، إلّا أدْخَلَهُ اللهُ الجَنّةَ». فقالَ عُمَيْرُ بنُ الحُمامِ أخُو بَنِي سَلِمةَ، وفي يَدِهِ تَمَراتٍ يَأْكُلُهُنَّ: بَخْ بَخْ! أفَما بَيْنِي وبَيْنَ أنْ أدْخُلَ الجَنّةَ إلّا أنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلاءِ؟! ثُمَّ قَذَفَ التَّمَراتِ مِنْ يَدِهِ وأَخَذَ سَيْفَهُ، فقاتَلَ القَوْمَ حَتّى قُتِلَ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ حَدِيثَ عُمَيْرِ بنِ الحُمامِ بنِ الجَمُوحِ بنِ زَيْدِ بنِ حَرامٍ حِينَ أَلْقى التَّمَراتِ مِنْ يَدِهِ، وقالَ: «بَخْ بَخْ»، وهِيَ كَلِمةٌ مَعْناها التَّعَجُّبُ، وفيها لُغاتٌ: بَخْ؛ بِسُكُونِ الخاءِ وبِكَسْرِها[1] مَعَ التّنْوِينِ، وبِتَشْدِيدِها[2] مُنَوّنةً، وغَيْرَ مُنَوَّنةٍ،

(١) في (أ): «وكسرها».
(٢) في (ص): «وتشديدها».

وفي حَدِيثِ مُسْلِمٍ والبُخارِيّ: أنّ هذهِ القِصّةَ كانَتْ أيْضًا يَوْمَ أُحُدٍ[١]، لَكِنَّهُ لَمْ يُسَمِّ فيها عُمَيْرًا، ولا غَيْرَهُ. والله[٢] أعلَمُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ: أنَّ عَوْفَ بنَ الحارِثِ ـ وهُوَ ابنُ عَفْراءَ ـ قالَ: يا رَسُولَ الله، ما يُضْحِكُ الرَّبَّ مِنْ عَبْدِهِ؟ قالَ: «غَمْسُهُ يَدَهُ في العَدُوِّ حاسِرًا». فنَزَعَ دِرْعًا كانَتْ عَلَيْهِ فقَذَفَها، ثُمَّ أخَذَ سَيْفَهُ فقاتَلَ القَوْمَ حَتّى قُتِلَ.

[اسْتِفْتاحُ أبي جَهْلٍ بِالدُّعاءِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمِ بنِ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَبْدِالله بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ صُعَيْرٍ العُذْرِيِّ، حَلِيفِ بَنِي زُهْرةَ، أنَّهُ حَدَّثَهُ: أنَّهُ لَمّا التَقى النّاسُ ودَنا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، قالَ أبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ: اللهُمَّ أَقْطَعُنا لِلرَّحِمِ، وآتانا بِمـا لا يُعْرَفُ، فأحِنْهُ الغَداةَ. فكانَ هُوَ المُسْتَفْتِحَ.

[رَمْيُ الرَّسُولِ ﷺ لِلْمُشْرِكِينَ بِالحَصْباءِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ رَسُولَ الله ﷺ أخَذَ حَفْنَةً مِن الحَصْباءِ فاسْتَقْبَلَ قُرَيْشًا بِها، ثُمَّ قالَ: «شاهَت الوُجُوهُ»، ثُمَّ نَفَحَهُمْ بِها، وأمَرَ أصْحابَهُ، فقالَ: «شدُّوا»، فكانَت الهَزِيمةُ، فقَتَلَ الله تَعالى مَنْ قَتَلَ مِنْ صَنادِيدِ قُرَيْشٍ، وأسَرَ مَنْ أسَرَ مِنْ أشْرافِهِمْ. فلَمّا وضَعَ القَوْمُ أيْدِيَهُمْ يَأْسِرُونَ ورَسُولُ الله ﷺ في العَرِيشِ، وسَعْدُ بنُ مُعاذٍ قائِمٌ على بابِ العَرِيشِ الَّذي فيهِ رَسُولُ الله ﷺ، مُتَوَشِّحُ السَّيْفَ في نَفَرٍ مِن الأنْصارِ يَحْرُسُونَ رَسُولَ الله ﷺ، يَخافُونَ عَلَيْهِ

---

(١) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٧: ٣٥٤-٣٥٥)، ومسلم، كتاب الإمارة: (٣: ١٥٠٩).
(٢) في (ف): «فالله».

كَرّةَ العَدُوِّ، ورَأى رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ فيما ذُكِرَ لِي ـ في وجْهِ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ الكَراهِيةَ لِما يَصْنَعُ النّاسُ، فقالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «واللهِ لَكَأنَّكَ يا سَعْدُ تَكْرَهُ ما يَصْنَعُ القَوْمُ»، قالَ: أجَلْ واللهِ يا رَسُولَ اللهِ، كانَتْ أوَّلَ وقْعةٍ أوْقَعَها اللهُ بِأهْلِ الشِّرْكِ، فَكانَ الإثْخانُ في القَتْلِ بِأهْلِ الشِّرْكِ أحَبَّ إلَيَّ مِن اسْتِبْقاءِ الرِّجالِ.

وقولُ عوفِ بنِ عَفْراءَ: «ما يُضْحِكُ الرّبَّ سُبحانه مِنْ عَبْدِهِ يا رَسُولَ اللهِ؟»

قَدْ قِيلَ في عَوْفٍ[١]: «عَوْذٌ» بالذالِ [المنقوطةِ][٢]، ويقوِّي هَذا القَوْلَ أنّ أخَويْهِ: مُعاذٌ ومُعَوِّذٌ.

و«يُضْحِكُ الرّبَّ»، أيْ: يُرْضِيهِ غايةَ الرِّضا، وحَقِيقَتُهُ أنّهُ رِضًا مَعَهُ تَبْشِيرٌ وإظْهارُ كَرامةٍ؛ وذَلِكَ أنّ الضّحِكَ مُضادٌّ لِلْغَضَبِ، وقَدْ يَغْضَبُ السّيّدُ، ولَكِنّهُ يَعْفُو ويُبْقِي العَتَبَ[٣]، فإذا رَضِيَ، فذَلِكَ أكْثَرُ مِن العَفْوِ، فإذا ضَحِكَ فذَلِكَ غايةُ الرِّضا؛ إذْ قَدْ يَرْضى ولا يُظْهِرُ ما في نَفْسِهِ مِن الرِّضا، فعَبّرَ عَن الرِّضا وإظْهارِهِ بِالضَّحِكِ في حَقِّ الرَّبّ سُبْحانَهُ مَجازًا وبَلاغةً، وتَضْمِينًا لِهذهِ المَعانِي في لَفْظٍ وجِيزٍ؛ ولِذَلِكَ قالَ عَلَيْهِ السّلامُ في طَلْحةَ بنِ البَراءِ: «اللهُمّ الْقَ طَلْحةَ يَضْحَكُ إلَيْك، وتَضْحَكُ إلَيْهِ»[٤]. فمَعْنى هَذا: الْقَهُ لِقاءَ مُتَحابّيْنِ مُظْهِرَيْنِ لِما في أنْفُسِهِما مِنْ رِضًا، ومَحَبّةٍ. فإذا قِيلَ: ضَحِكَ الرّبّ إلى فُلانٍ، فهِيَ كَلِمةٌ وجِيزةٌ تَتَضَمّنُ رِضًا مَعَ مَحَبّةٍ وإظْهارِ بِشْرٍ وكَرامةٍ، لا مَزِيدَ عَلَيْهَا، فهِيَ مِنْ جَوامِعِ الكلم التي أُوتيها عليه السلام.

---

(١) بعده في (ف): «بن عفراء».

(٢) عن (أ)، (ب)، (ف).

(٣) في (ص): «يعفو ويعتب».

(٤) أخرجه الطبراني مرسلًا. انظر: «مجمع الزوائد» (٩: ٣٦٥).

[نَهْيُ النَّبِيِّ ﷺ أصْحابَهُ عَنْ قَتْلِ ناسٍ مِن المُشْرِكِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي العَبّاسُ بنُ عَبْدِ الله بنِ مَعْبَدٍ، عَنْ بَعْضِ أهْلِهِ، عَن ابنِ عَبّاسٍ: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ لِأصْحابِهِ يَوْمَئِذٍ: «إنِّي قَدْ عَرَفْتُ أنَّ رِجالًا مِنْ بَنِي هاشِمٍ وغَيْرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كُرْهًا، لا حاجةَ لَهُمْ بِقِتالِنا، فمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أحَدًا مِنْ بَنِي هاشِمٍ فلا يَقْتُلْهُ، ومَنْ لَقِيَ أبا البَخْتَرِيِّ بنَ هِشامِ بنِ الحارِثِ بنِ أسَدٍ فلا يَقْتُلْهُ، ومَنْ لَقِيَ العَبّاسَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، عَمَّ رَسُولِ الله ﷺ فلا يَقْتُلْهُ؛ فإنَّهُ إنَّما أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا».

قالَ: فقالَ أبو حُذَيْفةَ: أنَقْتُلُ آباءَنا وأبناءَنا وإخْوَتَنا وعَشِيرَتَنا ونَتْرُكُ العَبّاسَ؟ والله لَئِنْ لَقِيتُهُ لَأُلْحِمَنَّهُ السَّيْفَ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: لَأُلْجِمَنَّهُ السَّيْفَ ـ قالَ: فبَلَغَتْ رَسُولَ الله ﷺ، فقالَ لِعُمَرَ بنِ الخَطّابِ: «يا أبا حَفْصٍ» ـ قالَ عُمَرُ: والله إنَّهُ لَأوَّلُ يَوْمٍ كَنّانِي فيهِ رَسُولُ الله ﷺ بِأبِي حَفْصٍ ـ «أيُضْرَبُ وجْهُ عَمِّ رَسُولِ الله ﷺ بِالسَّيْفِ؟» فقالَ عُمَرُ: يا رَسُولَ الله، دَعْنِي فلْأضْرِبْ عُنُقَه بِالسَّيْفِ، فوَالله لَقَدْ نافَقَ. فكانَ أبو حُذَيْفةَ يَقُولُ: ما أنا بِآمِنٍ مِنْ تِلْكَ الكَلِمةِ الَّتِي قُلْتُ يَوْمَئِذٍ، ولا أزالُ مِنْها خائِفًا، إلّا أنْ تُكَفِّرَها عَنِّي الشَّهادةُ. فقُتِلَ يَوْمَ اليَمامةِ شَهِيدًا.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وإنَّما نَهى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ قَتْلِ أبِي البَخْتَرِيِّ؛ لِأنَّهُ كانَ أكَفَّ القَوْمِ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ وهُوَ بِمَكّةَ، وكانَ لا يُؤْذِيهِ، ولا يَبْلُغُهُ عَنْهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ، وكانَ مِمَّنْ قامَ فِي نَقْضِ الصَّحِيفةِ الَّتِي كَتَبَتْ قُرَيْشٌ على بَنِي هاشِمٍ وبَنِي المُطَّلِبِ، فلَقِيَهُ المُجَذَّرُ بنُ ذِيادٍ البَلَوِيُّ، حَلِيفُ الأنْصارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي سالِمِ بنِ عَوْفٍ، فقالَ المُجَذَّرُ لِأبِي البَخْتَرِيِّ: إنَّ

رَسُولَ الله ﷺ قَدْ نَهانا عَنْ قَتْلِكَ، ومَعَ أَبِي البَخْتَرِيِّ زَمِيلٌ لَهُ قَدْ خَرَجَ مَعَهُ مِنْ مَكَّةَ ـ وهُوَ جُنادةُ بنُ مُلَيْحة بِنْتِ زُهَيْرِ بنِ الحارِثِ بنِ أَسَدٍ، وَجُنادةُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ. واسْمُ أَبِي البَخْتَرِيِّ: العاصِ ـ قالَ: وزَمِيلِي؟ فَقالَ لَهُ المُجَذَّرُ: لا واللهِ، ما نَحْنُ بِتارِكِي زَمِيلِكَ، ما أَمَرَنا رَسُولُ الله ﷺ إلّا بِكَ وحْدَكَ، فقالَ: لا واللهِ، إذًا لَأَمُوتَنَّ أنا وهُوَ جَمِيعًا، لا تَتَحَدَّثُ عَنِّي نِساءُ مَكَّةَ أَنِّي تَرَكْتُ زَمِيلِي حِرْصًا على الحَياةِ. فقالَ أبو البَخْتَرِيِّ حِينَ نازَلَهُ المُجَذَّرُ وأَبى إلّا القِتالَ، يَرْتَجِزُ:

لَنْ يُسْلِمَ ابنُ حُرّة زَمِيلَهُ ... حَتّى يَمُوتَ أَوْ يَرى سَبِيلَهُ

فاقْتَتَلا، فقَتَلَهُ المُجَذَّرُ بنُ ذِيادٍ.

فَصْلٌ

وقَوْلُ أَبِي البَخْتَرِيِّ: «أنا وزَمِيلي». الزَّمِيلُ: الرَّدِيفُ، ومِنْهُ: ازْدَمَلَ الرّجُلُ بِحَمْلِهِ: إذا أَلْقاهُ على ظَهْرِهِ، وفي «مُسْنَدِ الحارِثِ» عَن ابنِ مَسْعُودٍ، قالَ: كُنّا نَتَعاقَبُ يَوْمَ بَدْرٍ ثَلاثةً على بَعِيرٍ، فكانَ عَلِيٌّ وأَبُو لُبابةَ زَمِيلَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فإذا كانَتْ عُقْبَتُهُ عَلَيْهِ السّلامُ قالا لَهُ: ارْكَبْ، ولْنَمْشِ عَنْك يا رَسُولَ اللهِ، فيَقُولُ: «ما أَنْتُما بِأَقْوى على المَشْيِ مِنِّي، ولا أنا بِأَغْنى عَن الأَجْرِ مِنْكُما»[1].

* * *

(١) قال في «مجمع الزوائد» (٦ : ٦٨): «رواه أحمد والبزار». وانظر: «مسند أحمد» (١ : ٤١١).

وقالَ المُجَذَّرُ بنُ ذِيادٍ في قَتْلِهِ أبا البَخْتَرِيِّ:

إمّا جَهِلْتَ أوْ نَسِيتَ نَسَبِي ... فأثْبِتِ النِّسْبةَ أنِّي مِنْ بَلِي
الطّاعِنِينَ بِرِماحِ اليَزَنِي ... والضّارِبِينَ الكَبْشَ حَتّى يَنْحَنِي
بَشِّرْ بِيُتْمٍ مَنْ أبوهُ البَخْتَرِي ... أوْ بَشِّرَنْ بِمِثْلِها مِنِّي بَنِي
أنا الَّذي يُقالُ: أصْلِي مِنْ بَلِي ... أُطْعَنُ بِالصَّعْدةِ حَتّى تَنْثَنِي
وَأعْبِط القِرْنَ بِعَضْبٍ مَشْرَفِي ... أُرْزِمُ لِلْمَوْتِ كَإرْزامِ المَرِي
فَلا تَرى مُجَذَّرًا يَفْرِي فرِي

قالَ ابنُ هِشامٍ: «المَرِيُّ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ. والمَرِيُّ: النّاقةُ الَّتي يُسْتَنْزَلُ لَبَنُها على عُسْرٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ إنَّ المُجَذَّرَ أتى رَسُولَ الله ﷺ، فقالَ: والَّذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لَقَدْ جَهَدْتُ عَلَيْهِ أنْ يَسْتَأْسِرَ فآتِيكَ بِهِ، فَأبى إلّا أنْ يُقاتِلَنِي، فقاتَلْتُهُ فقَتَلْتُهُ.

قالَ ابنَ هِشامٌ: أبو البَخْتَرِيِّ: العاصِ بنُ هِشامِ بنِ الحارِثِ بنِ أسَدٍ.

وقَوْلُ المُجَذِّرِ: «كَإرْزامِ المَرِي». المَرِيُّ: النّاقةُ تُمْرى لِلْحَلْبِ، أيْ: تُمْسَحُ أخْلافُها. وإرْزامُها: صَوْتُها وهَدْرُها، وقَدْ تَقَدّمَ الفَرْقُ بَيْنَ أرْزَمَتْ ورَزَمَتْ(١).

---

(١) انظر: (٤: ٢٢٥).

[مَقْتَلُ أُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي يَحْيى بنُ عَبّادِ بنِ عَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ، قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِيهِ أيْضًا عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ وغَيْرُهُما، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، قالَ: كانَ أُمَيّةُ بنُ خَلَفٍ لِي صَدِيقًا بِمَكّةَ، وكانَ اسْمِي: عَبْدَ عَمْرٍو، فتَسَمَّيْتُ حِينَ أسْلَمْتُ: عَبْدَ الرَّحْمَنِ، ونَحْنُ بِمَكّةَ، فكانَ يَلْقانِي إذْ نَحْنُ بِمَكّةَ فيقُولُ: يا عَبْدَ عَمْرٍو، أرَغِبْتَ عَن اسْمٍ سَمّاكَهُ أبَواكَ؟ فأقُولُ: نَعَمْ، فيقُولُ: فإنِّي لا أعْرِفُ الرَّحْمَنَ، فاجْعَلْ بَيْنِي وبَيْنَكَ شَيْئًا أدْعُوكَ بِهِ، أمّا أنْتَ فلا تُجِيبُنِي بِاسْمِكَ الأوَّلِ، وأمّا أنا فلا أدْعُوكَ بِما لا أعْرِفُ، قالَ: فكانَ إذا دَعانِي: يا عَبْدَ عَمْرٍو، لَمْ أُجِبْهُ.

قالَ: فقُلْتُ لَهُ: يا أبا عَلِيٍّ، اجْعَلْ ما شِئْتَ، قالَ: فأنْتَ عَبْدُ الإلَهِ، قالَ: فَقُلْتُ: نَعَمْ، قالَ: فكُنْتُ إذا مَرَرْتُ بِهِ قالَ: يا عَبْدَ الإلَهِ، فأُجِيبُهُ، فأتَحَدَّثُ مَعَهُ، حَتّى إذا كانَ يَوْمُ بَدْرٍ، مَرَرْتُ بِهِ وهُوَ واقِفٌ مَعَ ابنِهِ عَلِيِّ ابنِ أُمَيّةَ، آخِذٌ بِيَدِهِ، ومَعِي أدْراعٌ قَد اسْتَلَبْتُها، فأنا أحْمِلُها، فلَمّا رَآنِي قالَ لِي: يا عَبْدَ عَمْرٍو، فلَمْ أُجِبْهُ، فقالَ: يا عَبْدَ الإلَهِ، فقُلْتُ: نَعَمْ، قالَ: هَلْ لَكَ فِيَّ؛ فأنا خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذِهِ الأدْراعِ الَّتِي مَعَكَ؟ قالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، ها الله ذا. قالَ: فَطَرَحْتُ الأدْراعَ مِنْ يَدِي، وأخَذْتُ بِيَدِهِ ويَدِ ابنِهِ، وهُوَ يَقُولُ: ما رَأيْتُ كاليَوْمِ قَطُّ، أما لَكُمْ حاجةٌ في اللَّبَنِ؟ قالَ: ثُمَّ خَرَجْتُ أمْشِي بِهِما.

قالَ ابنُ هِشامٍ: يُرِيدُ بِاللَّبَنِ: أنَّ مَنْ أسَرَنِي افْتَدَيْتُ مِنْهُ بِإبِلٍ كَثِيرةِ اللَّبَنِ.

وقَوْلُ عَبْدِ الرّحْمَنِ بنِ عَـوْفٍ لِأُمَيّةَ: «ها اللهِ ذا»؛ «ها»: تَنْبِيهٌ، و«ذا» إشارةٌ إلى نَفْسِهِ، وقالَ بَعْضُهُمْ: إلى القَسَمِ، أيْ: هَذا قَسَمِي، وأُراها إشـارةً إلـى المُقْسِمِ، وخَفْضُ اسْمِ «اللهِ» بِحَرْفِ القَسَمِ أضْمَرَهُ، وقامَ التّنْبِيهُ مَقامَهُ، كَما يَقُومُ الِاسْتِفْهامُ مَقامَهُ، فكَأنّهُ قال: هأنذا مُقْسِمٌ، وفَصَلَ بِالِاسْمِ المُقْسَمِ بِهِ بَيْنَ «ها» و«ذا»، فعُلِمَ أنّهُ هُو[1] المُقْسِمُ فاسْتُغْنِيَ عَنْ «أنا»، وكذلك قَوْلُ أبي بكرٍ: «لا ها الله ذا»[2]. وقَولُ زُهيرٍ[3]: [من البسيط]

تَعَلَّمَنْ ها لَعَمْرُو[4] اللهِ ذا قسمًا

أكّدَ بِالمَصْدَرِ قَسَمَهُ الّذِي دلَّ عليه لفظُهُ المتقدِّمُ.

* * *

(١) «هو» ليست في (ف).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة حنين: (٨: ٣٤-٣٥)، وفيه: «لا ها الله إذًا».
ويقول ابن الأثير في «النهاية»: «والصواب: لا ها الله ذا».

(٣) «ديوانه» (ص: ١٨٢)، وعجزه:

فاقصدْ بذرعِكَ وانظرْ أين تنسلكُ؟

وانظر: «الكتاب» (٣: ٥٠٠، ٥١٠)، و«الخزانة» (٥: ٤٥١)، و«المقاصد الشافية» (٥: ٥٣٣).

(٤) في (ف): «لعمر».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَني عَبْدُ الواحِدِ بنُ أبي عَوْنٍ، عَنْ سَعْدِ بنِ إبْراهِيمَ، عَنْ أبيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ، قالَ: قالَ لِي أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، وأنا بَيْنَهُ وبَيْنَ ابنِهِ آخِذٌ بِأيْدِيهِما: يا عَبْدَ الإلَهِ، مَن الرَّجُلُ مِنكُم المُعْلَمُ بِرِيشَةِ نَعامةٍ في صَدْرِهِ؟ قالَ: قُلْتُ: ذاكَ حَمْزةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، قالَ: ذاكَ الَّذي فعَلَ بِنا الأفاعِيلَ. قالَ عبد الرَّحْمَن: فوَاللهِ إنِّي لَأقُودُهُما إذْ رَآهُ بِلالٌ مِعي ـ وكانَ هُوَ الَّذي يُعَذِّبُ بِلالًا بِمَكّةَ على تَرْكِ الإسْلامِ، فيخْرِجُهُ إلى رَمْضاءِ مَكّةَ إذا حمِيَتْ، فيُضْجِعُهُ على ظَهْرِهِ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرةِ العَظِيمةِ فتُوضَعُ على صَدْرِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: لا تَزالُ هَكَذا أوْ تُفارِقَ دِينَ مُحَمَّدٍ، فيقُولُ بِلالٌ: أحَدٌ أحَدٌ ـ قالَ: فلَمّا رَآهُ، قالَ: رَأْسُ الكُفرِ أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، لا نَجَوْتُ إنْ نَجا. قالَ: قُلْتُ: أيْ بِلالُ، أبِأسِيريَّ؟! قالَ: لا نَجَوْتُ إنْ نَجا. قالَ: قُلْتُ: أتَسْمَعُ يا ابنَ السَّوْداءِ؟! قالَ: لا نَجَوْتُ إنْ نَجا. قالَ: ثُمَّ صَرَخَ بِأعلى صَوْتِهِ: يا أنْصارَ اللهِ، رَأْسُ الكُفْرِ أُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، لا نَجَوْتُ إنْ نَجا. قالَ: فأحاطُوا بِنا حَتّى جَعَلُونا في مِثْلِ المُسْكةِ وأنا أذُبُّ عَنْهُ.

قالَ: فأخْلَفَ رَجُلٌ السَّيْفَ، فضَرَبَ رِجْلَ ابنِهِ فوَقَعَ، وصاحَ أُمَيّةُ صَيْحةً ما سَمِعْتُ مِثْلَها قَطُّ. قالَ: فقُلْتُ: انْجُ بِنَفْسِكَ، ولا نَجاءَ بكَ؛ فوَاللهِ ما أُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. قالَ: فهَبرُوهُما بِأسْيافِهِمْ، حَتّى فرَغُوا مِنْهُما. قالَ: فكانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: يَرْحَمُ اللهُ بِلالًا؛ ذَهَبَتْ أدْراعِي وفَجَعَنِي بِأسِيرَيَّ.

وقَوْلُهُ: «هَبَرُوهُ بِأسْيافِهِمْ»، مِن الهَبْرةِ، وهِيَ القطعةُ العظيمةُ من اللَّحم، أي: قطَّعوهُ[1].

[شُهُودُ المَلائِكةِ وقْعةَ بَدْرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبِي بَكْرٍ، أنَّهُ حُدِّثَ عَن ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفارٍ، قالَ: أقْبَلْتُ أنا وابنُ عَمٍّ لِي حَتّى أصْعَدْنا فِي جَبَلٍ يُشْرِفُ بِنا على بَدْرٍ، ونَحْنُ مُشْرِكانِ، نَنْتَظِرُ الوَقْعةَ على مَنْ تَكُونُ الدَّبْرةُ، فنَنْتَهِبُ مَعَ مَنْ يَنْتَهِبُ. قالَ: فبَيْنا نَحْنُ فِي الجَبَلِ، إذْ دَنَتْ مِنّا سَحابةٌ، فسَمِعْنا فيها حَمْحَمةَ الخَيْلِ، فسَمِعْتُ قائِلًا يَقُولُ: اقْدُمْ حَيْزُومُ، فأمّا ابنُ عَمِّي فانْكَشَفَ قِناعُ قَلْبِهِ، فماتَ مَكانَهُ، وأمّا أنا فكِدْتُ أهْلِكُ، ثُمَّ تَماسَكْتُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبِي بَكْرٍ، عَنْ بَعْضِ بَنِي ساعِدةَ، عَنْ أبِي أُسَيْدٍ مالِكِ بنِ رَبِيعةَ ـ وكانَ شَهِدَ بَدْرًا ـ قالَ بَعْدَ أنْ ذَهَبَ بَصَرُهُ: لَوْ كُنْتُ اليَوْمَ بِبَدْرٍ ومَعِي بَصَرِي لَأرَيْتُكُم الشِّعْبَ الَّذي خَرَجَتْ مِنْهُ المَلائِكةُ، لا أشُكُّ فيهِ ولا أتَمارى.

وذَكَرَ قَوْلَ الغِفارِيِّ حِينَ سَمِعَ حَمْحَمةَ الخَيْلِ في السَّحابةِ، وسمِعَ قائلًا يقولُ: «اقدُمْ حَيْزُومُ»[2] [قالَ[3] ابنُ دُرَيدٍ: «اقدم حَيزُوم» زَجْرٌ[4] للفَرَس، كأنه

(١) في (أ)، (ب)، (ف): «قطعوا».
(٢) انظر: «مغازي الواقدي» (١: ٧٦-٧٧).
(٣) بعده في (أ)، (ب)، (ص): «لي»، والصواب حذفها كما في (ف).
(٤) في (ف): «زجرًا».

يُؤمَرُ بالإقْدام، هكذا قالتِ[1] العَربُ في كتابِ «المغازي»، «اقدم» بكسرِ الهمزة[2]، والوجهُ ما أنبأتُك[3]][4] «اقْدُمْ» بِضَمّ الدّالِ؛ أيْ: اقْدُم الخَيْلَ، وهو اسمُ فَرَسِ جِبْريلَ، وهُو «فيْعُولٌ» مِن الحَزْم، والحَيْزُومُ أيْضًا: أعْلى الصَّدْرِ، فيَجُوزُ أنْ يَكُونَ أيْضًا سُمِّيَ بهِ؛ لِأنّهُ صَدْرٌ لِخَيْلِ المَلائِكةِ، ومُتَقَدِّمٌ عَلَيْها، والحَياةُ أيْضًا: فرَسٌ أُخْرى لِجِبْريلَ لا تَمَسُّ شَيْئًا إلّا حَيِيَ، وهِيَ الّتِي قَبَضَ مِنْ أثَرِها السّامِرِيّ، فألْقاها[5] في العِجْلِ الّذِي صاغَهُ مِنْ ذهَبٍ، فكان له خُوارٌ، ذَكَرَهُ الزَّجّاجُ[6].

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي أبِي إسْحاقُ بنُ يَسارٍ، عَنْ رِجالٍ مِنْ بَنِي مازِنِ ابنِ النَّجّارِ، عَنْ أبِي داوُدَ المازِنِيِّ ـ وكانَ شَهِدَ بَدْرًا ـ قالَ: إنِّي لَأتَّبِعُ رَجُلًا مِن المُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ لِأضْرِبَهُ، إذْ وقَعَ رَأْسُهُ قَبْلَ أنْ يَصِلَ إلَيْهِ سَيْفِي، فعَرَفْتُ أنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مَنْ لا أتَّهِمُ، عَنْ مِقْسَمٍ مَوْلى عَبْدِ اللهِ بنِ الحارِثِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبّاسٍ، قالَ: كانَتْ سِيما المَلائِكةِ يَوْمَ بَدْرٍ عَمائِمَ بِيضًا قَدْ أرْسَلُوها على ظُهُورِهِمْ، ويَوْمَ حُنَيْنٍ عَمائِمَ حُمْرًا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ: أنَّ عَلِيَّ بنَ أبِي طالِبٍ قالَ: العَمائِمُ تِيجانُ العَرَبِ، وكانَتْ سِيما المَلائِكةِ يَوْمَ بَدْرٍ عَمائِمَ بِيضًا قَدْ

(١) في (ف): «هكذا كلام».
(٢) إن كان أراد به الإقدام فضبطه: «أَقْدِم»، وأما كسر الهمزة فلعله من قدِم يقدَم.
(٣) انظر «المغازي» (١: ٧٧)، لعله رواه الزجاج عن ابن دريد.
(٤) من (أ)، (ف).
(٥) في (أ)، (ج): «وألقاها».
(٦) انظر: «تفسير القرطبي» (٦: ١٢٥-١٢٦).

أَرْخَوْها على ظُهورِهِمْ، إلّا جِبْرِيلَ؛ فإنَّهُ كانَتْ عَلَيْهِ عِمامةٌ صَفْراءُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني مَنْ لا أَتَّهِمُ، عَنْ مِقْسَمٍ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: وَلَمْ تُقاتِلِ المَلائِكةُ في يَوْمٍ سِوى بَدْرٍ مِن الأيّامِ، وكانُوا يَكُونُونَ فيما سِواهُ مِن الأيّامِ عَدَدًا ومَدَدًا لا يَضْرِبُونَ.

[مَقْتَلُ أبي جَهْلٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأَقْبَلَ أبو جَهْلٍ يَوْمَئِذٍ يَرْتَجِزُ وهُوَ يُقاتِلُ ويَقُولُ:

ما تَنْقِمُ الحَرْبُ العَوانُ مِنِّي؟ بازِلُ عامَيْنِ حَدِيثٌ سِنِّي
لِمِثْلِ هذا ولَدَتْني أُمِّي

[شِعارُ المُسْلِمينَ بِبَدْرٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ شِعارُ أصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: أَحَدٌ أَحَدٌ.

فَصل

وذَكَرَ أبا داوُدَ المازِنِيَّ وقَوْلَهُ: «لَقَد اتَّبَعْتُ رَجُلًا مِن المُشْرِكِينَ، فسَقَطَ رَأْسُهُ قَبْلَ أنْ أصِلَ إلَيْهِ». اسْمُ أبِي داوُدَ هَذا عَمْرٌو، وقِيلَ: عُمَيْرُ بنُ عامِرٍ، وهُو الّذِي قَتَلَ أبا البَخْتَرِيِّ بنَ هِشامٍ، وأخَذَ سَيْفَهُ في قَوْلِ طائفةٍ من أهْلِ السِّيَرِ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ، وقالَ ابنُ إسْحاقَ: قَتَلَهُ المُجَذِّرُ، كَما تَقَدَّمَ[١].

* * *

(١) انظر: «أسد الغابة» (٦: ٩٥).

[عَوْدٌ إلى مَقْتَلِ أبي جَهْلٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا فرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ عَدُوِّهِ، أمَرَ بِأبي جَهْلٍ أنْ يُلْتَمَسَ في القَتْلى.

وَكانَ أوَّلَ مَنْ لَقِيَ أبا جَهْلٍ ـ كَما حَدَّثَنِي ثَوْرُ بنُ يَزِيدَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، وعَبْدِ الله بنِ أبي بَكْرٍ أيْضًا قَدْ حَدَّثَنِي ذلك، قالا: ـ قالَ مُعاذُ بنُ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ أخُو بَنِي سَلِمَةَ: سَمِعْتُ القَوْمَ وأبو جَهْلٍ في مِثْلِ الحَرَجةِ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: الحَرَجةُ: الشَّجَرُ المُلْتَفُّ. وفي الحَدِيثِ عَنْ عُمَرَ ابنِ الخَطّابِ: أنَّهُ سَأَلَ أعْرابِيًّا عَن الحَرَجةِ، فقالَ: هِيَ شَجَرةٌ مِنَ الأشْجارِ لا يُوصَلُ إلَيْها ـ وهُمْ يَقُولُونَ: أبو الحَكَمِ لا يُخْلَصُ إلَيْهِ. قالَ: فلَمّا سَمِعْتُها جَعَلْتُهُ مِنْ شَأْنِي، فصَمَدْتُ نَحْوَهُ، فلَمّا أمْكَنَنِي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فضَرَبْتُهُ ضَرْبةً أطَنَّتْ قَدَمَهُ بِنصْف ساقه، فوَالله ما شَبَّهْتها حِينَ طاحَتْ إلّا بِالنَّواةِ تطِيحُ مِنْ تَحْتِ مِرْضَخةِ النَّوى حِينَ يُضْرَبُ بِها. قالَ: وضَرَبَنِي ابنُهُ عِكْرِمةُ على عاتِقِي، فطَرَحَ يَدِي، فتَعَلَّقَتْ بِجِلْدةٍ مِنْ جَنْبِي، وأجْهَضَنِي القِتالُ عَنْهُ، فلَقَدْ قاتَلْتُ عامّةَ يَوْمِي وإنِّي لَأسْحَبُها خَلْفِي، فلَمّا آذَتْنِي وضَعْتُ عَلَيْها قَدَمِي، ثُمَّ تَمَطَّيْتُ بِها عَلَيْها حَتّى طَرَحْتُها.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ عاشَ بَعْدَ ذلك حَتّى كانَ زَمانُ عُثْمانَ بن عفان.

وقَوْلُ مُعاذِ بنِ عفراءَ في مَقْتَلِ أبي جَهْلٍ: «ما شبَّهتُ رِجلَه حين طاحت إلّا بالنَّواةِ تَطِيحُ مِنْ تَحْتِ المِرْضَحةِ». طاحَتْ: ذَهَبَتْ، ولا يَكُونُ إلّا ذَهابَ هَلاكٍ، والمِرْضَحةُ: كالإرزبّة يُدَقُّ بها النَّوى للعَلَفِ، والرَّضْحُ بالحاءِ مُهْمَلةً: كَسْرُ اليابِسِ، والرّضْخُ: كَسْرُ الرّطبِ، ووقعَ في أصلِ الشَّيخِ «المِرضَحةُ» بالحاءِ والخاءِ مَعًا، ويَدُلُّك على أنّهُ كَسرٌ لِما صَلُبَ واشتدَّ قَوْلُ الطّائِيِّ[١]: [من الطويل]

أيرْضَحُنِي رَضْحَ النّوى وهْو مُصْمَتٌ ... ويَأْكُلُنِــي أكْلَ الدَّبى وهْو جائعُ؟

وإنما نحتجُّ[٢] بِقَوْلِ الطّائِيّ ـ وهُو حَبِيبُ [بنُ أوْسٍ][٣] ـ لِعِلْمِهِ، لا لِأنّهُ عَرَبِيّ يُحْتَجُّ بِلُغَتِهِ.

ثُمَّ مَرَّ بِأبِي جَهْلٍ وهُوَ عَقِيرٌ مُعَوِّذُ بنُ عَفْراءَ، فضَرَبَهُ حَتّى أثْبَتَهُ، فتَرَكَهُ وبِهِ رَمَقٌ، وقاتَلَ مُعَوِّذٌ حَتّى قُتِلَ، فمَرَّ عَبْدُ الله بنُ مَسْعُودٍ بِأبِي جَهْلٍ حِينَ أمَرَ رَسُولُ الله ﷺ أنْ يُلْتَمَسَ في القَتْلى، وقَدْ قالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ ـ فيما بَلَغَنِي ـ: «انْظُرُوا إنْ خَفِيَ عَلَيْكُمْ في القَتْلى إلى أثَرِ جُرْحٍ في رُكْبَتِهِ؛ فإنِّي ازْدَحَمْتُ يَوْمًا أنا وهُوَ على مَأْدُبةٍ لِعَبْدِ الله بنِ جُدْعانَ ونَحْنُ غُلامانِ، وكُنْتُ أشَفَّ مِنْهُ بِيَسِيرٍ، فدَفَعْتُهُ فوَقَعَ على رُكْبَتَيْهِ، فجُحِشَ في إحْداهُما جَحْشًا لَمْ يَزَلْ أثَرُهُ بِهِ». قالَ عَبْدُ الله بنُ مَسْعُودٍ: فوَجَدْتُهُ بِآخِرِ رَمَقٍ فعَرَفْتُهُ، فوَضَعْتُ رِجْلِي على عُنُقِهِ، قالَ: وقَدْ كانَ ضَبَثَ بِي مَرّةً بِمَكّةَ، فآذانِي ولَكَزَنِي،

---

(١) هو أبو تمام، والبيت في «ديوانه» (ص: ٤٧٨)، وفيه: «أيرضخنا رَضْخ»، بالخاء المعجمة. وفي «اللسان» (رضح): «الرَّضحُ مثل الرَّضخ، وهو كسر الحصى أو النوى». والدّبى: الجراد قبل أن يطير.

(٢) في (أ): «يحتج».

(٣) عن (ص)، (ف).

ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: هَلْ أخزاكَ الله يا عَدُوَّ الله؟ قالَ: وبِماذا أخْزانِي الله؟ أعْمَدُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ! أخْبِرْنِي لِمَن الدّائِرةُ اليَوْمَ؟ قالَ: قُلْتُ: لله ولِرَسُولِهِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ضَبَثَ: قَبَضَ عَلَيْهِ ولَزِمَهُ. قالَ ضابِئُ بنُ الحارِثِ البُرْجُمِيُّ:

فَأصْبَحْتُ مِمّا كانَ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ … مِن الـوُدِّ مِثْلَ الضّابِثِ الماءَ بِاليَدِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: أعارٌ على رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ؟! أخْبِرْنِي لِمَن الدّائِرةُ اليَوْمَ؟

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وزَعَمَ رِجالٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ، أنَّ ابنَ مَسْعُودٍ كانَ يَقُولُ: قالَ لِي: لَقَد ارْتَقَيْتَ مُرْتَقًى صَعْبًا يا رُوَيْعِيَّ الغَنَمِ، قالَ: ثمَّ احتَزَزْتُ رَأْسَهُ ثُمَّ جِئْتُ بِهِ رَسُولَ الله ﷺ، فقُلْتُ: يا رَسُولَ الله، هذا رَأْسُ عَدُوِّ الله أبي جَهْلٍ، قالَ: فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «آللهِ الَّذي لا إلَهَ غَيْرُهُ؟» قالَ: وكانَتْ يَمِينَ رَسُولِ الله ﷺ، قالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، والله الَّذي لا إلَهَ غَيْرُهُ، ثُمَّ أَلْقَيْتُ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ، فحَمِدَ الله.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي أبو عُبَيْدةَ وغَيْرُهُ مِنْ أهْلِ العِلْمِ بِالمَغازِي: أنَّ عُمَرَ بن الخَطّابِ قالَ لِسَعِيدِ بنِ العاصِ ومَرَّ بِهِ: إنِّي أراكَ كَأنَّ في نَفْسِكَ شَيْئًا، أراكَ تَظُنُّ أنِّي قَتَلْتُ أباكَ؟ إنِّي لَوْ قَتَلْتُهُ لَمْ أعْتَذِرْ إلَيْكَ مِنْ قَتْلِهِ، ولَكِنِّي قَتَلْتُ خالِي العاصِ بنَ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ، فأمّا أبوكَ فإنِّي مَرَرْتُ بِهِ وهُوَ يَبْحَثُ بَحْثَ الثَّوْرِ بِرَوْقِهِ فحِدْتُ عَنْهُ، وقَصَدَ لَهُ ابنُ عَمِّهِ عَلِيٌّ فقَتَلَهُ.

وذَكرَ الغُلامَيْنِ اللّذَيْنِ قَتَلا أبا جَهْلٍ، وأنّهُما مُعاذُ بنُ عَمْرِو بنِ الجموحِ، ومعوِّذُ بنُ عَفْراءَ، وفي «صحيح مسلم» أنهما معاذُ بنُ عَفْراءَ ومُعاذُ بنُ عَمْرِو ابنِ الجَمُوحِ(١)، وعَفْراءُ هِيَ بِنْتُ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُبَيْد بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمِ ابنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ، عُرِفَ بِها بَنُو عَفْراءَ، وأبُوهُم الحارِثُ بنُ رُفاعةَ(٢) بنِ سَوادٍ على اخْتِلافٍ في ذَلِكَ، ورِوايةُ ابنِ إدْرِيسَ(٣) عَن ابنِ إسْحاقَ، كَما في كِتابِ مُسْلِمٍ، قالَ أبُو عُمَرَ(٤): وأصَحُّ مِنْ هَذا كُلّهِ حَدِيثُ أنَسٍ حِينَ قالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ أبِي جَهْلٍ؟...» الحَدِيث(٥)، وفيهِ أنّ ابنَيْ عَفْراءَ قَتَلاهُ.

وقَوْلُ أبِي جَهْلٍ: «أعْمَدُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ؟!». ويُرْوى: «قَتَلَهُ قَوْمُهُ»(٦)؛ أيْ: هَلْ فوْقَ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ؟! وهُو في(٧) مَعْنى تَفْسِيرِ ابنِ هِشامٍ؛ حَيْثُ قالَ(٨): لَيْسَ عَلَيْهِ عارٌ، والأوّلُ تَفْسِيرُ أبِي عُبَيْدٍ في «غَرِيبِ الحَدِيثِ»(٩)،

---

(١) مسلم، كتاب الجهاد: (٣: ١٣٧٢).

(٢) في «جمهرة ابن حزم» (ص: ٣٤٩): «... رفاعة بن الحارث بن سواد». ومثله في «أسد الغابة» (٥: ١٩٧).

(٣) هو عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودي. انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم: (٥: ٨-٩)، و«أسد الغابة» (٥: ١٩٨)، فقد روى الأثر ابن أبي خيثمة، عن يوسف بن بهلول، عن ابن إدريس.

(٤) «الاستيعاب» لابن عبد البر: (٣: ١٤٠٩). (ج)

(٥) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، رقم (٣٩٦٢)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب قتل أبي جهل، رقم (١٨٠٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. (ج)

(٦) في (ج)، (ص): «أو قتله قومه».

(٧) «في» ليس في (ف).

(٨) بعده في (ف): «أي».

(٩) «غريب الحديث» (٤: ٥٥).

وقَدْ(١) أنْشَدَ(٢): [من الطويل]

وأعْمَدُ مِنْ قَـوْمٍ كَفاهُمْ أخُوهُمُ صِدامَ الأعادِي حِينَ فَلَّتْ نُيُوبُها

[قالَ المُؤَلِّفُ أبو القاسم](٣): وهُو عِنْدِي مِنْ قَوْلِهِمْ: عَمِدَ البَعِيرُ يَعْمَدُ: إذا انفَضَخَ(٤) سَنامُهُ، فهَلَكَ؛ أيْ: أهْلَكُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ؟! وما ذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ مِنْ قَوْلِ أبِي جَهْلٍ هَذا، وما ذَكَرُوهُ أيْضًا مِنْ قَوْلِهِ لِابنِ مَسْعُودٍ: «لَقَد ارْتَقَيْتَ مُرْتَقًى صعبًا يا رُوَيْعِيَّ الغَنَمِ» يُعارِضُ ما وقَعَ في «سِيَرِ(٥) ابنِ شِهابٍ»(٦)، وفي «مَغازِي ابنِ عُقْبَةَ»: أنّ ابنَ مَسْعُودٍ وجَدَهُ جالِسًا لا يَتَحَرّكُ، ولا يَتَكَلّمُ، فسَلَبَهُ دِرْعَهُ، فإذا في بَدَنِهِ نُكَتٌ سُودٌ، فحَلّ تَسْبغةَ(٧) البَيْضةِ وهُو لا يَتَكَلّمُ، واخْتَرَطَ(٨) سَيْفَهُ ـ يَعْنِي: سَيْفَ أبِي جَهْلٍ ـ فضَرَبَ بِهِ عُنُقَهُ، ثُمّ سَألَ رَسُولَ اللهِ ﷺ حين احْتَمَلَ رَأْسَهُ إلَيْهِ عَنْ تِلْكَ النُّكَتِ السُّودِ الّتِي رَآها في بَدَنِهِ، فأخْبَرَهُ(٩) ﷺ أنّ المَلائِكةَ قَتَلَتْهُ، وأنّ تِلْكَ آثارُ ضَرْبِ المَلائِكةِ له.

ورَوى(١٠) يُونُسُ، عَنْ أبِي العُمَيْسِ، قالَ: أرانِي القاسِمُ بنُ عَبْدِ الرّحْمَنِ

(١) «قد» ليست في (ف).
(٢) نُسِب في «غريب أبي عبيد» لابن ميادة المري، وكذلك في «الفائق» للزمخشري: (٢: ١٨)، وفي «اللسان» (عمد) عن الأزهري لابن مقبل. ولم أجده في شعر ابن ميادة.
(٣) عن (أ)، (ب)، (ف).
(٤) في (ف): «تفضح».
(٥) في (ف): «تفسير».
(٦) في (أ): «سيرة ابن هشام».
(٧) تَسْبِغة البيضة ـ وهي الخُوذة ـ ما تُوصَل به من حَلَق الدُّروع فتستر العنق.
(٨) في (أ)، (ب): «فاخترط».
(٩) بعده في (ف): «الرسول».
(١٠) في (ف): «روى» بدون واو.

سَيْفَ عَبْدِ الله بنِ مسعود، قال(١): هذا سيفُ أَبِي جَهْلٍ حِينَ قَتَلَهُ أَخَذَهُ، فإذا(٢) سَيْفٌ قَصِيرٌ عَرِيضٌ فيهِ قَبَائِعُ(٣) فِضَّةٍ، [وحَلَقُ](٤) فِضَّةٍ. قالَ أَبُو العُمَيس(٥): فضَرَبَ بِهِ القاسِمُ عُنُقَ ثَوْرٍ فقَطَعَهُ، وثَلَمَ فيهِ ثَلْمًا، فرَأَيْتُ القاسِمَ جَزِعَ مِنْ ثَلْمِهِ جَزَعًا شَدِيدًا.

وقَوْلُ النَّبيِّ ﷺ: «آللهِ الّذِي لا إلَهَ إلّا هُو؟» بالخَفْضِ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ(٦) وغَيْرِهِ؛ لِأَنَّ الِاسْتِفْهامَ عِوضٌ مِن الخافِضِ عِنْدَهُ، وإذا كنتَ مُخبِرًا قُلْت: «اللهَ» بِالنَّصْبِ لا يُجِيزُ المُبَرِّدُ غَيْرَهُ(٧)، وأجازَ سِيبَوَيْهِ الخَفْضَ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ قَسَمٌ(٨)، وقَدْ عُرِفَ أَنَّ المُقْسَمَ بِهِ مَخْفُوضٌ بِالباءِ أَوْ بِالواوِ، ولا يَجُوزُ إضْمارُ حُرُوفِ الجَرِّ إلّا في مِثْلِ هَذا المَوْضِعِ، أَوْ ما كَثُرَ اسْتِعْمالُهُ جِدًّا(٩)، كَما(١٠) رُوِيَ أَنّ رُؤْبَةَ كانَ يَقُولُ إذا قِيلَ لَهُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ [قال](١١): خَيْرٍ عافاكَ اللهُ(١٢).

وقَوْلُ النَّبيِّ ﷺ في أَبِي جَهْلٍ حِينَ ذَكَرَ مُزاحَمَتَهُ لَهُ في مَأْدُبَةِ عَبْدِ اللهِ

---

(١) في (ف): «وقال».
(٢) في (ف): «وإذا».
(٣) القبائع: جمع قبيعة، وهي ما على طرف مِقْبَضه من فضة أو حديد.
(٤) في (أ): «وحلى الفضة».
(٥) في (ف): «عميس».
(٦) «الكتاب» (٢: ١٦١).
(٧) «المقتضب» (٢: ٣٢١).
(٨) في (ص): «لأنه اسم».
(٩) في (ص): «أيضًا جدًّا».
(١٠) في (ص): «كما تقول: روي».
(١١) عن (ص)، (ج).
(١٢) «الكامل» للمبرد (٢: ٦١٧). وانظر: «المقاصد الشافية» (٣: ٧٠٧).

ابنِ جُدْعانَ، قَدْ تَقَدّمَ في المَوْلِدِ[١] التّعْرِيفُ بِعَبْدِ اللهِ بنِ جُدْعانَ، وذَكَرْنا خَبَر جَفْنَتِهِ، وسَبَبَ غِناهُ بعد أن كانَ صعلوكًا بأتمِّ بيانٍ.

[قِصّةُ سَيْفِ عُكّاشَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقاتَلَ عُكّاشَةُ بنُ مِحْصَنِ بنِ حُرْثانَ الأسَدِيُّ، حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ، يَوْمَ بَدْرٍ بِسَيْفِهِ حَتّى انْقَطَعَ في يَدِهِ، فأتى رَسُولَ الله ﷺ فأعْطاهُ جِذْلًا مِنْ حَطَبٍ، فقالَ: «قاتِلْ بِهذا يا عُكّاشَةُ». فلَمّا أخَذَهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ هَزَّهُ، فعادَ سَيْفًا في يَدِهِ طَوِيلَ القامةِ، شَدِيدَ المَتْنِ، أبْيَضَ الحَدِيدةِ، فقاتَلَ بِهِ حَتّى فتَحَ الله تَعالى على المُسْلِمِينَ.

خبرُ عُكّاشةَ بنِ مِحْصَنٍ

يُقالُ فيهِ: «عُكّاشةُ» [بِالتّشْدِيدِ والتّخْفيفِ]، وهُو مَنْ عَكَشَ على القَوْمِ: إذا حَمَلَ عَلَيْهِمْ، قالَهُ صاحِبُ «العَيْنِ»[٢]، وقالَ غيرُهُ: العُكّاشةُ: العَنْكَبُوتُ[٣].

وأمّا سَيْفُهُ الّذِي كانَ جِذْلًا مِنْ حَطَبٍ، فقَدْ قِيلَ: إنّهُ لَمْ يَزَلْ مُتَوارَثًا عِنْدَ آلِ عُكّاشةَ، وقَدْ رُوِيَ مِثْلُ قصّة عُكّاشةَ في السّيْفِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بن جَحْشٍ، وسَيَأْتِي ذِكْرُها عِنْدَ غَزْوةِ أُحُدٍ[٤].

* * *

(١) انظر: (٢: ٧٠).

(٢) «العين» (١: ١٩٠).

(٣) انظر: «اللسان»: عكش.

(٤) انظر: (٦: ٢٩).

وكانَ ذلك السَّيْفُ يُسَمّى: العَوْنَ. ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ المَشاهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتّى قُتِلَ في الرِّدَّةِ وهُوَ عِنْدَهُ، قَتَلَهُ طُلَيْحةُ بنُ خُوَيْلِدٍ الأَسَدِيُّ، فقالَ طُلَيْحةُ في ذلك:

فَما ظَنُّكُمْ بِالقَوْمِ إذْ تَقْتُلُونَهُمْ؟ ... أَلَيْسُوا وإنْ لَمْ يُسْلِمُوا بِرِجالِ؟
فَإنْ تَكُ أَذْوادٌ أُصِبْنَ ونِسْوةٌ ... فلَنْ تَذْهَبُوا فِرْغًا بِقَتْلِ حِبالِ
نَصَبْتُ لَهُمْ صَدْرَ الحِمالةِ إنَّها ... مُعاوِدةٌ قِيلَ الكُماةِ: نَزالِ
فيوْمًا تَراها في الجِلالِ مَصُونةً ... ويَوْمًا تَراها غَيْرَ ذاتِ جِلالِ
عَشِيّةَ غادَرْتُ ابنَ أَقْرَمَ ثاوِيًا ... وعُكّاشةَ الغَنْمِيَّ عِنْدَ حِجالِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: حِبالُ: ابنُ طُلَيْحةَ بنِ خُوَيْلِدٍ. وابنُ أَقْرَمَ: ثابِتُ بنُ أَقْرَمَ الأَنْصارِيُّ.

وأمّا قوله:

«فلن يذهبوا فِرْغًا بِقَتْلِ حِبالِ»

فالفِرْغُ: أَنْ يُطَلَّ الدّمُ، ولا يُطْلَبَ بِثَأْرِه، وحِبالٌ: هُو ابنُ أخِي طُلَيْحةَ لا ابنُهُ، وهُو[١] ابنُ مَسْلَمةَ بنِ خُوَيْلِدٍ. ومَسْلَمةُ: هُو الّذِي قَتَلَ عُكّاشةَ مع أخيه طُلَيحةَ، اعْتَنَقَهُ مَسْلَمةُ وضَرَبَهُ طُلَيْحةُ، وكان عُكاشةُ على فرَسٍ يُقالُ لَها: اللِّزامُ[٢]، وكانَ ثابِتُ بنُ..

(١) بعده في (ف): «حبال».
(٢) في (ب)، (أ)، (ف): «الرزام».

أقرمَ(١) على فرَسٍ له يُقالُ له(٢): المُحبَّرُ، وقِصّتُهُ(٣) مَشْهُورةٌ في أخْبارِ الرِّدّةِ.

وذَكرَ الواقِدِيُّ في «الرّدّةِ»(٤) بَعْدَ قَوْلِهِ: [من الطويل]

فَيَوْمًا تَراها في الجِلالِ مَصُونةً ويَوْمًا تراها في ظِلالِ عَوالِ(٥)

الشِّعْرَ بكماله.

وذَكرَ في الخَبَرِ أنّ عُكّاشةَ وثابِتَ بنَ أقْرَمَ(٦) البَلَوِيَّ حَلِيفَ(٧) الأنْصارِ، اسْتَقْدَما(٨) جَيْشَ خالِد [بنِ الوليد](٩) طليعتينِ للمسلمين، فوقَعا في طلائعِ أهلِ الرِّدة وفيهم طُلَيْحةُ، فاسْتُشْهِدا مَعًا، وذَلِكَ في يَوْمِ بُزاخةَ، عند جمهورِ أهل السِّيَرِ إلّا سُلَيْمانَ التَّيْمِيّ؛ فإنّهُ زعمَ أنّ عُكّاشةَ قُتِلَ في سَرِيّةٍ بَعَثَها رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى بَنِي أسَدٍ، [والأوّلُ هو المَعْرُوفُ](١٠).

---

(١) في (أ): «أرقم». انظر: «أسد الغابة» (١: ٢٦٥).

(٢) في (أ): «لها». والفرس يُذكّر ويُؤنث.

(٣) في (أ)، (ب)، (ف): «وقصة طليحة».

(٤) «كتاب الردة» للواقدي: (ص: ٨٦).

(٥) كذا في النسخ. وفي «السيرة»:

ويومًا تراها غير ذات جِلال

والعوالي: جمع عالية، وهي رأس الرمح. والجِلال: جمع جُلّ، وهو ما تُغطّى به الدابة لتُصان.

(٦) في (أ): «أرقم».

(٧) في (أ)، (ب): «حليفًا». والصواب ما أثبت؛ فثابت كان حليفًا للأنصار، وعكاشة أسديّ وكان حليفًا لعبد شمس. انظر: «أسد الغابة» (١: ٢٦٥)، (٤: ٦٧).

(٨) أي: سَبَقا، يقال: استقدمَ الرجلُ القومَ: سبقهم.

(٩) عن (ص).

(١٠) عن (أ)، (ب)، (ف).

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعُكّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ الَّذي قالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَدْخُلُ الجَنّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِي على صُورةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ»، قالَ: يا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، قالَ: «إنَّكَ مِنْهُمْ»، أو «اللهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»، فقامَ رَجُلٌ مِن الأنْصارِ فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فقالَ: «سَبَقَكَ بِها عُكّاشَةُ، وبَرَدَت الدَّعْوةُ». وقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ـ فيما بَلَغَنا عَنْ أهْلِهِ ـ: «مِنّا خَيْرُ فارِسٍ في العَرَبِ»، قالُوا: ومَنْ هُوَ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: «عُكّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ»، فقالَ ضِرارُ بنُ الأَزْوَرِ الأسَدِيُّ: ذاكَ رَجُلٌ مِنّا يا رَسُولَ اللهِ، قالَ: «لَيْسَ مِنْكُمْ، ولَكِنَّهُ مِنّا؛ لِلْحِلْفِ».

وذَكَرَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ لِعُكّاشَةَ حِينَ قالَ: ادْعُ اللهَ يا رَسُولَ اللهِ أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فدَعا لَهُ، ثُمّ قامَ رجل آخر، فقال: ادْعُ اللهَ أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فقالَ: «سَبَقَك بِها عُكّاشَةُ». [هَكَذا][١] الحَدِيثُ في الصّحاحِ[٢]، وزادَ ابنُ إسْحاقَ: «وبَرَدَتِ[٣] الدّعْوةُ».

وذَكَرَ أَبُو عُمَرَ النَّمَرِيُّ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ ـ ولَمْ يُسَمِّهِمْ ـ أنّ الرَّجُلَ الّذِي قِيلَ لَهُ: «سَبَقَك بِها عُكّاشَةُ» كانَ مُنافِقًا، ولِذَلِكَ لَمْ يَدْعُ لَهُ النبيُّ ﷺ[٤].

قالَ المُؤَلِّفُ: وهَذا لا يَصِحُّ؛ لِأنّ في «مُسْنَدِ البَزّارِ» مِنْ طَرِيقِ أَبِي صالِحٍ،

---

(١) ليس في: (ص).

(٢) «فتح الباري»، كتاب الرقاق: (١١: ٤٠٥-٤٠٦)، ومسلم، كتاب الإيمان: (ص: ١٩٩-٢٠٠).

(٣) أي: انقضى وقتها.

(٤) انظر: «فتح الباري» (١٨: ٤١٢).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ في هَذا الحَدِيثِ [قالَ][١]: فقامَ رَجُلٌ مِنْ خِيارِ المُهاجِرِينَ، فقالَ: ادعُ اللهَ أن يجعلَني منهم[٢].

قالَ ابنُ بَطّالٍ مَعْنى قَوْلِهِ[٣]: «سَبَقَك بِها عُكّاشةُ»، أيْ: سَبَقَك بِهذِهِ الصّفةِ الّتِي هِيَ صفةُ السبعينَ ألفًا، تَرَكَ النظيرَ ونَحْوَهُ، ولَمْ يَقُلْ: لَسْتَ مِنْهُمْ، ولا «على أخْلاقِهِمْ»، بِحُسْنِ أدَبِهِ عَلَيْهِ السّلامُ، وتَلَطُّفِهِ في الكَلامِ ولا سِيّما[٤] مَعَ أصْحابِهِ[٥] الكِرامِ.

[قالَ المُؤَلِّفُ][٦]: والّذِي عِنْدِي في هَذا الحديث: أنّها كانَتْ ساعةَ إجابةٍ عَلِمَها عَلَيْهِ السّلامُ، فلَمّا انْقَضَتْ، قالَ لِلرّجُلِ ما قالَ؛ يُبَيِّنُ هَذا حَدِيثُ أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ؛ فإنّهُ قالَ فيهِ بَعْدَ ذِكْرِ عُكّاشةَ، فقامَ رجل آخر، فقال: ادعُ اللهَ أنْ يجعلني مِنْهُمْ، فقالَ: «اللهُمّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ»، ثُمّ سَكَتُوا ساعةً يَتَحَدَّثُونَ، ثُمّ قامَ الثّالِثُ، فقالَ: ادْعُ اللهَ أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فقالَ: «سَبَقَك بِها عُكّاشةُ وصاحِبُهُ، ولَوْ قُلْتَ لَقُلْتُ، ولَوْ قُلْتُ لَوجَبَتْ»، وهِيَ في «مُسْنَدِ ابنِ أبِي شَيْبةَ»[٧]، وهو في [«مسند][٨] البزّار»[٩] أيضًا. ويقوّي هذا المعنى أيضًا رِوايةُ ابنِ إسْحاقَ؛

(١) عن (ج)، (ص)، (ف).

(٢) لم أجد في «كشف الأستار عن زوائد البزار» هذه الرواية. وانظر: (٤: ٢٠٥، ٢١٠)، وانظر أيضًا: «فتح الباري» (١١: ٤١٢-٤١٣).

(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال: (٩: ٤٠٨). (ج)

(٤) في (ف): «لا سيما» بدون الواو.

(٥) في (أ): «لأصحابه».

(٦) ليس في (ص)، (ج).

(٧) «مسند ابن أبي شيبة» (١: ٢٦٧). (ج)

(٨) ليس في (ب).

(٩) «كشف الأستار عن زوائد البزار» (٤: ٢١٠).

فإنّهُ زادَ فيها فقالَ: «سبقك بها عُكّاشةُ وبَرَدَتِ الدّعْوةُ»، فقِفْ على ما ذَكَرْتُهُ في تَفْسِيرِ حَدِيثِ عُكّاشةَ؛ فإنّهُ مِنْ فوائِدِ هَذا الكِتابِ.

[ومِمّنْ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا لِعُذْرٍ ـ وهُو مِن النُّقَباءِ ـ: سَعْدُ بنُ عُبادةَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ؛ لِأنّهُ نَهَشَتْهُ حَيّةٌ، فلَمْ يَسْتَطِعِ الخُرُوجَ، هَذا قَوْلُ القُتَبِيِّ(١)؛ ولِذَلِكَ لَمْ يَذْكُرْهُ ابنُ إسْحاقَ ولا ابنُ عُقْبةَ في البَدْرِيِّينَ، وقَدْ ذَكَرَتْهُ طائِفةٌ فيهِمْ، مِنْهُم ابنُ الكَلْبِيِّ وجَماعةٌ](٢).

* * *

(١) «المعارف» (٢٥٩)، وانظر: «أسد الغابة» (٢: ٣٥٦).

(٢) عن (ص)، (ج).

[حَديثٌ بَيْنَ أبي بَكْرٍ وابنِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَوْمَ بَدْرٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: ونادى أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ابنَهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ وهُوَ يَوْمَئِذٍ مَعَ المُشْرِكِينَ، فقالَ: أيْنَ مالِي يا خَبِيثُ؟ فقالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ:

لَمْ يَبْقَ غَيْرُ شِـــكّةٍ ويَعْبُوبْ وصارِمٍ يَقْتُلُ ضُلّالَ الشِّيبْ

فيما ذُكِرَ لِي عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بنِ مُحَمَّدٍ الدَّراوَرْدِيِّ.

[طَرْحُ المُشْرِكِينَ في القَلِيبِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ رُومانَ، عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عائِشَةَ، قالَتْ: لَمّا أمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِالقَتْلى أنْ يُطْرَحُوا في القَلِيبِ، طُرِحُوا فيهِ، إلّا ما كانَ مِنْ أُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ؛ فإنَّهُ انْتَفَخَ في دِرْعِهِ فمَلَأها، فذَهَبُوا لِيُحَرِّكُوهُ، فتَزايَلَ لَحْمُهُ، فأقَرُّوهُ، وألْقَوْا عَلَيْهِ ما غَيَّبَهُ مِن التُّرابِ والحِجارةِ. فلَمّا ألْقاهُمْ في القَلِيبِ، وقَفَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ الله ﷺ، فقالَ: «يا أهْلَ القَلِيبِ، هَلْ وجَدْتُمْ ما وعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فإنِّي قَدْ وجَدْتُ ما وعَدَنِي رَبِّي حَقًّا». قالَتْ: فقالَ لَهُ أصْحابُهُ: يا رَسُولَ الله، أتُكَلِّمُ قَوْمًا مَوْتى؟ فَقالَ لَهُمْ: «لَقَدْ عَلِمُوا أنَّ ما وعَدَهُمْ رَبُّهُمْ حَقًّا». قالَتْ عائِشَةُ: والنّاسُ يَقُولُونَ: «لَقَدْ سَمِعُوا ما قُلْتُ لَهُمْ»، وإنَّما قالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: «لَقَدْ عَلِمُوا».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ، عَنْ أنَسِ بنِ مالِكٍ، قالَ: سَمِعَ أصْحابُ رَسُولِ الله ﷺ رَسُولَ الله ﷺ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ وهُوَ يَقُولُ: «يا أهْلَ

القَلِيبِ، يا عُتْبَةُ بنَ رَبِيعةَ، ويا شَيْبَةُ بنَ رَبِيعةَ، ويا أُمَيّةُ بنَ خَلَفٍ، ويا أبا جَهْلِ بنَ هِشامٍ»، فعَدَّدَ مَنْ كانَ مِنْهُمْ في القَلِيبِ «هَلْ وجَدْتُمْ ما وعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ فإنِّي قَدْ وجَدْتُ ما وعَدَنِي رَبِّي حَقًّا»، فقالَ المُسْلِمُونَ: يا رَسُولَ الله، أتُنادِي قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا؟ قالَ: «ما أنْتُمْ بِأسْمَعَ لِما أقُولُ مِنْهُمْ، ولَكِنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ أنْ يُجِيبُونِي».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ يَوْمَ هَذِهِ المَقالةِ: «يا أهْلَ القَلِيبِ، بِئْسَ عَشِيرةُ النَّبِيِّ كُنْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ؛ كَذَّبْتُمُونِي وصَدَّقَنِي النّاسُ، وأخْرَجْتُمُونِي وآوانِي النّاسُ، وقاتَلْتُمُونِي ونَصَرَنِي النّاسُ»، ثُمَّ قالَ: «هَلْ وجَدْتُمْ ما وعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» لِلْمَقالةِ الَّتِي قالَ.

[شِعْرُ حَسّانَ فيمَنْ أُلْقُوا في القَلِيبِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ:

عَرَفْتُ دِيارَ زَيْنَبَ بِالكَثِيبِ ... كَخَطِّ الوَحْيِ في الوَرَقِ القَشِيبِ
تَداوَلُها الرِّياحُ وكُلُّ جَوْنٍ ... مِنَ الوَسْمِيِّ مُنْهَمِرٍ سَكُوبِ
فَأمْسى رَسْمُها خَلَقًا وأمْسَتْ ... يَبابًا بَعْدَ ساكِنِها الحَبِيبِ
فَدَعْ عَنْكَ التَّذَكُّرَ كُلَّ يَوْمٍ ... ورُدَّ حَرارةَ الصَّدْرِ الكَئِيبِ
وَخَبِّرْ بِالَّذِي لا عَيْبَ فيهِ ... بِصِدْقٍ غَيْرِ إخْبارِ الكَذُوبِ
بِما صَنَعَ المَلِيكُ غَداةَ بَدْرٍ ... لَنا في المُشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ
غَداةَ كَأنَّ جَمْعَهُمُ حِراءٌ ... بَدَتْ أرْكانُهُ جُنْحَ الغُرُوبِ
فَلاقَيْناهُمُ مِنّا بِجَمْعٍ ... كَأُسْدِ الغابِ مُرْدانٍ وشِيبِ
أمامَ مُحَمَّدٍ قَدْ وازَرُوهُ ... على الأعْداءِ في لَفْحِ الحُرُوبِ

بِأيْدِيهِـمْ صَـوارِمُ مُرْهَفاتٌ وكُلُّ مُجَرَّبٍ خـاظِي الكُعُوبِ
بَنُو الأوْسِ الغَطارِفُ وازَرَتْها بَنُو النَّجّارِ في الدِّينِ الصَّلِيبِ
فَغادَرْنـا أبـا جَهْـلٍ صَرِيعًا وعُتْبَةَ قَـدْ تَرَكْنـا بِالجَبُوبِ
وَشَـيْبَةَ قَدْ تَرَكْنـا في رِجالٍ ذَوِي حَسَبٍ إذا نُسِبُوا حَسِيبِ
يُنادِيهِـمْ رَسُـولُ الله لَمّـا قَذَفْناهُـمْ كَباكِبَ في القَلِيبِ
أَلَـمْ تَجِـدُوا كَلامِي كانَ حَقًّا وأمْـرُ الله يَأْخُـذُ بِالقُلُوبِ؟
فَما نَطَقُـوا، ولَوْ نَطَقُوا لَقالُوا: صَدَقْتَ وكُنْتَ ذا رَأْيٍ مُصِيبِ!

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَمّا أمَرَ رَسُولُ الله ﷺ أنْ يُلْقَوْا في القَلِيبِ، أُخِذَ عُتْبةُ بنُ رَبِيعةَ، فسُحِبَ إلى القَلِيبِ، فنَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ - فيما بَلَغَني - في وجْهِ أبي حُذَيْفةَ بنِ عُتْبةَ، فإذا هُوَ كَئِيبٌ قَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، فقالَ: «يا أبا حُذَيْفةَ، لَعَلَّكَ قَدْ دَخَلَكَ مِنْ شَأْنِ أبيكَ شَيْءٌ؟» أوْ كَما قالَ ﷺ، فقالَ: لا والله يا رَسُولَ الله، ما شَكَكْتُ في أبي ولا في مَصْرَعِهِ، وَلَكِنَّني كُنْتُ أعْرِفُ مَنْ أبي رَأْيًا وحِلْمًا وفَضْلًا، فكُنْتُ أرْجُو أنْ يَهْدِيَهُ ذلك إلى الإسْلامِ، فلَمّا رَأيْتُ ما أصابَهُ، وذَكَرْتُ ما ماتَ عَلَيْهِ مِن الكُفْرِ، بَعْدَ الَّذي كُنْتُ أرْجُو لَهُ، أحْزَنَني ذلك. فدَعا لَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِخَيْرٍ، وقالَ لَهُ خَيْرًا.

[ذِكْرُ الفِتْيةِ الَّذينَ نَزَلَ فيهِمْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾]

وَكانَ الفِتْيةُ الَّذينَ قُتِلُوا بِبَدْرٍ، فنَزَلَ فيهِمْ مِن القُرْآنِ - فيما ذُكِرَ لَنا -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧] فِتْيةٌ مُسمّين:

مِنْ بَنِي أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيٍّ: الحارِثُ بنُ زَمْعَةَ بنِ الأَسْوَدِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ أَسَدٍ.

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ: أبو قَيْسِ بنُ الفاكِهِ بنِ المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ ابنِ مَخْزُومٍ، وأبو قَيْسِ بنُ الوَلِيدِ بنِ المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ.

وَمِنْ بَنِي جُمَحَ: عَلِيُّ بنُ أُمَيَّةَ بنِ خَلَفِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ.

وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ: العاصِ بنُ مُنَبِّهِ بنِ الحَجّاجِ بنِ عامِرِ بنِ حُذَيْفةَ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ.

وَذلك أَنَّهُمْ كانُوا أَسْلَمُوا ورَسُولُ الله ﷺ بِمَكّةَ، فلَمّا هاجَرَ رَسُولُ الله ﷺ إلى المَدِينةِ حَبَسَهُمْ آباؤُهُمْ وعَشائِرُهُمْ بِمَكّةَ وفَتَنُوهُمْ فافْتَتَنُوا، ثُمَّ سارُوا مَعَ قَوْمِهِمْ إلى بَدْرٍ فأُصِيبُوا بِهِ جَمِيعًا.

[ذِكْرُ الفيءِ بِبَدْرٍ والأُسارى]

ثُمَّ إنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَمَرَ بِما في العَسْكَرِ مِمّا جَمَعَ النّاسُ، فجُمِعَ، فاخْتَلَفَ المُسْلِمُونَ فيهِ؛ فقالَ مَنْ جَمَعَهُ: هُوَ لَنا، وقالَ الّذينَ كانُوا يُقاتِلُونَ العَدُوَّ ويَطْلُبُونَهُ: والله لَوْلا نَحْنُ ما أَصَبْتُمُوهُ، لَنَحْنُ شَغَلْنا عَنْكُم القَوْمَ حَتّى أَصَبْتُمْ ما أَصَبْتُمْ، وقالَ الّذينَ كانُوا يَحْرُسُونَ رَسُولَ الله ﷺ مَخافةَ أَنْ يُخالِفَ إِلَيْهِ العَدُوُّ: والله ما أَنْتُمْ بِأَحَقَّ بِهِ مِنّا، والله لَقَدْ رَأَيْنا أَنْ نَقْتُلَ العَدُوَّ إِذْ مَنَحَنا الله تَعالى أَكْتافَهُ، ولَقَدْ رَأَيْنا أَنْ نَأْخُذَ المَتاعَ حِينَ لَمْ يَكُنْ دُونَهُ مَنْ يَمْنَعُهُ، ولَكِنّا خِفْنا على رَسُولِ الله ﷺ كَرّةَ العَدُوِّ، فقُمْنا دُونَهُ، فما أَنْتُمْ بِأَحَقَّ بِهِ مِنّا.

نِداءُ أصْحابِ القَلِيب

وقَوْلُهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «يا عُتْبةُ بنَ رَبِيعةَ، ويا شَيْبةُ بنَ رَبِيعةَ...» الحَدِيث، يَجُوزُ «يا شَيْبةُ بنَ رَبِيعةَ» بِضَمّ التّاءِ ونَصْبِ النّونِ، وبِنَصْبِهِما جَمِيعًا، أمّا مَنْ يَقُولُ: «جاءَنِي زَيْدٌ ابنُ فُلانٍ»، فهُو الّذِي يَقُولُ: «يا زَيْدُ ابنَ[1]» بِضَمِّ الدّالِ، ويَكْتُبُ «ابن» بالألِفِ على هَذا، ومَنْ يَقُولُ: «جاءَ[2] زيدُ بنُ فلان» بِلا تَنْوِينٍ، فهُو الّذِي يَقُولُ في النّداءِ: «يا زيدَ بنَ» بِنَصْبِ الدّالِ، ويَكْتُبُ «ابنًا» بِغَيْرِ ألِفٍ؛ لِأنّهُ جَعَلَ الِابنَ مَعَ ما قَبْلَهُ اسْمًا واحِدًا، وعلى[3] هَذا تَقُولُ: «يا حارُ ابنَ عَمْرٍو» فتَكْتُبُهُ بِألِفٍ[4]؛ لِأنّك أرَدْتَ «يا حارِثُ» بِالضّمّ؛ لأنّك لو أردتَ «يا حارثَ بنَ عمرٍو» بِالفتح، لَمْ تُرَخّمْهُ؛ لِأنّهُ قَدْ صارَ وسَطَ الاسم، وقد جعلَهُ سيبويهِ بمنزلةِ قولك: امرأ[5]، وكَذَلِكَ[6] قَوْلُهُ: «ويا[7] أبا جَهْلِ بنَ هِشام» إنْ نَوّنْتَ اللّامَ مِنْ «أبِي جَهْلٍ» كَتَبْتَ الِابنَ بِألِفٍ[8]، وإنْ لَمْ تُنَوّنْهُ كَتَبْتَهُ بِغَيْرِ ألِفٍ.

وذَكَرَ إنْكارَ عائِشةَ أنْ يَكُونَ عَلَيْهِ السّلامُ قالَ: «لَقَدْ سَمِعُوا ما قُلْتُ، قالَتْ: وإنّما قالَ: لَقَدْ عَلِمُوا أنّ الّذِي كُنْتُ أقُولُ حَقٌّ».

قالَ المُؤَلّفُ أبو القاسم: وعائِشةُ لَمْ تَحْضُرْ، وغَيْرُها مِمّنْ حَضَرَ أحْفَظُ

---

(١) بعده في (ف): «فلان».

(٢) في (ف): «جاءني».

(٣) في (أ)، (ب)، (ف): «فعلى».

(٤) في (أ)، (ج): «بالألف».

(٥) في (أ): «امرؤ». وانظر: «الكتاب» (٢: ٢٠٣-٢٠٤).

(٦) في (ف): «ولذلك».

(٧) في (ف): «يا» بدو واو.

(٨) في (ف): «بالألف».

لِلَفْظِهِ عَلَيْهِ السّلامُ، وقَدْ قالُوا لَهُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَتُخاطِبُ[١] قَوْمًا قَدْ جَيَّفُوا[٢] ـ أَوْ أُجِيفُوا ـ؟ فقالَ: «ما أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِما أَقُولُ مِنْهُمْ»، وإذا جازَ أَنْ يَكُونُوا في تِلْكَ الحالِ عالِمِينَ، جازَ أن يكونوا سامعينَ؛ إما بآذانِ رؤوسِهِمْ إذا قُلْنا: إنّ الرّوحَ يُعادُ إلى الجَسَدِ، أَوْ إلى بَعْضِ الجَسَدِ عِنْدَ المُساءَلَةِ، وهُو قولُ الأكثرين مِنْ أَهْلِ السّنّةِ، وإمّا بِأُذنِ القَلْبِ أو الرُّوحِ، على مَذْهَبِ مَنْ يَقُولُ: يَتَوَجَّهُ السُّؤالُ إلى الرُّوحِ، من غير رُجوعٍ منه إلى الجَسَدِ أوْ إلى بَعْضِهِ، وقَدْ رُوِيَ أَنّ عائِشَةَ احْتَجّتْ بِقَوْلِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، وهذهِ الآيةُ كَقَوْلِهِ تَعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ﴾ [الزخرف: ٤٠]، أيْ: إنّ اللهَ هُو الّذِي يَهْدِي ويُوفِّقُ ويُوصِلُ المَوْعِظَةَ إلى آذانِ القُلُوبِ، لا أَنْتَ، وجَعَلَ الكُفّارَ أَمْواتًا وصُمًّا على جِهةِ التّشْبيهِ بالأَمْواتِ وبالصُّمِّ، فاللهُ هُو الّذِي يُسْمِعُهُمْ على الحَقِيقةِ إذا شاءَ لا نَبِيُّهُ، ولا أَحَدٌ، فإذًا لا تَعَلُّقَ بِالآيةِ مِنْ وجْهَيْنِ:

أَحَدِهِما: أَنّها إنّما نَزَلَتْ في دُعاءِ الكُفّارِ إلى الإيمانِ.

الثّانِي: أَنّهُ إنّما نَفى عَنْ نَبِيِّهِ أَنْ يَكُونَ هُو المُسْمِعَ لَهُمْ، وصَدَقَ اللهُ؛ فإنّهُ لا يُسْمِعُهُمْ إذا شاءَ إلّا هُو، ويَفْعَلُ ما يشاءُ، وهُو على كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ.

فَإنْ قِيلَ: ما مَعْنى إلْقائِهِمْ في القَلِيبِ وما فيهِ مِن الفِقْهِ؟

قُلْنا: كانَ مِنْ سُنَّتِهِ عَلَيْهِ السّلامُ في مغازيه إذا مَرَّ بِجِيفةِ إنْسانٍ أَمَرَ بِدَفْنِهِ لا يَسْأَلُ عَنْهُ مُؤْمِنًا كانَ أَوْ كافِرًا، هَكَذا وقع في «السُّنن» للدّارَقُطْنِيِّ[٣]، فإلقاؤهم

---

(١) في (ف): «إنما تخاطب».

(٢) أي: أنتنوا، ويقال: جافت الجيفة وجَيّفت. أما أُجِيفُوا ـ بصيغة المبني للمفعول ـ من أجافه، فلم أجد (أفعل) هذه مسموعة، وللسهيلي رأي في تعدية الثلاثي قياسًا. انظره: في «نتائج الفكر» (ص: ٣٢٧)، ودراستي عنه «أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي» (ص: ٣٤٤) وما بعدها.

(٣) «سنن الدارقطني»، كتاب السير: (٤: ١١٦).

فِي القَلِيبِ مِنْ هَذا البابِ، غَيْرَ أَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَشُقَّ على أَصْحابِهِ ـ لِكَثْرةِ جِيَفِ الكُفّارِ ـ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِدَفْنِهِمْ، فكانَ جَرُّهُمْ إلى القَلِيبِ أَيْسَرَ عَلَيْهِمْ، ووافَقَ أَنَّ القَلِيبَ حُفَرةُ رَجُلٍ مِنْ بَنِي النّار، اسْمُهُ: بَدْرٌ[١]، فكانَ فَأْلًا مُقَدَّمًا لَهُمْ، وهَذا على أَحَدِ القَوْلَيْنِ في بَدْرٍ، واللهُ أَعْلَمُ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ شِعْرَ حَسّانَ، وقالَ فيهِ: [من الوافر]

«كَخَطِّ الوحْيِ بالورَقِ القَشِيبِ»

القَشِيبُ في اللُّغةِ: الجَدِيدُ، ولا مَعْنى لَهُ في هَذا البَيْتِ؛ لِأَنَّهُمْ إذا وصَفُوا الرُّسُومَ وشَبَّهُوها بالكُتُبِ في الورَقِ، فإنّما يَصِفُونَ الخَطَّ حِينَئِذٍ بالدُّرُوسِ والِامّحاءِ؛ فإنَّ ذَلِكَ أَدَلُّ على عَفاءِ الدّارِ[٢] وطُمُوسِ الآثارِ، وكَثْرةُ ذَلِكَ في الشِّعْرِ يغْنِي عَنِ الِاسْتِشْهادِ عَلَيْهِ، ولَكِنْ مِنْهُ قَوْلُ النّابِغةِ[٣]: «...لأَيًا ما أُبَيِّنُها».

وقال[٤] زُهَيْرٌ[٥]: [من الطويل]

فَلأْيًا عَرَفْتُ الدّارَ بعدَ تَوهُّمِ

---

(١) «المعارف» لابن قتيبة: (ص: ١٥٢).

(٢) في (ف): «الديار».

(٣) «ديوانه» (ص: ٣)، والبيت من معلقته، وهو بتمامه:

إلّا أواريّ لَأيًا ما أبيِّنُها   والنُّؤيُ كالحوضِ بالمظلومةِ الجَلَدِ

(٤) في (ف): «وقول».

(٥) البيت بتمامه:

وقفتُ بها من بعد عشرين حجةً   فَلأيًا عرفتُ الدارَ بعد توهُّمِ

«ديوان زهير بن أبي سلمى بشرح أبي العباس ثعلب» (ص: ٧).

وقالَ آخَرُ(١): [من الطويل]

وإلّا رُسُـومُ الدّارِ قَفْرًا كأنّها ... كتابٌ مَحاها الباهِلِيُّ بنُ أصْمَعا

ولَكِنْ أرادَ حَسّانُ بالقَشِيبِ ههُنا: الّذِي خالَطَهُ ما يُفْسِدُهُ؛ إمّا مِنْ دَنَسٍ، وإمّا مِنْ قِدَمٍ، ويُقالُ: طَعامٌ [مُقْشَبٌ و](٢) مُقَشَّبٌ: إذا كانَ فيهِ السُّمُّ. وقالَ الشّاعِرُ(٣): [من الوافر]

يخِرُّ(٤) تَخالُهُ نَسْـرًا قَشِـيبًا

مَعْناهُ: مَسْمُومٌ؛ لِأنّ القِشْبَ(٥) هُو السُّمُّ، قالَهُ ابنُ قُتَيْبَةَ(٦) في تَفْسِيرِ حَدِيثِ: «آخِرُ مَنْ يَخْرَجُ مِن النّارِ»، وفيهِ: «قَشَبَنِي رِيحُها، وأحْرَقَنِي ذَكاها(٧)»(٨). وقالَ أبُو حَنِيفةَ في القِشْبِ هُو: «نَباتٌ رَطْبٌ مَسْمُومٌ يُنْصَبُ لِسِباعِ الطَّيْرِ في لَحْمٍ، فإذا أكَلَتْهُ ماتَتْ»، قالَ: «والعَرَبُ يُجْنِبُونَهُ ماشِيَتَهم في المَرْعى؛ كَيْلا تَخطِمَهُ، فيَفُوحَ مِنْ رِيحِهِ ما يَقْتُلُها».

---

(١) البيت للفرزدق كما في «الدلائل في غريب الحديث» للقاسم بن ثابت السرقسطي: (٢: ٦٧٥). (ج)

(٢) عن (أ).

(٣) أبو خراش الهذلي، والبيت في «ديوان الهذليين» (٢: ١٣٥)، وصدره:

بــه نــدعُ الكمــيَّ علــى يديه

(٤) في النسخ: «فخرَّ»، والمثبت من «الديوان»، و«لسان العرب» (قشب).

(٥) في (أ)، (ب): «القشيب»، وفي «اللسان»: «القِشْب»، بفتح القاف وكسرها.

(٦) لم أجده في «غريب ابن قتيبة».

(٧) في (ف): «ذكاؤها».

(٨) «فتح الباري»، كتاب الرقاق: (١١: ٤٤٤) وما بعدها، ومسلم، كتاب الإيمان: (١: ١٦٣) وما بعدها. يقال: ذكت النار تذكو ذكًا وذَكاةً: اشتدّ لهبها واشتعلت. وقد رُوي الحديث بالمد والقصر، والقصر أشهر اللغتين، كما في «الفتح» (١١: ٤٥٩).

فقَوْلُهُ في البَيْتِ الّذِي اسْتَشْهَدَ بِهِ القُتَبِيّ: «...تخالُهُ نَسْرًا قَشِيبًا»، أيْ: نَسْرًا أكَلَ ذَلِكَ(١) القِشْبَ في اللّحْمِ. واللهُ أعْلَمُ.

قالَ: «والإلْبُ ضَرْبٌ مِن القِشْبِ، إنْ وجدَتْ سباعُ الطَّيرِ ريحَهُ عَمِيَتْ وصَمَّتْ، وإنْ أكَلَتْهُ ماتَتْ»، قالَ: «والضِّجاجُ أيْضًا(٢): كلُّ نباتٍ مَسمُومٍ».

وفي شِعْرِ حَسّانَ: [من الوافر]

«بَنُو الأوْسِ الغَطارِف وازَرَتْها»

ولَوْ قالَ: «آزَرَتْها» بِالهَمْزِ لَجازَ، وكان من الأزْر، وفي التنزيل: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩]، أيْ: شَدَّ أزْرَهُ وقَوّاهُ، ولَكِنْ أرادَ حَسّانُ مَعْنى الوزِيرِ؛ فإنّهُ سُمِّيَ وزِيرًا مِن الوِزْرِ، وهُو الثِّقْلُ؛ لِأنّهُ يَحْمِلُ عَنْ صاحِبِهِ ثِقلًا ويُعِينُهُ، وقِيلَ: هُو مِن الوَزَرِ، وهُو المَلْجَأُ؛ لأن الوزيرَ يُلجأُ إلى رأْيه، وقد ألفيتُهُ في نُسْخةِ الشّيْخِ أبِي بَحْرٍ: «آزَرَتْها» مُصْلَحًا بِغَيْرِ واوٍ، إلّا أنّ «وازَرَت(٣)»: فاعَلَت، و«آزَرَتْ» وزْنُهُ: أفْعَلَت(٤).

وقَوْلُهُ: [من الوافر]

«وعُتْبةَ قَدْ تَرَكْنا بِالجَبُوبِ»

الجَبُوبُ: اسْمٌ لِلْأرْضِ؛ لِأنّها تُجَبُّ؛ أيْ: تُحْفَرُ، أو تَجُبُّ(٥) مَنْ دُفِنَ فيها،

(١) في (ف): «ذاك».
(٢) «أيضًا» مكانها في (أ)، (ب)، (ف) بعد كلمة «مسموم» الآتية.
(٣) بعده في (ف): «وزنه».
(٤) قد تكون «آزر» على وزن (فاعل) كما في البيت؛ فكلٌّ من بني النجار وبني الأوس عاونَ الآخر في الدين. وقد تكون «آزر» على وزن أفعل، كما لو قيل: آزر فلان فلانًا: جعله قويًّا.
(٥) في (ف)، (ج)، (أ)، (ص): «وتجب» بواو العطف.

أيْ: تَقْطَعُهُ، وهَذا القَوْلُ أوْلى؛ لِأنّهُمْ قالُوا: جَبُوبٌ ـ مِثْلَ: صَبُورٍ وشَكُورٍ ـ في المُؤَنّثِ، ولَمْ يَقُولُوا: جَبُوبةٌ، فيَكُونُ مِنْ بابِ: رَكُوبةٍ وحَلُوبةٍ، ويُدْخِلُونَ فيها الألِفَ واللّامَ تارةً، فيَقُولُونَ: الجَبُوبُ، كَما في هَذا البَيْتِ، وتارةً يَجْعَلُونَهُ اسْمًا عَلَمًا، فيَقُولُونَ: جَبُوبُ، مِثْلَ: شَعُوبَ، قالَ الشّاعِرُ(١): [من الطويل]

بُنيَّ علــى قَلْبِي وعَيْنِي مَكانُهُ ... ثَوى بَيْنَ أحْجارٍ رَهِينَ جَبُوبِ

ومِنْهُ قِيلَ: جَبّانٌ وجَبّانةٌ لِلْأرْضِ الّتِي يُدْفَنُ فيها المَوْتى، فهُو فعْلانٌ مِن الجَبِّ والجَبُوبِ، وهُو قَوْلُ الخَلِيلِ في مَعْنى الجَبّانِ، وغَيْرُهُ يَجْعَلُهُ فعّالًا مِن الجُبنِ.

وقَوْلُهُ: «خاظِي الكُعُوبِ»، أيْ: مُكْتَنِزُ الكُعُوبِ قَوِيُّها.

وقَوْلُ حسّانَ(٢): «الغَطارِفُ»، أرادَ: الغَطارِيفَ، كَما تَقَدّمَ في شِعْرِ الجُرْهُمِيّ(٣): [من الطويل]

تَظلُّ بِها أمْنًا وفيها العَصافِرُ

أرادَ: العَصافيرَ، وحَذَفَ الياءَ ضَرُورةً.

فَصْلٌ

وذَكَرَ قَوْلَ الصِّدّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِابنِهِ يَوْمَ بَدْرٍ: أيْنَ مالِي يا خَبِيثُ؟ فقالَ: [من الرجز]

لَــمْ يَبْقَ إلّا شِــكّةٌ ويَعْبُوبْ

---

(١) «العين» (٦: ١٥٣)، و«تاج العروس»: حبب.

(٢) «وقول حسان» يقابله في (ف): «وقوله».

(٣) البيت لعمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي. «نهاية الأرب» (١٦: ٢٥). (ج)

الشِّكَّةُ: السِّلاحُ، واليَعْبُوبُ مِن الخَيْلِ: الشَّدِيدُ الجَرْيِ، ويُقالُ: الطَّوِيلُ، والأوّلُ أصَحّ؛ لِأنّهُ مَأْخُوذٌ مِنْ عُبابِ الماءِ، وهُو شِدّةُ جَرْيِهِ، ويُقالُ لِلْجَدْوَلِ الكَثِيرِ الماءِ: يَعْبُوبُ، وقَدْ كانَ لِلنّبِيّ ﷺ فرَسٌ يُقال له[1]: السَّكْبُ[2]، وهُو مِنْ سَكَبْتُ الماءَ، فهَذا يُقَوِّي مَعْنى اليَعْبُوبِ.

وذَكرَ غَيْرُ ابنِ إسْحاقَ أنّ عَبْدَ الرّحْمَنِ بنَ أَبِي بَكْرٍ قالَ لِأبِيهِ بعدما أسْلَمَ: «يا أبَتِ، لَقَدْ أهْدَفْتَ لِي يَوْمَ بدرٍ مرارًا فصدفتُ[3] عنك، فقال له: لَوْ كُنْتَ أهْدَفْتَ[4] لِي أنْتَ ما[5] صَدَفْتُ عنك»[6].

* * *

(١) في (ف): «فرس اسمه».
(٢) انظر: «أسد الغابة» (١: ٢٧)، و«تاج العروس» (سكب).
(٣) أي: فأعرضت عنك، وفي «غريب ابن قتيبة»: «فضِفْتُ عنك»، وقال: فضفتُ عنك؛ أي: عدلتُ عنك.
(٤) في (ص)، (ج): «هدفت». وهدفَ إلى الشيء: قصد وأسرع. وأهدف: قرب ودنا.
(٥) نص ابن قتيبة: «لم أضِفْ عنك».
(٦) «غريب الحديث» لابن قتيبة: (١: ٥٧٨-٥٧٩).

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ الحارِثِ وغَيْرُهُ مِنْ أصْحابِنا، عَنْ سُلَيْمانَ بنِ مُوسى، عَنْ مَكْحُولٍ، عَنْ أبي أُمامةَ الباهِلِيِّ ـ واسْمُهُ: صُدَيُّ ابنُ عَجْلانَ فيما قالَ ابنُ هِشامٍ ـ قالَ: سَأَلْتُ عُبادةَ بنَ الصّامِتِ عَنِ الأنْفالِ، فقالَ: فينا ـ أصْحابَ بَدْرٍ ـ نَزَلَتْ حِينَ اخْتَلَفْنا في النَّفَلِ، وساءَتْ فيهِ أخْلاقُنا، فنَزَعَهُ اللهُ مِنْ أيْدِينا، فجَعَلَهُ إلى رَسُولِهِ، فقَسَمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ المُسْلِمِينَ عَنْ بَواءٍ. يَقُولُ: على السَّواءِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بنُ أبي بَكْرٍ، قالَ: حَدَّثَنِي بَعْضُ بَنِي ساعِدَةَ، عَنْ أبي أُسَيْدٍ السّاعِدِيِّ مالِكِ بنِ رَبِيعةَ، قالَ: أصَبْتُ سَيْفَ بَنِي عائِذٍ المَخْزُومِيِّينَ الَّذي يُسَمّى: المَرْزُبانَ يَوْمَ بَدْرٍ، فلَمّا أمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النّاسَ أنْ يَرُدُّوا ما في أيْدِيهِمْ مِنَ النَّفَلِ، أقْبَلْتُ حَتّى أَلْقَيْتُهُ في النَّفَلِ. قالَ: وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لا يَمْنَعُ شَيْئًا سُئِلَهُ، فعَرَفَهُ الأرْقَمُ بنُ أبي الأرْقَمِ، فسَأَلَهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فأعْطاهُ إيّاهُ.

[بَعْثُ ابنِ رَواحةَ وزَيْدٍ بَشِيرَيْنِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ الفَتْحِ عَبْدَ اللهِ بنَ رَواحةَ بَشِيرًا إلى أهْلِ العالِيةِ، بِما فتَحَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ على رَسُولِهِ ﷺ وعلى المُسْلِمِينَ، وبَعَثَ زَيْدَ بنَ حارِثةَ إلى أهْلِ السّافِلةِ. قالَ أُسامةُ بنُ زَيْدٍ: فَأتانا الخَبَرُ ـ حِينَ سَوَّيْنا التُّرابَ على رُقَيّةَ ابنةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، الَّتِي كانَتْ عِنْدَ عُثْمانَ ابنِ عَفّانَ، كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَلَّفَنِي عَلَيْها مَعَ عُثْمانَ ـ أنَّ زَيْدَ بنَ حارِثةَ

قَدْ قَدِمَ. قالَ: فجِئْتُهُ وهُوَ واقِفٌ بِالمُصَلّى قَدْ غَشِيَهُ النّاسُ وهُوَ يَقُولُ: قُتِلَ عُتْبَةُ بنُ رَبِيعةَ، وشَيْبَةُ بنُ رَبِيعةَ، وأبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ، وزَمَعةُ بنُ الأَسْوَدِ، وأبو البَخْتَرِيِّ العاصِ بنُ هِشامٍ، وأُمَيَّةُ بنُ خَلَفٍ، ونُبَيْهٌ ومُنَبِّهٌ ابنا الحَجّاجِ. قالَ: قُلْتُ: يا أبَتِ، أحَقٌّ هذا؟ قالَ: نَعَمْ واللهِ يا بُنَيَّ.

[قُفُولُ رَسُولِ اللهِ مِنْ بَدْرٍ]

ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قافِلًا إلى المَدِينةِ، ومَعَهُ الأُسارى مِن المُشْرِكِينَ، وفيهِمْ عُقْبَةُ بنُ أبي مُعَيْطٍ، والنَّضْرُ بنُ الحارِثِ، واحْتَمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُ النَّفَلَ الَّذي أُصِيبَ مِن المُشْرِكِينَ، وجَعَلَ على النَّفَلِ عَبْدَ اللهِ بنَ كَعْبِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ مَبْذُولِ بنِ عَمْرِو بنِ غَنْمِ بنِ مازِنِ بنِ النَّجّارِ، فقالَ راجِزٌ مِن المُسْلِمِينَ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: يُقالُ: إنَّهُ عَدِيُّ بنُ أبي الزَّغْباءِ ـ:

أَقِمْ لَها صُدُورَها يا بَسْـبَسُ　　لَيْسَ بِذِي الطَّلْحِ لَها مُعَرَّسُ
وَلا بِصَحْـراءِ غُمَيرٍ مَحْبَسُ　　إنَّ مَطايـا القَـوْمِ لا تُخَيَّسُ
فَحَمْلُها على الطَّرِيقِ أَكْيَسُ　　قَدْ نَصَرَ اللهُ وفَـرَّ الأَخْنَسُ

ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتّى إذا خَرَجَ مِنْ مَضِيقِ الصَّفْراءِ نَزَلَ على كَثِيبٍ بَيْنَ المَضِيقِ وبَيْنَ النّازِيةِ ـ يُقالُ لَهُ: سَيْرٌ ـ إلى سَرْحةٍ بِهِ، فَقَسَمَ هُنالِكَ النَّفَلَ الَّذي أفاءَ اللهُ على المُسْلِمِينَ مِن المُشْرِكِينَ على السَّواءِ، ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، حَتّى إذا كانَ بِالرَّوْحاءِ لَقِيَهُ المُسْلِمُونَ يُهَنِّئُونَهُ بِما فتَحَ اللهُ عَلَيْهِ ومَنْ مَعَهُ مِن المُسْلِمِينَ، فقالَ لَهُمْ سَلَمةُ بنُ سَلامةَ ـ كَما حَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، ويَزِيدُ بنُ رُومانَ ـ: ما الَّذي تُهَنِّئُونَنا بِهِ؟

فوَاللهِ إنْ لَقِينا إلّا عَجائِزَ صُلْعًا كالبُدْنِ المُعَقَّلةِ، فنَحَرْناها. فتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قالَ: «أي ابنَ أخِي، أُولَئِكَ المَلأُ». قالَ ابنُ هِشامٍ: المَلأُ: الأشْرافُ والرُّؤَساءُ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ تَنازُعَهُمْ في النَّفَلِ، وما احْتَجّتْ بِهِ الطّائِفةُ الّذِينَ كانُوا يَحْمُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ في العَرِيشِ، والعَرِيشُ: كُلُّ ما أظَلّك وعَلاك مِنْ فوْقِك، فإنْ عَلَوْتَه أنْتَ فهُو عَرْشٌ لَك، لا عَرِيشٌ، والعَرِيشُ أيضًا فيما ذكر أبُو حَنِيفةَ: أرْبَعُ نَخَلاتٍ أوْ خَمْسٌ في أصْلٍ واحِدٍ(١).

وذَكَرَ قَوْلَ أبِي أُسَيْدٍ: «وجَدْتُ يَوْمَ بَدْرٍ سَيْفَ بَنِي عابِدٍ الّذِي يُقالُ لَهُ: المَرْزُبانُ». بَنُو عابِدٍ في مَخْزُومٍ، هُمْ بَنُو عابِدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مخزوم(٢)، وأمّا بَنُو عائِذٍ بالياءِ أختِ الواوِ والذّالِ(٣) المُعْجَمةِ، فهُمْ بَنُو عائِذِ بنِ عِمْرانَ بنِ مَخْزُومٍ رَهْطُ آلِ المُسَيَّبِ(٤)، والأوّلُونَ رَهْطُ آلِ بَنِي السّائِبِ.

وأمّا قَوْلُهُ: «فقَسَمَها رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَواءٍ، يَقُولُ: عَن سَواءٍ»، فقَدْ رَواهُ أبُو عُبَيْدٍ في «الأمْوالِ»، فقالَ فيهِ: «فقَسَمَها رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ فُواقٍ»، وفَسّرَهُ فقالَ: «جَعَلَ بَعْضَهُمْ فوْقَ بَعْضٍ»(٥)؛ أيْ: فضّلَ في القَسْمِ مَنْ رَأى تَفْضِيلَهُ،

(١) «تاج العروس» (عرش).
(٢) انظر: «تبصير المنتبه» (٣: ٨٨٧).
(٣) في (ف): «وبالذال».
(٤) «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٣: ١٥٤٢).
(٥) «الأموال» (ص: ٣٢٦)، والحديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥: ٣٢٣-٣٢٤).

[وقال[١] في «غَرِيبِ الحَدِيثِ» في تفسيرِ قوله: «عن فواق» قَوْلًا آخَرَ، قال: «يعني سُرعة القَسْمِ»، وجعله من فواق الناقة][٢]، ورواية ابنِ إسحاق أشهرُ وأثبتُ عند أهل الحديث.

وفي الحَدِيثِ الَّذِي ذَكرَهُ أبُو عُبَيْدٍ، أنّ سَعْدَ بنَ أبِي وقّاصٍ قالَ: «قَتَلْتُ يَوْمَ بَدْرٍ العاصِيَ بنَ سَعِيدِ بنِ العاصِي، وأخَذْتُ سَيْفَهُ، وكانَ يُقالُ لَهُ: ذُو الكَتِيفةِ، فأتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وقُلْت: يا رَسُولَ اللهِ، نَفِّلْنِيهِ، فأمَرَنِي أنْ أجْعَلَهُ في القَبَضِ[٣]، فأخذني ما لا يَعْلَمُهُ إلّا اللهُ، فقُلْت: قُتِلَ أخِي عُمَيْرٌ وأُخِذَ سَلَبِي، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الآية [الأنفال: ١]، فأعْطانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ السَّيْفَ»، قالَ أبُو عُبَيْدٍ: وأهْلُ السِّيَرِ يَقُولُونَ: قَتَلَ العاصِيَ بنَ سَعِيدٍ عَلِيُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه[٤].

* * *

(١) في (ف): «وقد قال».
(٢) عن (أ)، (ب). وانظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد: (٤: ١٧٦-١٧٧).
(٣) القَبَضُ: الذي تُجمَعُ عنده الغنائم.
(٤) «الأموال» (ص: ٣١٤).

[مَقْتَلُ النَّضْرِ وعُقْبَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَتّى إذا كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالصَّفْراءِ قُتِلَ النَّضْرُ بنُ الحارِثِ؛ قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، كَما أخْبَرَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ مِنْ أهْلِ مَكّةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ خَرَجَ حَتّى إذا كانَ بِعِرْقِ الظُّبْيَةِ قُتِلَ عُقْبةُ بنُ أبي مُعَيْطٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عِرْقُ الظُّبْيَةِ عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والَّذِي أسَرَ عُقْبةَ: عَبْدُ الله بنُ سَلِمةَ أحَدُ بَنِي العَجْلانِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ عُقْبةُ حِينَ أمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِقَتْلِهِ: فَمَنْ لِلصِّبْيَةِ يا مُحَمَّدُ؟ قالَ: «النّارُ». فقَتَلَهُ عاصِمُ بنُ ثابِتِ بنِ أبي الأقْلَحِ الأنْصارِيُّ، أخُو بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، كَما حَدَّثَنِي أبو عُبَيْدةَ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَمّارِ بنِ ياسِرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، فيما ذَكَرَ لِي ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ وغَيْرُهُ مِنْ أهْلِ العِلْمِ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَتَلَ عُقْبةَ بنِ أبِي مُعَيْطٍ، قالَ: «وكانَ الّذِي أسَرَهُ عَبْدُ اللهِ بنُ سَلِمةَ»[1]، وسَلِمةُ هَذا بِكَسْرِ اللّامِ، وهُو سَلِمةُ بنُ مالِكٍ أحَدُ بَنِي

(١) في (ج)، (ص): «بن أبي سلمة». انظر: «أسد الغابة» (٣: ٢٦٦)، و«المؤتلف والمختلف» =

العَجْلانِ، بَلَوِيٌّ بِالنَّسَبِ، أنْصارِيٌّ بِالحِلْفِ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا، وأمّا عُقْبَةُ ابنُ أبِي مُعَيْطٍ، فاسْمُ أبِي مُعَيْطٍ أبانُ بنُ أبِي عَمْرٍو، واسْمُ أبي عمرٍو[١] ذَكْوانُ ابنُ أُمَيّةَ، يُقالُ: كانَ أُمَيّةُ قَدْ ساعى[٢] أَمَةً له، أَوْ بَغَتْ أَمَةٌ لَهُ، فحَمَلَتْ بِأبِي عَمْرٍو، فاسْتَلْحَقَهُ بِحُكْمِ الجاهِلِيّةِ؛ ولِذَلِكَ قالَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِعُقْبَةَ حِينَ قالَ: أأُقْتَلُ مِنْ بَيْنِ قُرَيْشٍ صَبْرًا[٣]؟! فقالَ عُمَرُ: حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ منها، يُعَرِّضُ بنَسَبه؛ وذلك أن القِداحَ في الميسر رُبّما جُعِلَ مَعَها قِدْحٌ مُسْتَعارٌ قَدْ جُرِّبَ منه الفَلْج واليُمْنُ، فيُسْتَعارُ لِذَلِكَ، ويُسَمّى: المَنِيحَ، فإذا حُرِّكَ في الرِّبابَةِ[٤] مَعَ القِداحِ تَمَيَّزَ صَوْتُهُ؛ لِمُخالَفَةِ جَوْهَرِهِ جَوْهَرَ القِداحِ، فيُقالُ حِينَئِذٍ: حَنّ قِدْحٌ ليس مِنْها، فتَمَثّلَ عُمَرُ بِهَذا المَثَلِ[٥]، يُرِيدُ أنّ عُقْبَةَ لَيْسَ مِنْ قُرَيْشٍ، وكَذَلِكَ رُوِيَ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ لهُ حِينَئِذٍ: «إنّما أنْتَ يَهُودِيٌّ مِنْ أهْلِ صَفُّورِيَةَ»؛ لِأنّ الأَمَةَ الّتِي ولَدَتْ أباهُ كانَتْ لِيَهُودِيٍّ مِنْ صَفُّورِيَةَ[٦]، اسْمُها: تُرْنى[٧]، قالَهُ القُتَبِيّ.

وكَذَلِكَ قالَ دَغْفَلُ بنُ حَنْظَلَةَ النّسّابةُ[٨] لِمُعاوِيَةَ حِينَ سَأَلَهُ: هَلْ أدْرَكْتَ

= للدارقطني: (٣: ١١٩٩).

(١) في (ج)، (ص): «واسمه».

(٢) أي: طلبها للبغاء.

(٣) يقال: قتله صبرًا: حبسه حتى مات.

(٤) الرِّبابة: جماعة السهام.

(٥) المثل في «فصل المقال» لأبي عبيد البكري: (ص: ٤٠١).

(٦) صفُّورية: موضع من ثغور الشام. «معجم ما استعجم» (٣: ٨٣٧). (ج)

(٧) في (أ)، (ج): «ترتى». والمثبت عن «المعارف» (ص: ٣١٩)، و«فصل المقال» (ص: ٤٠١).

(٨) أحد بني عمرو بن شيبان، من رؤساء النسابين، قال عنه الجاحظ: «لم يدرك الناس مثله لسانًا وعلمًا وحفظًا». مختلف في صحبته، غرق يوم دولاب بفارس في وقعة الأزارقة، نحو =

عَبْدَ المُطّلِبِ؟ فقالَ: نَعَمْ أدْرَكْتُهُ شَيْخًا وسِيمًا، قَسِيمًا جَسِيمًا، تَحُفُّ بِهِ عَشَرةٌ مِنْ بَنِيهِ كَأَنّهُم النّجُومُ، قالَ: فهَلْ رأيتَ أُميّة بن عَبْدِ شَمْسٍ؟ قالَ: نَعَمْ رَأَيْتُهُ أُخَيْفِشَ أُزَيْرِقَ دَمِيمًا، يَقُودُهُ عَبْدُهُ ذَكْوانُ، فقالَ: ويْحَك! ذاكَ ابنُهُ أَبُو عَمْرٍو، فقالَ دَغْفَلٌ: أَنْتُمْ تَقُولُونَ ذَلِكَ.

قالَ المُؤَلّفُ أبو القاسم: وهَذا الطّعْنُ خاصٌّ في نَسَبِ عُقْبةَ مِنْ بَنِي أُمَيّةَ، وفي نَسَبِ أُمَيّةَ نَفْسِهِ مَقالةٌ أخرى تَعُمُّ جميعَ الفَصِيلةِ؛ وهِيَ ما رُوِيَ عَنْ سَفينةَ مَوْلى أُمِّ سَلَمةَ ـ واسمُه: عُويمِرٌ، وقيل: طهمان، وقيل: سَنْبةُ[1] بنُ مَرْفَنّة ـ حِينَ قِيلَ لَهُ: إنّ بَنِي أُمَيّةَ يَزْعُمُونَ أنّ الخِلافةَ فيهِمْ، فقالَ: كَذَبَتْ أَسْتاهُ بَنِي الزَّرْقاءِ، بَلْ هُمْ مُلُوكٌ، ومِنْ شَرِّ المُلُوكِ[2]، فيُقالُ: إنّ الزَّرْقاءَ هذهِ هِيَ أُمُّ بني أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، واسْمُها: أرْنَبُ[3]. قاله الأصْبَهانِيُّ في كِتابِ «الأمْثال»[4]، قالَ: وكانَتْ في الجاهِلِيّةِ مِنْ صَواحِبِ الرّاياتِ.

قالَ المُؤَلّفُ[5] أبو القاسم: وقَدْ عَفا اللهُ عَنْ أمْرِ الجاهِلِيّةِ، ونَهى عَن الطّعْنِ في الأنْسابِ، ولَوْ لَمْ يَجِب الكَفّ عَنْ نَسَبِ بَنِي أُمَيّةَ إلّا لموضعِ عثمانَ ابنِ عَفّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لَكانَ حَرًى[6] بذلك.

= سنة (٦٥هـ). انظر: «البيان والتبيين» للجاحظ: (١: ٣٢٢)، و«أسد الغابة» (٢: ١٦٠).

(١) في (ب): «سبنة»، وفي (ج): «سنية». وفي «أسد الغابة» (٢: ٤١١): «سقبة بن مارفنة».

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الفِتَن. انظر: «عارضة الأحوذي» (٩: ٧١-٧٢).

(٣) انظر: «جمهرة ابن حزم» (ص: ٨٧).

(٤) «الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة» لحمزة بن الحسن الأصبهاني: (ص: ٢٧٠). (ج)

(٥) «المؤلف» ليس في (ف).

(٦) في (أ)، (ب): «أحرى»، وكلاهما صواب، يقال: هو أحرى بكذا؛ أي: أفضل وأجدر. وحرًى به كذلك. وهو من الوصف بالمصدر، بمعنى: حَرِيّ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ولَقِيَ رَسُولَ الله ﷺ بِذلك المَوْضِعِ أبو هِنْد مَوْلى فرْوةَ ابنِ عَمْرٍو البَياضِي بِحَمِيتٍ مَمْلُوءٍ حَيْسًا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: الحَمِيتُ: الزِّقُّ. وكانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ، ثُمَّ شَهِدَ المَشاهِدَ كُلَّها مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، وهُوَ كانَ حَجّامَ رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّما هُوَ أبو هِنْد امْرُؤٌ مِن الأنْصارِ، فأنْكِحُوهُ، وأنْكِحُوا إلَيْهِ»، ففَعَلُوا.

فَصْلٌ

وذَكَرَ أبا هِنْدَ الحَجّامَ، وأنّهُ لَقِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُنْصَرَفَهُ مِنْ بَدْرٍ. أبُو هِنْدَ اسْمُهُ: عَبْدُ اللهِ، وهُو مَوْلى فرْوةَ بنِ عَمْرٍو البياضيّ، وأمّا أبو طَيْبةَ[1] الحَجّامُ فهُو مَوْلى بَنِي حارِثةَ، واسْمُهُ: نافِعٌ، وقِيلَ: دينارٌ، وقِيلَ: مَيْسَرةُ، ولَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا.

* * *

(١) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٣: ١٤٧٧)، و«أسد الغابة» (٦: ١٨٣).

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ مَضى رَسُولُ الله ﷺ حَتّى قَدِمَ المَدِينةَ قَبْلَ الأُسارى بِيَوْمٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ، أنَّ يَحْيي بنَ عَبْدِ الله ابنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أسْعَدَ بنِ زُرارةَ قالَ: قُدِمَ بِالأُسارى حِينَ قُدِمَ بِهِمْ، وسَوْدةُ بِنْتُ زَمعةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ آلِ عَفْراءَ، في مَناحَتِهِمْ على عَوْفٍ ومُعَوِّذٍ ابنَيْ عَفْراءَ، وذلك قَبْلَ أنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِنَّ الحِجابُ. قالَ: تَقُولُ سَوْدةُ: والله إنِّي لَعِنْدَهُمْ إذْ أُتِينا، فقِيلَ: هَؤُلاءِ الأُسارى قَدْ أُتِيَ بِهِمْ. قالَتْ: فرَجَعْتُ إلى بَيْتِي ورَسُولُ الله ﷺ فيهِ، وإذا أبو يَزِيدَ سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو في ناحِيةِ الحُجْرةِ مَجْمُوعةً يَداهُ إلى عُنُقِهِ بِحَبْلٍ، قالَتْ: فلا والله ما مَلَكْتُ نَفْسِي حِينَ رَأيْتُ أبا يَزِيدَ كَذلك أنْ قُلْتُ: أيْ أبا يَزِيدَ، أعْطَيْتُمْ بِأيْدِيكُمْ، ألا مِتُّم كِرامًا؟! فوَالله ما أنْبَهَنِي إلّا قَوْلُ رَسُولِ الله ﷺ مِن البَيْتِ: «يا سَوْدةُ، أعَلى الله ورَسُولِهِ تُحَرِّضِينَ؟» قالَتْ: قُلْتُ: يا رَسُولَ الله، والَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، ما مَلَكْتُ نَفْسِي حِينَ رَأيْتُ أبا يَزِيدَ مَجْمُوعةً يَداهُ إلى عُنُقِهِ أنْ قُلْتُ ما قُلْتُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي نُبَيهُ بنُ وهْبٍ أخُو بَنِي عَبْدِ الدّارِ، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ أقْبَلَ بِالأُسارى فرَّقَهُمْ بَيْنَ أصْحابِهِ، وقالَ: «اسْتَوْصُوا بِالأُسارى خَيْرًا». قالَ: وكانَ أبو عزيزٍ بنُ عُمَيْرِ بنِ هاشِمٍ، أخُو مُصْعَبِ ابنِ عُمَيْرٍ لِأبيهِ وأُمِّهِ في الأُسارى. قالَ: فقالَ أبو عزيزٍ: مَرَّ بِي أخِي مُصْعَبُ

ابنُ عُمَيْرٍ ورَجُلٌ مِن الأنْصارِ يَأْسِرُنِي، فقالَ: شُدَّ يَدَيْكَ بِهِ؛ فإنَّ أُمَّهُ ذاتُ مَتاعٍ، لَعَلَّها تَفْدِيهِ مِنْكَ، قالَ: وكُنْتُ في رَهْطٍ مِن الأنْصارِ حِينَ أقْبَلُوا بِي مِنْ بَدْرٍ، فكانُوا إذا قَدَّمُوا غَداءَهُمْ وعَشاءَهُمْ خَصُّونِي بِالخُبْزِ، وأكَلُوا التَّمْرَ؛ لِوَصِيَّةِ رَسُولِ الله ﷺ إيّاهُمْ بِنا، ما تَقَعُ في يَدِ رَجُلٍ مِنْهُمْ كِسْرةُ خُبْزٍ إلّا نَفَحَنِي بِها. قالَ: فأسْتَحْيِي فأرُدُّها على أحَدِهِمْ، فيرُدُّها عَلَيَّ، ما يَمَسُّها.

[بُلُوغُ مُصابِ قُرَيْشٍ إلى مَكّةَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ أبو عزيزٍ صاحِبَ لِواءِ المُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ بَعْدَ النَّضْرِ ابنِ الحارِثِ، فلَمّا قالَ أخُوهُ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ لِأبي اليَسَرِ ـ وهُوَ الَّذي أسَرَهُ ـ ما قالَ، قالَ لَهُ أبو عَزيزٍ: يا أخِي، هَذِهِ وَصاتُكَ بِي، فقالَ لَهُ مُصْعَبٌ: إنَّهُ أخِي دُونَكَ. فَسَألَتْ أُمُّهُ عَنْ أغْلى ما فُدِيَ بِهِ قُرَشِيٌّ، فقِيلَ لَها: أرْبَعةُ آلافِ دِرْهَمٍ. فبَعَثَتْ بِأرْبَعةِ آلافِ دِرْهَمٍ، ففَدَتْهُ بِها.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ أوَّلَ مَنْ قَدِمَ مَكّةَ بِمُصابِ قُرَيْشٍ: الحَيْسُمانُ ابنُ عَبْدِ الله الخُزاعِيُّ، فقالُوا: ما وراءَكَ؟ قالَ: قُتِلَ عُتْبةُ بنُ رَبِيعةَ، وشَيْبةُ ابنُ رَبِيعةَ، وأبو الحَكَمِ بنُ هِشامٍ، وأُمَيّةُ بنُ خَلَفٍ، وزَمَعةُ ابنُ الأسْوَدِ، ونُبَيْهٌ ومُنَبِّهٌ ابنا الحَجّاجِ، وأبو البَخْتَرِيِّ بنُ هِشامٍ، فلَمّا جَعَلَ يُعَدِّدُ أشْرافَ قُرَيْشٍ، قالَ صَفْوانُ بنُ أُمَيّةَ وهُوَ قاعِدٌ في الحِجْرِ: واللهِ إنْ يَعْقِلُ هذا، فاسْألُوهُ عَنِّي، فقالُوا: وما فعَلَ صَفْوانُ بنُ أُمَيّةَ؟ قالَ: ها هُوَ ذاكَ جالِسًا في الحِجْرِ، وقَدْ واللهِ رَأيْتُ أباهُ وأخاهُ حِينَ قُتِلا.

أُسارى بَدْرٍ

ذَكرَ فيهِمْ أبا عُزيزٍ[١] بنَ عُمَيرٍ حين مرّ به ـ وهُو أسِيرٌ ـ على أخِيهِ مُصْعَبٍ، فقالَ مُصْعَبٌ لِلّذِي أسَرَهُ: اشْدُدْ يَدَيْك بِهِ... وذَكرَ الحَدِيثَ.

قالَ المُؤَلّفُ: وقَدْ تَقَدّمَ في بابِ الهِجْرةِ[٢] خَبَرُ إسْلامِ مُصْعَبٍ، وما كانَتْ أُمّهُ تَصْنَعُ بِهِ، وأرْجَيتُ[٣] التّعْرِيفَ بِها وبِإخْوتِهِ إلى هَذا المَوْضِعِ.

فأمّا أبُو عُزيزٍ، فاسْمُهُ: زُرارةُ، وأُمّهُ الّتِي أرْسَلَتْ في فِدائِهِ أُمُّ الخِناسِ بِنْتُ مالِكٍ العامِرِيّةُ، وهِيَ أمّ أخِيهِ مصعبٍ، وأختُهُ هندُ بنتُ عميرٍ، وهندُ هي أمُّ شيبةَ ابنِ عُثْمانَ حاجِبِ الكَعْبةِ، جَدِّ بَنِي شَيْبَةَ، أسْلَمَ أبُو عُزيزٍ، ورَوى الحَدِيثَ، وأسْلَمَ أخُوهُ أبُو الرُّومِ، وأبُو يَزِيدَ، ولا خَفاءَ بِإسْلامِ مُصْعَبٍ أخِيهِ، وغَلِطَ الزّبَيْرُ بنُ أبِي بكرٍ، فقالَ: «قُتِلَ أبُو عُزِيزٍ يَوْمَ أُحُدٍ كافِرًا»، ولَمْ يَصِحّ هَذا عِنْدَ أحَدٍ مِنْ أهْلِ الأخْبارِ، والله أعلم، وقَدْ روى عَنْهُ نُبَيْهُ بنُ وهْبٍ وغَيْرُهُ[٤]، ولَعَلّ المقتولَ بأُحدٍ كافرًا أخٌ لهم غيرُه.

* * *

---

(١) انظر: «المؤتلف والمختلف» أيضًا: (٤: ١٧٥٧).

(٢) انظر: (٤: ١٠٩).

(٣) في (أ)، (ب)، (ف): «وأرجأت»، وكلاهما صواب.

(٤) انظر: «أسد الغابة» (٦: ٢١٣-٢١٤)، و«جمهرة ابن حزم» (ص: ١٢٦).

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني حُسَيْنُ بنُ عَبْدِ الله بنِ عُبَيْدِ الله بنِ عَبّاسٍ، عَنْ عِكْرِمةَ مَوْلى ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: قالَ أبو رافِعٍ مَوْلى رَسُولِ الله ﷺ: كُنْتُ غُلامًا لِلْعَبّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وكانَ الإسْلامُ قَدْ دَخَلَنا أهْلَ البَيْتِ، فأسْلَمَ العَبّاسُ وأسْلَمَتْ أُمُّ الفَضْلِ وأسْلَمْتُ، وكانَ العَبّاسُ يَهابُ قَوْمَهُ ويَكْرَهُ خِلافَهُمْ، وكانَ يَكْتُمُ إسْلامَهُ، وكانَ ذا مالٍ كَثِيرٍ مُتَفَرِّقٍ في قَوْمِهِ، وكانَ أبو لَهَبٍ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ، فبَعَثَ مَكانَهُ العاصِيَ بنَ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ، وكَذلك كانُوا صَنَعُوا، لَمْ يَتَخَلَّفْ رَجُلٌ إلّا بَعَثَ مَكانَهُ رَجُلًا، فلَمّا جاءَهُ الخَبَرُ عَنْ مُصابِ أصْحابِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، كَبَتَهُ الله وأخْزاهُ، ووَجَدْنا في أنْفُسِنا قُوّةً وعِزًّا.

قالَ: وكُنْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا، وكُنْتُ أعْمَلُ الأقْداحَ، أنْحَتُها في حُجْرةِ زَمْزَمَ، فوَالله إنِّي لَجالِسٌ فيها أنْحَتُ أقْداحِي، وعِنْدِي أُمُّ الفَضْلِ جالِسةٌ، وقَدْ سَرَّنا ما جاءَنا مِن الخَبَرِ، إذْ أقْبَلَ أبو لَهَبٍ يَجُرُّ رِجْلَيْهِ بِشَرٍّ، حَتّى جَلَسَ على طُنُبِ الحُجْرةِ، فكانَ ظَهْرُهُ إلى ظَهْرِي، فبَيْنَما هُوَ جالِسٌ إذْ قالَ النّاسُ: هذا أبو سُفيانَ بنُ الحارِثِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْمُ أبي سُفيانَ: المُغِيرةُ ـ قَدْ قَدِمَ، قالَ: فقالَ أبو لَهَبٍ: هَلُمَّ إلَيَّ، فعِنْدَكَ لَعَمْرِي الخَبَرُ، قالَ: فجَلَسَ إلَيْهِ والنّاسُ قِيامٌ عَلَيْهِ، فقالَ: يا ابنَ أخِي، أخْبِرْنِي كَيْفَ كانَ أمْرُ النّاسِ؟ قالَ: والله ما هُوَ إلّا أنْ لَقِينا القَوْمَ فمَنَحْناهُمْ أكْتافَنا؛ يَقُودُونَنا كَيْفَ شاؤُوا، ويَأْسِرُونَنا كَيْفَ شاؤُوا، وايْمُ الله مَعَ ذلك ما لُمْتُ النّاسَ، لَقِينا رِجالًا بِيضًا، على خَيْلٍ بُلْقٍ، بَيْنَ السَّماءِ والأرْضِ، والله ما تُلِيقُ شَيْئًا،

ولا يَقُومُ لَهَا شَيْءٌ. قالَ أبو رافِعٍ: فرَفَعْتُ طُنُبَ الحُجْرةِ بِيَدَيَّ، ثُمَّ قُلْتُ: تِلْكَ واللهِ المَلائِكةُ، قالَ: فَرَفَعَ أبو لَهَبٍ يَدَهُ فضَرَبَ بِها وجْهِي ضَرْبةً شَدِيدةً. قالَ: وثاوَرْتُه فاحْتَمَلَنِي فضَرَبَ بِي الأَرْضَ، ثُمَّ بَرَكَ عَلَيَّ يَضْرِبُنِي، وكُنْتُ رَجُلًا ضَعِيفًا، فقامَتْ أُمُّ الفَضْلِ إلى عَمُودٍ مِنْ عُمُدِ الحُجْرةِ، فأَخَذَتْهُ فضَرَبَتْهُ بِهِ ضَرْبةً فَلَعَتْ في رَأْسِهِ شَجّةً مُنْكَرةً، وقالَتْ: أَسْتَضْعَفْتَهُ أنْ غابَ عَنْهُ سَيِّدُهُ؟! فقامَ مولّيًا ذليلًا، فوَاللهِ ما عاشَ إلّا سَبْعَ لَيالٍ حَتّى رَماهُ اللهُ بِالعَدَسةِ فقَتَلَتْهُ.

[نُواحُ قُرَيْشٍ على قَتْلاهُمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَحْيى بنُ عَبّادِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ عَبّادٍ، قالَ: ناحَتْ قُرَيْشٌ على قَتْلاهُمْ، ثُمَّ قالُوا: لا تَفْعَلُوا فيبْلُغَ مُحَمَّدًا وَأَصْحابَه، فيَشْمتوا بِكُمْ، ولا تَبْعَثُوا في أَسْراكُمْ حَتّى تَسْتَأْنُوا بِهِمْ، لا يَأْرَبُ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ وأَصْحابُهُ في الفِداءِ. قالَ: وكانَ الأَسْوَدُ بنُ المُطَّلِبِ قَدْ أُصِيبَ لَهُ ثَلاثةٌ مِنْ ولَدِهِ: زَمَعةُ بنُ الأَسْوَدِ، وعَقِيلُ بنُ الأَسْوَدِ، والحارِثُ ابنُ زَمَعةَ، وكانَ يُحِبُّ أنْ يَبْكِيَ على بَنِيهِ، فبَيْنَما هُوَ كذلك إذْ سَمِعَ نائِحةً مِن اللَّيْلِ، فقالَ لِغُلامٍ لَهُ وَقَدْ ذَهَبَ بَصَرُهُ: انْظُرْ هَلْ أُحِلَّ النَّحْبُ؟ هَلْ بَكَتْ قُرَيْشٌ على قَتْلاها؟ لَعَلِّي أَبْكِي على أبي حَكِيمةَ ـ يَعْنِي: زَمَعةَ ـ فإنَّ جَوْفي قَد احْتَرَقَ. قالَ: فلَمّا رَجَعَ إلَيْهِ الغُلامُ قالَ: إنَّما هِيَ امْرَأةٌ تَبْكِي على بَعِيرٍ لَها أَضَلَّتْهُ. قالَ: فذاكَ حِينَ يَقُولُ الأَسْوَدُ:

أَتَبْكِي أنْ يَضِلَّ لَها بَعِيرٌ ... ويَمْنَعُها مِن النَّوْمِ السُّهُودُ؟
فَلا تَبْكِي على بَكْرٍ ولَكِنْ ... على بَدْرٍ تَقاصَرَت الجُدُودُ
على بَدْرٍ سَراةِ بَنِي هُصَيْصٍ ... ومَخْزُومٍ ورَهْطِ أبي الوَلِيدِ

وَبَكِّي إنْ بَكَيْتِ على عَقِيلٍ وبَكِّي حارِثًا أَسَدَ الأُسُودِ
وَبَكِّيهِمْ ولا تَسَمِي جَمِيعًا وما لِأبِي حَكِيمَةَ مِنْ نَدِيدِ
ألا قَدْ سادَ بَعْدَهُم رِجالٌ ولَوْلا يَوْمُ بَدْرٍ لَمْ يَسُودُوا

قالَ ابنُ هِشامٍ: هذا إقْواءٌ، وهِيَ مَشْهُورةٌ مِنْ أشْعارِهِمْ، وهِيَ عِنْدَنا إكْفاءٌ. وقَدْ أسْقَطْنا مِنْ رِوايةِ ابنِ إسْحاقَ ما هُوَ أشْهَرُ مِنْ هذا.

خَبَرُ أَبِي رافِعٍ حِينَ قَدِمَ فَلُّ قُرَيْشٍ

اسْمُ أَبِي رافِعٍ: أَسْلَمُ، وقالَ ابنُ مَعِينٍ: اسْمُهُ إبْراهِيمُ، وقِيلَ: اسْمُهُ هُرْمُزُ، وكانَ عَبْدًا قِبْطِيًّا لِلْعَبّاسِ، فوهَبَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فلَمّا أسْلَمَ العَبّاسُ بَشَّرَ أبُو رافِعٍ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِإسْلامِهِ، فأعْتَقَهُ، فكانَ مَوْلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وقِيلَ: كانَ عَبْدًا لِبَنِي سَعِيدِ بن العاصِي ـ وهُمْ عَشَرةٌ ـ فأعْتَقُوهُ إلّا خالِدَ بنَ سَعِيدٍ؛ فإنَّهُ وهَبَ حِصَّتَهُ فيهِ لرسول الله ﷺ، فأعْتَقَهُ النَّبِيّ ﷺ، والأوّلُ أصَحّ، تُوُفِّيَ في قَوْلِ الواقِدِيّ قَبْلَ مَقْتَلِ عُثْمانَ بِيَسِيرٍ(١).

وذَكَرَ أبا لَهَبٍ وضَرْبَهُ لِأبِي رافِعٍ حِينَ ذَكَرَ المَلائِكَةَ، وانْتِصارَ أُمِّ الفَضْلِ لَهُ وضَرْبَها لِأبِي لَهَبٍ، وأُمُّ الفَضْلِ هِيَ لُبابةُ الكُبْرى بِنْتُ الحارِثِ الهِلالِيّةُ أُخْتُ مَيْمُونةَ، وأُخْتُها لُبابةُ الصّغْرى أُمّ خالِدِ بنِ الوَلِيدِ، ولَدَتْ أُمُّ الفَضْلِ مِن العَبّاسِ(٢) سَبْعةً نُجَبًا، فقالَ الشّاعِرُ(٣): [من الرجز]

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٤/ ١/ ٥٢)، وقال ابن الأثير: تُوفِّي في خلافة عثمان، وقيل: في خلافة علي، وهو الصواب. «أسد الغابة» (١: ٥٢).

(٢) في (أ)، (ب)، (ف): «للعباس».

(٣) عبد الله بن يزيد الهلالي، ورواية ابن عبد البر هكذا: =

ما ولَـدَتْ نَجيبةٌ مِـنْ فحْلِ كَسَـبْعةٍ مِنْ بَطْـنِ أُمِّ الفضلِ

وهُمْ: عَبْدُ اللهِ، وعُبَيْدُ اللهِ، وعَبْدُ الرّحْمَنِ، والفَضْلُ، وقُثَمُ، ومَعْبَدٌ، ويُقالُ في السّابعِ: كَثِيرُ بنُ العَبّاسِ، والأصَحّ في «كَثِيرٍ» أنّ أُمَّهُ رُومِيّةٌ، ولَمْ تَلِدْ أُمُّ الفَضْلِ مِنَ العَبّاسِ إلّا مَنْ سَمّيْنا وأُخْتًا لَهُمْ، وهِيَ أُمُّ حَبِيبٍ، وقَدْ ذَكَرَها ابنُ إسْحاقَ في رِوايةِ يونسَ[١]، وَذَكَر أَن رَسولَ اللهِ ﷺ رَآها وهِيَ طِفْلةٌ تَدِبُّ[٢][٣] بَيْنَ يَدَيْهِ، فقالَ: «إنْ بَلَغَتْ هذهِ وأنا حَيّ تَزَوّجْتُها»، فقُبِضَ قَبْلَ أنْ تَبْلُغَ، فتَزَوّجَها سفيانُ بنُ الأسودِ بنِ عَبْدِ الأسَدِ[٤] المَخْزُومِيّ، فولَدَتْ لَهُ رِزْقًا[٥] ولُبابَةَ.

وذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ أنّ أبا لَهَبٍ حِينَ ضَرَبَتْهُ أُمُّ الفَضْلِ امرأةُ العباس بالعَمُودِ على رَأْسِهِ، قامَ مُنْكَسِرًا، ولَمْ يَلْبَثْ إلّا يَسِيرًا حَتّى رَماهُ اللهُ بالعَدَسةِ فقَتَلَتْهُ[٦].

= مـا ولـدتْ نجيبةٌ مـن فحلِ بـجـبـلِ نـعـلـمُـهُ وسـهـلِ
كسـتّةٍ مـن بطـن أم الفضـلِ أكـرم بهـا مـن كهلـةٍ وكهلِ
عمِّ النبيِّ المصطفى ذي الفضلِ وخاتم الرسْـلِ وخير الرسْـلِ
«الاستيعاب» (٤: ١٩٠٨).

(١) «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٢٤٨-٢٤٩).

(٢) في (ف): «تدبب».

(٣) أي: تدرج في المشي رويدًا. وفي «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٢٤٨): «تدر» ولا وجه له.

(٤) في (ب): «عبد الأسود»، والمثبت يوافق ما في «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٢٤٧). على أن في «نسب قريش» لمصعب: (ص: ٣٣٧): «الأسود بن سفيان بن عبد الأسد»، ومثله في «جمهرة ابن حزم» (ص: ١٤٤).

(٥) كذا في (أ)، وفي «سيرة ابن إسحاق»، و«جمهرة ابن حزم» (ص: ١٤٤)، و«نسب قريش» لمصعب. وفي (ج): «زرقاء»، وفي (ب): «وزقاء»، وغير واضحة في (ص).

(٦) في (ص): «فقتله».

وذَكرَ الطَّبَرِيّ في «تاريخه» أنّ العَدَسَةَ[1] قَرْحةٌ كانَت العَرَبُ تَتَشاءَمُ بِها، ويَرَوْنَ أنّها تُعْدِي أشَدَّ العَدْوى، فلَمّا رُمِيَ بِها أبُو لَهَبٍ، تَباعَدَ [منه][2] بَنُوهُ، فبَقِيَ ثَلاثًا لا تُقْرَبُ جِنازَتُهُ ولا يُدْفَنُ، فلَمّا خافُوا السُّبَّةَ دَفَعُوهُ بِعُودٍ في حُفْرَتِهِ ثُمّ قَذَفُوهُ بِالحِجارةِ مِنْ بَعِيدٍ حَتّى وارَوْهُ[3].

وقالَ ابنُ إسْحاقَ في رِوايةِ يُونُسَ: لَمْ يَحْفِرُوا لَهُ، ولَكِنْ أُسْنِدَ[4] إلى حائِطٍ وقُذِفَتْ عَلَيْهِ الحِجارةُ مِنْ خَلْفِ الحائِطِ حتى ووري.

وذَكرَ[5] أنّ عائشةَ رضي الله عنها كانتْ إذا مرَّتْ بموضعهِ ذلك غطَّتْ وجْهَها، وفي «صَحِيحِ البُخارِيّ»[6] أنّ بَعْضَ أهْلِهِ رَآهُ في المَنامِ في شَرِّ حِيبةٍ[7] ـ وهِيَ الحالةُ ـ فقالَ [له: ماذا لقيتَ؟ قال أبو لهبٍ][8]: ما لَقِيتُ بَعْدَكُمْ، يَعْنِي: راحةً، غَيْرَ أنّي سُقِيتُ في مِثْلِ هذهِ بِعِتْقِي ثُوَيْبَةَ. هَكَذا في رِوايةِ الأصيلِيّ عَنْ أبي زَيْدٍ، وفي رِوايةِ غَيْرِهِ، قالَ: ما لَقِيتُ بَعْدَكُمْ راحةً، غَيْرَ أنّي سُقِيتُ في مِثْلِ هذهِ ـ وأشارَ إلى النُّقْرةِ ما بَيْنَ السّبّابةِ والإبْهامِ ـ بِعِتْقِي ثُوَيْبَةَ.

وفي غَيْرِ[9] «كتابِ البُخارِيّ»: أنّ الّذِي رَآهُ مِنْ أهْلِهِ هُو أخُوهُ العَبّاسُ،

---

(١) في «المعجم الوسيط»: «العدسة: بثرة تخرج في البدن كالطاعون، وقلما يسلم صاحبها». «وعُدِس فلان ـ بالبناء للمجهول ـ: أصابته العدسة».

(٢) كذا في (أ)، وفي (ج): «عنه»، وليست في (ب)، وغير واضحة في (ص).

(٣) «تاريخ الرسل والملوك» (٢: ٤٦٢). (ج)

(٤) في (أ)، (ب)، (ف): «أسندوه».

(٥) في (أ)، (ب): «وقال ابن إسحاق»، وفي (ص): «ورُوي أن عائشة».

(٦) «فتح الباري»، كتاب النكاح: (٩: ١٤٠).

(٧) أصلها: الحَوْبة، وهي المسكنة والحاجة والحالة، فالياء منقلبة عن الواو لانكسار ما قبلها.

(٨) عن البخاري.

(٩) انظر: «سبل الهدى والرشاد» (١: ٤٥٧-٤٥٩).

قالَ: مَكَثْتُ حَوْلًا بَعْدَ مَوْتِ أَبِي لَهَبٍ لا أراهُ في نَوْمٍ، ثُمّ رَأَيْتهُ في شَرّ حالٍ، فقـالَ: ما لَقِيتُ بَعْدَكُمْ راحةً إلّا أن العـذاب يخفَّفُ عنِّي كلّ يَوْمِ اثْنَيْنِ؛ وذَلِكَ أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وُلِدَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وكانَتْ ثُوَيْبَةُ قَدْ بَشّرَتْهُ بمَوْلِدِهِ، فقالَتْ[١]: أَشَعَرْتَ أنّ آمِنةَ ولَدَتْ[٢] غُلامًا لأخِيك عَبْدِ اللهِ؟ فقال لها: اذهبي فأنتِ حُرَّةٌ، فنفعه ذلك وهو في النّارِ، كَما نَفَعَ أخاهُ أبا طالِبٍ ذَبّهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فهُو أهْونُ أهْلِ النّارِ عَذابًا، وقَدْ تَقَدّمَ في بابِ أَبِي طالِبٍ أنّ هَذا النّفْعَ إنّما هُو نُقْصانٌ مِن العَذابِ؛ وإلّا فعَمَلُ الكافِرِ كُلُّهُ مُحْبَطٌ بِلا خِلافٍ، أيْ: لا يَجِدُهُ في مِيزانِهِ، ولا يَدْخُلُ بِهِ جَنّةً.

وقَدْ كانَ النبيُّ[٣] ﷺ يَصِلُ ثُوَيْبَةَ مِن المَدِينةِ ويُتْحِفُها؛ لِأَنّها كانَتْ أَرْضَعَتْهُ، وأرْضَعَتْ عَمّهُ حَمْزةَ، ولَمّا افْتَتَحَ مَكّةَ سَألَ عَنْها، وعَن ابنٍ لَها اسْمُهُ[٤]: مسروح، فأُخِبرَ أنهما قد ماتا.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ في الأُسارى أبو وداعةَ بنُ ضُبَيْرَةَ السَّهْمِيُّ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ لَهُ بِمَكّةَ ابنا كَيِّسًا تاجِرًا ذا مال، وكأنّكم بِهِ قَدْ جاءَكُمْ في طَلَبِ فِداءِ أبيهِ»، فلَمّا قالَتْ قُرَيْشٌ: لا تَعْجَلُوا بِفِداءِ أُسَرائِكُمْ؛ لا يَأْرَبُ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ وأصْحابُهُ، قالَ المُطَّلِبُ بنُ أبي وداعةَ ـ وهُوَ الَّذي كانَ رَسُولُ الله ﷺ عَنى ـ: صَدَقْتُمْ، لا تَعْجَلُوا، وانْسَلَّ مِن اللَّيْلِ فقَدِمَ المَدِينةَ، فأخَذَ أباهُ بِأَرْبَعةِ آلافِ دِرْهَمٍ، فانْطَلَقَ بِهِ.

---

(١) في (أ): «فقالت له».

(٢) في (ب): «قد ولدت».

(٣) في (ف): «رسول الله».

(٤) في (ص)، (ج): «يقال: مسروح».

وذَكَرَ المُطَّلِبَ بنَ أَبِي وداعةَ بنِ صُبَيْرةَ، وقَدْ ذَكَرَ الخَطَّابِيُّ، عَن العَنْبَرِيّ أَنّهُ يُقالُ فيهِ: ضُبَيرةُ بِالضّادِ المُعْجَمةِ، واسْمُ أَبِي وداعة: عَوْفٌ[1].

[أمْرُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو وفِداؤُهُ]

قالَ: ثُمَّ بَعَثَتْ قُرَيْشٌ في فِداءِ الأُسارى، فقَدِمَ مِكْرَزُ بنُ حَفْصِ بنِ الأخْيَفِ في فداءِ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو، وكانَ الَّذي أَسَرَهُ مالِكُ بنُ الدُّخْشُمِ، أخُو بَنِي سالِمِ بنِ عَوْفٍ، فقالَ:

أَسَرْتُ سُهَيْلًا فلا أبْتَغِي ... أسِيرًا بِهِ مِنْ جَمِيعِ الأُمَمْ
وَخِنْدِفُ تَعْلَمُ أنَّ الفَتى ... فتاها سُهَيْلٌ إذا يُظَّلَمْ
ضَرَبْتُ بِذِي الشَّفْرِ حَتّى انْثَنى ... وأكْرَهْتُ نَفْسِي على ذِي العَلَمْ

وَكانَ سُهَيْلٌ رَجُلًا أعْلَمَ مِنْ شَفَتِهِ السُّفْلى.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُ هذا الشِّعْرَ لِمالِكِ بنِ الدُّخْشُمِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ عَمْرِو بنِ عَطاءٍ أخُو بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ: أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ قالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أنْزِعْ ثَنِيَّتَيْ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو، ويَدْلَعُ لِسانُهُ، فلا يَقُومُ عَلَيْكَ خَطِيبًا في مَوْطِنٍ أبَدًا، قالَ: فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا أُمَثِّلُ بِهِ فيمَثِّلَ اللهُ بِي وإنْ كُنْتُ نَبِيًّا». قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ بَلَغَنِي أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ لِعُمَرَ في هذا الحَدِيثِ: «إنَّهُ عَسى أنْ يَقُومَ مَقامًا لا تَذُمُّهُ». قالَ ابنُ هِشامٍ: وسَأذْكُرُ حَدِيثَ ذلك المَقامِ في مَوْضِعِهِ إنْ شاءَ اللهُ تَعالى.

---

(١) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٣: ١١٨٩)، و«نسب قريش» لمصعب: (ص: ٤٠٦)، و«أسد الغابة» (٥: ١٩٠).

وذَكَرَ مالِكَ بنَ الدُّخْشُمِ ويُقالُ [فيهِ: ابنُ][١] الدُّخشُنِ؛ بالنُّون، ويُقالُ فيهِ: ابنُ الدُّخيش[٢][٣]، ويُقالُ: إنَّهُ[٤] الَّذِي سارَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ في أمْرِه رَجُلٌ مِن الأنْصارِ، فلَمْ يُدْرَ ما سارَّهُ بِهِ حَتّى جَهَرَ[٥] رسولُ الله ﷺ، فإذا هُو يَسْتَأْذِنُهُ في قَتْلِه، وهُو في حَدِيثِ مالِكٍ في «المُوطَّأ»[٦]، والَّذِي سارَّهُ هُو عِتْبانُ بنُ مالِكٍ، وقَدْ بَرَّأ رسولُ الله ﷺ مالِكَ بنَ الدُّخْيشِ[٧] مِن النِّفاقِ؛ حَيْثُ[٨] قالَ: «ألَيْسَ يَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللهُ؟» قالُوا: بَلى، قالَ[٩]: «ألَيْسَ يُصَلِّي؟» قالُوا: بَلى. قالَ في حَدِيثِ «المُوطَّأ»: «أُولَئِكَ الَّذِينَ نهاني الله عنهم»، وقال في حَدِيثِ مُسْلِمٍ: «فإنَّ اللهَ قَدْ حَرّمَ على النّارِ مَنْ قالَ: لا إلَهَ إلّا اللهُ يَبْتَغِي بِها وجْهَ اللهِ»[١٠].

وقَدْ تَقَدَّمَ في اسْمِ مِكْرَزٍ أنّهُ يُقالُ بِكَسْرِ المِيمِ وفَتْحِها، ولَكِنْ لا يُرْوى في «السِّيرةِ» إلّا بِالكَسْرِ.

* * *

(١) عن (ج)، (ص).
(٢) في (ف): «الدخيشن».
(٣) انظر: «جمهرة ابن حزم» (ص: ٣٥٤)، و«أسد الغابة» (٥: ٢٢).
(٤) في (أ)، (ب)، (ف): «إنّ».
(٥) في (ب): «جهر به».
(٦) «الموطأ»، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة: (١: ١٧١).
(٧) في (ف): «الدخشن».
(٨) في (ف): «حين».
(٩) في (أ)، (ج)، (ف): «فقال».
(١٠) انظر: مسلم، كتاب الإيمان: (١: ٦١-٦٢).

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا قاوَلَهُمْ فيهِ مِكْرَزٌ وانْتَهى إلى رِضاهُمْ، قالُوا: هاتِ الَّذي لَنا، قالَ: اجْعَلُوا رِجْلِي مَكانَ رِجْلِهِ، وخَلُّوا سَبِيلَهُ حَتّى يُبْعَثَ إلَيْكُمْ بِفِدائِهِ. فَخَلَّوْا سَبِيلَ سُهَيْلٍ، وحَبَسُوا مِكْرَزًا مَكانَهُ عِنْدَهُمْ، فقالَ مِكْرَزٌ:

فَدَيْتُ بِأذْوادٍ ثِمانٍ سِـــبا فَتًى ... يَنالُ الصَّمِيمَ غُرْمُها لا المَوالَيا
رَهَنْتُ يَدي والمالُ أيْسَرُ مِنْ يَدي ... عَلَيَّ ولَكِنِّي خَشِيتُ المَخازِيا
وَقُلْتُ سُهَيْلٌ خَيْرُنا فاذْهَبُوا بِهِ ... لِأبنائِنـــا حَتّى نُدِيـــرَ الأمانِيا

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُ هذا لِمِكْرَزٍ.

[أسْرُ عَمْرِو بنِ أبي سُفيانَ وإطْلاقُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ، قالَ: كانَ عَمْرُو بنُ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبٍ ـ وكانَ لِبِنْتِ عُقْبةَ بنِ أبي مُعَيْطٍ. قالَ ابنُ هِشامٍ: أُمُّ عَمْرِو بنِ أبي سُفيانَ بِنْتُ أبي عَمْرٍو، وأُخْتُ أبي مُعَيْطِ بنِ أبي عَمْرٍو ـ أسِيرًا في يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أسْرى بَدْرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أسَرَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ، قالَ: فقِيلَ لِأبي سُفيانَ: افْدِ عَمْرًا ابنَكَ، قالَ: أيُجْمَعُ عَلَيَّ دَمِي ومالِي؟! قَتَلُوا حَنْظَلَةَ، وأفْدِي عَمْرًا! دَعُوهُ في أيْدِيهِمْ يُمْسِكُوهُ ما بَدا لَهُمْ.

قالَ: فبَيْنَما هُوَ كَذلك مَحْبُوسٌ بِالمَدِينةِ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ؛ إذْ خَرَجَ سَعْدُ بنُ النُّعْمانِ بنِ أكّالٍ ـ أخُو بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، ثُمَّ أحَدُ بَنِي مُعاوِيَةَ ـ مُعْتَمِرًا ومَعَهُ مُرَيّةٌ لَهُ ـ وكانَ شَيْخًا مُسْلِمًا ـ في غَنَمٍ لَهُ بِالنَّقِيعِ، فخَرَجَ مِن هُنالك مُعْتَمِرًا، ولا يَخْشى الَّذي صُنِعَ بِهِ، لَمْ يَظُنَّ أنَّهُ يُحْبَسُ بِمَكّةَ، إنَّما جاءَ مُعْتَمِرًا. وقَدْ كانَ عَهِدَ قُرَيْشًا لا يَعْرِضُونَ لِأحَدٍ جاءَ حاجًّا أوْ مُعْتَمِرًا إلّا بِخَيْرٍ، فعَدا عَلَيْهِ أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ بِمَكّةَ، فحَبَسَهُ بِابنِهِ عَمْرٍو، ثُمَّ قالَ أبو سُفيانَ:

أرَهْطَ ابنِ أكّالٍ أجِيبُوا دُعاءَهُ ... تَعاقَدْتُمُ لا تُسْلِمُوا السَّيِّدَ الكَهْلا

فَإنَّ بَنِي عَمْرٍو لِئامٌ أذِلّةٌ ... لَئِنْ لَمْ يَفُكُّوا عَنْ أسِيرِهِم الكَبْلا

فَأجابَهُ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ، فقالَ:

لَوْ كانَ سَعْدٌ يَوْمَ مَكّةَ مُطْلَقًا ... فيكُمْ قَبْلَ أنْ يُؤْسَرَ القَتْلا

بِعَضْبٍ حُسامٍ أوْ بِصَفْراءَ نَبْعةٍ ... تَحِنُّ إذا ما أُنْبِضَتْ تَحْفِزُ النَّبْلا

وَمَشى بَنُو عَمْرِو بنِ عَوْفٍ إلى رَسُولِ الله ﷺ فأخْبَرُوهُ خَبَرَهُ، وسَألُوهُ أنْ يُعْطِيَهُمْ عَمْرَو بنَ أبي سُفيانَ فيفُكُّوا بِهِ صاحِبَهُمْ، ففَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ، فبَعَثُوا بِهِ إلى أبي سُفيانَ، فخَلّى سَبِيلَ سَعْدٍ.

وقَوْلُ مِكْرَزٍ: [من الطويل]

«فَدَيتُ بأذوادٍ ثِمانٍ سِبا فتًى»

بِكَسْرِ الثّاءِ مِنْ (ثِمانٍ)؛ لِأنّهُ جَمْعُ ثَمِينٍ، مثل: سَمينٍ وسِمانٍ.

[أَسْرُ أبي العاصِ بنِ الرَّبيعِ]

قـالَ ابنُ إسْحـاقَ: وقَدْ كـانَ في الأُسارى أبو العاصِ بنُ الرَّبيعِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، خَتَنُ رَسُولِ الله ﷺ وزَوْجُ ابنَتِهِ زَيْنَبَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أَسَرَهُ خِراشُ بنُ الصِّمَّةِ، أَحَدُ بَنِي حَرامٍ.

[سَبَبُ زَواجِ أبي العاصِ مِنْ زَيْنَبَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ أبو العاصِ مِنْ رِجالِ مَكَّةَ المَعْدُودِينَ: مالًا، وأمانةً، وتِجارةً، وكانَ لِهالةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، وكانَتْ خَدِيجةُ خالَتَهُ، فسَأَلَتْ خَدِيجةُ رَسُولَ الله ﷺ أنْ يُزَوِّجَهُ، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ لا يُخالِفُها، وذلك قَبْلَ أنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ، فزَوَّجَهُ، وكانَتْ تَعُدُّهُ بِمَنْزِلةِ ولَدِها، فلَمّا أكْرَمَ الله رَسُولَهُ ﷺ بِنُبُوَّتِهِ آمَنَتْ بِهِ خَدِيجةُ وبَناتُهُ، فَصَدّقْنَهُ، وشَهِدْنَ أَنَّ ما جاءَ بِهِ الحَقُّ، ودِنَّ بِدِينِهِ، وثَبَتَ أبو العاصِ على شِرْكِهِ.

[سَعْيُ قُرَيْشٍ في تَطْلِيقِ بَناتِ الرَّسُولِ مِنْ أزْواجِهِنَّ]

وَكانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ زَوَّجَ عُتْبةَ بنَ أبي لَهَبٍ رُقَيّةَ، أوْ أُمَّ كُلْثُومٍ، فلَمّا بادى قُرَيْشًا بِأمْرِ الله تَعالى وبِالعَداوةِ، قالُوا: إنَّكُم قد فرّغتم مُحَمَّدًا مِنْ هَمِّهِ، فرُدُّوا عَلَيْهِ بَناتِهِ، فاشْغَلُوهُ بِهِنَّ. فمَشَوْا إلى أبي العاصِ فقالُوا لَهُ: فارِقْ صاحِبَتَكَ ونَحْنُ نُزَوِّجُكَ أيَّ امْرَأةٍ مِنْ قُرَيْشٍ شِئْتَ، قالَ: لا واللهِ، إنِّي لا أُفارِقُ صاحِبَتِي، وما أُحِبُّ أنَّ لِي بِامْرَأتِي امْرَأةً مِنْ قُرَيْشٍ. وكانَ رَسُولُ الله ﷺ يُثْنِي عَلَيْهِ في صِهْرِهِ خَيْرًا فيما بَلَغَنِي. ثُمَّ مَشَوْا إلى عُتْبةَ بنِ أبي لَهَبٍ، فقالُوا لَهُ: طَلِّقْ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ونَحْنُ نُنْكِحُكَ أيَّ امْرَأةٍ مِنْ قُرَيْشٍ شِئْتَ، فقالَ: إنْ زَوَّجْتُمُونِي بِنْتَ أبانَ بنِ سَعِيدِ بنِ العاصِ، أوْ بِنْتَ سَعِيدِ بنِ العاصِ

فارَقْتُها. فزَوَّجُوهُ بِنْتَ سَعِيدِ بنِ العاصِ وفارَقَها، ولَمْ يَكُنْ دَخَلَ بِها، فأَخْرَجَها الله عز وجل مِنْ يَدِهِ كَرامةً لَها، وهَوانًا لَهُ، وخَلَفَ عَلَيْها عُثْمانُ ابنُ عَفّانَ بَعْدَهُ.

[أبو العاصِ عِنْدَ الرَّسُولِ، وبَعْثُ زَيْنَبَ في فِدائِهِ]

وَكانَ رَسُولُ الله ﷺ لا يُحِلُّ بِمَكّةَ ولا يُحَرِّمُ، مَغْلُوبًا على أمْرِهِ، وكانَ الإسْلامُ قَدْ فرَّقَ بَيْنَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ حِينَ أَسْلَمَتْ وبَيْنَ أبي العاصِ بنِ الرَّبِيعِ، إلّا أنَّ رَسُولَ الله ﷺ كانَ لا يَقْدِرُ أنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُما، فأقامَتْ مَعَهُ على إسْلامِها وهُوَ على شِرْكِهِ حَتّى هاجَرَ رَسُولُ الله ﷺ، فلَمّا صارَتْ قُرَيْشٌ إلى بَدْرٍ، صارَ فيهم أبو العاصِ بنُ الرَّبِيعِ فَأُصِيبَ في الأُسارى يَوْمَ بَدْرٍ، فكانَ بِالمَدِينةِ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَحْيى بنُ عَبّادِ بنِ عَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ عَبّادٍ، عَنْ عائِشةَ، قالَتْ: لَمّا بَعَثَ أَهْلُ مَكّةَ في فِداءِ أُسَرائِهِمْ، بَعَثَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ الله ﷺ في فِداءِ أبي العاصِ بنِ الرَّبِيعِ بِمالٍ، وبَعَثَتْ فيهِ بِقِلادةٍ لَها كانَتْ خَدِيجةُ أَدْخَلَتْها بِها على أبي العاصِ حِينَ بَنى عَلَيْها، قالَتْ: فلَمّا رَآها رَسُولُ الله ﷺ رَقَّ لَها رِقّةً شَدِيدةً، وقالَ: «إنْ رَأَيْتُمْ أنْ تُطْلِقُوا لَها أسِيرَها، وتَرُدُّوا عَلَيْها مالَها، فافْعَلُوا»، فقالُوا: نَعَمْ يا رَسُولَ الله. فأطْلَقُوهُ، ورَدُّوا عَلَيْها الَّذي لَها.

خُرُوجُ زَيْنَبَ إلى المَدِينةِ

[تَأَهُّبُها وإرْسالُ الرَّسُولِ رَجُلَيْنِ لِيَصْحَباها]

قالَ: وكانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ أخَذَ عَلَيْهِ ـ أوْ وعَدَ رَسُولَ الله ﷺ ذلك ـ

أنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ إلَيْهِ، أوْ كانَ فيما شَرَطَ عَلَيْهِ في إطْلاقِهِ، ولَمْ يَظْهَرْ ذلك مِنْهُ ولا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فيُعْلَمَ ما هُوَ، إلّا أنَّهُ لَمّا خَرَجَ أبو العاصِ إلى مَكّةَ وخُلِّيَ سَبِيلُهُ، بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ زَيْدَ بنَ حارِثَةَ ورَجُلًا مِن الأنْصارِ مَكانَهُ، فقالَ: «كُونا بِبَطْنِ يَأْجَجَ حَتّى تَمُرَّ بِكُما زَيْنَبُ، فتَصْحَباها حَتّى تَأْتِيانِي بِها». فخَرَجا مَكانَهُما، وذلك بَعْدَ بَدْرٍ بِشَهْرٍ أوْ شَيْعِهِ. فلَمّا قَدِمَ أبو العاصِ مَكّةَ أمَرَها بِاللُّحُوقِ بِأبيها، فخَرَجَتْ تَجَهَّزُ.

وذكر أبا العاصي بنَ الرّبِيعِ بنِ عَبْدِ العُزّى، واسْمُ أبِي العاصي: لَقِيطٌ، وقِيلَ فيهِ: هاشِمٌ. وقِيلَ: مُهَشِّمٌ، وقِيلَ: هُشَيمٌ[١]. [ويُقال: القاسمُ ومِقْسَمٌ][٢]، وهُو الّذي يَقُولُ في أهْلِهِ زَيْنَبَ بنتِ رسولِ الله ﷺ ـ وكانَ بالشّام تاجرًا حين قالها[٣] ـ: [من البسيط]

ذَكَـرْتُ زَيْنَبَ لَمـا يَمّمَتْ إضَما ... فقُلْتُ: سَقْيًا لِشَخْصٍ يَسْكُنُ الحَرَما
بِنْـتُ الأمِينِ جَزاهـا اللهُ صالِحةً ... وكُلُّ بَعْـلٍ سَـيُثْنِي بالّـذِي عَلِما

ولَدَتْ لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أُمامةَ وعَلِيًّا، ماتَ عَلِيٌّ وهُو صَغِيرٌ[٤]، وتَزَوّجَ أُمامةَ عَلِيُّ بنُ أبِي طالِبٍ، وتَزَوّجَها بَعْدَهُ المُغِيرةُ بنُ نَوْفَلٍ، [وهِيَ الّتِي جاءَ فيها الحَدِيثُ، رَواهُ عَمْرُو بنُ سُلَيْمٍ الزُّرَقِيُّ، عَنْ أبِي قَتادةَ: أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(١) في (أ): «هشيم. وقيل: مهشم به».

(٢) عن (أ)، (ب)، (ف). وانظر: «جمهرة ابن حزم» (ص: ٧٧)، و«أسد الغابة» (٤: ٣٧٧)، و«سبل الهدى والرشاد» (١١: ٤٦٤).

(٣) «الاستيعاب» (٤: ١٨٥٤). وروايته للبيت الأول:
ذكرتُ زينـبَ لما ورَّكَت إرَما

(٤) في (أ)، (ب)، (ف): «وهو مراهق».

كانَ يُصَلّي وهُو حامِلٌ أُمامةَ بِنْتَ زَيْنَبَ... الحَدِيثَ(١).

قالَ عَمْرُو بنُ سُلَيْمٍ(٢): كانَتْ تِلْكَ الصّلاةُ صَلاةَ الصّبْحِ. هَكَذا رَواهُ ابنِ جُرَيْجٍ، عَن ابنِ أبي عَتّابٍ، عَنْ عَمْرِو بن سُلَيْمٍ. ورَواهُ ابنُ إسْحاقَ في غَيْرِ «السّيرةِ»، عَن المَقْبُرِيّ، عَنْ عَمْرِو بنِ سُلَيْمٍ، فقالَ فيهِ: في إحْدى صَلاتَي العَشِيِّ: الظُّهْرِ أو العَصْرِ](٣).

وكان الذي أسرَ أبا العاصي مِن الأنْصارِ عَبْدُ اللهِ بنُ جُبَيْرِ [بنِ النُّعمان](٤)، ذَكرَهُ غَيْرُ ابنِ إسْحاقَ، [وكانَ الذي جاءَ في فِدائِهِ بقلادةِ زينبَ أخوهُ عمرُو بنُ الرّبيع، ذكرهُ غيرُ ابنِ إسحاقَ أيضًا](٥).

وكانَتْ رُقَيّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَحتَ عُتْبةَ بنِ أَبِي لَهَبٍ، وأُمّ كُلْثُوم تَحتَ عُتَيْبةَ، فطَلَّقاهُما بِعَزْمِ أَبِيهِما عَلَيْهِما وأُمِّهِما حِينَ نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]، فأمّا عُتَيْبةُ، فدَعا(٦) النّبِيُّ ﷺ أنْ يُسَلِّطَ اللهُ عَلَيْهِ كَلْبًا مِنْ كِلابِهِ، فافْتَرَسَهُ الأسَدُ مِنْ بَيْنِ أصْحابِهِ، وهُمْ نِيامٌ حَوْلَهُ(٧)، وأمّا عُتْبةُ ومُعَتِّبٌ ابنا أَبِي لَهَبٍ، فأسْلَما ولَهُما عَقِبٌ.

---

(١) «فتح الباري»، كتاب الصلاة: (١: ٥٩٠)، وكتاب الأدب: (١٠: ٤٢٦)، ومسلم، كتاب المساجد: (١: ٣٨٥-٣٨٦).

(٢) «مسند أحمد» (٥: ٣٠٤).

(٣) ما بين القوسين مكانه في (ص) بعد حديثه عن هبّار بن الأسود، وقول الرسول ﷺ له: «سُبَّ من سبَّك يا هبار». فكفَّ الناس عن سبِّه بعد.

(٤) عن (أ)، (ب)، (ف). وانظر: «أسد الغابة» (٣: ١٩٤).

(٥) عن (أ)، (ف).

(٦) بعده في (ف): «عليه».

(٧) انظر: «جمهرة ابن حزم» (ص: ٧٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي: (٢: ٣٣٨-٣٣٩).

[هِنْدُ تُحاوِلُ تَعَرُّفَ أمْرِ زَيْنَبَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ أبي بَكْرٍ، قالَ: حُدِّثْتُ عَنْ زَيْنَبَ أنَّها قالَتْ: بَيْنا أنا أتَجَهَّزُ بِمَكّةَ لِلُّحُوقِ بِأبي لَقِيَتْنِي هِنْدُ بِنْتُ عُتْبةَ، فقالَتْ: يا بِنْتَ مُحَمَّدٍ، ألَمْ يَبْلُغْنِي أنَّكِ تُرِيدِينَ اللُّحُوقَ بِأبيكِ؟ قالَتْ: فقُلْتُ: ما أرَدْتُ ذلك، فقالَتْ: أي ابنةَ عَمِّي، لا تَفْعَلِي، إنْ كانَتْ لَكَ حاجةٌ بِمَتاعٍ مِمّا يَرْفُقُ بِكِ في سَفَرِكَ، أوْ بِمالٍ تَتَبَلَّغِينَ بِهِ إلى أبيكِ، فإنَّ عِنْدِي حاجَتَكَ، فلا تَضْطَنِي مِنِّي؛ فإنَّهُ لا يَدْخُلُ بَيْنَ النِّساءِ ما بَيْنَ الرِّجالِ. قالَتْ: والله ما أراها قالَتْ ذلك إلّا لِتَفْعَلَ، قالَتْ: ولَكِنِّي خِفْتُها، فأنْكَرْتُ أنْ أكُونَ أُرِيدُ ذلك، وتَجَهَّزْتُ.

وقَوْلُهُ في خَبَرِ هِنْدَ: «فَلا تَضْطَنِي مِنّي»؛ تَضْطَنِي؛ أيْ: لا تَنْقَبِضِي عَنّي(١)، وشاهِدُهُ [قَوْلُ الطِّرِمّاحِ](٢): [من الطويل]

إذا ذُكِرَتْ مَسْعاةُ والِدِهِ اضْطَنا ... ولا يَضْطَنِي مِنْ شَتْمِ أهْلِ الفَضائِلِ

هَكَذا وجَدْتُهُ في حاشِيَةِ الشَّيْخِ، وقَدْ رُوِيَ هَذا البَيْتُ في «الحَماسةِ»(٣): «يَضَّنِي» بِالضّادِ المُعْجَمةِ، [وكَأنَّهُ افتعل مِن الضّنى، وهُو الضَّعف](٤).

* * *

(١) عن (ص)، وفي (ج): «مني».
(٢) عن (أ)، (ب)، (ف).
(٣) لم أجده في «حماسة أبي تمام».
(٤) عن (أ)، (ب)، (ف).

[ما أصابَ زَيْنَبَ مِنْ قُرَيْشٍ عِنْدَ خُرُوجِها، ومَشُورةُ أبي سُفيانَ]

فَلَمّا فرَغَتْ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ جهازِها، قَدَّمَ لَها حَمُوها كِنانةُ بنُ الرَّبيعِ أخُو زَوْجِها بَعِيرًا، فرَكِبَتْهُ، وأخَذَ قَوْسَهُ وكِنانَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ بِها نَهارًا يَقُودُ بِها وهِيَ في هَوْدَجٍ لَها، وتَحَدَّثَ بِذلك رِجالٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فخَرَجُوا في طَلَبِها حَتّى أدْرَكُوها بِذِي طُوًى، فكانَ أوَّلَ مَنْ سَبَقَ إلَيْها هَبّارُ بنُ الأسْوَدِ ابنِ المُطَّلِبِ بنِ أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى، والفِهْرِيُّ، فرَوَّعَها هَبّارٌ بِالرُّمْحِ وهِيَ في هَوْدَجِها، وكانَت المَرْأةُ حامِلًا ـ فيما يَزْعُمُونَ ـ فلَمّا رِيعَتْ طَرَحَتْ ذا بَطْنِها، وبَرَكَ حَمُوها كِنانةُ، ونَثَرَ كِنانَتَهُ، ثُمَّ قالَ: واللهِ لا يَدْنُو مِنِّي رَجُلٌ إلّا وضَعْتُ فيهِ سَهْمًا، فتَكَرْكَرَ النّاسُ عَنْهُ، وأتى أبو سُفيانَ في جِلَّةٍ مِنْ قُرَيْشٍ فقالَ: أيُّها الرَّجُلُ، كُفَّ عَنّا نَبْلَكَ حَتّى نُكَلِّمَكَ. فكَفَّ، فأقْبَلَ أبو سُفيانَ حَتّى وقَفَ عَلَيْهِ، فقالَ: إنَّكَ لَمْ تُصِبْ؛ خَرَجْتَ بِالمَرْأةِ على رُؤُوسِ النّاسِ عَلانِيةً، وقَدْ عَرَفْتَ مُصِيبَتَنا ونَكْبَتَنا وما دَخَلَ عَلَيْنا مِنْ مُحَمَّدٍ، فيظُنُّ النّاسُ إذا خَرَجْتَ بِابنَتِهِ إلَيْهِ عَلانِيةً على رُؤُوسِ النّاسِ مِنْ بَيْنِ أظْهُرِنا، أنَّ ذلك عَنْ ذُلٍّ أصابَنا عَنْ مُصِيبَتِنا الَّتِي كانَتْ، وأنَّ ذلك مِنّا ضَعْفٌ ووَهْنٌ، ولَعَمْرِي ما لَنا بِحَبْسِها عَنْ أبيها مِنْ حاجةٍ، وما لَنا في ذلك مِنْ ثُؤْرةٍ، ولَكِنِ ارْجِعْ بِالمَرْأةِ، حَتّى إذا هَدَأت الأصْواتُ، وتَحَدَّثَ النّاسُ أنْ قَدْ رَدَدْناها، فسُلَّها سِرًّا، وألْحِقْها بِأبيها، قالَ: فَفَعَلَ، فأقامَتْ لَيالِيَ، حَتّى إذا هَدَأت الأصْواتُ خَرَجَ بِها لَيْلًا حَتّى أسْلَمَها إلى زَيْدِ بنِ حارِثةَ وصاحِبِهِ، فقَدِما بِها على رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وذَكرَ[١] خُرُوجَ زَيْنَبَ بنتِ رسولِ الله ﷺ مِنْ مَكّةَ، واتّباعَ قُرَيْشٍ لَها، قالَ: «وسَبَقَ إلَيْها[٢] هَبّارُ بنُ الأسْودِ والفِهْرِيّ»، ولَمْ يُسَمِّ ابنُ إسْحاقَ الفِهْرِيَّ، وقالَ ابنُ هِشامٍ: «هُو نافِعُ بنُ عَبْدِ قَيْسٍ»، وفي غَيْرِ «السّيرةِ» أنّهُ: خالِدُ بنُ عَبْدِ قَيْسٍ، هَكَذا ذَكرَهُ البَزّارُ[٣] فيما بَلَغَنِي.

وذَكرَ أنّ زَيْنَبَ حِينَ رَوّعَها هَبّارُ بنُ الأسْودِ ألْقَتْ ذا[٤] بَطْنِها، وزادَ غَيْرُ ابنِ إسْحاقَ أنّهُ نَخَسَ بِها الدّابةَ فسَقَطَتْ على صَخْرةٍ وهِيَ حامِلٌ، فهَلَكَ جَنِينُها، ولَمْ تَزَلْ تُهَرِيقُ الدِّماءَ حَتّى ماتَتْ بِالمَدِينةِ بَعْدَ إسْلامِ بَعْلِها أبي العاصي.

وذَكرَ الزُّبَيْرُ أنّ هَبّارَ بنَ الأسْودِ لَمّا أسْلَمَ وصَحِبَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، كانَ المُسْلِمُونَ يَسُبُّونَهُ بما فعَلَ، حَتّى شَكا ذَلِكَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالَ: «سُبَّ مَنْ سَبَّك يا هَبّارُ»[٥]، فكَفّ النّاسُ عَنْ سَبِّهِ بَعْدُ.

[شِعْرٌ لِأبِي خَيْثَمةَ فيما حَدَثَ لِزَيْنَبَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ عَبْدُ الله بنُ رَواحةَ ـ أوْ أبو خَيْثَمةَ، أخُو بَنِي سالِمِ بنِ عَوْفٍ ـ في الّذي كانَ مِنْ أمْرِ زَيْنَبَ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: هِيَ لِأبِي خَيْثَمةَ ـ:

---

(١) قبلها في (ف): «فصل».

(٢) في (ج)، (ص): «لها».

(٣) كذا، وانظر: «كشف الأستار عن زوائد البزار» (٣: ٢٤٢)، و«مجمع الزوائد» (٩: ٢١٢-٢١٣).

(٤) في (أ)، (ب)، (ف): «ما في».

(٥) أخرجه الواقدي في «المغازي» بإسناده إلى الزبير بن العوام: (٢: ٨٥٨-٨٥٩).

أتاني الَّذي لا يَقْـدُرُ النّاسُ قَدْرَهُ لِزَيْنَبَ فيهِمْ مِنْ عُقُـوقٍ ومَأْثَمِ
وَإخْراجُهـا لَمْ يُخْزَ فيهـا مُحَمَّدٌ على مَأْقِـطٍ وبَيْنَنا عِطْرُ مَنْشِـمِ
وَأمْسى أبو سُفيانَ مِنْ حِلْفِ ضَمْضَمٍ ومِنْ حَرْبِنـا في رَغْمِ أنْفٍ ومَنْدَمِ
قَرَنّا ابنَـهُ عَمْرًا ومَـوْلى يَمِينِهِ بِذي حَلَقٍ جَلْدِ الصَّلاصِلِ مُحْكَمِ
فَأقْسَـمْتُ لا تَنْفَكُّ مِنّا كَتائِبٌ سَراةُ خَمِيـسٍ في لُهـامٍ مُسَـوَّمِ
نَزُوعُ قُرَيْشَ الكُفْرِ حَتّى نَعُلَّها بِخاطِمةٍ فَـوْقَ الأُنُوفِ بِمِيسَـمِ
نُنَزِّلُهُـمْ أكْنـافَ نَجْـدٍ ونَخْلةٍ وإنْ يُتْهِمُوا بِالخَيْلِ والرَّجْلِ نُتْهِمِ
يَدَ الدَّهْرِ حَتّى لا يُعَـوَّجَ سِرْبُنا ونُلْحِقُهُـمْ آثـارَ عادٍ وجُرْهُـمِ
وَيَنْدَمَ قَـوْمٌ لَمْ يُطِيعُـوا مُحَمَّدًا على أمْرِهِـمْ وأيَّ حِـينِ تَنَـدُّمِ
فَأبْلِـغْ أبا سُـفيانَ إمّـا لَقِيتَهُ لَئِنْ أنْتَ لَمْ تُخْلِصْ سُجُودًا وتُسْلِمِ
فَأبْـشِرْ بِخِزْيٍ في الحَيـاةِ مُعَجَّلٍ وسِرْبالِ قـارٍ خـالِدًا في جَهَنَّمَ

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى: «وسِرْبالِ نارٍ».

[الخِلافُ بَيْنَ ابنِ إسْحاقَ وابنِ هِشامٍ في مَوْلى يَمِينِ أبي سُفيانَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومَوْلى يَمِينِ أبي سُفيانَ الَّذي يَعْنِي: عامِرُ بنُ الحَضْرَمِيِّ، كانَ في الأُسارى، وكانَ حِلْفُ الحَضْرَمِيِّ إلى حَرْبِ بنِ أُمَيَّةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: مَوْلى يَمِينِ أبي سُفيانَ الَّذي يَعْنِي: عُقْبَةُ بنُ عَبْدِ الحارِثِ ابنِ الحَضْرَمِيِّ، فأمّا عامِرُ بنُ الحَضْرَمِيِّ فقُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ.

وذَكَرَ شِعْرَ ابنِ رَواحَةَ ـ وقِيلَ: بَلْ قالَها أبُو خَيْثَمةَ(١) ـ وفيهَ: [من الطويل]

(١) هو عبد الله، كما قال الواقدي، أو مالك بن قيس، كما قال ابن الكلبي. أحد بني سالم من الخزرج، صحابي شهد أحدًا. انظر: «أسد الغابة» (٣: ٢٢٥)، (٦: ٩٣).

«على مأقِطٍ وبيننا عِطرُ مَنْشِمِ»

المأقِط: مُعْتَرَكُ الحَرْبِ، وعِطْرُ مَنْشِمِ: كِنايةٌ عَنْ شِدّةِ الحَرْبِ، وهُو مَثَلٌ، وأصْلُهُ ـ فيما زَعَمُوا ـ أنّ مَنْشِم كانت امْرَأةً مِنْ خُزاعةَ [كانت][1] تَبِيعُ العِطْرَ والطِّيبَ، فيُشْتَرى مِنْها لِلْمَوْتى، حَتّى تَشاءَمُوا بها لِذَلِكَ، وقِيلَ: إنّ قَوْمًا تَحالَفُوا على المَوْتِ، وغَمَسُوا أيْدِيَهُمْ في طِيبِ مَنْشِمِ المَذْكُورةِ تَأْكِيدًا لِلْحَلِفِ، فضُرِبَ طِيبُها مَثَلًا في شِدّةِ الحَرْبِ، وقِيلَ: مَنْشِمُ امْرَأةٌ مِنْ غُدانَةَ، وهُو[2] بَطْنٌ مِنْ تَمِيمٍ، ثُمّ مِنْ بَنِي يَرْبُوعِ بنِ حَنْظَلَةَ، وإنّ هذهِ المَرْأةَ هِيَ صاحِبةُ يَسارِ الّذِي يُقالُ له: يسارُ الكواعبِ، وإنّهُ كانَ عَبْدًا لَها، وإنّهُ راودَها عَنْ نَفْسِها، فقالَتْ لَهُ: أمْهِلْ حَتّى أُشِمَّك طِيبَ الحَرائِرِ، فلَمّا أمْكَنَها مِنْ نفسِهِ[3] أنْحتْ عَلَيْهِ بالمُوسى حَتّى أوْعَبَتْهُ[4] جَدْعًا، فقِيلَ في المَثَلِ[5]: «لاقى الّذِي لاقى يَسارُ الكَواعِبِ»، فقِيلَ[6]: عِطْرُ مَنشِمٍ[7]، وقيل: المَنشِمُ هو شيءٌ يكون في السُّنبلِ العِطريِّ، يقال له: البِيشُ[8]، وهو سُمٌّ قاتلٌ.

---

(١) عن (ص)، (ج).

(٢) في (ف): «وهم».

(٣) كذا في (ص)، ونحوه في (ب)، وفي (أ)، (ج)، (ف): «أنفه».

(٤) أي: استأصلته، ويقال: جدعه جدعًا: قطع أنفه، أو طرفًا من أطرافه، والمراد: أنها قطعت مذاكيره.

(٥) المثل من بيت للفرزدق، وهو في «ديوانه» (١ : ٩٧)، و«اللسان» (بسر)، ولفظه:

وإني لأخشـــى إن خطبتُ إليهمُ ... عليك الذي لاقى يسار الكواعب

وانظر قصة المثل في: «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب» (ص:١٠٨).

(٦) في (أ)، (ب)، (ف): «وقيل».

(٧) «اللسان» (نشم).

(٨) «اللسان» (بيش).

وفي الشِّعْرِ: [من الطويل]

بِذِي حَلَقٍ جَلْدِ الصَّلاصِلِ مُحكَمِ

يعني: الغُلَّ، والصَّلاصِلُ جَمْعُ: صَلْصَلةٍ، وهِيَ صَلْصَلةُ الحَدِيدِ.

[شِعْرُ هِنْدَ وكِنانةَ في خُرُوجِ زَيْنَبَ]

وَلَمّا انْصَرَفَ الَّذينَ خَرَجُوا إلى زَيْنَبَ لَقِيَتْهُمْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبةَ، فقالَتْ لَهُمْ:

أفي السِّلْمِ أعْيارًا جَفاءً وغِلْظَةً ... وفي الحَرْبِ أشْباهَ النِّساءِ العَوارِكِ؟!

وَقالَ كِنانةُ بنُ الرَّبِيعِ في أمْرِ زَيْنَبَ حِينَ دَفَعَها إلى الرَّجُلَيْنِ:

عَجِبْتُ لِهَبّارٍ وأوْباشِ قَوْمِهِ ... يُرِيدُونَ إخْفارِي بِبِنْتِ مُحَمَّدِ

وَلَسْتُ أُبالِي ما حَيِيتُ عَدِيدَهُمْ ... وما اسْتَجْمَعَتْ قَبْضًا يَدِي بِالمُهَنَّدِ

[الرَّسُولُ يُحِلُّ دَمَ هَبّارٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بنُ أبي حَبِيبٍ، عَنْ بُكَيْرِ بنِ عَبْدِ الله ابنِ الأشَجِّ، عَنْ سُلَيْمانَ بنِ يَسارٍ، عَنْ أبي إسْحاقَ الدَّوْسِيِّ، عَنْ أبي هُرَيْرةَ، قالَ: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ سَرِيّةً أنا فيها، فقالَ لَنا: «إنْ ظَفِرْتُمْ بِهَبّارِ بنِ الأسْوَدِ، أو الرَّجُلِ الآخَرِ الَّذي سَبَقَ مَعَهُ إلى زَيْنَبَ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: وَقَدْ سَمّى ابنُ إسْحاقَ الرَّجُلَ في حَدِيثِهِ وَقالَ: هُوَ نافِعُ بنُ عَبْدِ قَيْسٍ ـ فحَرِّقُوهُما بِالنّارِ». قالَ: فلَمّا كانَ الغَدُ بَعَثَ إلَيْنا، فقالَ: «إنِّي كُنْتُ أمَرْتُكُمْ بِتَحْرِيقِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إنْ أخَذْتُمُوهُما، ثُمَّ رَأيْتُ أنَّهُ لا يَنْبَغِي لِأحَدٍ أنْ يُعَذِّبَ بِالنّارِ إلّا اللهُ، فإنْ ظَفِرْتُمْ بِهِما فاقْتُلُوهُما».

إِسْلامُ أبي العاصِ بنِ الرَّبِيعِ

[اسْتِيلاءُ المُسْلِمِينَ على تِجارةٍ مَعَهُ، وإجارةُ زَيْنَبَ لَهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأقامَ أبو العاصِ بِمَكّةَ، وأقامَتْ زَيْنَبُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بالمَدِينةِ حِينَ فرَّقَ بَيْنَهُما الإسْلامُ، حَتّى إذا كانَ قُبَيْلَ الفَتْحِ خَرَجَ أبو العاصِ تاجِرًا إلى الشّامِ ـ وكانَ رَجُلًا مَأْمُونًا ـ بِمالٍ لَهُ وأمْوالٍ لِرِجالٍ مِنْ قُرَيْشٍ أبْضَعُوها مَعَهُ، فلَمّا فرَغَ مِنْ تِجارَتِهِ وأقْبَلَ قافِلًا، لَقِيَتْهُ سَرِيّةٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فأصابُوا ما مَعَهُ، وأعْجَزَهُمْ هارِبًا، فلَمّا قَدِمَت السَّرِيّةُ بِما أصابُوا مِنْ مالِهِ، أقْبَلَ أبو العاصِ تَحْتَ اللَّيْلِ حَتّى دَخَلَ على زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فاسْتَجارَ بِها، فأجارَتْهُ، وجاءَ في طَلَبِ مالِهِ، فلَمّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى الصُّبحِ ـ كَما حَدَّثَني يَزِيدُ بنُ رُومانَ ـ فَكَبَّرَ وكَبَّرَ النّاسُ مَعَهُ، صَرَخَتْ زَيْنَبُ مِنْ صُفّةِ النِّساءِ: أيُّها النّاسُ، إنِّي قَدْ أجَرْتُ أبا العاصِ ابنَ الرَّبِيعِ. قالَ: فلَمّا سَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن الصَّلاةِ أقْبَلَ على النّاسِ، فقالَ: «أيُّها النّاسُ، هَلْ سَمِعْتُمْ ما سَمِعْتُ؟» قالُوا: نَعَمْ، قالَ: «أما والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، ما عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ ذلك حَتّى سَمِعْتُ ما سَمِعْتُمْ، إنَّهُ يُجِيرُ على المُسْلِمِينَ أدْناهُمْ». ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فدَخَلَ على ابنَتِهِ، فقالَ: «أيْ بُنَيّةُ، أكْرِمِي مَثْواهُ، ولا يَخْلُصَنَّ إلَيْكِ؛ فإنَّكِ لا تَحِلِّينَ لَهُ».

[المُسْلِمُونَ يَرُدُّونَ عَلَيْهِ مالَهُ ثُمَّ يُسْلِمُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بنُ أبي بَكْرٍ: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ إلى السَّرِيّةِ الَّذِينَ أصابُوا مالَ أبي العاصِ، فقالَ لَهُمْ: «إنَّ هذا الرَّجُلَ مِنّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وقَدْ أصَبْتُمْ لَهُ مالًا، فإنْ تُحْسِنُوا وتَرُدُّوا عَلَيْهِ الَّذِي

لَهُ، فإنّا نُحِبُّ ذلك، وإنْ أبَيْتُمْ فهُوَ فَيْءُ اللهِ الَّذي أفاءَ عَلَيْكُمْ، فأنْتُمْ أحَقُّ بِهِ». فقالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، بَلْ نَرُدُّهُ عَلَيْهِ. فرَدُّوهُ عَلَيْهِ، حَتّى إنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِي بِالدَّلْوِ، ويَأْتِي الرَّجُلُ بِالشَّنّةِ وبِالإداوةِ، حَتّى إنَّ أحَدَهُمْ لَيَأْتِي بِالشِّظاظِ، حَتّى رَدُّوا عَلَيْهِ مالَهُ بِأسْرِهِ، لا يَفْقِدُ مِنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ احْتَمَلَ إلى مَكّةَ، فأدّى إلى كُلِّ ذِي مالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مالَهُ، ومَنْ كانَ أبْضَعَ مَعَهُ، ثُمَّ قالَ: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَلْ بَقِيَ لِأحَدٍ مِنْكُمْ عِنْدِي مالٌ لَمْ يَأْخُذْهُ؟ قالُوا: لا. فجَزاكَ اللهُ خَيْرًا؛ فقَدْ وجَدْناكَ وفِيًّا كَرِيمًا، قالَ: فأنا أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، واللهِ ما مَنَعَنِي مِنَ الإسْلامِ عِنْدَهُ إلّا تَخَوُّفُ أنْ تَظُنُّوا أنِّي إنَّما أرَدْتُ أنْ آكُلَ أمْوالَكُمْ، فلَمّا أدّاها اللهُ إلَيْكُمْ وفَرَغْتُ مِنْها أسْلَمْتُ. ثُمَّ خَرَجَ حَتّى قَدِمَ على رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وذَكَرَ قَوْلَ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ لِفَلِّ قُرَيْشٍ حِينَ رَجَعُوا مِنْ بَدْرٍ: [من الطويل]

أفي السِّلْمِ أعْيارًا جَفاءً وغِلْظَةً ... وفي الحَرْبِ أشْباهَ النّساءِ العَوارِكِ

يُقالُ: عَرَكَتِ المَرْأةُ[1] [ودَرَسَتْ وطَمِثَتْ]: إذا حاضَتْ، وقَدْ قِيلَ أيْضًا: يُقالُ: ضَحِكَتْ: إذا حاضَتْ، وتُؤُوِّل عَلَيْهِ قَوْلَهُ تَعالى: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ [هود: ٧١]، وقَدْ قِيلَ أيْضًا: يُقالُ: أكْبَرَتِ المَرْأةُ: إذا حاضَتْ، وحَمَلَ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ[2] قَوْلَهُ تَعالى: ﴿أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١]، والهاءُ على هَذا القَوْلِ مِنْ «أكْبَرْنَهُ» عائِدةٌ على المَصْدَرِ، وهُو تَأْوِيلٌ ضَعِيفٌ.

---

(١) في (أ)، (ب)، (ف): «عركت المرأة إذا حاضت...».

(٢) في (ف): «عليه بعضهم».

ونَصَبَ «أعْيارًا»[١] على الحالِ، والعامِلُ فيهِ فِعْلٌ مُخْتَزَلٌ؛ لِأَنَّهُ أقامَ الأعْيارَ مُقامَ اسْمٍ مُشْتَقٍّ، فكَأَنَّهُ قالَ: أفي[٢] السّلْمِ بُلَداءَ جُفاةً مِثْلَ الأعْيارِ، ونَصْبُ «جَفاءً» و«غِلْظَةً» نَصْبُ المَصْدَرِ المَوْضُوعِ مَوْضِعَ الحالِ، كما تقول: زيدٌ الأسَدُ شِدّةً، أيْ يُماثِلُهُ مُماثَلةَ شدّةٍ؛ فالشِّدّةُ صِفةٌ لِلْمُماثَلةِ، كَما[٣] أنّ المُشافَهةَ صِفةٌ لِلْمُكالَمةِ، إذا قُلْتَ: كَلَّمْتُهُ مُشافَهةً، فهذهِ حالٌ مِن المصدرِ في الحقيقةِ[٤]، وتعلُّقُ حَرْف الجرّ مِنْ قَوْلِها: «أفي[٥] السِّلْمِ» بما أدّتْهُ الأعْيارُ مِنْ مَعْنى الفِعْلِ، فكَأنّها قالَتْ: أفي السّلْمِ تتبَلَّدُونَ؟ وهَذا الفِعْلُ المُخْتَزَلُ النّاصِبُ لِلْأعْيارِ لا يَجُوزُ إظْهارُهُ لِلسِّرِّ الّذي نَبّهْنا عَلَيْهِ في قَوْلِ المُبْرِقِ: [من البسيط]

وعائِذًا بِك أنْ يَعْلُــوا فيُطْغُونِي[٦]

انْظُرْهُ في الهِجْرةِ إلى الحَبَشةِ[٧].

* * *

---

(١) رُسم عليه في (أ): «جمع عَير، وهو الحمار».

(٢) في (ف): «في».

(٣) في (أ): «كأن المشافهة».

(٤) هذا البيت من شواهد النحاة، انظره في: «الكتاب» (١: ٣٤٣-٣٤٤).

(٥) في (ف): «في».

(٦) في (ف): «فيطغون».

(٧) انظر: (٣: ٢١٣).

[زَوْجَتُهُ تُرَدُّ إلَيْهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي داوُدُ بنُ الحُصَيْنِ، عَنْ عِكْرِمةَ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: رَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ زَيْنَبَ على النِّكاحِ الأوَّلِ، لَمْ يُحْدِثْ شَيْئًا بَعْدَ سِتِّ سِنِينَ.

[مَثَلٌ مِنْ أمانةِ أبي العاصِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي أبو عُبَيْدةَ: أنَّ أبا العاصِ بنَ الرَّبِيعِ لَمّا قَدِمَ مِن الشّامِ ومَعَهُ أمْوالُ المُشْرِكِينَ، قِيلَ لَهُ: هَلْ لَكَ أنْ تُسْلِمَ وتَأْخُذَ هَذِهِ الأمْوالَ؛ فإنَّها أمْوالُ المُشْرِكِينَ؟ فقالَ أبو العاصِ: بِئْسَ ما أبْدَأُ بِهِ إسْلامِي أنْ أخُونَ أمانَتِي!

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الوارِثِ بنُ سَعِيدٍ التَّنُّورِيُّ، عَنْ داوُدَ بنِ أبي هِنْدٍ، عَنْ عامِرٍ الشَّعْبِيِّ، بِنَحْوٍ مِنْ حَدِيثِ أبي عُبَيْدةَ، عَنْ أبي العاصِ.

[الَّذينَ أُطْلِقُوا مِنْ غَيْرِ فِداءٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فكانَ مِمَّنْ سُمِّيَ لَنا مِن الأُسارى مِمَّنْ مُنَّ عَلَيْهِ بِغَيْرِ فِداءٍ:

مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: أبو العاصِ بنُ الرَّبِيعِ بنِ عَبْدِ العُزّى ابنِ عَبْدِ شَمْسٍ، مَنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ بَعْدَ أنْ بعَثَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ الله ﷺ بِفِدائِهِ.

ومِنْ بَنِي مَخْزُومِ بن يَقَظَةَ: المُطَّلِبُ بنُ حَنْطَبِ بنِ الحارِثِ بنِ عُبَيْدَةَ ابنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، كانَ لِبَعْضِ بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، فتُرِكَ في أَيْدِيهِمْ حَتّى خَلَّوْا سَبِيلَهُ، فلَحِقَ بِقَوْمِهِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أَسَرَهُ خالِدُ بنُ زَيْدٍ، أبو أَيُّوبَ الأَنْصارِيُّ، أخُو بَنِي النَّجّارِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وصَيْفِيُّ بنُ أبي رِفاعَةَ بنِ عابِدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ابنِ مَخْزُومٍ، تُرِكَ في أَيْدِي أَصْحابِهِ، فلَمّا لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ في فِدائِهِ أَخَذُوا عَلَيْهِ: لَيَبْعَثَنَّ إِلَيْهِمْ بِفِدائِهِ، فخَلَّوْا سَبِيلَهُ، فلَمْ يَفِ لَهُمْ بِشَيْءٍ، فقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ في ذلك:

وَما كانَ صَيْفِيٌّ لِيُوفِيَ ذِمَّةً قَفا ثَعْلَبٍ أَعْيا بِبَعْضِ المَوارِدِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهذا البَيْتُ في أَبْياتٍ لَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأبو عَزَّةَ عَمْرُو بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عُثْمانَ بنِ أُهَيْبِ بنِ حُذافَةَ بنِ جُمَحَ، كانَ مُحْتاجًا ذا بَناتٍ، فكَلَّمَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، لقد عرفتَ ما لِي مِنْ مالٍ، وإنِّي لَذُو حاجةٍ وذُو عِيالٍ، فامْنُنْ عَلَيَّ. فمَنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وأخَذَ عَلَيْهِ أَلّا يُظاهِرَ عَلَيْهِ أَحَدًا. فقالَ أبو عَزَّةَ في ذلك، يَمْدَحُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، ويَذْكُرُ فضْلَهُ في قَوْمِهِ:

مَنْ مُبَلِّغٌ عَنِّي الرَّسُولَ مُحَمَّدًا بِأَنَّكَ حَقٌّ والمَلِيكُ حَمِيدُ؟
وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَدْعُو إلى الحَقِّ والهُدى عَلَيْكَ مِن اللهِ العَظِيمِ شَهِيدُ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ بُوِّئْتَ فِينا مَباءَةً لَها دَرَجاتٌ سَهْلَةٌ وصُعُودُ
فَإِنَّكَ مَنْ حارَبْتَهُ لَمُحارَبٌ شَقِيٌّ ومَنْ سالَمْتَهُ لَسَعِيدُ
وَلَكِنْ إذا ذُكِّرْتُ بَدْرًا وأَهْلَهُ تَأَوَّبَ ما بِي حَسْرَةٌ وقُعُودُ

[ثَمَنُ الفِداءِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: كانَ فِداءُ المُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةَ آلافِ دِرْهَمٍ لِلرَّجُلِ إلى أَلْفِ دِرْهَمٍ، إلّا مَنْ لا شَيْءَ لَهُ، فَمَنَّ رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِ.

وذَكَرَ عَنْ داوُدَ بنِ الحُصَيْنِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، أنّ رسولَ اللهِ ﷺ ردّ زينبَ على أبي العاصي[١] على النّكاحِ الأوّلِ، لَمْ يُحْدِثْ شَيْئًا بَعْدَ سِتِّ سِنِينَ[٢]. ويُعارِضُ هَذا الحَدِيثَ ما رَواهُ عَمْرُو بنُ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أنّ رسولَ الله ﷺ رَدَّها عَلَيْهِ بِنِكاحٍ جَدِيدٍ[٣]، وهَذا الحَدِيثُ هُو الّذِي عَلَيْهِ العَمَلُ، وإنْ كانَ حَدِيثُ داوُدَ بنِ الحُصَيْنِ أَصَحَّ إسْنادًا عِنْدَ أَهْلِ الحَدِيثِ، ولَكِنْ لَمْ يَقُلْ[٤] بِهِ أَحَدٌ مِن الفُقَهاءِ فيما عَلِمْتُ؛ لِأَنّ الإسْلامَ قَدْ كانَ[٥] فرّقَ بَيْنَهُما؛ قال الله سبحانه: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠]، ومَنْ جَمَعَ بَيْنَ الحَدِيثَيْنِ قالَ في حَدِيثِ ابنِ عَبّاسٍ: مَعْنى[٦] رَدّها عَلَيْهِ على النّكاحِ الأوّلِ؛ أيْ: على مِثْلِ النّكاحِ الأوّلِ، في الصّداقِ والحِباءِ، لَمْ يُحْدِثْ زِيادةً على ذَلِكَ مِنْ شَرْطٍ، ولا غَيْرِهِ.

وذَكَرَ قَتْلَ بِلالٍ لِأُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ[٧]، ولَمْ يَذْكُرْ شِعْرَهُ في ذَلِكَ، وذَكَرَهُ ابنُ

(١) في (ف): «العاص».
(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الطلاق: (٢: ٢٧٢).
(٣) «عارضة الأحوذي»، كتاب النكاح: (٥: ٨١-٨٢).
(٤) بعده في (أ)، (ب)، (ص): «فيه»، والصواب حذفها كما في (ف)..
(٥) في (أ)، (ج): «كان قد».
(٦) في (ف): «ومعنى».
(٧) انظر واقعة قتل بلال رضي الله عنه لأمية بن خلف في متن «السيرة» (٥: ١٣١). (ج)

إسْحاقَ في غَيْرِ هذهِ الرِّوايةِ [وهُو](١): [من الطويل]

ولَمّــا التَقَيْنا لَمْ نُكَــذِّبْ(٢) بِحَمْلةٍ ... عَلَيْهِــمْ بِأَسْـيافٍ لَنـا كالعَقائِــقِ

ومَطْــرُورة حُمْــر الظُّبــاتِ كَأنّها ... إذا رُفِعَــتْ أَشْــطانُ ذاتِ الأبارِقِ

بَنِي جُمَحٍ قَدْ حَلّ مَقعِصَ شَيْخِكُمْ(٣) ... علــى مـاءِ بَــدْرٍ رَأْس كُلِّ مُنافِــقِ

هَجَمْنا عَلَيْهِ المَوْتَ واشْتَجَرَتْ(٤) بِهِ ... مَصالِيــتُ لِلأَنْصــارِ غَيْــرُ زَواهِقِ

هَــوى حِينَ لاقانــا وفــرّقَ جَمْعَهُ ... على وجْهِهِ في النّارِ مِنْ رَأْسِ حالِقِ

[وذَكرَ الزّبَيْرُ في هَذا الخَبَرِ عَن ابنِ سَلّام، عَنْ حَمّادِ بنِ سَلَمةَ، أنّ أُمَيّةَ حِينَ أحاطَتْ به الأنصارُ، قال: يا أحدٌ رأى، أما لكم بِاللُّبَّنِ(٥) حاجةٌ؟ قالَ: وكانَ أُمَيّةُ يُذْكَرُ بِفَصاحَتِهِ(٦)، ومَعْنى هَذا الكَلامِ: هَلْ رَأى أَحَدٌ مِثْلَ هَذا؟ ثُمّ قَرَنَ الزّبَيْرُ هَذا الحَدِيثَ بِحَدِيثٍ أَسْنَدَهُ عَنْ مُقاتِلِ بن سُلَيْمانَ، قالَ: قالَ النّضْرُ بنُ الحارثِ حِينَ نَزَلَتْ: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾(٧) [الزخرف: ٨١]، وقد كانَ النّضْرُ قَدْ قالَ: المَلائِكةُ بَناتُ الرّحْمَنِ، فلَمّا سَمِعَ الآيةَ قالَ: ألا تَراهُ قَدْ صَدّقَنِي؟ فقالَ لَهُ أُمَيّةُ بنُ خَلَفٍ ـ وكانَ أفْصَحَ مِنْهُ ـ: لا واللهِ، بَلْ كَذّبَك، فقالَ: ما كانَ لِلرّحْمَنِ مِنْ ولَدٍ. ورُوِيَ عَنْ ثَعْلَبٍ أنّهُ قالَ في قَوْلِ أُمَيّةَ: «يا أَحَدٌ»: «يا» اسْتِفْتاحٌ، ومَعْناهُ: يا هؤلاء، أأحدٌ رأى؟](٨).

(١) من: (أ)، (ف).

(٢) في (ف): «تكذب».

(٣) في (ف): «قعص بشيخكم».

(٤) في (ب)، (ف): «فاشتجرت».

(٥) اللُّبَّن: الإبل لها لبن. أراد: تأسرون فتأخذون فداءهم إبلًا. «النهاية» (لبن).

(٦) في (ف): «بفصاحة».

(٧) بعده في (ف): «الآية».

(٨) ليس في (ج)، (ص).

إسْلامُ عُمَيْرِ بنِ وهْبٍ

[صَفْوانُ يُحَرِّضُهُ على قَتْلِ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ، قالَ: جَلَسَ عُمَيْرُ بنُ وهْبٍ الجُمَحِيُّ مَعَ صَفْوانَ بنِ أُمَيّةَ بَعْدَ مُصابِ أهْلِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ في الحِجْرِ بِيَسِيرٍ، وكانَ عُمَيْرُ بنُ وهْبٍ شَيْطانًا مِنْ شَياطِينِ قُرَيْشٍ، ومِمَّنْ كانَ يُؤْذِي رَسُولَ الله ﷺ وأصْحابَهُ، ويَلْقَوْنَ مِنْهُ عَناءً وهُوَ بِمَكّةَ، وكانَ ابنُهُ وهْبُ بنُ عُمَيْرٍ في أُسارى بَدْرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أَسَرَهُ رِفاعةُ بنُ رافِعٍ أحَدُ بَنِي زُرَيْقٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوةَ بنِ الزُّبَيْرِ، قالَ: فذَكَرَ أصْحابَ القَلِيبِ ومُصابَهُمْ، فقالَ صَفْوانُ: واللهِ إنْ في العَيْشِ بَعْدَهُمْ خيْرٌ، قالَ لَهُ عُمَيْرٌ: صَدَقتَ واللهِ، أما والله لَوْلا دَيْنٌ عَلَيَّ لَيسَ لَهُ عِنْدِي قَضاءٌ، وعِيالٌ أخْشى عَلَيْهِم الضَّيْعةَ بَعْدِي؛ لَرَكِبْتُ إلى مُحَمَّدٍ حَتّى أقْتُلَهُ؛ فإنَّ لِي قِبَلَهُمْ عِلّةً: ابني أسِيرٌ في أيْدِيهِمْ، قالَ: فاغْتَنَمَها صَفْوانُ وقالَ: عَلَيَّ دَيْنُكَ، أنا أقْضِيهِ عَنْكَ، وعِيالُكَ مَعَ عِيالِي أُواسِيهِمْ ما بَقُوا، لا يَسَعُنِي شَيْءٌ ويَعْجِزُ عَنْهُمْ، فقالَ لَهُ عُمَيْرٌ: فاكْتُمْ شَأْنِي وشَأْنَكَ. قالَ: أفْعَلُ.

[رُؤْيةُ عُمَرَ لَهُ وإخْبارُهُ الرَّسُولَ بِأمْرِهِ]

قالَ: ثُمَّ أمَرَ عُمَيْرٌ بِسَيْفِهِ، فشُحِذَ لَهُ وسُمَّ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتّى قَدِمَ المَدِينَةَ،

فبَيْنا عُمَرُ بنُ الخَطّابِ في نَفَرٍ مِن المُسْلِمِينَ يَتحَدَّثُونَ عَنْ يَوْمِ بَدْرٍ، ويَذْكُرُونَ ما أَكْرَمَهُم الله بِهِ، وما أراهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ؛ إذْ نَظَرَ عُمَرُ إلى عُمَيْرِ ابنِ وهْبٍ حِينَ أَناخَ على بابِ المَسْجِدِ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، فقالَ: هذا الكَلْبُ عَدُوُّ الله عُمَيْرُ بنُ وهْبٍ، والله ما جاءَ إلّا لِشَرٍّ، وهُوَ الَّذي حَرَّشَ بيْنَنا، وحَزَرَنا لِلْقَوْمِ يَوْمَ بَدْرٍ.

ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ على رَسُولِ الله ﷺ فقالَ: يا نَبِيَّ الله، هذا عَدُوُّ الله عُمَيْرُ ابنُ وهْبٍ قَدْ جاءَ مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ، قالَ: «فأَدْخِلْهُ عَلَيَّ»، قالَ: فأقْبَلَ عُمَرُ حَتّى أخَذَ بِحِمالَةِ سَيْفِهِ في عُنُقِهِ فلَبَّبَهُ بِها، وقالَ لِرِجالٍ مِمَّنْ كانُوا مَعَهُ مِن الأنْصارِ: ادْخُلُوا على رَسُولِ الله ﷺ فاجْلِسُوا عِنْدَهُ، واحْذَرُوا عَلَيْهِ مِنْ هذا الخَبِيثِ؛ فإنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ، ثُمَّ دَخَلَ بِهِ على رَسُولِ الله ﷺ.

[الرَّسُولُ يُحَدِّثُهُ بِما بَيَّتَهُ هُوَ وصَفْوانُ فيسْلِمُ]

فَلَمّا رَآهُ رَسُولُ الله ﷺ وعُمَرُ آخِذٌ بِحِمالَةِ سَيْفِهِ في عُنُقِهِ، قالَ: «أَرْسِلْهُ يا عُمَرُ، ادْنُ يا عُمَيْرُ»، فدَنا، ثُمَّ قالَ: انْعَمُوا صَباحًا، وكانَتْ تَحِيَّةَ أَهْلِ الجاهِلِيَّةِ بَيْنَهُمْ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَدْ أَكْرَمَنا الله بِتَحِيَّةٍ خَيْرٍ مِنْ تَحِيَّتِكَ يا عُمَيْرُ، بِالسَّلامِ؛ تَحِيَّةُ أَهْلِ الجَنَّةِ»، فقالَ: أما والله يا مُحَمَّدُ إنْ كُنْتُ بِها لَحَدِيثَ عَهْدٍ، قالَ: «فما جاءَ بِكَ يا عُمَيْرُ؟» قالَ: جِئْتُ لِهذا الأَسِيرِ الَّذي في أَيْدِيكُمْ فأَحْسِنُوا فيهِ، قالَ: «فما بالُ السَّيْفِ في عُنُقِكَ؟» قالَ: قَبَّحَها الله مِنْ سُيُوفٍ، وهَلْ أَغْنَتْ عَنّا شَيْئًا؟! قالَ: «اصْدُقْنِي، ما الَّذي جِئْتَ لَهُ؟» قالَ: ما جِئْتُ إلّا لِذلك، قالَ: «بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وصَفْوانُ بنُ أُمَيَّةَ في الحِجْرِ، فذَكَرْتُما أَصْحابَ القَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ قُلْتَ: لَوْلا دَيْنٌ عَلَيَّ وعِيالٌ عِنْدِي لَخَرَجْتُ حَتّى أَقْتُلَ مُحَمَّدًا، فتَحَمَّلَ لَكَ صَفْوانُ بِدَيْنِكَ وعِيالِكَ على أنْ

تَقْتُلَنِي لَهُ، واللهُ حائِلٌ بَيْنَكَ وبَيْنَ ذلك». قالَ عُمَيْرٌ: أَشْهَدُ أنَّكَ رَسُولُ الله، قَدْ كُنّا ـ يا رَسُولَ الله ـ نُكَذِّبُكَ بِما كُنْتَ تَأْتِينا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّماءِ، وما يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِن الوَحْيِ، وهذا أَمْرٌ لَمْ يَحْضُرْهُ إلّا أنا وصَفوانُ، فوَاللهِ إنِّي لَأَعْلَمُ ما أتاكَ بِهِ إلّا الله، فالحَمْدُ لله الَّذي هَدانِي لِلْإِسْلامِ، وساقَنِي هذا المَساقَ، ثُمَّ شَهِدَ شَهادةَ الحَقِّ. فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فقِّهُوا أخاكُمْ في دِينِهِ، وأَقْرِئُوهُ القُرْآنَ، وأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُ»، ففَعَلُوا.

[رُجُوعُهُ إلى مَكّة يَدْعُو لِلْإِسْلامِ]

ثُمَّ قالَ: يا رَسُولَ الله، إنِّي كُنْتُ جاهِدًا على إطْفاءِ نُورِ الله، شَدِيدَ الأذى لِمَنْ كانَ على دِينِ الله عَزَّ وجَلَّ، وأنا أُحِبُّ أنْ تَأْذَنَ لِي فأَقْدَمَ مَكّةَ، فأَدْعُوَهُمْ إلى الله تَعالى، وإلى رَسُولِهِ ﷺ وإلى الإسْلامِ؛ لَعَلَّ اللهَ يَهْدِيهِمْ، وَإلّا آذَيْتُهُمْ في دِينِهِمْ كَما كُنْتُ أُوذِي أصْحابَكَ في دِينِهِمْ؟ قالَ: فأذِنَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ، فلَحِقَ بِمَكّةَ. وكانَ صَفوانُ بنُ أُمَيّةَ حِينَ خَرَجَ عُمَيْرُ بنُ وهْبٍ يَقُولُ: أبْشِرُوا بِوَقْعةٍ تَأْتِيكُم الآنَ في أيّامٍ، تُنْسِيكُمْ وقْعةَ بَدْرٍ، وكانَ صَفْوانُ يَسْأَلُ عَنْهُ الرُّكْبانَ، حَتّى قَدِمَ راكِبٌ فأخْبَرَهُ عَنْ إسْلامِهِ، فحَلَفَ ألّا يُكَلِّمَهُ أبَدًا، ولا يَنْفَعَهُ بِنَفْعٍ أبَدًا.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا قَدِمَ عُمَيْرٌ مَكّةَ، أقامَ بِها يَدْعُو إلى الإسْلامِ، ويُؤْذِي مَنْ خالَفَهُ أذًى شَدِيدًا، فأسْلَمَ على يَدَيْهِ ناسٌ كَثِيرٌ.

[هُوَ أوِ ابنُ هِشامٍ الَّذي رَأى إبْلِيسَ. وما نَزَلَ فيهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعُمَيْرُ بنُ وهْبٍ ـ أو الحارِثُ بنُ هِشامٍ، قَدْ ذُكِرَ لِي أحَدُهُما ـ الَّذي رَأى إبْلِيسَ حِينَ نَكَصَ على عَقِبَيْهِ يَوْمَ بَدْرٍ، فقالَ: أيْن،

أي سُراقَ؟ ومَثَلَ عَدُوُّ الله فذَهَبَ، فأنْزَلَ الله تَعالى فيهِ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾، فذَكَرَ اسْتِدْراجَ إبْلِيسَ إيّاهُمْ، وتَشَبُّهَهُ بِسُراقَة بنِ مالِكِ بنِ جُعْشُمٍ لَهُمْ، حِينَ ذَكَرُوا ما بَيْنَهُمْ وبَيْنَ بَنِي بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانَةَ في الحَرْبِ الَّتي كانَتْ بَيْنَهُم. يَقُولُ الله تَعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ ونَظَرَ عَدُوُّ الله إلى جُنُودِ الله مِن المَلائِكَةِ، قَدْ أَيَّدَ الله بِهِمْ رَسُولَهُ ﷺ والمُؤْمِنِينَ على عَدُوِّهِمْ، ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾. وَصَدَقَ عَدُوُّ الله، رَأى ما لَمْ يَرَوْا، وقالَ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨]. فذُكِرَ لِي أَنَّهُمْ كانُوا يَرَوْنَهُ في كُلِّ مَنْزِلٍ في صُورةِ سُراقَةَ لا يُنْكِرُونَهُ، حَتّى إذا كانَ يَوْمُ بَدْرٍ، والتَقى الجَمْعانِ نَكَصَ على عَقِبَيْهِ، فأوْرَدَهُمْ ثُمَّ أسْلَمَهُمْ.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: نَكَصَ: رَجَعَ. قالَ أوْسُ بنُ حَجَرٍ أحَدُ بَنِي أُسَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ تَمِيمٍ:

نَكَصْتُمْ على أعْقابِكُمْ يَوْمَ جِئْتُمُ ... تُزَجُّونَ أنْفالَ الخَمِيسِ العَرَمْرَمِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدَةٍ لَهُ.

[شِعْرُ لِحَسّانَ في الفَخْرِ بِقَوْمِهِ وما كانَ مِنْ تَغْرِيرِ إبْلِيسَ بِقُرَيْشٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ:

قَوْمِي الَّذينَ هُمُ آوَوْا نَبِيَّهُمُ ... وصَدَّقُوهُ وأهْلُ الأرْضِ كُفّارُ
إلّا خَصائِصَ أقْوامٍ هُمُ سَلَفٌ ... لِلصّالِحِينَ مَعَ الأنْصارِ أنْصارُ

مُسْتَبْشِرِينَ بِقسْمِ اللهِ قَوْلُهُمُ لَمّا أتاهُمْ كَرِيمُ الأصْلِ مُخْتارُ:
أهْلًا وسَهْلًا ففي أمْنٍ وفي سَعةٍ نِعْمَ النَّبِيُّ ونِعْمَ القسْمُ والجارُ
فَأنْزَلُوهُ بِدارٍ لا يَخافُ بِها مَنْ كانَ جارَهُمُ دارًا هِيَ الدّارُ
وَقاسَمُوهُ بِها الأمْوالَ إذْ قَدِمُوا وقسْمُ الجاحِدِ النّارُ
سِرْنا وسارُوا إلى بَدْرٍ لِحَيْنِهِمُ لَوْ يَعْلَمُونَ يَقِينَ العِلْمِ ما سارُوا
دَلّاهُمُ بِغُرُورٍ ثُمَّ أسْلَمَهُمْ إنَّ الخَبِيثَ لِمَنْ والاهُ غَرّارُ
وَقالَ: إنِّي لَكُمْ جارٌ فأوْرَدَهُمْ شَرَّ المَوارِدِ فيهِ الخِزْيُ والعارُ
ثُمَّ التَقَيْنا فوَلَّوْا عَنْ سَراتِهِمُ مِنْ مُنْجِدِينَ ومِنْهُمْ فِرْقةٌ غارُوا

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي قَوْلَهُ: «لَمّا أتاهُمْ كَرِيمُ الأصْلِ مُخْتارُ» أبو زَيْدٍ الأنْصارِيُّ.

المُطْعِمُونَ مِنْ قُرَيْشٍ

[مِنْ بَنِي هاشِمٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ المُطْعِمُونَ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: العَبّاسَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: عُتْبَةَ بنَ رَبِيعةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ.

[مِنْ بَنِي نَوْفَلٍ]

وَمِنْ بَنِي نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: الحارِثَ بنَ عامِرِ بنِ نَوْفَلٍ، وطُعَيْمةَ بنَ عَدِيِّ بنِ نَوْفَلٍ، يَعْتَقِبانِ ذلك.

[مِنْ بَنِي أَسَدٍ]

وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى: أبا البَخْتَرِيِّ بنَ هِشامِ بنِ الحارِثِ بنِ أَسَدٍ، وَحَكِيمَ بنَ حِزامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أَسَدٍ، يَعْتَقِبانِ ذلك.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ: النَّضْرَ بنَ الحارِثِ بنِ كَلَدةَ بنِ عَلْقَمةَ ابنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الدّارِ.

[نَسَبُ النَّضْرِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: النَّضْرُ بنُ الحارِثِ بنِ عَلْقَمةَ بنِ كَلَدةَ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الدّارِ.

[مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي مَخْزُومِ بنِ يَقَظةَ: أبا جَهْلِ بنَ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ بن عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ.

[مِنْ بَنِي جُمَحَ]

وَمِنْ بَنِي جُمَحَ: أُمَيّةَ بنَ خَلَفِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ.

[مِنْ بَنِي سَهْمٍ]

وَمِنْ بَنِي سَهْمِ بنِ عَمْرٍو: نُبَيْهًا ومُنَبِّهًا ابنَي الحَجّاجِ بنِ عامِرِ بنِ حُذَيْفةَ ابنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، يَعْتَقِبانِ ذلك.

[مِنْ بَنِي عامِرٍ]

وَمِنْ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ: سُهَيْلَ بنَ عَمْرِو بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ ابنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ.

[أَسماءُ خَيْلِ المُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: أَنَّهُ كانَ مَعَ المُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ مِن الخَيْلِ فرَسُ مَرْثَدِ بنِ أبي مَرْثَدٍ الغَنَوِيِّ، وكانَ يُقالُ لَهُ: السَّبَلُ، وفَرَسُ المِقْدادِ بنِ عَمْرٍو البَهْرانِيِّ، وكانَ يُقالُ لَهُ: بَعْزَجَةُ، ويُقالُ: سَبْحةُ، وفَرَسُ الزُّبَيْرِ بنِ العَوّامِ، وكانَ يُقالُ لَهُ: اليَعْسُوبُ.

[خَيْلُ المُشْرِكِينَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: ومَعَ المُشْركين مِئَةُ فرَسٍ.

فَصْلٌ

وذَكرَ إسْلامَ عُمَيْرِ بنِ وهْبٍ إلى آخِرِهِ، ولَيْسَ فيهِ إشكالٌ، وذَكرَ في آخِرِ الحَدِيثِ أنّ عُمَيْرَ بنَ وهْبٍ هُو الّذِي رَأى إبْلِيسَ يَوْمَ بَدْرٍ حِينَ نَكَصَ على عَقِبَيْهِ، وذَكرَ غَيْرُهُ أنّ الحارِثَ بنَ هِشامٍ تَشَبّثَ بِهِ، وهُو يَرى أنّهُ سُراقةُ بنُ مالكٍ، فقال: إلى أين سُراقُ؟ أيْنَ تَفِرُّ؟! فلَكَمَهُ لَكْمةً طَرَحَهُ على قَفاهُ، ثُمّ قالَ: إنّي أخافُ اللهَ رَبَّ العالَمِينَ، وإنّما كانَ تَمَثّلَ في صُورةِ سُراقةَ المُدْلِجِيِّ؛ لِأنّهُمْ خافُوا مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ أنْ يَعْرِضُوا لَهُمْ، فيَشْغَلُوهُمْ مِنْ أجْلِ الدّماءِ الّتِي كانَتْ بَيْنَهُمْ، فتَمَثّلَ لَهُمْ إبْلِيسُ في صُورةِ سُراقةَ(١) المُدْلِجِيِّ، وقالَ: إنّي جارٌ

(١) في (ف): «سراقة بن ملك».

لَكُمْ مِن النّاسِ؛ أيْ: مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ، ويُرْوى: أَنَّهُمْ رَأَوْا سُراقةَ بِمَكّةَ بَعْدَ ذَلِكَ، فقالُوا لَهُ: يا سُراقةُ، أخَرَمْتَ الصَّفَّ، وأَوْقَعْتَ فينا الهَزِيمةَ؟! فقالَ: واللهِ ما عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِكُمْ حَتّى كانَتْ هَزِيمَتُكُمْ، وما شَهِدْتُ، وما عَلِمْتُ. فما صَدّقُوهُ حَتّى أَسْلَمُوا وسَمِعُوا ما أنْزَلَ اللهُ فيه، فعَلِمُوا أنّهُ كانَ إبْلِيسَ تَمَثّلَ لَهُمْ.

وقَوْلُ اللّعِينِ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾(1) [الأنفال: ٤٨] لِأَهْلِ التّأْوِيلِ فيهِ أقْوالٌ:

أحَدُها: أنّهُ كَذَبَ في قَوْلِهِ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾(2)؛ لِأنّ الكافِرَ لا يَخافُ اللهَ.

الثّانِي: أنّهُ رَأى جُنُودَ اللهِ تَنْزِلُ مِن السّماءِ، فخافَ أنْ يَكُونَ اليَوْمَ المَوْعُودَ الّذِي قالَ اللهُ سبحانه فيهِ يومَ بدرٍ: ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٢٢]، وقيل أيضًا: إنّما خافَ أنْ تُدْرِكَهُ المَلائِكَةُ لما رَأى مِنْ فِعْلِها بِحِزْبِهِ الكافِرِينَ.

وذَكَرَ قاسِمُ بنُ ثابِتٍ في «الدّلائِلِ» أنّ قُرَيْشًا حِينَ تَوجّهَتْ إلى بَدْرٍ مَرّ هاتِفٌ مِن الجِنِّ على مَكّةَ في اليَوْمِ الّذِي أَوْقَعَ بِهِم المُسْلِمُونَ، وهُو يُنْشِدُ بِأَنْفَذِ صَوْتٍ، ولا يُرى شَخْصُهُ(3): [من الطويل]

أزارَ الحَنِيفيّونَ بَدْرًا وقِيعةً سَيَنْقَضُّ مِنْها رُكْنُ كسرى وقيصرا

---

(١) في النسخ: «إني أخاف الله رب العالمين»، وهذه من سورة الحشر، والمقصود آية الأنفال، وانظر «المغازي» للواقدي (١: ١٣٥)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ١٥٩٦).

(٢) في النسخ: «إني أخاف الله رب العالمين»، وهذه من سورة الحشر، والمقصود آية الأنفال، وانظر «المغازي» للواقدي (١: ١٣٥)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ١٥٩٦).

(٣) لم نقف عليه في «الدلائل في غريب الحديث» للقاسم بن ثابت. (ج)

أبادَتْ رِجالًا مِنْ لُؤَيٍّ، وأبْرَزَتْ خَرائِدَ يَضْرِبنَ التّرائبَ حُسّـرا
فيا ويحَ مَنْ أمْســى عَدُوَّ مُحَمّدٍ لَقَدْ جارَ عَنْ قَصْدِ الهُدى وتَحَيّرا

فَقالَ قائِلُهُمْ: مَن الحَنِيفيّونَ؟ فقالُوا: هُمْ(١) مُحَمّدٌ وأصْحابُهُ، يَزْعُمُونَ أنّهُمْ على دِينِ إبْراهِيمَ الحَنِيفِ، ثُمّ لَمْ يَلْبَثُوا أنْ جاءَهُم الخَبَرُ اليَقِينُ.

وذَكَرَ ابنُ إسحاقَ قولَ الأنصاريِّ(٢): «ما لَقِينا إلّا عجائزَ(٣) صُلْعًا، [فقتلناهم كيفَ شِئنا»](٤). العجائز [ههنا](٥) جمعُ عجوزةٍ [بالهاء](٦)(٧)، ولو أرادَ جمعَ عجوزٍ [بغيرِ هاءٍ](٨) لقال: عُجُزًا(٩)، كما [جاء في الحديث](١٠): «إن الجنةَ لا يَدخلُها العُجُزُ»(١١)، قالها النبيُّ ﷺ ممازحًا لعمَّتِه صفيةَ. وقيل: بل قالها لامرأةٍ من الأنصارِ، ذكر ذلك هنّادُ بنُ السَّريِّ في كتاب «الرقاق»(١٢) له، [وإنما عجائزُ مثل: ركائبُ جمعُ ركوبة](١٣) وهذه لُغة..................

(١) في (ف): «هو».
(٢) بعده في (ف): «بعد الهزيمة».
(٣) «اللسان» (٨: ٢٠٤).
(٤) عن (ج)، (ص).
(٥) عن (ج)، (ص).
(٦) عن (ج)، وفي (ص): «بالتاء».
(٧) بعده في (أ)، (ب)، (ف): «مثل ركوبة وركائب».
(٨) عن (أ)، (هـ)، (ف).
(٩) في (ج)، (ص): «عجزًا صلعًا».
(١٠) مكانه في (ج)، (ص): «قال».
(١١) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (ص: ١٤٣)، رقم (٢٣٠) من طريق الحسن مرسلًا. والبيهقي في «البعث والنشور» (ص: ٢١٦)، رقم (٣٤٣) من حديث عائشة رضي الله عنها. (ج)
(١٢) «الزهد» لهنّاد بن السري: (١: ٥٨)، رقم (٢٤). (ج)
(١٣) ما بين المعقوفين ليس في (ف).

حكاها[١] الفراءُ، وقد أنكر ابنُ الأنباريِّ على أبي حاتم قوله [في كتاب «التذكير والتأنيث[٢]»][٣]: لا يُقالُ: [امرأةٌ][٤] عجوزةٌ، ولا في الفرسِ: فرسةٌ، واحتجَّ عليه بما رواهُ الفرّاءُ[٥] وأنها لغةٌ مسموعةٌ.

نُزُولُ سُورةِ الأنْفالِ

[ما نَزَلَ في تَقْسِيمِ الأنْفالِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا انْقَضى أمْرُ بَدْرٍ، أنْزَلَ الله عَزَّ وجَلَّ فيهِ مِن القُرْآنِ الأنْفالَ بِأسْرِها، فكانَ مِمّا نَزَلَ مِنْها في اخْتِلافِهِمْ في النَّفَلِ حِينَ اخْتلفُوا فيهِ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

ذِكْرُ ما أنْزَلَ اللهُ في بَدْر

أنْزَلَ اللهُ سُورةَ الأنْفالِ بِأسْرِها، والأنْفالُ: هِيَ الغَنائِمُ، وقالَ أبُو عُبَيْدٍ في كِتابِ «الأمْوالِ»: النَّفَلُ: إحْسانٌ وتَفَضُّلٌ مِن المَغْنَمِ[٦]، فسُمِّيَت الغَنائِمُ أنْفالًا؛ لِأنّ اللهَ تَعالى تَفَضّلَ بِها على هذهِ الأُمّةِ، ولَمْ يُحِلَّها لِأحَدٍ قَبْلَهُمْ[٧].

---

(١) في (ص)، (ج): «وهذه لغة ذكرها ابن الأنباري عن الفراء».
(٢) «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري: (ص: ٨٨).
(٣) عن (ج)، (ص).
(٤) عن (أ)، (ب)، (ف).
(٥) في (ص): «برواية الفراء».
(٦) في (ف): «المنعم».
(٧) «الأموال» (ص: ٣١٧).

قالَ المُؤَلِّفُ أبو القاسمِ: أمّا قَوْلُهُ: «إنّ الله تَفَضّلَ بها» فصحيحٌ؛ فقد قالَ عَلَيْهِ السّلامُ: «ما أُحِلّتِ الغَنائِمُ لقومٍ سُودِ الرُّؤوسِ قَبْلَكُمْ؛ إنّما كانَتْ نارٌ تَنْزِلُ مِن السّماءِ فتأكلُها»(١).

وأمّا قَوْلُهُ: «سُمِّيَت الغَنائِمُ أنْفالًا لِهَذا»، فلا أحْسَبُهُ صَحِيحًا؛ فقَدْ كانَت العَرَبُ في الجاهِلِيّةِ الجَهْلاءِ تُسَمِّيها: أنْفالًا. وقَدْ أنْشَدَ ابنُ هِشامٍ لِأوْسِ بنِ حَجَرٍ الأَسَديِّ(٢) وهُو جاهِلِيٌّ قَدِيمٌ(٣): [من الطويل]

نَكَصْتُمْ على أعْقابِكُمْ يَوْمَ جِئْتُمُ تُزَجُّونَ أنْفالَ الخَمِيسِ العَرَمْرَمِ

[وأنشَدَ المبرِّدُ لِطرَفةَ بيتًا في معناه](٤)، فَفي هَذا(٥) أنّها كانَتْ تُسَمّى: أنْفالًا قَبْلَ أنْ يُحِلَّها اللهُ تعالى لِمُحَمّدٍ ﷺ وأُمّتِهِ، فأصْلُ(٦) اشْتِقاقِها أيضًا مِن النّفَلِ، وهي(٧) الزِّيادةُ؛ لِأنّها زِيادةٌ في أمْوالِ الغانِمِينَ، وفي بَيْتِ أوْسِ بنِ حَجَرٍ أيْضًا شاهِدٌ آخَرُ على أنّ الجَيْشَ كانَ يُسَمّى: «خَمِيسًا» في الجاهِلِيّةِ؛ لِأنّ قَوْمًا زَعَمُوا أنّ اسْمَ الخَمِيسِ مِن الخُمُسِ الّذِي يُؤْخَذُ مِن المَغْنَمِ، وهَذا لَمْ يَكُنْ حَتّى جاءَ الإسْلامُ، وإنّما كانَ لِصاحِبِ الجَيْشِ الرّبُعُ، وهُو المِرْباعُ، وسَيَأْتِي القَوْلُ في اشْتِقاقِهِ فيما بَعْدُ إنْ شاءَ اللهُ(٨).

---

(١) «عارضة الأحوذي»، تفسير سورة الأنفال: (١١: ٢٢٠-٢٢٣)، و«الأموال» (ص: ٣١٧).
(٢) في (ف): «الأُسيدي»، وهو الصواب.
(٣) «ديوانه» (ص: ١٢٧).
(٤) عن (أ)، (ب)، (ف).
(٥) في (ج)، (ص): «ففي هذا البيت».
(٦) في (أ): «فأصل معناه اشتقاقها».
(٧) في (ف): «وهو».
(٨) انظر: (٦: ٤٨٢).

قَرَأَ ابنُ مسعودٍ وعطاءٌ: «يَسْأَلُونَكَ الأَنْفالَ»، وقرأتِ[١] الجماعةُ: ﴿ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾ [الأنفال: ١]، والمَعْنى صَحِيحٌ في القِراءَتَيْنِ؛ لأنهم سألوها، وسألوا عَنْها: لِمَنْ هِيَ[٢]؟

فَكانَ عُبادةُ بنُ الصّامِتِ ـ فيما بَلَغَني ـ إذا سُئِلَ عَن الأنْفالِ، قالَ: فينا مَعْشَرَ أهْلِ بَدْرٍ نَزَلَتْ، حِينَ اخْتَلَفْنا في النَّفَلِ يَوْمَ بَدْرٍ، فانْتَزَعَهُ اللهُ مِنْ أيْدِينا حِينَ ساءَتْ فيهِ أخْلاقُنا، فرَدَّهُ على رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقَسَمَهُ بَيْنَنا عَنْ بَواءٍ، يَقُولُ: على السَّواءِ، وكانَ في ذلك تَقْوى الله وطاعَتُهُ، وطاعةُ رَسُولِهِ ﷺ، وصَلاحُ ذاتِ البَيْنِ.

وقَوْلُ عُبادةَ بنِ الصّامتِ: نزلت فينا أهل بدر: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾؛ لأنّا تنازعنا في النّفَلِ، وساءَتْ فيهِ أخْلاقُنا، كَذلِكَ جاءَ في «التفسير» لعَبدِ بنِ حُمَيْدٍ، وغَيْرِهِ: أنّ عُبادةَ بنَ الصّامِتِ مَعَ الذين كانوا معه، وأبا اليَسَر كعبَ بنَ عَمْرٍو في طائِفةٍ مَعَهُ، وكانَ أبُو اليَسَرِ قَدْ قَتَلَ قَتِيلَيْنِ، وأسَرَ أسِيرَيْنِ فتَنازَعُوا[٣]، فقالَ الّذِينَ حوَوُا[٤] المَغْنَمَ: نَحْنُ أحَقُّ بِهِ، وقالَ الّذِينَ شُغِلُوا بِالقِتالِ، واتّباعِ القَوْمِ: نَحْنُ أحَقُّ بِهِ، فانْتَزَعَهُ اللهُ مِنْهُمْ وردّهُ إلى نَبيّهِ، وقَدْ تَقَدّمَ[٥] حَدِيثُ سَعْدِ ابنِ أبِي وقّاصٍ حِينَ جاءَ بِالسَّيْفِ، فأبى[٦] أنْ يَجْعَلَهُ في القَبَضِ، فشَقّ ذَلِكَ عليه، وكان

(١) في (ف): «وقراءة».
(٢) «الدر المصون» (٥: ٥٥٥).
(٣) في (أ)، (ب)، (ف): «تنازعوا».
(٤) في (ف): «جوزوا».
(٥) انظر: (٥: ١٦١).
(٦) في (ف): «فأمر».

السَّيفُ للعاصي بنِ سَعِيدِ بن العاصي، يُقالُ لَهُ: ذُو الكَتيفةِ، فلَمّا نَزَلَت الآيةُ أعْطى رَسُولُ اللهِ ﷺ السّيْفَ لِسَعْدٍ، وقَسَمَ الغَنِيمةَ عَنْ[1] بواءٍ؛ أيْ: على السَّواءِ، وقَدْ قَدّمْنا الحَدِيثَ الّذِي ذَكرَهُ أبُو عُبَيْدٍ، وفيهِ أنّهُ قَسَمَها على فواقٍ، ثم أنْزَلَ اللهُ تعالى بَعْدُ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنفال: ٤١] الآية، فنسخت ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [مفتتح الأنفال]، وهُو أصَحُّ الأقْوالِ؛ أنّها مَنْسُوخةٌ.

وأمّا مَنْ زَعَمَ أنّ الأنْفالَ: ما شَذَّ مِن العَدُوِّ إلى المسلمين مِنْ دابّةٍ و[2] نَحْوِها، فلَيْسَتْ مَنْسُوخةً عِنْدَهُ، وكَذَلِك قَوْلُ مُجاهِدٍ: إنّ الأنْفالَ هُو الخُمُسُ نَفْسُهُ، وإنّما تكُونُ مَنْسُوخةً إذا قُلْنا: إنّها جُمْلةُ الغنائمِ، وهو[3] القَوْلُ الّذِي تَشْهَدُ لَهُ الآثارُ.

قالَ أبُو عُبَيْدٍ: «والأنْفالُ تَنْقَسِمُ أرْبَعَةَ أقْسامٍ: نَفَلٌ لا يُخَمّسُ، ونَفَلٌ مِنْ رَأْسِ الغَنِيمةِ، ونَفَلٌ مِن الخُمُسِ، ونَفَلُ السّرايا، وهُو بَعْدَ إخْراجِ الخُمُسِ، ونَفَلٌ مِنْ خُمُسِ الخُمُسِ»[4].

فأمّا الّذِي لَيسَ فيهِ خُمُسٌ، ولا يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِ الغَنِيمةِ، ولا مِن الخُمُسِ؛ فهُو سَلَبُ القَتِيلِ يُقْتَلُ في غَيْرِ مَعْمَعةِ الحَرْبِ، وفي غَيْرِ الزّحْفِ، فهُو مِلْكٌ لِلْقاتِلِ، وهَذا القَوْلُ هُو قَوْلُ الأوْزاعِيّ[5]، وأهْلِ الشّامِ، وقَوْلُ طائفةٍ مِنْ أهْلِ الحَدِيثِ، وفيهِ قَوْلٌ ثانٍ؛ وهُو أنّ السّلَبَ مِنْ جُمْلةِ النّفَلِ يُخَمَّسُ مَعَ الغَنِيمةِ،

---

(١) في (ف): «على».

(٢) في (ف): «أو».

(٣) في (ج)، (ص): «وهذا».

(٤) هذا قسم آخر غير الأقسام الأربعة. انظر: «الأموال» (ص: ٣١٨-٣١٩، ٣٣٥)، ولعل هذا هو القسم الثالث.

(٥) «الأموال» (ص: ٣١٥، ٣٢٢، ٣٢٣).

وهُو قَوْلُ مالِكٍ، وهُو مَعْنى قَوْلِ ابنِ عَبّاسٍ الّذِي له[١] في «المُوطّأ» حِينَ سَألَهُ رَجُلٌ عَن الأنْفالِ، فقالَ: الفَرَسُ مِن النّفَلِ، والدّرْعُ مِن النّفَلِ[٢]. وقالَ في غَيْرِ «المُوطّأ» في هَذا الحَدِيثِ: الفَرَسُ مِن النّفَلِ، وفي النّفَلِ الخُمُسُ[٣]. غير أنّ الولِيدَ بنَ مُسْلِمٍ رَوى هَذا الحَدِيثَ، فقالَ في آخِرِهِ: «يُرِيدُ أنّ السّلَبَ لِلْقاتِلِ»، ففَسَّرَهُ على مَذْهَبِ شَيْخِهِ الأوزاعِيِّ.

ومِنْ حُجّتِهِمْ أيْضًا: أنّ عُمَرَ خَمّسَ سَلَبَ البَراءِ بنِ مالِكٍ حِينَ قَتَلَ مَرْزُبانَ الزّأْرةِ[٤] فسَلَبَهُ سِوارَيْهِ ومِنْطَقَتَهُ، وما كانَ عَلَيْهِ، فبَلَغَ ثَمَنُهُ ثَلاثِينَ ألْفًا[٥].

وقالَ أصْحابُ القَوْلِ الأوّلِ: لا حُجّةَ في حَدِيثِ عُمَرَ؛ لِأنّهُ إنّما خَمّسَ سَلَبَ المَرْزُبانَ لِأنّهُ اسْتَكْثَرَهُ، وقالَ: قَدْ كانَ السّلَبُ لا يُخَمّسُ، وإنّ سَلَبَ البَراءِ بَلَغَ ثَلاثِينَ ألْفًا، وأنا خامِسُهُ[٦]. واحْتَجّوا بِحَدِيثِ سَلَمَةَ بنِ الأكوع إذْ قَتَلَ قَتِيلًا، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَهُ سَلَبُهُ أجْمَعُ»[٧].

ومِنْ حُجّةِ مالِكٍ ومَنْ قالَ بِقَوْلِهِ: عُمُومُ آيةِ الخُمُسِ؛ فإنّهُ قالَ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، وحَدِيثُ خالِدِ

(١) في (أ): «الذي قاله».
(٢) «الموطأ»، كتاب الجهاد: (٢: ٤٥٥).
(٣) «الأموال» (ص: ٣٢٣).
(٤) الزأرة: الأجمة، سُمِّيت بها لزئير الأُسْد فيها. والمرزبان: الرئيس المقدم.
(٥) انظر: «الأموال» (ص: ٣٢٠-٣٢١)، و«أسد الغابة» (١: ٢٠٦).
(٦) «الأموال» (ص: ٣٢٠).
(٧) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحربي إذا دخل دار الإسلام بغير أمان، رقم (٣٠٥١)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل، رقم (١٧٥٤)، من حديث سلمة بن الأكوع رضيَ الله عنه. (ج)

ابنِ الوليدِ الّذِي رَواهُ مُسْلِمٌ وأبُو داوُدَ: أنّ عَوْفَ بنَ مالِكٍ قالَ: قَتَلَ رَجُلٌ مِنْ حِمْيَرَ رَجُلًا مِن العَدُوِّ فأرادَ سَلَبَهُ، فمَنَعَهُ خالدٌ، وكانَ والِيًا عَلَيْهِمْ، فأخْبَرَ عَوْفٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقالَ لِخالِدٍ: «ما مَنَعَك أنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ؟» فقالَ: اسْتَكْثَرْتُه يا رَسُولَ اللهِ، قالَ: «ادْفَعْهُ إلَيْهِ»، فلَقِيَ عَوْفٌ خالِدًا فجَبَذَ(١) بِرِدائِهِ، وقالَ: هَلْ أنْجَزْتُ لَك ما ذَكَرْتُ لَك مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ [فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ](٢) فاستُغضِبَ، فقال: «لا تعطِهِ يا خالِدُ، هَلْ أنْتُمْ تارِكُو إلَيّ أُمَرائِي؟!»(٣).

ولَوْ كانَ السّلَبُ حَقًّا لَهُ مِنْ رَأْسِ الغَنِيمةِ لَما رَدّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فهَذا هُو القِسْمُ الواحِدُ مِن النّفَلِ.

والقِسْمُ الثّانِي: هُو مِنْ رَأْسِ الغَنِيمةِ قَبْلَ تَخْمِيسِها؛ وهُو ما يُعطى الأَدِلّاءُ الذين يَدُلّونَ على عَوْرةِ(٤) العَدُوِّ، ويَدُلُّونَ على الطّرُقِ، وما يُعْطى الرِّعاءُ ونحوه مِمّا يَنْتَفِعُ به أهْلُ الجَيْشِ عامّةً.

والقِسْمُ الثّالِثُ: ما تُنَفَّلُهُ السّرايا؛ فقَدْ كانَتْ تُنَفّلُ في البَدْأةِ الرّبُعَ بَعْدَ الخُمُسِ، وفي العَوْدةِ الثّلُثَ مِمّا غَنِمُوهُ، كَذَلِكَ جاءَ في حَدِيثٍ رَواهُ مَكْحُولٌ عَنْ حَبِيبِ بنِ مَسْلَمةَ، وأخَذَتْ بِهِ طائِفةٌ(٥).

والقِسْمُ الرّابِعُ مِنَ النّفَلِ: ما يُنَفَّلُهُ الإمامُ مِن الخُمُسِ لِأهْلِ الغَناءِ(٦)

(١) في (ب): «فجذب»، وكلاهما بمعنًى.
(٢) عن «صحيح مسلم».
(٣) أخرجاه في كتاب الجهاد، مسلم: (٣: ١٣٧٣)، وسنن أبي داود: (٣: ٧١-٧٢).
(٤) في (ف): «عورات».
(٥) الحديث رواه مكحول، عن زياد بن جارية، عن حبيب بن مسلمة، أخرجه أحمد في «مسنده» (٤: ١٦٠)، وأبو داود في كتاب الجهاد: (٣: ٧٩-٨٠).
(٦) أي: من كان في وجوده كفاية للمسلمين، بأن يكفيَهم بشجاعته في الحرب مثلًا، انظر =

والمَنْفَعةِ؛ لِأنّ ما كانَ لِلرّسُولِ ﷺ مِن الغَنيمةِ، فهُو لِلْإمامِ بعدَه يَصرِفُه فيما كانَ النّبيّ ﷺ يَصْرِفُهُ، وهُو قَوْلُ مالِكٍ وأكْثَرِ العُلَماءِ.

وقالَتْ طائِفةٌ: هُو مَقْصُورٌ على الأصْنافِ الّتِي ذُكِرَتْ في القُرْآنِ؛ وهُمْ: ذُوو القُرْبى، واليَتامى، والمَساكِينُ، وابنُ السّبيلِ، وقَدْ أُعْطِيَ المِقْدادُ حِمارًا مِن الخُمُسِ؛ أعْطاهُ لَهُ بَعْضُ الأُمَراءِ، فرَدّهُ لَمّا لَمْ يَكُنْ مِنْ هَؤُلاءِ الأصْنافِ المَذْكُورِينَ، وأمّا أنَسُ بنُ مالِكٍ، فإنّهُ فعَلَ خِلافَ هَذا؛ أعْطاهُ مُعاوِيةُ ثَلاثِينَ ألفًا[1] مِن الغَنِيمةِ، فأبى أنْ يَقْبَلَها إلّا أنْ تكُونَ مِن الخُمُسِ.

وأصَحُّ القَوْلَيْنِ: أنّ الإمامَ لَهُ النّظَرُ في ذَلِكَ؛ فإنْ رَأى صَرْفَ الخُمُسِ إلى مَنافِعِ المُسْلِمِينَ، ولَمْ تكُنْ بالأصْنافِ الأرْبَعةِ حاجةٌ شَدِيدةٌ إلَيْهِ؛ صَرَفَهُ، وإلّا بَدَأ بِهِمْ، وصَرَفَ بَقِيّتَهُ فيما يَرى.

واخْتُلِفَ في ذَوِي القُرْبى مَنْ هُمْ؟ فقالَ ابنُ عَبّاسٍ: كُنّا نَرى أنّهُمْ بَنُو هاشِمٍ، فأبى ذَلِكَ عَلَيْنا قَوْمُنا، وقالُوا: هُمْ قُرَيْشٌ كُلّهُمْ، كَذَلِكَ قالَ في الكِتابِ الّذِي كَتَبَهُ إلى نَجْدةَ الحَرُورِيِّ[2].

واخْتَلَفُوا أيْضًا في قَرابةِ الإمامِ بَعْدَ النَّبيّ ﷺ: أهُمْ داخِلونَ في الآيةِ أَمْ لا؟ فالصحيحُ: دُخُولُهم في ذَوِي القُرْبى؛ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السّلامُ: «إذا أطْعَمَ الله نَبِيًّا طُعْمةً، فهِيَ لِلْخَلِيفةِ بَعْدَهُ»، أوْ قالَ: «لِلْقائِمِ بَعْدَهُ».

ومِمّا اخْتَلَفُوا فيهِ مِنْ مَعْنى آيةِ الخُمُسِ: قِسْمُ خُمُسِ الخُمُسِ؛ فقالَ أبُو

= «سنن النسائي»، كتاب قسم الفيء (٧: ١٣٥).

(١) في (ف): «رأسًا».

(٢) «الأموال» لأبي عبيد: (ص: ٣٤٣)، و«تفسير ابن كثير» (٤: ١٥٨٨). ونجدة هو ابن عامر الحروري من زعماء الخوارج، قتله أصحابه سنة (٦٩هـ). انظر: «العبر» للذهبي: (١: ٧٧).

العالِيةِ في قَوْلِهِ: ﴿ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ ﴾ [الأنفال: ٤١]؛ أيْ: لِلْكَعْبةِ، يَخْرُجُ لَها نَصِيبٌ مِن الخُمُسِ، ولِلرّسُولِ نَصِيبٌ[١]، وباقِي الخُمُسِ لِلْأَرْبَعةِ الأصْنافِ.

وقالَتْ طائِفةٌ: خُمُسُ الخُمُسِ لِلرّسُولِ، وباقِيهِ لِلْأَرْبَعةِ الأصْنافِ.

وقالَتْ طائِفةٌ[٢]: الخُمُسُ كُلُّهُ لِلرّسُولِ يَصْرِفُهُ في تِلْكَ الأصْنافِ وغَيْرِها، وإنّما قالَ: ﴿لِلَّهِ... وَلِلرَّسُولِ﴾ تَنْبِيهًا على شَرَفِ المَكْسَبِ وطِيبِ المَغْنَمِ، وكَذَلِكَ قال في الفيءِ، وهو ما أفاءَ اللهُ على المُسْلِمِينَ مِن الأرَضِينَ الّتِي كانت لأهلِ الكفرِ، فقال فيه: ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الحشر: ٧] الآيةَ، ولَمْ يَقُلْ في آياتِ[٣] الصّدَقاتِ مِثْلَ ذَلِكَ، ولا أضافَها لِنَفْسِهِ ولا لِلرّسُولِ؛ لِأنّ الصَّدقاتِ[٤] أوساخُ النّاسِ، [فلا تَطِيبُ لِمُحَمّدٍ، ولا لِآلِ مُحَمّدٍ، فقال فيها: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة: ٦٠] الآيَةَ؛ أيْ: لَيْسَتْ لِأحَدٍ إلّا لِهَؤُلاءِ، وهَذا كُلُّهُ قَوْلُ سُفْيانَ الثّوْريّ وتَفْسِيرُهُ، وسَيَأْتِي القَوْلُ في غَزْوةِ حُنَيْنٍ[٥] فيما أعْطى رسولُ الله ﷺ للمؤلَّفةِ قُلُوبُهُمْ: أكانَ[٦] مِنْ رَأْسِ الغَنِيمةِ، أمْ من الخمُسِ، أمْ مِنْ خُمُسِ الخُمُسِ؟ إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

* * *

(١) في (أ): «نصيب من الخمس».

(٢) بعده في (أ) (ف): «خمس».

(٣) في (ف): «آية».

(٤) في (أ)، (ف): «الصدقة».

(٥) انظر: (٧: ٢٦٢).

(٦) في (ب): «هل كان».

[ما نَزَلَ في خُرُوجِ القَوْمِ مَعَ الرَّسُولِ لِمُلاقاةِ قُرَيْشٍ]

ثُمَّ ذَكَرَ القَوْمَ ومَسِيرَهُمْ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حِينَ عَرَفَ القَوْمُ أَنَّ قُرَيْشًا قَدْ سارُوا إِلَيْهِمْ، وإِنَّما خَرَجُوا يُرِيدُونَ العِيرَ طَمَعًا في الغَنِيمَةِ، فقالَ: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ * يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٦]، أي: كَراهِيَةً لِلِقاءِ القَوْمِ، وإِنْكارًا لِمَسِيرِ قُرَيْشٍ، حِينَ ذُكِرُوا لَهُمْ، ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾، أي: الغَنِيمَةَ دُونَ الحَرْبِ، ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، أي: بِالوَقْعةِ الَّتِي أَوْقَعَ بِصَنادِيدِ قُرَيْشٍ وقادَتِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، أي: لِدُعائِهِمْ حِينَ نَظَرُوا إلى كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ، وقِلَّةِ عَدَدِهِمْ، ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ بِدُعاءِ رَسُولِ الله ﷺ ودُعائِكُمْ، ﴿أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.

فَصْلٌ

وذَكَرَ قَوْلَ الله سُبْحانَهُ: ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، وقَدْ قالَ في آيَةٍ أُخْرى: ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، فقِيلَ: مَعْناهُ: إِنَّ الأَلْفَ أَرْدَفَهُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ، فكانَ الأَكْثَرُ مَدَدًا لِلْأَقَلِّ، وكانَ الأَلْفُ مُرْدِفِينَ لِمَنْ وراءَهُمْ، بِكَسْرِ الدّالِ مِنْ «مُرْدِفِينَ»، وكانُوا أَيْضًا مُرْدَفِينَ(١) بِفَتْحِ

(١) بعدها في (ف): «لهم».

الدّالِ، والألْفُ هُم الّذِينَ قاتَلُوا مَعَ المُؤْمِنِينَ، وهُم الّذِينَ قالَ لَهُمْ: ﴿ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [الأنفال: ١٢]، وكانُوا في صُورِ الرِّجالِ، ويَقُولُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ: اثْبُتُوا؛ فإنّ عَدُوَّكُمْ قَلِيلٌ، وإنّ اللهَ مَعَكُمْ، ونَحْو هَذا.

﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾، أيْ: أنْزَلْتُ عَلَيْكُم الأمَنةَ حِينَ نِمْتُمْ لا تَخافُونَ، ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ لِلْمَطَرِ الّذي أصابَهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فحبَسَ المُشْرِكِينَ أنْ يَسْبِقُوا إلى الماءِ، وخَلّى سَبِيلَ المُسْلِمِينَ إلَيْهِ، ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ [الأنفال: ١١]، أيْ: لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ شَكَّ الشَّيْطانِ؛ لِتَخْوِيفِهِ إيّاهُمْ عَدُوَّهُمْ، واسْتِجْلادِ الأرْضِ لَهُمْ، حَتّى انْتَهَوْا إلى مَنْزِلِهِم الّذي سَبَقُوا إلَيْهِ عَدُوَّهُمْ.

[ما نَزَلَ في تَبْشِيرِ المُسْلِمِينَ بِالمُساعَدةِ والنَّصْرِ، وتَحْرِيضِهِمْ]

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾، أيْ: آزِرُوا الّذِينَ آمَنُوا، ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾، ثُمَّ قالَ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٢-١٦]، أيْ: تَحْرِيضًا لَهُمْ على عَدُوِّهِمْ؛ لِئَلّا يَنْكُلُوا عَنْهُمْ إذا لَقُوهُمْ، وقَدْ وعَدَهُم اللهُ عز وجل فِيهِمْ ما وعَدَهُمْ.

[ما نَزَلَ في رَمْيِ الرَّسُولِ لِلْمُشْرِكِينَ بِالحَصْباءِ]

ثُمَّ قالَ تَعالى في رَمْيِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إيّاهُمْ بِالحَصْباءِ مِنْ يَدِهِ حِينَ رَماهُمْ:

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧]، أيْ: لَمْ يَكُنْ ذلك بِرَمْيَتِكَ، لَوْلا الَّذي جعَلَ الله فيها مِنْ نَصْرِكَ، وما أَلْقى في صُدُورِ عَدُوِّكَ مِنْها حِينَ هَزَمَهُم الله، ﴿وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾، أيْ: لِيُعَرِّفَ المُؤْمِنِينَ مِنْ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ في إِظْهارِهِمْ على عَدُوِّهِمْ، وقِلّةِ عَدَدِهِمْ؛ لِيَعْرِفُوا بِذلك حَقَّهُ، ويَشْكُرُوا بِذلك نِعْمَتَهُ.

[ما نزل في الاستفتاح]

ثُمَّ قالَ: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾ [الأنفال: ١٩]، أيْ: لِقَوْلِ أبي جَهْلٍ: اللهُمَّ أَقْطَعُنا لِلرَّحِمِ، وآتانا بِما لا يُعْرَفُ، فأَحِنْهُ الغَداةَ. والاِسْتِفْتاحُ: الإنْصافُ في الدُّعاءِ.

يَقُولُ الله جَلَّ ثَناؤُهُ: ﴿ وَإِن تَنتَهُواْ ﴾، أيْ لِقُرَيْشٍ، ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ ﴾، أيْ: بِمِثْلِ الوَقْعةِ الَّتي أصَبناكُمْ بِها يَوْمَ بَدْرٍ، ﴿ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، أيْ: أنَّ عَدَدَكُمْ وكَثْرَتَكُمْ في أنْفُسِكُمْ لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ شَيْئًا، وإنِّي مَعَ المُؤْمِنِينَ؛ أنْصُرهُمْ على مَنْ خالَفَهُمْ.

[ما نَزَلَ في حَضِّ المُسْلِمينَ على طاعةِ الرَّسُولِ]

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾، أيْ: لا تُخالِفُوا أمْرَهُ وأنْتُمْ تَسْمَعُونَ لِقَوْلِهِ، وتَزْعُمُونَ أنَّكُمْ مِنْهُ، ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾، أيْ: كالمُنافِقِينَ الَّذين يُظْهِرُونَ لَهُ الطّاعةَ، ويُسِرُّونَ لَهُ المَعْصِيةَ، ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾، أي: المُنافِقُونَ الَّذين نَهَيْتُكُمْ أنْ تَكُونُوا

مِثْلَهُمْ؛ بُكْمٌ عَنِ الخَيْرِ، صُمٌّ عَنِ الحَقِّ، ﴿لَا يَعۡقِلُونَ﴾: لا يَعْرِفُونَ ما عَلَيْهِمْ في ذلك مِنَ النِّقْمةِ والتَّباعةِ، ﴿وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ﴾، أيْ: لَأَنْفَذَ لَهُمْ قَوْلَهُم الَّذي قالُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ، ولَكِنَّ القُلُوبَ خالَفَتْ ذلك مِنْهُمْ، ولَو خَرَجُوا مَعكُمْ ﴿لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ﴾، ما وفَوْا لَكُمْ بِشَيْءٍ مِمّا خَرَجُوا عَلَيْهِ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾، أيْ: لِلْحَرْبِ الَّتِي أعَزَّكُم الله بِها بَعْدَ الذُّلِّ، وقَوّاكُمْ بِها بَعْدَ الضَّعْفِ، ومَنَعَكُمْ بِها مِنْ عَدُوِّكُمْ بَعْدَ القَهْرِ مِنْهُمْ لَكُمْ، ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾، أيْ: لا تُظْهِرُوا لَهُ مِنَ الحَقِّ ما يَرْضى بِهِ مِنْكُمْ، ثُمَّ تُخالِفُوهُ في السِّرِّ إلى غَيْرِهِ؛ فإنَّ ذلك هَلاكٌ لِأماناتِكُمْ، وخِيانةٌ لِأَنْفُسِكُمْ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، أيْ: فَصْلًا بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ؛ لِيُظْهِرَ الله بِهِ حَقَّكُمْ، ويُطْفِئَ بِهِ باطِلَ مَنْ خالَفَكُمْ.

[ما نَزَلَ في ذِكْرِ نِعْمةِ الله على الرَّسُولِ]

ثُمَّ ذَكَّرَ رَسُولَ الله ﷺ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ حِينَ مَكَرَ بِهِ القَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ، أوْ يُثْبِتُوهُ، أوْ يُخْرِجُوهُ ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾، أيْ: فمَكَرْتُ بِهِمْ بِكَيْدِي المَتِينِ حَتّى خَلَّصْتُكَ مِنْهُمْ.

[ما نَزَلَ في غِرّةِ قُرَيْشٍ واسْتِفْتاحِهِمْ]

ثُمَّ ذَكَرَ غِرّةَ قُرَيْشٍ واسْتِفْتاحَهُمْ على أَنْفُسِهِمْ؛ إذْ قالُوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن

كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾، أيْ: ما جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كَما أمْطَرْتها على قَوْمِ لُوطٍ، ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، أيْ: بَعْضِ ما عَذَّبْتَ بِهِ الأُمَمَ قَبْلَنا، وكانُوا يَقُولُونَ: إنَّ اللهَ لا يُعَذِّبُنا ونَحْنُ نَسْتَغْفِرُهُ، ولَمْ يُعَذِّبْ أُمَّةً ونَبِيُّها مَعَها حَتّى يُخْرِجَهُ عَنْها. وذلك مِنْ قَوْلِهِمْ ورَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ أظْهُرِهِمْ، فقالَ تَعالى لِنَبِيِّهِ ﷺ يَذْكُرُ جَهالَتَهُمْ وغِرَّتَهُمْ واسْتِفْتاحَهُمْ على أنْفُسِهِمْ، حِينَ نَعى سُوءَ أعْمالِهِمْ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، أيْ: لِقَوْلِهِمْ: إنّا نَسْتَغْفِرُ ومُحَمَّدٌ بَيْنَ أظْهُرِنا، ثُمَّ قالَ: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ وإنْ كُنْتَ بَيْنَ أظْهُرِهِمْ، وإنْ كانُوا يَسْتَغْفِرُونَ كَما يَقُولُونَ، ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، أيْ: مَنْ آمَنَ باللهِ وعَبَدَهُ، أيْ: أنْتَ ومَن اتَّبَعَكَ، ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾: الَّذينَ يُحَرِّمُونَ حُرْمَتَهُ، ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ عِنْدَهُ، أيْ: أنْتَ ومَنْ آمَنَ بِكَ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾ الَّتي يَزْعُمُونَ أنَّهُ يُدْفَعُ بِها عَنْهُمْ ﴿إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: المُكاءُ: الصَّفيرُ. والتَّصْدِيَةُ: التَّصْفيقُ. قالَ عَنْتَرَةُ بنُ عَمْرِو بنِ شَدّادٍ العَبْسِيُّ:

وَلَرُبَّ قِـرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ مُجَدَّلًا ... تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأعْلَمِ

يَعْنِي: صَوْتَ خُرُوجِ الدَّمِ مِن الطَّعْنَةِ، كَأنَّهُ الصَّفيرُ. وهذا البَيْتُ في قَصِيدَةٍ لَهُ.

وقالَ الطِّرِمّاحُ بنُ حَكِيمٍ الطّائِيُّ:

لَهَا كُلَّما رِيعَتْ صَداةٌ ورَكْدةٌ ... بِمُصْدانَ أعلى ابنَيْ شَمامِ البَوائِنِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ. يَعْنِي: الأُرْوِيّةَ، يَقُولُ: إذا فزِعَتْ قَرَعَتْ بِيَدِها الصَّفاةَ ثُمَّ رَكَدَتْ، تَسْمَعُ صَدى قَرْعِها بِيَدِها الصَّفاةَ مِثْلَ التَّصْفيقِ. والمُصْدانُ: الحِرْزُ. وابنا شَمامٍ: جَبَلانِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وذلك ما لا يُرْضِي الله عَزَّ وجَلّ ولا يُحِبُّهُ، ولا ما افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ، ولا ما أمَرَهُمْ بِهِ.

﴿ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾، أيْ: لِما أوْقَعَ بِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِن القَتْلِ.

[المُدّةُ بَيْنَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ وبَدْرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَحْيَى بنُ عَبّادِ بنِ عَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ عَبّادٍ، عَنْ عائِشَةَ، قالَتْ: ما كانَ بَيْنَ نُزُولِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١]، وقَوْلِ الله تَعالى فيها: ﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [المزمل: ١١-١٣] إلّا يَسِيرٌ، حَتّى أصابَ الله قُرَيْشًا بِالوَقْعةِ يَوْمَ بَدْرٍ.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: الأنْكالُ: القُيُودُ، واحِدُها: نِكْلٌ. قالَ رُؤْبةُ بنُ العَجّاجِ:

يَكْفيكَ نِكْلِي بَغْيَ كُلِّ نِكْلِ

وَهذا البَيْتُ في أُرْجُوزةٍ لَهُ.

[ما نَزَلَ فيمَنْ عاوَنُوا أبا سُفيانَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ قالَ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]، يَعْني: النَّفَرَ الَّذينَ مَشَوْا إلى أبي سُفيانَ وإلى مَنْ كانَ لَهُ مالٌ مِنْ قُرَيْشٍ في تِلْكَ التِّجارةِ، فسَألُوهُمْ أنْ يُقَوُّوهُمْ بِها على حَرْبِ رَسُولِ الله ﷺ، ففَعَلُوا.

ثُمَّ قالَ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟﴾ لِحَرْبِكَ، ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، أيْ: مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ.

[الأمْرُ بِقِتالِ الكُفّارِ]

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، أيْ: حَتّى لا يُفْتَنَ مُؤْمِنٌ عَنْ دِينِهِ، ويَكُونَ التَّوْحِيدُ لله خالِصًا لَيْسَ لَهُ فيهِ شَرِيكٌ، ويُخْلَعَ ما دُونَهُ مِن الأنْدادِ، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عَنْ أمْرِكَ إلى ما هُمْ عَلَيْهِ مِنْ كُفْرِهِمْ، ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ الَّذي أعَزَّكُمْ ونَصَرَكُمْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ في كَثْرةِ عَدَدِهِمْ وقِلّةِ عَدَدِكُمْ، ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾.

[ما نَزَلَ في تَقْسِيمِ الفيءِ]

ثُمَّ أعْلَمَهُمْ مَقاسِمَ الفيءِ وحُكْمَهُ فيهِ حِينَ أحَلَّهُ لَهُمْ، فقالَ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ

﴿ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١]، أيْ: يَوْمَ فرَقْتُ فيهِ بَيْنَ الحَقِّ والباطِلِ بِقُدْرَتِي يَوْمَ التَقى الجَمْعانِ مِنْكُمْ ومِنْهُمْ؛ ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ مِن الوادِي، ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ مِن الوادِي إلى مَكّةَ، ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾، أيْ: عِيرُ أبي سُفيانَ الَّتِي خَرَجْتُمْ لِتَأْخُذُوها وخَرَجُوا لِيَمْنَعُوها، عَنْ غَيْرِ مِيعادٍ مِنْكُمْ ولا مِنْهُمْ، ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ﴾، أيْ: ولَوْ كانَ ذلك عَنْ مِيعادٍ مِنْكُمْ ومِنْهُمْ، ثُمَّ بَلَغَكُمْ كَثْرةُ عَدَدِهِمْ وقِلّةُ عَدَدِكُمْ، ما لَقِيتُمُوهُمْ، ﴿وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾، أيْ: لِيَقْضِيَ ما أرادَ بِقُدْرَتِهِ مِنْ إعْزازِ الإسْلامِ وأهْلِهِ، وإذْلالِ الكُفْرِ وأهْلِهِ، عَنْ غَيْرِ بَلاءٍ مِنْكُمْ، ففَعَلَ ما أرادَ مِنْ ذلك بِلُطْفِهِ، ثُمَّ قالَ: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]، أيْ: لِيَكْفُرَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ الحُجّةِ لِما رَأى مِن الآيةِ والعِبْرةِ، ويُؤْمِنَ مَنْ آمَنَ على مِثْلِ ذلك.

[ما نَزَلَ في لُطْفِ الله بِالرَّسُولِ]

ثُمَّ ذَكَرَ لُطْفَهُ بِهِ وكَيْدَهُ لَهُ، ثُمَّ قالَ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الأنفال: ٤٣]، فكانَ ما أراكَ مِنْ ذلك نِعْمةً مِنْ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، شَجَّعَهُمْ بِها على عَدُوِّهِمْ، وكَفَّ بِها عَنْهُمْ ما تُخُوِّفَ عَلَيْهِمْ مِنْ ضَعْفِهِمْ؛ لِعِلْمِهِ بِما فيهِمْ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: تُخُوِّفَ: مُبْدَلةٌ مِنْ كَلِمةٍ ذَكَرَها ابنُ إسْحاقَ ولَمْ أذْكُرْها.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤]، أيْ: لِيُؤَلِّفَ بَيْنَهُمْ

على الحَرْبِ لِلنِّقْمةِ مِمَّنْ أرادَ الِانْتِقامَ مِنْهُ، والإنْعامَ على مَنْ أرادَ إتْمامَ النِّعْمةِ عَلَيْهِ مِنْ أهْلِ وِلايَتِهِ.

[ما نَزَلَ في وعْظِ المُسْلِمِينَ وتَعْلِيمِهِمْ خُطَطَ الحَرْبِ]

ثُمَّ وعَظَهُمْ وفَهَّمَهُمْ وأعْلَمَهُم الَّذي يَنْبَغِي لَهُمْ أنْ يَسِيرُوا بِهِ في حَرْبِهِمْ، فقالَ تَعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾ الَّذي لَهُ بَذَلْتُمْ أنْفُسَكُمْ، والوَفاءَ لَهُ بِما أعْطَيْتُمُوهُ مِنْ بَيْعَتِكُمْ، ﴿ لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ * وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ ﴾، أيْ: لا تَخْتَلِفُوا فيتَفَرَّقَ أمْرُكُمْ، ﴿ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾، أيْ: وتَذْهَبَ حِدَّتُكُمْ، ﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾، أيْ: إنِّي مَعَكُمْ إذا فعَلْتُمْ ذلك، ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾، أيْ: لا تَكُونُوا كَأبي جَهْلٍ وأصْحابِهِ الَّذينَ قالُوا: لا نَرْجِعُ حَتّى نَأْتِيَ بَدْرًا فنَنْحَرَ بِها الجُزُرَ، وتُسْقى بِها الخَمْرَ، وتَعْزِفَ عَلَيْنا فيها القِيانُ، وتَسْمَعَ العَرَبُ. أيْ: لا يَكُونُ أمْرُكُمْ رِياءً، ولا سُمْعةً، ولا التِماسَ ما عِنْدَ النّاسِ، وأخْلِصُوا للهِ النِّيّةَ والحِسْبةَ في نَصْرِ دِينِكُمْ، ومُؤازَرةِ نَبِيِّكُمْ، لا تَعْمَلُوا إلّا لِذلك، ولا تَطْلُبُوا غَيْرَهُ.

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٤٨].

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقَدْ مَضى تَفْسِيرُ هَذِهِ الآيةِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعالى أهْلَ الكُفْرِ، وما يَلْقَوْنَ عِنْدَ مَوْتِهِمْ، ووَصَفَهُمْ بِصِفَتِهِمْ، وأخْبَرَ نَبِيَّهُ ﷺ عَنْهُمْ، حَتّى انْتَهى إلى أنْ قالَ: ﴿ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٧]، أيْ: فنَكِّلْ بِهِمْ مَنْ وراءَهُمْ؛ لَعَلَّهُمْ يَعْقِلُونَ.

وقَوْلُ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [الأنفال: ١٢]، جاءَ في التَّفْسِيرِ أَنَّهُ ما وقَعَتْ ضَرْبَةٌ يَوْمَ بَدْرٍ إلّا في رَأْسٍ أَوْ مَفْصِلٍ، وكانُوا يَعْرِفُونَ قَتْلى المَلائِكَةِ مِنْ قَتْلاهُمْ بِآثارٍ سُودٍ في الأَعْناقِ وفي البَنانِ، كَذلِكَ ذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ في غَيْرِ هذهِ الرِّوايةِ، ويُقالُ لمفاصل الأصابع وغيرها: بَنانٌ، واحِدَتُها: بَنانةٌ، وهُو مِنْ أَبَنَّ بِالمَكانِ[١]: إذا أقامَ فيهِ وثَبَتَ، قالَهُ الزَّجّاجُ[٢].

وقَوْلُهُ: ﴿ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾ [الأنفال: ١١] الآيَةَ، كانَ العَدُوُّ قَدْ أَحْرَزُوا الماءَ دُونَ المُسلمين، وحَفَرُوا القُلُبَ لِأَنْفُسِهِمْ، وكانَ المُسْلِمُونَ قَدْ أَحْدَثُوا وأَجْنَبَ بَعْضُهُمْ، وهُمْ لا يَصِلُونَ إلى الماءِ، فوسْوسَ الشَّيْطانُ لَهُمْ - أَوْ لِبَعْضِهِمْ - وقالَ: تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ على الحَقِّ، وقَدْ سَبَقَكُمْ أَعْداؤُكُمْ إلى الماءِ، وأَنْتُمْ عِطاشٌ وتُصَلُّونَ بِلا وُضُوءٍ، وما يَنْتَظِرُ أَعْداؤُكُمْ إلّا أَنْ يَقْطَعَ العَطَشُ رِقابَكُم، ويُذهِبَ قِواكُم، فيتحكَّموا فيكم كيف شاؤوا! فأَرْسَلَ اللهُ [سبحانه][٣] السَّماءَ فحَلَّتْ عَزالِيها، فتَطَهَّرُوا ورَوَوْا، وتَلَبَّدَتِ الأَرْضُ لِأَقْدامِهِمْ، وكانَتْ رِمالًا وسَبَخاتٍ، فثَبَتَتْ فيها أَقْدامُهُمْ، وذَهَبَ عَنْهُمْ رِجْزُ الشَّيْطانِ، ثُمّ نَهَضُوا إلى أَعْدائِهِمْ فغَلَبُوهُمْ على الماءِ، وعاروا[٤] القُلُبَ التي كانت تلي العَدُوَّ، فعَطِشَ الكُفّارُ، وجاءَ النَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وقَبَضَ

---

(١) في (ف): «في المكان».

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٢: ٤٠٥).

(٣) عن (ص). وفي صلبها: «سحى»، والمثبت عن حاشيتها. وسحَّت السماءُ بالماء: اشتد انصباب مائها ودام، وهي سحّاء. والعزالى: جمع العزلاء، وهو فَمُ المزادة. شبَّه اتِّساع المطر واندفاقه بالذي يخرج من فَمِ المزادة. انظر: «النهاية» (سحح).

(٤) في (أ): «عوروا» معدلة عن «عاروا»، وفي (ب): «جاروا»، وفي (ج)، وحاشية (ف): «حازوا»، وفي (ص): «غاروا». يقال: عرتُ البئرَ وعوّرتها: سددتُ أعينها. وفي حاشية (أ)؛ أي: هدمتها. والقليب: البئر.

رسولُ الله ﷺ قَبْضةً مِن البَطْحاءِ ورَماهُمْ بِها، فمَلأَتْ عُيُونَ جميع العسكر، وذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحانَهُ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]؛ أيْ: عَمّ جَمِيعَهُمْ، ولَمْ يَكُنْ في قَبْضَتِك ما يَبْلُغُ جَميعَهُم[١]؛ فاللهُ هُو الّذِي رَمى سائِرَهُمْ إذْ رَمَيْت أنْتَ القَلِيلَ مِنْهُمْ، فهَذا قَوْلٌ.

وقالَ أحْمَدُ بنُ يَحْيى: مَعْناهُ: وما رَمَيْتَ قُلُوبَهُمْ بِالرّعْبِ حِينَ رَمَيْت بالحَصْباءِ، ولَكِنّ اللهَ رَمى. وقالَ هِبةُ اللهِ بنُ سَلامةَ[٢]: الرّمْيُ أخْذٌ وإرْسالٌ، تبليغٌ[٣] وإصابةٌ[٤]، فالّذِي أثْبَتَ اللهُ لِنَبِيّهِ هُو الأخذُ والإرْسالُ، والّذِي نَفى عَنْهُ هُو التّبْلِيغُ والإصابةُ[٥]، وأثْبَتَهُما لِنَفْسِهِ.

وقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥] الآيةَ. قالَ الحَسَنُ: لَيْسَ الفِرارُ مِن الزّحْفِ مِن الكَبائِرِ إلّا يَوْمَ بَدْرٍ وفي المَلْحَمةِ الكُبْرى الّتِي تَأْتِي في آخِرِ الزّمانِ. وقالَ غَيْرُهُ: هُو مِن الكَبائِرِ إذا حَضَرَ الإمامُ ولَمْ يَتَحَيّزْ [إلى فِئةٍ][٦]، فأمّا إذا كانَ الفِرارُ إلى الإمام، فهُو مُتَحَيّزٌ إلى فِئةٍ، وقَدْ قالَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ رضي الله عنه حِينَ بَلَغَهُ قَتْلُ أَبِي عُبَيْدٍ[٧] بنِ مَسْعُودٍ، وما أوْقَعَ الفُرْسُ

---

(١) في غير (ص)، (ف): «ولم يكن في قبضتك إلا ما يبلغ بعضهم».

(٢) كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن والنحو، وكان له حلقة في جامع المنصور ببغداد، له مصنفات، منها «التفسير»، و«المسائل المنثورة في النحو»، تُوفِّي سنة (٤١٠هـ). انظر: «طبقات المفسرين» للداودي: (٢: ٣٤٧-٣٤٨).

(٣) في (ف): «وتبليغ».

(٤) في (ص): «إصابة وتبليغ».

(٥) في (ص)، (ج): «الإصابة والتبليغ».

(٦) عن (ج)، (ص)، (ف).

(٧) صحابي من ثقيف، وهو والد المختار بن أبي عبيد، والأثر في «أسد الغابة» (٦: ٢٠٥)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٣: ٤٣٩)، وابن كثير عند الآية ١٥ من سورة الأنفال: (٤: ١٥٥٨).

بِالمُسْلِمِينَ: هَلَّا تَحَيَّزَ إِلَيَّ أَبُو عُبَيْدٍ! فَإِنِّي فِئَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، ورُوِيَ مِثْلُ هَذا عَن رسولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قالَ لِأَصْحابِهِ الَّذِينَ رَجَعُوا مِنْ غَزْوَةِ مُؤْتَةَ، ذَلِكَ[١] أَنَّهُمْ قالُوا: نَحْنُ الفَرّارُونَ يا رَسُولَ اللهِ، فقالَ: «بَلْ[٢] أَنْتُم العَكّارُونَ[٣]، وأنا فِئَتُكُم[٤]»، وهُو حَدِيثٌ مَشْهُورٌ اخْتَصَرْتُه.

والقَدْرُ الَّذِي يَحْرُمُ مَعَهُ الفِرارُ: الواحِدُ [مَعَ الواحِدِ، والواحِدُ][٥] مَعَ الاِثْنَيْنِ، وإذا كانَ الواحِدُ لِلثَّلاثةِ، لَمْ يُعَبْ على الفارِّ فِرارُهُ، كانَ مُتَحَيِّزًا إلى فِئَةٍ أَوْ لَمْ يَكُنْ.

وذَكَرَ أَبُو الوَلِيدِ بنُ رشدٍ[٦] في «مقدِّماته» عن بَعْضِ الفُقَهاءِ، قالَ: إذا كانَ المُسْلِمُونَ اثْني عَشَرَ أَلْفًا لَمْ يَجُزْ لَهُم الفِرارُ مِنْ ثَلاثةِ أَمْثالِهِمْ، ولا مِنْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَنْ تُغْلَبَ اثْنا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ»[٧]، وقَدْ كانَ وُقُوفُ الواحِدِ إلى العَشَرةِ حَتْمًا في أَوَّلِ الأَمْرِ، ثُمَّ خفَّفَ اللهُ ذلك ونَسَخَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦] إلى آخِرِ الآيةِ، كَذَلِكَ قال[٨] ابنُ عَبّاسٍ، وهُو قَوْلُ العُلَماءِ، ولَكِنْ لا يَتَبَيَّنُ فيهِ ....

(١) في (ف): «وذلك».
(٢) ليس في (أ).
(٣) العكّار: الذي يفر إلى إمامه لينصره، ليس يريد الفرار من الزحف.
(٤) «مسند الإمام أحمد» (٢: ٧٠)، و«سنن أبي داود»، كتاب الجهاد: (٣: ٢٦).
(٥) ليس في (أ).
(٦) هو ابن رشد الجد: محمد بن أحمد أبو الوليد، قاضي الجماعة بقرطبة، وهو جد محمد بن أحمد الفيلسوف. وكتابه «المقدمات الممهدات في الأحكام الشرعية»، عاش ابن رشد بين سنتي (٤٥٠-٥٢٠هـ).
(٧) «المقدمات» (١: ٣٤٨)، والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد: (٣: ٣٦).
(٨) في (ج)، (ص): «كذلك روي عن ابن عباس».

النّسْخُ[١]؛ لِأنّ قَوْلَهُ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥]، إلى آخِرِ الآيةِ خَبَرٌ، والخَبَرُ لا يَدْخُلُهُ النّسْخُ.

وقَوْلُهُ: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ يَدُلُّ على أنّ ثَمّ حُكْمًا مَنْسُوخًا، وهُو الثّبُوتُ للعَشَرةِ، فإذًا للآيةِ ظَهْرٌ وبَطْنٌ؛ فظاهِرُها خَبَرٌ ووعْدٌ مِن اللهِ تعالى أنْ تَغْلِبَ العَشَرةُ المِئةَ، وباطِنُها وُجوبُ الثّبُوتِ لِلْمِئةِ، ويَدُلُّ على هَذا الحُكْمِ قَوْلُهُ: ﴿حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، فتَعَلّقَ النّسْخُ بِهَذا الحُكْمِ الباطِنِ، وبَقِيَ الخَبَرُ وعْدًا حَقًّا، قَدْ أبْصَرَهُ المُؤْمِنُونَ عِيانًا في زَمَنِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ، وفي بَقِيّةِ خِلافةِ أبِي بَكْرٍ في مُحارَبةِ الرّومِ وفارِسَ بالعِراقِ وبالشام، ففي تِلْكَ المَلاحِمِ هَزَمَت المِئُونَ الآلافَ مِن المُشْرِكِينَ، وقَدْ هَزَمَ خالِدُ بنُ الولِيدِ مِئةَ ألفٍ حِينَ أقْبَلَ[٢] مِن العِراقِ إلى الشّامِ ولَمْ يَبْلُغْ عَسْكَرُهُ خَمْسةَ آلافٍ، بَلْ قَدْ رَأيْتُ في بَعْضِ فُتُوحِ الشّامِ أنّهُ كانَ يَوْمَئِذٍ في ألْفِ فارِسٍ، وكانَ قَدْ أقْبَلَ مِن العِراقِ مَدَدًا لِلْمُسْلِمِينَ الّذِينَ بِالشّامِ، وكانَ الرّومُ في أرْبَعِ مِئةِ ألْفٍ، فلَقِيَ مِنْهُمْ خالِدٌ مِئةَ ألْفٍ ففَضَّ جَمْعَهُمْ وهَزَمَهُمْ، وقَدْ هَزَمَ أهْلُ[٣] القادِسِيّةِ جُيُوشَ رُسْتُمَ [وقَتَلُوهُ، وكانَ رُسْتُمُ][٤] في أكْثَرَ مِنْ مِئَتَيْ ألْفٍ، ولَمْ يَكُن المُسْلِمُونَ في عُشْرِ ذَلِكَ العَدَدِ، وجاؤوا مَعَهُمْ بِالفِيَلةِ أمْثالِ الحُصُونِ عَلَيْها الرِّجالُ، ففَرّت الفِيَلةُ، وأطاحَتْ ما عَلَيْها، ولَمْ يَرُدَّها شَيْءٌ دُونَ البَلَدِ الّذِي خَرَجَتْ مِنْهُ، وكَذَلِكَ ما ظَهَرَ مِنْ فَتْحِ اللهِ ونَصْرِهِ على يَدَيْ مُوسى بنِ نُصَيْرٍ بِإفْرِيقِيّةَ والأنْدَلُسِ؛ فقَدْ كانَ في ذَلِكَ أعْجَبُ العَجَبِ،

---

(١) في (ف): «النسخ فيه».
(٢) في (ج)، (ص): «إقباله».
(٣) في (ف): «من أهل».
(٤) عن (ج)، (ص)، (ف).

فكانَ(١) وعْدُ اللهِ مفعولًا، ونَصْرُهُ لِلْمُسْلِمينَ ناجِزًا، والحمْدُ لله.

وقالَ النّقّاشُ في مَعْنى قَوْلِهِ تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، معناه: إنْ تَصْبروا يَغْلِبُوا، وغَلَبَتُهُمْ لَيْسَ بأنْ يَسْلِمُوا كُلُّهُمْ، ولَكِنْ مَنْ سَلِمَ مِنْهُمْ رَأى غَلَبةَ أهْلِ دِينِهِ، وظُهُورَهُمْ على أَهْلِ الكُفْرِ(٢)، ولا يَقْدَحُ في وعْدِ اللهِ أنْ يُسْتَشْهَدَ جُمْلَةٌ مِن الصّابِرينَ، وإنّما هَذا كَقَوْلِهِ تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، إلى قَوْلِهِ: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]؛ فقَدْ نَجزَ المَوْعُودُ وغَلَبُوا كَما وُعِدُوا. هَذا(٣) مَعْنى كَلامِهِ، والّذِي قَدّمْناهُ(٤) أَبْيَنُ.

وفي هذهِ السُّورةِ قَوْلُهُ تَعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]، نَزَلَتْ في قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ مَكّةَ آمَنُوا ولَمْ يُهاجِرُوا، ثُمّ خَرَجُوا مَعَ المُشْرِكِينَ إلى بَدْرٍ، فلَمّا رَأَوْا قِلّةَ المُسْلِمِينَ شَكُّوا، وقالُوا: غَرّ هؤلاء دينُهم، منهم [أبو](٥) قيسِ بنُ الوليدِ بنِ المُغيرةِ، و[أبو](٦) قَيْسِ بنُ الفاكِهِ [بْنِ الْمُغيرةِ](٧) وجَماعةٌ سَمّاهُمْ أَبُو بَكْرٍ النّقّاشُ وغيرُه، وهُم الّذِينَ قُتِلُوا، فضَرَبَتِ المَلائِكةُ وُجُوهَهُمْ وأدْبارَهُمْ.

---

(١) في (ف): «وكان».

(٢) كذا في (ب)، وفي (أ)، (ف): «على أهل الأديان»، وفي (ج)، (ص): «على الكفر».

(٣) في (ف): «وهذا».

(٤) في (ف): «قدمنا».

(٥) عن حاشية (أ). وانظر: «جمهرة ابن حزم» (ص: ١٤٧)، و«تفسير ابن كثير» عند آية النساء: ٩٨، (٣: ٩٩٨)، وهو كذلك في «سيرة ابن هشام» (١: ٦٤١)، على أنه في «سيرة ابن إسحاق» (ص: ٢٩٠): قيس بن الوليد.

(٦) في النسخ: «قيس بن الفاكه». والمثبت عن «السيرة»، و«جمهرة ابن حزم» (ص: ١٤٤).

(٧) عن (أ)، (ب)، (ف).

وانْخَنَسَ يَوْمَئِذٍ أُبَيُّ بنُ شَرِيقٍ(١) بِنَحْوٍ مِنْ ثَلَاثِ مِئَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَسُمِّيَ: الأَخْنَسَ؛ وذَلِكَ أَنَّهُ خَلا بِأَبِي جَهْلٍ حِينَ تَراءى الجَمْعانِ، فقالَ: أَتَرى مُحَمَّدًا يَكْذِبُ؟ فقالَ أَبُو جَهْلٍ: كَيْفَ يَكْذِبُ على اللهِ وقَدْ كُنّا نُسَمِّيهِ: الأَمِينَ؛ لِأَنَّهُ ما كَذَبَ قَطُّ؟! ولَكِنْ إذا اجْتَمَعَتْ في بَنِي عَبْدِ مَنافٍ السِّقايَةُ والرِّفادةُ والمَشُورةُ، ثُمّ تَكُونُ فيهِم النُّبُوَّةُ، فأَيُّ شَيْءٍ بَقِيَ لَنا؟! فحِينَئِذٍ انْخَنَسَ الأَخْنَسُ بِبَنِي زُهْرةَ، وحَشَدَ إِبْلِيسُ جَمِيعَ جُنُودِهِ(٢)، وجاءَ بِنَفْسِهِ، ونَزَلَ جِبْرِيلُ بِأَلْفٍ مِن المَلائِكَةِ في صُورِ الرِّجالِ، فَكانَ في خَمْسِ مِئَةٍ مِنَ الملائكةِ في المَيْمَنةِ، ومِيكائِيلُ على خَمْسِ مِئةٍ في المَيْسَرةِ، ووراءَهُمْ مَدَدٌ [مِنَ الْمَلائِكَةِ](٣) لَمْ يُقاتِلُوا، وهُمُ الآلافُ المَذْكُورُونَ في سُورةِ آلِ عِمْرانَ(٤)، وكانَ إسْرافيلُ وسَطَ الصَّفِّ لا يُقاتِلُ كَما يُقاتِلُ غَيْرُهُ مِن المَلائِكَةِ، وكانَ الرّجُلُ يَرى المَلَكَ على صُورةِ رَجُلٍ يَعْرِفُهُ وهُو يُثَبِّتُهُ ويَقُولُ لَهُ: ما هُمْ بِشَيْءٍ، فكُرَّ عَلَيْهِمْ، وهَذا في مَعْنى قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [الأنفال: ١٢]، ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحاقَ فِي غَيْرِ رِوايةِ ابْنِ هِشامٍ، وَفِي مِثْلِ هَذا يَقُولُ حَسّانُ(٥): [من الكامل]

مِيكالُ مَعْك وجَبرئيلُ كِلاهُما ... مَدَدٌ لِنَصْرِك مِــنْ عَزيزٍ قادِرِ

ويُقالُ: كانَ مَعَ المؤمنين يَوْمَئِذٍ سَبْعُونَ مِن الجِنِّ كانُوا قَدْ أَسْلَمُوا].

* * *

---

(١) انظر ترجمته في: «أسد الغابة» (١: ٦٠، ٧٠).
(٢) في (ب): «جنده».
(٣) عن (أ)، (ب)، (ف).
(٤) الآيتان: [١٢٤، ١٢٥].
(٥) «ديوانه»، بيت مفرد، مصدره «الروض» (ص: ٤٨٣).

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، إلى قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]، أيْ: لا يَضِيعُ لَكُمْ عِنْدَ الله أجْرُهُ في الآخِرةِ، وعاجِلُ خَلَفِه في الدُّنْيا.

وذَكَرَ قَوْلَ الله عزَّ وجَلَّ: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]، [ولَمْ يَذْكُر الآخَرِينَ مَنْ هُمْ][1]، وقِيلَ في ذَلِكَ أقْوالٌ؛ قِيلَ: هُم المُنافِقُونَ، وقِيلَ: اليَهُودُ، وأصَحُّ ما في ذَلِكَ أنَّهُم الجِنُّ؛ لِرِوايةِ ابنِ المُلَيْكِيِّ، عَنْ أبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قالَ في ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾: «هُمُ الجِنُّ». ثُمّ قالَ عَلَيْهِ السّلامُ: «إنّ الشّيْطانَ لا يَخْبِلُ أحَدًا في دارٍ فيها فرَسٌ عَتِيقٌ»، ذَكَرَهُ الحارِثُ بْنُ أبي أُسامةَ في «مُسْنَدِهِ»[2].

ثُمَّ قالَ تَعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]، أيْ: إنْ دَعَوْكَ إلى السَّلْمِ على الإسْلامِ فصالِحْهُمْ عَلَيْهِ، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾؛ إنَّ الله كافيكَ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

---

(١) سقط من (ب).

(٢) أخرجه أيضًا ابن أبي حاتم والطبراني. انظر: «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية (٤: ١٦٠٣-١٦٠٤)، و«مجمع الزوائد» (٧: ٢٧). ويقال: خَبله الأمر وخبّله واختبله: جنّنه. وخَبِل -كفرح- خبلًا وخَبالًا: جُنَّ وفسد عقله.

[تَفْسِيرُ ابنِ هِشامٍ لِبَعْضِ الغَرِيبِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: ﴿جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ﴾: مالُوا إلَيْكَ لِلسَّلْمِ. الجُنُوحُ: المَيْلُ. قالَ لَبِيدُ بنُ رَبِيعةَ:

جُنُوحُ الهالِكِيِّ على يَدَيْهِ مُكِبًّا يَجْتَلِي نُقَبَ النِّصالِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ، يُرِيدُ: الصَّيْقَلَ المُكِبَّ على عَمَلِهِ. النُّقَبُ: صَدَأُ السَّيْفِ. يَجْتَلِي: يَجْلُو السَّيْفَ. والسَّلْمُ أيْضًا: الصُّلْحُ، وفي كِتابِ الله عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ [محمد: ٣٥]، ويُقْرَأُ: «إلى السِّلم»، وهُوَ ذلك المَعْنى. قالَ زُهَيْرُ بنُ أبي سُلْمى:

وَقَدْ قُلْتُما إنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ واسِعًا بِمالٍ ومَعْرُوفٍ مِن القَوْلِ نَسْلَمِ

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَلَغَني عَن الحَسَنِ بنِ أبي الحَسَنِ البَصْرِيِّ، أنَّهُ كانَ يَقُولُ: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ﴾ [الأنفال: ٦١]: لِلْإسْلامِ. وفي كِتابِ الله تَعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، ويُقْرَأُ: «في السَّلْم»، وهُوَ الإسْلامُ. قالَ أُمَيّةُ بن أبي الصَّلْتِ:

فَما أنابُوا لِسَلْمٍ حِينَ تُنْذِرُهُمْ رُسْلُ الإلَهِ وما كانُوا لَهُ عَضُدا

وَهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

وتَقُولُ العَرَبُ لِدَلْوٍ تُعْمَلُ مُسْتَطِيلةً: السَّلْمُ. قالَ طَرَفةُ بنُ العَبْدِ أحَدُ بَنِي قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ، يَصِفُ ناقةً لَهُ:

لَها مِرْفَقانِ أفْتَلانِ كَأنَّما تَمُرُّ بِسَلْمَى دالِجٍ مُتَشَدِّدِ

وَيُرْوى: «دالِجِ». وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٢] هُوَ مِنْ وراءِ ذلك، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾ بَعْدَ الضَّعْفِ، ﴿وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ على الهُدى الَّذي بَعَثَكَ الله بِهِ إِلَيْهِمْ، ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بِدِينِهِ الَّذي جَمَعَهُمْ عَلَيْهِ، ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. ثُمَّ قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٤، ٦٥]، أيْ: لا يُقاتِلُونَ على نِيّةٍ ولا حَقٍّ، ولا مَعْرفةٍ بِخَيْرٍ ولا شَرٍّ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَني عَبْدُ الله بنُ أبي نَجِيحٍ، عَنْ عَطاءِ بنِ أبي رَباحٍ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ عَبّاسٍ، قالَ: لَمّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيةُ اشْتَدَّ على المُسْلِمِينَ، وأعْظَمُوا أنْ يُقاتِلَ عشرُون مِئَتَيْنِ، ومئةٌ ألْفًا، فخَفَّفَ الله عَنْهُمْ، فنَسَخَتْها الآيةُ الأُخْرى، فقالَ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦]. قالَ: فكانُوا إذا كانُوا على الشَّطْرِ مِنْ عَدُوِّهِمْ لَمْ يَنْبَغِ لَهُمْ أنْ يَفِرُّوا مِنْهُمْ، وإذا كانُوا دُونَ ذلك لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمْ قِتالُهُمْ، وجازَ لَهُمْ أنْ يَتَحَوَّزُوا عَنْهُمْ.

وأنْشَدَ[1]: [من الوافر]

(١) «شرح ديوان لبيد» (ص: ٧٨).

«جُنُوحَ الهالِكِيِّ علـى يَدَيْهِ مُكِبًّا يَجْتَلِي نُقَـبَ النِّصالِ»

الهالِكِيّ: الصَّيْقَلُ(١). ونُقَبُ النِّصالِ: جَرَبُ الْحَدِيدِ وصَدَؤُه، وهُو في مَعْنى النُّقْبِ، واحِدَتُها: نُقْبةٌ.

[ما نَزَلَ في الأُسارى والمَغانِمِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ عاتَبَهُ الله تَعالى في الأُسارى، وأَخْذِ المَغانِمِ، ولَمْ يَكُنْ أحَدٌ قَبْلَهُ مِن الأنْبياءِ يَأْكُلُ مَغْنَمًا مِنْ عَدُوٍّ لَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ أبو جَعْفَرِ بنُ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ، قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وجُعِلَتْ لِي الأرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، وأُعْطِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ، وأُحِلَّتْ لِي المَغانِمُ ولَمْ تُحْلَلْ لِنَبِيٍّ كانَ قَبْلِي، وأُعْطِيتُ الشَّفاعةَ، خَمْسٌ لَمْ يُؤْتَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾، أيْ: قَبْلَكَ، ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ مِنْ عَدُوِّهِ، ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، أيْ: يُثْخِنَ عَدُوَّهُ، حَتّى يَنْفيَهُ مِن الأرْضِ، ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾، أي: المَتاعَ، الفِداءَ بِأَخْذِ الرِّجالِ، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾، أيْ: قَتْلَهُمْ لِظُهُورِ الدِّينِ الَّذي يُرِيدُ إظْهارَهُ، والَّذِي تُدْرَكُ بِهِ الآخِرةُ، ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾، أيْ: مِن الأُسارى والمَغانِمِ، ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، أيْ: لَوْلا أنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أنِّي لا أُعَذِّبُ إلّا بَعْدَ النَّهْيِ ولَمْ يَكُ نَهاهُمْ، لَعَذَّبْتُكُمْ فيما صَنَعْتُمْ، ثُمَّ أحَلَّها لَهُ ولَهُمْ رَحْمةً مِنْهُ، وعائِدةً مِن الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فقالَ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا

(١) الصَّيْقل: مَن صناعته صقل السيوف وجلاؤها. شبَّه لبيدٌ حركة رأس الثور بيد الصيقل على السيف يَجلو صدأه.

طَيِّبًاۚ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

ثُمَّ قالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الأنفال: ٧٠].

[ما نَزَلَ في التَّواصُلِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ]

وَحَضَّ المُسْلِمِينَ على التَّواصُلِ، وجَعَلَ المُهاجِرِينَ والأنْصارَ أهْلَ وِلايةٍ في الدِّينِ دُونَ مَنْ سِواهُمْ، وجَعَلَ الكُفّارَ بَعْضَهُمْ أوْلِياءَ بَعْضٍ، ثُمَّ قالَ: ﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾ [الأنفال: ٧٣]، أيْ: إلّا يُوالِ المُؤْمِنُ المُؤْمِنَ مِنْ دُونِ الكافِرِ، وإنْ كانَ ذا رَحِمٍ بِهِ، ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، أيْ: شُبْهةٌ في الحَقِّ والباطِلِ، وظُهُورُ الفَسادِ في الأرْضِ بِتَوَلِّي المُؤْمِنِ الكافِرَ دُونَ المُؤْمِنِ.

ثُمَّ رَدَّ المَوارِيثَ إلى الأرْحامِ مِمَّنْ أسْلَمَ بَعْدَ الوَلايةِ مِن المُهاجِرِينَ والأنْصارِ دُونَهُمْ إلى الأرْحامِ الَّتِي بَيْنَهُمْ، فقالَ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ ﴾، أيْ: بِالمِيراثِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾.

مَنْ حَضَرَ بَدْرًا مِن المُسْلِمِينَ

[مِنْ بني هاشم والمطلب]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وهَذِهِ تَسْمِيةُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِن المُسْلِمِينَ، ثُمَّ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ وبَنِي المُطَّلِبِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ

قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالِكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنانةَ.

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَيِّدُ المُرْسَلِينَ، ابنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ابنِ هاشِمٍ. وحَمْزةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ، أَسَدُ اللهِ وأَسَدُ رَسُولِهِ، عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وعَلِيُّ بنُ أبي طالِبِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ، وَزَيْدُ بنُ حارِثَةَ بنِ شُرَحْبِيلَ بنِ كَعْبِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ امْرِئِ القَيْسِ الكَلْبِيُّ، أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ ورَسُولُهُ ﷺ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: زَيْدُ بنُ حارِثَةَ بنِ شَراحِيلَ بنِ كَعْبِ بنِ عَبْدِ العُزّى ابنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ عامِرِ بنِ النُّعْمانِ بنِ عامِرِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ عَوْفِ بنِ كِنانةَ بنِ بَكْرِ بن عَوْفِ بنِ عُذْرةَ بنِ زيدِ اللّاتِ بنِ رُفيدةَ بنِ ثَوْرِ بنِ كَعْبِ بنِ وبْرةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأَنَسةُ مَوْلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وأبو كَبْشةَ مَوْلى رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أَنَسةُ حَبَشِيٌّ، وأبو كَبْشةَ فارِسِيٌّ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأبو مَرْثَدٍ كَنّازُ بنُ حِصْنِ بنِ يَرْبُوعِ بنِ عَمْرِو بنِ يَرْبُوعِ بنِ خَرَشةَ بنِ سَعْدِ بنِ طَرِيفِ بنِ جِلّانَ بنِ غَنْمِ بنِ غَنِيِّ بنِ يَعْصُرَ ابنِ سَعْدِ بنِ قَيْسِ بنِ عَيْلانَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: كَنّازُ بنُ حُصَيْنٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وابنُهُ مَرْثَدُ بنُ أبي مَرْثَدٍ، حَلِيفا حَمْزةَ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

وعُبَيْدةُ بنُ الحارِثِ بنِ المُطَّلِبِ، وأخَواهُ: الطُّفيلُ بنُ الحارِثِ، والحُصَيْنُ ابنُ الحارِثِ، ومِسْطَحٌ، واسْمُهُ: عَوْفُ بنُ أُثاثةَ بنِ عَبّادِ بنِ المُطَّلِبِ. اثْنا عَشَرَ رَجُلًا.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: عُثْمانُ بنُ عَفّانَ بنِ أبي العـاصِ ابـنِ أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، تَخَلَّفَ على امْرَأتِهِ رُقَيّةَ بِنْتِ رَسُولِ الله ﷺ، فضَرَبَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِسَهْمِهِ، قالَ: وأجْرِي يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «وأجْرُكَ».

وأبو حُذَيْفةَ بنُ عُتْبةَ بنِ رَبِيعةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وسالِمٌ مَوْلى أبي حُذَيْفةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْمُ أبي حُذَيْفةَ: مِهْشَمٌ.

[نَسَبُ سالِمٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وسالِمٌ سائِبةٌ لِثُبَيْتةَ بِنْتِ يَعارَ بنِ زَيْدِ بنِ عُبَيْدِ بنِ زَيْدِ ابنِ مالِكِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ، سَيَّبَتْهُ فانْقَطَعَ إلى أبي حُذَيْفةَ فتَبَنّاهُ، ويُقالُ: كانَتْ ثُبَيْتةُ بِنْتُ يَعارَ تَحْتَ أبي حُذَيْفةَ بنِ عُتْبةَ، فأعْتَقَتْ سالِمًا سائِبةً، فقِيلَ: سالِمٌ مَوْلى أبي حُذَيْفةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وزَعَمُوا أنَّ صُبَيْحًا مَوْلى أبي العاصِ بنِ أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ تَجَهَّزَ لِلْخُرُوجِ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ مَرِضَ، فحَمَلَ على بَعِيرِهِ أبا سَلَمةَ بنَ عَبْدِ الأسَدِ بنِ هِلالِ بنِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، ثُمَّ شَهِدَ صُبَيْحٌ بَعْدَ ذلك المَشاهِدَ كُلَّها مَعَ رَسُولِ الله ﷺ.

[مِنْ حُلَفاءِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ]

وَشَهِدَ بَدْرًا مِنْ حُلَفاءِ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي أَسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ: عَبْدُ اللهِ ابنُ جَحْشِ بنِ رِئابِ بنِ يَعْمَرَ بنِ صَبْرَةَ بنِ مُرَّةَ بنِ كَبِيرِ بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بن أَسَدٍ، وعُكّاشَةُ بنُ مِحْصَنِ بنِ حُرْثانَ بنِ قَيْسِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَبِيرِ بن غَنْمِ بنِ دُودانَ ابنِ أَسَدٍ، وشُجاعُ بنُ وهْبِ بنِ رَبِيعةَ بنِ أَسَدِ بنِ صُهَيْبِ بن مالِكِ بنِ كَبِيرِ بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ أَسَدٍ، وأَخُوهُ عُقْبَةُ بنُ وهْبٍ، ويَزِيدُ بن رُقَيْشِ بنِ رِئابِ بنِ يَعْمَرَ بنِ صَبْرَةَ بنِ مُرَّةَ بنِ كَبِيرِ بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بن أَسَدٍ، وأبو سِنانِ بنُ مِحْصَنِ ابنِ حُرْثانَ بنِ قَيْسٍ، أَخُو عُكّاشَةَ بنِ مِحْصَنٍ، وابنُهُ سِنانُ بنُ أَبِي سِنانٍ، ومُحْرِزُ ابنُ نَضْلَةَ بنِ عَبْدِ الله بنِ مُرَّةَ بنِ كَبِيرِ بن غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ أَسَدٍ، ورَبِيعةُ بنُ أَكْثَمَ بنِ سَخْبَرَةَ بنِ عَمْرِو بنِ لُكَيْزِ بن عامِرِ بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ أَسَدٍ.

[مِنْ حُلَفاءِ بَنِي كَبِيرٍ]

وَمِنْ حُلَفاءِ بَنِي كَبِيرِ بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ أَسَدٍ: ثَقْفُ بنُ عَمْرٍو، وأَخَواهُ: مالِكُ بنُ عَمْرٍو، ومُدْلِجُ بنُ عَمْرٍو.

قالَ ابنُ هِشامٍ: مِدْلاجُ بنُ عَمْرٍو.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وهُمْ مِنْ بَنِي حَجَرٍ، آلِ بَنِي سُلَيْمٍ. وأبو مَخْشِيٍّ، حَلِيفٌ لَهُمْ. سِتّةَ عَشَرَ رَجُلًا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أبو مَخْشِيٍّ طائِيٌّ، واسْمُهُ: سُوَيْدُ بنُ مَخْشِيٍّ.

[مِنْ بَنِي نَوْفَلٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي نَوْفَلِ بن عَبْدِ مَنافٍ: عُتْبَةُ بنُ غَزْوانَ بنِ

جابِرِ بنِ وهْبِ بنِ نُسَيْبِ بنِ مالِكِ بنِ الحارِثِ بنِ مازِنِ بنِ مَنْصُورِ بنِ عِكْرِمةَ بنِ خَصَفةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَيْلانَ، وخَبّابٌ مَوْلى عُتْبةَ بنِ غَزْوانَ رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي أسَدٍ]

وَمِنْ بَنِي أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيٍّ: الزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أسَدٍ، وحاطِبُ بنُ أبي بَلْتَعةَ، وسَعْدٌ مَوْلى حاطِبٍ. ثَلاثةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: حاطِبُ بنُ أبي بَلْتَعةَ، واسْمُ أبي بَلْتَعةَ: عَمْرٌو، لَخْمِيٌّ، وسَعْدٌ مَوْلى حاطِبٍ، كَلْبِيٌّ.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ: مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرِ بنِ هاشِمِ بن عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ، وسُوَيْبِطُ بنُ سَعْدِ بنِ حُرَيْمِلةَ ابنِ مالِكِ بنِ عُمَيْلةَ بنِ السَّبّاقِ بنِ عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي زُهْرةَ]

وَمِنْ بَنِي زُهْرةَ بنِ كِلابٍ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفِ بنِ عَبْدِ عَوْفِ بنِ عَبْدِ بنِ الحارِثِ بنِ زُهْرةَ، وسَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ - وأبو وقّاصٍ مالِكُ بنُ أُهَيْبِ ابن عَبْدِ مَنافِ بنِ زُهْرةَ - وأخُوهُ عُمَيْرُ بنُ أبي وقّاصٍ.

وَمِنْ حُلَفائِهِمْ: المِقْدادُ بنُ عَمْرِو بنِ ثَعْلَبةَ بنِ مالِكِ بنِ رَبِيعةَ بنِ ثُمامةَ بنِ مَطْرُودِ بنِ عَمْرِو بنِ سَعْدِ بنِ زُهَيْرِ بنِ ثَوْرِ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ مالِكِ بنِ الشَّرِيدِ بنِ هَزْلِ بن قائِشِ بنِ دُرَيْمِ بنِ القَيْنِ بنِ أهْوَدَ بنِ بَهْراءَ بنِ عَمْرِو

ابنِ الحافِ بنِ قُضاعةَ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: هَزْلُ بنُ قاسِ بنِ ذَرٍّ ـ ودَهِيرُ بنُ ثَوْرٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودِ بنِ الحارِثِ بنِ شَمْخِ بنِ مَخْزُومِ ابنِ صاهِلَةَ بنِ كاهِلِ بنِ الحارِثِ بنِ تَمِيمِ بنِ سَعْدِ بنِ هُذَيْلٍ، ومَسْعُودُ بنُ رَبِيعةَ بنِ عَمْرِو بنِ سَعْدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ حَمالَةَ بنِ غالِبِ بنِ مُحَلِّمِ بنِ عائِذَةَ بنِ سُبَيْعِ بنِ الهُونِ بنِ خُزَيْمةَ، مِن القارةِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: القارةُ: لَقَبٌ لَهُمْ. ويُقالُ:

قَدْ أنْصَفَ القارةَ مَنْ راماها

وَكانُوا رُماةً.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وذُو الشِّمالَيْنِ بنُ عَبْدِ عَمْرِو بنِ نَضْلةَ بنِ غُبْشانَ ابنِ سُلَيْمِ بن مِلْكانَ بنِ أفْصى بنِ حارِثَةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرٍ، مِنْ خُزاعةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وإنَّما قِيلَ لَهُ: ذُو الشِّمالَيْنِ؛ لِأنَّهُ كانَ أعْسَرَ، واسْمُهُ: عُمَيْرٌ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وخَبّابُ بنُ الأرَتِّ، ثَمانِيةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: خَبّابُ بنُ الأرَتِّ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، ولَهُ عَقِبٌ، وهُمْ بِالكُوفةِ، ويُقالُ: خَبّابٌ مِنْ خُزاعةَ.

[مِنْ بني تيمٍ]

قالَ ابن إسْحاق: ومِنْ بَنِي تَيْمِ بنِ مُرّةَ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، واسْمُهُ: عَتِيقُ ابنُ عُثْمانَ بنِ عامِرِ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: اسْمُ أبي بَكْرٍ: عَبْدُ اللهِ، وعَتِيقٌ: لَقَبٌ؛ لِحُسْنِ وجْهِهِ وعِتْقِهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وبِلالٌ مَوْلى أبي بَكْرٍ، وبِلالٌ مُوَلَّدٌ مِنْ مُوَلَّدِي بَنِي جُمَحَ، اشْتَراهُ أبو بَكْرٍ مِنْ أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ، وهُوَ بِلالُ بنُ رَباحٍ، لا عَقِبَ لَهُ، وعامِرُ بن فُهَيْرَةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عامِرُ بنُ فُهَيْرَةَ مُوَلَّدٌ مِنْ مُوَلَّدِي الأسْدِ، أَسْوَدُ، اشْتَراهُ أبو بَكْرٍ مِنْهُمْ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وصُهَيْبُ بنُ سِنانٍ، مِن النَّمِرِ بنِ قاسِطٍ.

[نَسَبُ النَّمِرِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: النَّمِرُ: ابنُ قاسِطِ بنِ هِنْبِ بنِ أفْصى بنِ جَدِيلَةَ بنِ أَسَدِ بن رَبيعَةَ بنِ نِزارٍ، ويُقالُ: أفْصى بنُ دُعْمِيِّ بنِ جَدِيلَةَ بنِ أَسَدِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ نِزارٍ، ويُقالُ: صُهَيْبٌ مَوْلى عَبْدِ اللهِ بنِ جُدْعانَ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمٍ، ويُقالُ: إنَّهُ رُومِيٌّ. فقالَ بَعْضُ مَنْ ذَكَرَ أنَّهُ مِن النَّمِرِ بنِ قاسِطٍ: إنَّما كانَ أَسِيرًا في الرُّومِ فاشْتُرِيَ مِنْهُمْ. وجاءَ في الحَدِيثِ عَن النَّبِيِّ ﷺ: «صُهَيْبٌ سابِقُ الرُّومِ».
قالَ ابنُ إسْحاقَ: وطَلْحةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عُثْمانَ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ ابنِ تَيْمٍ، كانَ بِالشَّأْمِ، فقَدِمَ بَعْدَ أنْ رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَدْرٍ، فكَلَّمَهُ، فضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ، فقالَ: وأجْرِي يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: «وأجْرُكَ». خَمْسةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ بنِ مُرَّةَ: أبو سَلَمَةَ بنُ

عَبْدِ الأَسَدِ، واسْمُ أبي سَلَمَةَ: عَبْدُ الله بنُ عَبْدِ الأسَدِ بنِ هِلالِ بن عَبْدِ الله ابنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، وشَمّاسُ بنُ عُثْمانَ بنِ الشَّرِيدِ بنِ سُوَيْدِ بنِ هَرْمِيِّ بنِ عامِرِ بنِ مَخْزُومٍ.

[سَبَبُ تَسْمِيةِ الشَّمّاسِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْمُ شَمّاسٍ: عُثْمانُ، وإنَّما سُمِّيَ شَمّاسًا؛ لِأَنَّ شَمّاسًا مِن الشَّمامِسةِ قَدِمَ مَكّةَ في الجاهِلِيّةِ، وكانَ جَمِيلًا، فعَجِبَ النّاسُ مِنْ جَمالِهِ، فقالَ عُتْبةُ بنُ رَبِيعةَ ـ وكانَ خالَ شَمّاسٍ ـ: ها أنا آتِيكُمْ بِشَمّاسٍ أحْسَنَ مِنْهُ، فأتى بِابنِ أُخْتِهِ عُثْمانَ بنِ عُثْمانَ، فسُمِّيَ: شَمّاسًا، فيما ذَكَرَ ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ وغَيْرُهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والأَرْقَمُ بنُ أبي الأَرْقَمِ، واسْمُ أبي الأَرْقَمِ: عَبْدُ مَنافِ ابنِ أسَدٍ، وكانَ أسَدٌ يُكَنّى: أبا جُنْدُبٍ بنَ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، وعَمّارُ بن ياسِرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَمّارُ بنُ ياسِرٍ، عَنْسِيٌّ، مِنْ مَذْحِجَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومُعَتِّبُ بنُ عَوْفِ بنِ عامِرِ بنِ الفَضْلِ بنِ عَفيفِ بنِ كُلَيْبِ بنِ حُبْشِيّةَ بن سَلُولَ بنِ كَعْبِ بنِ عَمْرٍو، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ خُزاعةَ، وهُوَ الَّذي يُدْعى: عَيْهامةَ. خَمْسةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي عَدِيٍّ وحُلَفائِهِمْ]

وَمِنْ بَنِي عَدِيٍّ بنِ كَعْبٍ: عُمَرُ بنُ الخَطّابِ بنِ نُفيلِ بن عَبْدِ العُزّى ابنِ رِياحِ بن عَبْدِ الله بنِ قُرْطِ بنِ رَزاحِ بنِ عَدِيٍّ، وأخُوهُ زَيْدُ بنُ الخَطّابِ،

ومِهْجَعٌ مَوْلى عُمَرَ بنِ الخَطّابِ، مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ، وكانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ مِن المُسْلِمِينَ بَيْنَ الصَّفينِ يَوْمَ بَدْرٍ؛ رُمِيَ بِسَهْمٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: مِهْجَعٌ مِنْ عَكِّ بنِ عَدْنانَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعَمْرُو بنُ سُراقةَ بنِ المُعْتَمِرِ بنِ أَنَسِ بنِ أذاةَ بنِ عَبْدِ الله بنِ قُرْطِ بنِ رِياحِ بنِ رَزاحِ بنِ عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ، وأَخُوهُ عَبْدُ الله ابنُ سُراقةَ. وواقِدُ بنُ عَبْدِ الله بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ عَرِينِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ يَرْبُوعِ ابنِ حَنْظَلةَ بنِ مالِكِ بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ تَمِيمٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ، وخَوْلِيُّ بنُ أَبي خَوْلِيٍّ، ومالِكُ بنُ أَبي خَوْلِيٍّ، حَلِيفانِ لَهُمْ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أبو خَوْلِيٍّ مِنْ بَنِي عِجْلِ بنِ لُجَيْمِ بنِ صَعْبِ بنِ عَلِيِّ بنِ بَكْرِ بنِ وائِلٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعامِرُ بنُ رَبِيعةَ حَلِيفُ آلِ الخَطّابِ، مِنْ عَنْزِ بنِ وائِلٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَنْزُ بنُ وائِلِ بنِ قاسِطِ بنِ هِنْبِ بنِ أَفْصى بنِ جَدِيلةَ ابنِ أَسَدِ بنِ رَبِيعةَ بنِ نِزارٍ، ويُقالُ: أَفْصى بنُ دُعْمِيِّ بنِ جَدِيلةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعامِرُ بنُ البُكَيْرِ بنِ عَبْدِ يالِيلَ بنِ ناشِبِ بنِ غِيَرَةَ، مِنْ بَنِي سَعْدِ بنِ لَيْثٍ، وعاقِلُ بنُ البُكَيْرِ، وخالِدُ بنُ البُكَيْرِ، وإياسُ بنُ البُكَيْرِ، حُلَفاءُ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ، وسَعِيدُ بنُ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيلِ بنِ عَبْدِ العُزّى ابنِ عَبْدِ الله بنِ قُرْطِ بنِ رِياحِ بنِ رَزاحِ بنِ عَدِيِّ بنِ كَعْبٍ، قَدِمَ مِن الشَّأْمِ بَعْدَما قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ بَدْرٍ، فكَلَّمَهُ، فضَرَبَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِسَهْمِهِ، قالَ: وأَجْرِي يا رَسُولَ الله؟ قالَ: «وأَجْرُكَ». أَرْبَعةَ عَشَرَ رَجُلًا.

[مِنْ بَنِي جُمَحَ وحُلَفائِهِمْ]

وَمِنْ بَنِي جُمَحَ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ: عُثْمانُ بنُ مَظْعُونِ بنِ حَبِيبِ بن وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ، وابنُهُ: السّائِبُ بنُ عُثْمانَ، وأخَواهُ: قُدامةُ بنُ مَظْعُونٍ، وعَبْدُ الله بنُ مَظْعُونٍ، ومَعْمَرُ بنُ الحارِثِ بنِ مَعْمَرِ بنِ حَبِيبِ بن وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ. خَمْسةُ نَفَرٍ.

وَمِنْ بَنِي سَهْمِ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبِ بنِ خُنَيْسِ بنِ حُذافةَ ابنِ قَيْسِ بن عَدِيِّ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي عامِرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: مِنْ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ: أبو سَبْرَةَ بنُ أبي رُهْمِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ أبي قَيْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ ابن مالِكِ بنِ حِسْلٍ عَبْدِ الله بنِ مَخْرَمَةَ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ أبي قَيْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بْن نَصْرِ بنِ مالِكٍ، وعَبْدُ الله بنُ سُهَيْلِ بنِ عَمْرِو بنِ عَبْدِ شَمْسِ ابنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بن مالِكِ بنِ حِسْلٍ، كانَ خَرَجَ مَعَ أبيهِ سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو، فلَمّا نَزَلَ النّاسُ بَدْرًا فرَّ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فشَهِدَها مَعَهُ، وعُمَيْرُ بنُ عَوْفٍ مَوْلى سُهَيْلِ بنِ عَمْرٍو، وسَعْدُ بنُ خَوْلةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ. خَمْسةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: سَعْدُ بنُ خَوْلةَ، مِن اليَمَنِ.

[مِنْ بَنِي الحارِثِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ فِهْرٍ: أبو عُبَيْدةَ بنُ الجَرّاحِ، وهُوَ عامِرُ بنُ عَبْدِ الله بنِ الجَرّاحِ بنِ هِلالِ بنِ أُهَيْبِ بنِ ضَبّةَ بنِ الحارِثِ،

وعَمْرُو بنُ الحارِثِ بنِ زُهَيْرِ بنِ أبي شَدّادِ بنِ رَبِيعةَ بنِ هِلالِ بنِ أُهَيْبِ بنِ ضَبّةَ بنِ الحارِثِ، وسُهَيْلُ بنُ وهْبِ بنِ رَبِيعةَ بنِ هِلالِ بنِ أبي أُهَيْبِ بنِ ضَبّةَ بنِ الحارِثِ، وأخُوهُ صَفْوانُ بنُ وهْبٍ، وهُما ابنا بَيْضاءَ، وعَمْرُو بنُ أبي سَرْحِ بنِ رَبِيعةَ بنِ هِلالِ بنِ أُهَيْبِ بنِ ضَبّةَ بنِ الحارِثِ. خَمْسةُ نَفَرٍ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ في السُّورةِ: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ ﴾، يَعْنِي: بِإحْلالِ الغَنائِمِ لِمُحَمّدٍ وأُمّتِهِ، ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٦٨]، فقالَ رسول الله ﷺ: «لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذابُكُمْ أدْنى مِنْ هذهِ الشّجَرةِ»، وقالَ: «لَوْ نَزَلَ عَذابٌ ما نَجا مِنْهُ إلّا عُمَرُ»(١)؛ لِأنّ عُمَرَ كَانَ قَدْ أشارَ عَلَيْهِ بِقَتْلِ الْأُسارى وَالْإِثْخانِ في القَتْلِ، وأشارَ أبُو بَكْرٍ بالإبْقاءِ، فأخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَوْلِ أبِي بَكْرٍ، ثُمّ نَزَلَتِ الْآيةُ: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [الأنفال: ٦٩].

ورَوى أبُو عُبَيْدٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي عُبَيْدةَ، عن عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ(٢) قالَ: لَمّا كانَ يَوْمُ بَدْرٍ، وأخَذَ رَسولُ الله ﷺ الأُسارى، فقالَ(٣): «ماذا تَرَوْنَ؟» فقالَ

---

(١) هذا جزء من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١: ٣٣٦)، حديث رقم (٢٠٨)، و(١: ٣٤٥)، حديث رقم (٢٢١)، وأخرجه مسلم، برقم (١٧٦٣)، وأخرجه أبو داود برقم (٢٦٩٠)، والترمذي برقم (٣٠٨١)، وغيرهم.

(٢) في (أ): «من طريق عبد الله بن عبد الله بن عتبة»، وفي (ف): «من طريق عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة»، وفي (ب)، (ج): «من طريق عبيد الله بن عتبة». وفي (ص): «من طريق عبد الله ابن عتبة بن مسعود». والمثبت عن «الأموال» (١٢٤). وانظر الحديث في «تفسير ابن كثير» (٤: ١٦٠٨)، وتخريجنا له هناك.

(٣) في (ص): «وقال».

عُمَرُ: يا رَسُولَ اللهِ، كَذَّبُوك وأَخْرَجُوك، اضْرِبْ أعْناقَهُمْ، وقالَ عَبْدُ اللهِ بنُ رَواحَةَ: يا رَسُولَ اللهِ، أَنْتَ بِوادٍ كَثِيرِ الحَطَبِ، فأَضْرِمْهُ نارًا، ثُمّ أَلْقِهِمْ فيها، فقالَ العَبّاسُ: قَطَعَ اللهُ رَحِمَك، فقالَ أبُو بَكْرٍ: يا رَسُولَ اللهِ، عِتْرَتُك[١] وأَصْلُك وقَوْمُك، تَجاوَزْ عَنْهُمْ، يَسْتَنْقِذْهُم اللهُ بِك مِن النّارِ، ثُمّ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فمِنْ قائِلٍ يَقُولُ: القَوْلُ ما قالَ عُمَرُ، ومِنْ قائِلٍ يَقُولُ: القَوْلُ ما قالَ أبُو بَكْرٍ، فخَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ فقالَ[٢]: «ما قَوْلُكُمْ في هَذَيْنِ الرّجُلَيْنِ؟! [إنّ][٣] مَثَلَهُما كَمَثَلِ إخْوةٍ لَكُمْ كانُوا مِن قَبْلِكُمْ؛ قالَ نُوحٌ: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] الآيَةَ، وقالَ مُوسى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [يونس: ٨٨] الآيَةَ، وقالَ عِيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] الآيَةَ، وقالَ إبْراهِيمُ: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم: ٣٦] الآيَةَ، وإنّ اللهَ يَشُدُّ[٤] قُلُوبَ رِجالٍ، حَتّى تَكُونَ كالحَجَرِ، ويُلِينُ قُلُوبَ رِجالٍ، حَتّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِن اللّبَنِ - ويُرْوى مِن اللّينِ - وإنّ بِكُمْ عَيْلَةً، فلا يُفْلِتْ مِنْهُمْ أحَدٌ إلّا بِفِداءٍ أوْ ضَرْبةِ عُنُقٍ». قالَ عَبْدُ اللهِ: فقلتُ: إلّا سهيلَ[٥] بنَ بَيْضاءَ، وقَدْ كُنْتُ سَمِعْتُه يَذْكُرُ الإسْلامَ، قالَ: فجَعَلْتُ أَنْظُرُ إلى السّماءِ مَتى تَقَعُ عَلَيَّ الحِجارةُ؟ قُلْت: أُقَدِّمُ القَوْلَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتّى قال: «إلّا سُهَيْلَ[٦] بْنَ بَيْضاءَ». ففَرِحتُ بذلك. قالَ أبُو عُبَيْدٍ: أمّا أَهْلُ المَعْرِفةِ بِالمَغازِي فَإنَّهُم يَقُولونَ: إنَّما

---

(١) في (أ)، (ب): «عشيرتك».

(٢) في (أ): «وقال».

(٣) ليس في (ب).

(٤) في (أ)، (ف): «ليشد»، وفي (ب): «ليشدُدْ».

(٥) كذا في (أ)، (ف)، وفي غيرها: «سهل».

(٦) كذا في (أ)، (ف)، وفي غيرها: «سهل».

هُوَ سَهْلُ بْنُ بَيْضاءَ أَخُو سُهَيْلٍ، فأَمّا سُهَيْلٌ فكانَ مِن المُهاجِرِينَ، وقَدْ شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَدْرًا[(١)].

ثُمّ إنّ رَسولَ الله ﷺ لَمْ يَفْدِ بَعْدَها بِمالٍ؛ إنّما كانَ يَمُنُّ أَوْ يُفادِي أَسِيرًا بأَسِيرٍ، كَذَلِكَ قالَ أَبُو عُبَيْدٍ[(٢)]. وذَلِكَ ـ واللهُ أعلم ـ لِقَوْلِهِ سبحانه: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٦٧]، يَعْنِي: الفِداءَ بِالمالِ، وإِنْ كانَ قَدْ أَحَلّ ذَلِك وطَيّبَهُ، ولَكِنْ ما فعَلَهُ الرّسُولُ بَعْدَ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِن المَنّ أو المُفاداةِ بالرّجالِ؛ أَلا تَرى إلى قَوْلِهِ سُبْحانَهُ: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ [محمد: ٤]؛ كَيْفَ قَدّمَ المَنّ على الفِداءِ؟ فلِذَلِكَ اخْتارَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ [عليه][(٣)] وقَدّمَهُ.

وأَمّا مَذاهِبُ[(٤)] الفُقَهاءِ في هَذا؛ فالأَوْزاعِيُّ وسُفْيانُ ومالِكٌ يَكْرَهُونَ أَخْذَ المالِ في الأَسِيرِ؛ لِما في ذَلِكَ مِنْ تَقْوِيةِ العَدُوِّ بالرّجالِ، واخْتَلَفُوا في الصّغِيرِ إذا كانَ مَعَهُ أُمُّهُ؛ فأَجازَ فِداءَهُ بِالمالِ أَهْلُ العِراقِ، واخْتُلِفَ فيهِ عَنْ مالِكٍ، والصّحِيحُ مَنْعُهُ.

وكانَ العَبّاسُ عَمُّ رسولِ اللهِ[(٥)] ﷺ في الأَسْرى، ففَدى نَفْسَهُ، وفَدى[(٦)] ابنَيْ أَخِيهِ، فقالَ لِلنّبِيّ ﷺ: لَقَدْ تَرَكْتَنِي أَتَكَفّفُ قُرَيْشًا فقِيرًا مُعْدَمًا، فقالَ له رسولُ الله ﷺ: «أَيْنَ الذّهَبُ[(٧)] الّتِي تَرَكْتَها عِنْدَ أُمِّ الفَضْلِ وعَدَدُها كَذا وكَذا،

---

(١) «الأموال» (ص: ١٢٤-١٢٥). وانظر: «المغازي» للواقدي: (١: ١١٠).
(٢) «الأموال» (ص: ١٢٧-١٢٨).
(٣) عن (ص).
(٤) في (أ)، (ب)، (ف): «مذهب».
(٥) في (ف): «عم النبي».
(٦) في (أ): «ابن أخيه». وابنا أخيه هما: نوفل بن الحارث، وعقيل بن أبي طالب.
(٧) في (أ)، (ج): «الذهب الذي تركتها»، وفي حاشية (أ): «تركته». وتأنيث الذهب لغة أهل =

وقُلْتَ لَها: كَيْتَ وكَيْتَ؟»، فقالَ: مَنْ أعْلَمَك بِهَذا يا ابنَ أخِي؟ فقالَ: «اللهُ»، فقالَ: هذا حَدِيثٌ ما اطّلَعَ عَلَيْهِ إلّا عالِمُ السَّرائرِ، أشْهَدُ أنّك رَسُولُ اللهِ، فحِينَئِذٍ أسْلَمَ العَبّاسُ[1].

وكانَ في الأسْرى مَنْ يَكْتُبُ، ولَمْ يَكُنْ في الأنْصارِ أحَدٌ[2] يُحْسِنُ الكِتابةَ، فكانَ مِنْهُمْ مَنْ لا مالَ لَهُ، فيُقْبَلُ مِنْهُ أنْ يُعَلّمَ عَشَرةً مِن الغِلْمانِ الكِتابةَ، ويُخَلّى سَبِيلُهُ، فيَوْمَئِذٍ تَعَلّمَ الكِتابةَ زَيْدُ بنُ ثابتٍ في جَماعةٍ مِنْ غِلْمةِ الأنْصارِ.

وهذهِ عُيُونُ أخْبارٍ، وصَلْتُها بِما ذَكرَهُ ابنُ إسْحاقَ في يَوْمِ بَدْرٍ، جَمَعْتُها مِنْ كُتُبِ السّيَرِ والتّفاسِيرِ ولَخّصْتُها.

فَصْلٌ

وذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ الخَيْلَ الّتِي كانَتْ لِلْمُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، فذكر بَعْزَجةَ فرسَ المِقداد، واليَعْسُوبَ فرَسَ الزُّبَيْرِ، وفَرَسًا لِمَرْثَدٍ الغَنَوِيّ. ولَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ خَيْلٌ إلّا هذهِ، وفي فرَسِ الزُّبَيْرِ اخْتِلافٌ.

وقَدْ كانَ لِرَسولِ الله ﷺ خَيلٌ بَعْدَ هَذا اليَوْمِ، مِنْها: السَّكْبُ، واللِّزازُ، [والمُرْتَجِزُ][3]، واللُّحَيفُ، وقَدْ ذَكرَهُ البُخارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبّاسِ بنِ سَهْلٍ، عَنْ أبِيهِ، قالَ: ويُقالُ فيهِ: اللُّخَيفُ بِالخاءِ[4] المُعْجَمةِ. [وقالَ القُتَبيُّ: كانَ المُرْتَجِزُ فرَسًا اشْتَراهُ النبي ﷺ مِنْ أعْرابِيٍّ، ثُمّ أنْكرَ الأعْرابِيّ أنْ يَكُونَ

= الحجاز، وسائر العرب يقولون: هو الذهب. انظر: «تاج العروس» (ذهب).

(١) انظر: «دلائل النبوة» للبيهقي: (٣: ١٤٢-١٤٣).

(٢) في (ب): «من يحسن».

(٣) ليس في (ب).

(٤) «صحيح البخاري»، الحديث رقم (٢٨٥٥).

باعَها(١) مِنْهُ، فشَهِدَ خُزَيْمةُ بنُ ثابتٍ على الأعْرابيّ بالبَيْعِ، فقالَ لَهُ النّبيّ ﷺ: «بِمَ تَشْهَدُ؟» قالَ: أشْهَدُ بِصِدْقِك يا رَسُولَ اللهِ، فجُعِلَتْ شَهادَتُهُ شَهادةَ رَجُلَيْنِ(٢)، والحَدِيثُ(٣) مَشْهُورٌ، غَيْرَ أنّ في «مُسْنَدِ الحارِثِ» زِيادةً فيهِ؛ وهِيَ أنّ النبيَّ ﷺ رَدّ الفَرَسَ على الأعْرابيّ، وقالَ: «لا بارَكَ اللهُ لَك فيها»، فأصْبَحَتْ مِن الغَدِ شائِلةً بِرِجْلِها؛ أيْ: قَدْ ماتَتْ](٤).

[قالَ الطّبَرِيُّ: ومِنْ خَيْلِهِ أيضًا الضَّيريسُ(٥)، ومُلاوِحٌ، والوَرْدُ، وهُو الّذِي وهَبَهُ لِعُمَرَ، فحملَ عليهِ عمرُ رجلًا في سبيلِ اللهِ، وحَدِيثُهُ في «المُوطّأِ»(٦)](٧).

وكانَ لَهُ عَلَيْهِ السّلامُ مِن الدُّرُوعِ: ذاتُ الفُضُولِ، وأُخْرى يُقالُ لَها: فِضّة، ورايةٌ يُقالُ لَها: العُقابُ، وقَوْسانِ إحْداهُما: الصّفْراءُ، والأُخْرى: الزّوْراءُ، وسَيْفُهُ: ذُو الفِقارِ؛ لِفِقْراتٍ كانَتْ في وسَطِهِ، وكانَ لِنُبَيْهٍ ومُنَبّهٍ ابنَي الحَجّاجِ،

(١) في (ب): «باعه». والفرس يُذكَّر ويُؤنث.
(٢) انظر: «المعارف» لابن قتيبة: (ص: ١٤٩).
(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأقضية: (٣: ٣٠٨)، والنسائي في كتاب البيوع: (٧: ٣٠١-٣٠٢)، والإمام أحمد في «مسنده» (٥: ٢١٥-٢١٦).
(٤) مكانه في (ص)، (ج): «وقيل: إن المرتجز هو الذي اشتراه من الأعرابي، فأنكر الأعرابي البيع، فشهد خزيمة بن ثابت بتصديق النبي عليه السلام، فجُعِلت شَهادته شهادة رجلينِ. وفي «مسند الحارث»: أنه عليه السلام رده إلى الأعرابي وقال: «لا بارك الله لك فيه». فأصبحت الفرس شائلة برِجلها، أي: ميتةً».
(٥) كذا في النسخ، وفي «سبل الهدى» (٧: ٦٤١)، و«تاج العروس»: «الضَّيرسُ».
(٦) «الموطأ»، كتاب الزكاة، باب اشتراء الصدقة والعود فيها: (١: ٢٨٢). وأخرجه البخاري أيضًا في كتاب الزكاة، «فتح الباري» (٣: ٣٥٢-٣٥٣). ولم يسمّ الفرس في الحديث، ونقل ابن حجر عن ابن سعد في «طبقاته» أنه الورد.
(٧) تقدم هذا النص في (ص)، (ج) على نص القتبي السابق.

سُلِباهُ يَوْمَ بَدْرٍ، ويُقالُ: إنّ أَصْلَهُ كانَ مِنْ حَدِيدةٍ وُجِدَتْ مَدْفُونةً عِنْدَ الكَعْبَةِ، فصُنِعَ مِنْها ذُو الفِقارِ، وصَمْصامةُ عَمْرِو بنِ مَعْدِي كَرِبَ الّتِي وهَبَها لِخالِدِ بنِ سَعِيدٍ، وكانَتْ مَشْهُورةً عِنْدَ العَرَبِ[١]، وكانَ[٢] لَهُ عليه السلام حَرْبَةٌ يُقالُ لَها: النّبْعةُ.

وذَكَرَ العُقَيْلِيُّ[٣] في كِتابِ «الضُّعَفاءِ» جُمْلةً مِنْ أسماءِ آلاتِهِ عَلَيْهِ السّلامُ في حَدِيثٍ أَسْنَدَهُ، فمِنْها[٤]: الجَمْعُ؛ اسْمُ كِنانَتِهِ، والمُدِلّة؛ اسمٌ لمرآةٍ كان ينظرُ فيها، وقَضِيبٌ يُسْمّى: المَمْشُوقُ، وذَكَرَ الجَلَمَيْنِ[٥]، ونَسِيتُ ما قالَ في اسْمِهِ.

وأمّا بَغْلَتُهُ دُلْدُلُ، وحِمارُهُ عُفَيْرٌ، فقَدْ ذَكَرْناهُما في كِتابِ [«التعريف و][٦] الإعْلامِ»[٧]، وذَكَرْنا ما كانَ في أَمْرِ الحِمارِ مِن الآياتِ، وزِدْنا[٨] هنالك في اسْتِقْصاءِ هَذا البابِ، ورَأيْنا ألّا نُخلي هذا الكتاب مما ذكرنا هنالك، أوْ أكْثَرَهُ، أمّا دُلْدُلُ فماتَتْ في زَمَنِ مُعاوِيةَ، وهِيَ الّتِي أهْداها إلَيْهِ المُقَوْقِسُ، وأمّا اليَعْفُورُ فطَرَحَ نَفْسَهُ في بِئْرٍ يَوْمَ ماتَ النّبِيُّ ﷺ فماتَ[٩]، وذَكَرَ ابنُ فُورَكَ في كِتابِ

---

(١) انظر: «سبل السلام» (٧: ٥٨٢-٥٨٤).

(٢) في (ف): «وكانت».

(٣) أبو جعفر محمد بن عمرو الحافظ، حجازي، تُوفِّي بمكة سنة (٣٢٢هـ). انظر: «العبر» للذهبي: (٢: ١٩٤).

(٤) في(ف): «منها».

(٥) في (أ): «الجلبين»، وفي (ص)، (ج): «الجملين». والجلمان ـ وإعرابه إعراب المثنى أو على النون ـ: ما يُجزُّ به ويُقطع، ويقال له: القلمان، والمقلام، والقلم، والجلم.

(٦) عن (أ)، (ب)، (ف).

(٧) انظر: «التعريف والإعلام» عند آية النحل (٨).

(٨) في (ص): «وذكرنا»، وفي (ج): «وزنا».

(٩) انظر: «أسد الغابة» (١: ٣٧).

«الفُصُولِ» أَنّهُ كانَ مِنْ مَغانِمِ خَيْبَرَ، وأَنّهُ كَلّمَ النّبيّ ﷺ، وقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، أنا زِيادُ بنُ شِهابٍ، وقَدْ كانَ في آبائِي سِتُّونَ حِمارًا كُلُّهُمْ رَكِبَهُ نَبِيٌّ، فارْكَبنِي أَنْتَ. وزادَ الجُوَيْنِيّ في كِتابِ «الشّامِلِ»: أن النبي ﷺ كان إذا أرادَ أَحَدًا مِنْ أَصْحابِهِ أَرْسَلَ هَذا الحِمارَ إِلَيْهِ، حَتّى[1] يَضْرِبَ بِرَأْسِهِ البابَ، فيَخْرُجُ الرّجُلُ، فيَعْلَمُ أنّهُ[2] قَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ، فيَأْتِي النّبيَّ ﷺ.

وكانَ لَهُ تُرْسٌ ـ فيما ذَكَرَ الطّبَرِيّ[3] ـ فيهِ تِمْثالُ كَرَأْسِ الكَبْشِ، وكانَ عليه السلام يَكْرَهُهُ فيهِ، فأَصْبَحَ ذاتَ يومٍ قد[4] امّحى، ولم يبقَ منه أثرٌ.

وأما رداؤه عَلَيْهِ السّلامُ، فكانَ يُقالُ لَهُ: الحَضْرَمِيُّ، وبِهِ كانَ يَشْهَدُ العِيدَيْنِ، كانَ[5] طُولُهُ أَرْبَعَ أَذْرُعٍ، وعَرْضُهُ ذِراعانِ وشِبْرٌ[6]. [وكانَت لَهُ قَصْعةٌ عَظِيمةٌ يطعمُ فيها][7] يُقالُ لَها: الغَرّاءُ، [وقَعَ ذِكْرُها في السُّنن][8].

فهذِهِ جُمْلةٌ تَشْرَئِبُّ[9] إلى [مَعْرِفَتِها][10] أَنْفُسُ الطّالِبِينَ، وتَرْتاحُ بِالمُذاكَرةِ بِها قُلُوبُ المُتَأَدِّبِينَ، وكُلُّ ما كانَ مِنْ بابِ المَعْرِفةِ بِنَبِيّنا عَلَيْهِ السّلامُ، ومُتّصِلًا

(١) في (ف): «فيذهب حتى».
(٢) في (ف): «أن».
(٣) «تاريخ الرسل والملوك» (٣: ١٧٨).
(٤) في (ف): «وقد».
(٥) في (ف): «وكان».
(٦) رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (ص: ٢٦٤).
(٧) في (أ)، (ب)، (ف): «وكان له جفنة عظيمة يحملها أربعة رجال...».
(٨) في (أ)، (ب)، (ف): «جرى ذكرها في حديث خرجه أبو داود». والحديث أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة: (٣: ٣٤٨-٣٤٩).
(٩) في (ج): «تتوق».
(١٠) سقط من (ص).

بِأَخْبارِ سِيرَتِهِ؛ فهو مِمّا يُؤنِقُ الأَسْماعَ، ويَهُزُّ بِأَرْواحِ المَحَبّةِ الطِّباعَ، والحَمْدُ للهِ على ما عُلِمَ مِنْ ذَلِكَ.

[عَدَدُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِن المُهاجِرِينَ]

فَجَمِيعُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِن المُهاجِرِينَ، ومَنْ ضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَهْمِهِ وأَجْرِهِ؛ ثَلاثةٌ وثَمانُونَ رَجُلًا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ ـ غَيْرَ ابنِ إسْحاقَ ـ يَذْكُرُونَ في المُهاجِرِينَ بِبَدْرٍ في بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ: وهْبَ بنَ سَعْدِ بنِ أبي سَرْحٍ، وحاطِبَ ابنَ عَمْرٍو، وفي بَنِي الحارِثِ بنِ فِهْرٍ: عِياضَ بنَ زُهَيْرٍ.

الأَنْصارُ ومَنْ مَعَهُمْ

[مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وشَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِن المُسْلِمِينَ، ثُمَّ مِن الأَنْصارِ، ثُمَّ مِن الأَوْسِ بنِ حارِثَةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ بنِ جُشَمِ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ الأَوْسِ:

سَعْدُ بنُ مُعاذِ بنِ النُّعْمانِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ زَيْدِ بنِ عَبْدِ الأَشْهَلِ، وعَمْرُو بنُ مُعاذِ بنِ النُّعْمانِ، والحارِثُ بنُ أَوْسِ بنِ مُعاذِ بنِ النُّعْمانِ، والحارِثُ بنُ أَنَسِ بنِ رافِعِ بن امْرِئِ القَيْسِ.

[مِنْ بَنِي عُبَيْدِ بنِ كَعْبٍ وحُلَفائِهِمْ]

وَمِنْ بَنِي عُبَيْدِ بنِ كَعْبِ بنِ عَبْدِ الأَشْهَلِ: سَعْدُ بنُ زَيْدِ بنِ مالِكِ بنِ عُبَيْدِ.

وَمِنْ بَنِي زَعُورا بنِ عَبْدِ الأشْهَلِ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: زَعْوَرا ـ سَلَمَةُ بنُ سَلامةَ بنِ وقْشِ بنِ زُغْبةَ، وعَبّادُ بنُ بِشْرِ بنِ وقْشِ بنِ زُغْبةَ بنِ زَعُورا، وسَلَمةُ بنُ ثابِتِ بنِ وقْشٍ، ورافِعُ بنُ يَزِيدَ بنِ كُرْزِ بنِ سَكَنِ بنِ زَعُورا، والحارِثُ بنُ خَزْمةَ بنِ عَدِيِّ بنِ أُبَيِّ بنِ غَنْمِ بنِ سالِمِ بنِ عَوْفِ ابنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ، ومُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمةَ بنِ خالِدِ بنِ عَدِيِّ بنِ مَجْدَعةَ بنِ حارِثةَ بنِ الحارِثِ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي حارِثةَ بنِ الحارِثِ، وسَلَمةُ بنُ أسلمَ بنِ حَرِيشِ بنِ عَدِيِّ بنِ مَجْدَعةَ بنِ حارِثةَ بنِ الحارِثِ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي حارِثةَ بنِ الحارِثِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أسْلَمُ بنُ حَرِيسِ بنِ عَدِيٍّ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأبو الهَيْثَمِ بنُ التَّيِّهانِ، وعُبَيْدُ بنُ التَّيِّهانِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: عَتِيكُ بنُ التَّيِّهانِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعَبْدُ اللهِ بنُ سَهْلٍ. خَمْسةَ عَشَرَ رَجُلًا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَبْدُ اللهِ بنُ سَهْلٍ: أخُو بَنِي زَعُورا، ويُقالُ: مِنْ غَسّانَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومَنْ بَنِي ظَفَرٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي سَوادِ بنِ كَعْبٍ، وكَعْبٌ: هُوَ ظَفَرٌ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ظَفَرُ بنُ الخَزْرَجِ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بن الأوْسِ ـ:

قَتادةُ بنُ النُّعْمانِ بنِ زَيْدِ بنِ عامِرِ بنِ سَوادٍ، وعُبَيْدُ بنُ أوْسِ بنِ مالِكِ ابنِ سَوادٍ. رَجُلانِ.

[سَبَبُ تَسْمِيةِ عُبَيْدٍ بِمُقَرِّنٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: عُبَيْدُ بنُ أَوْسٍ الَّذي يُقالُ لَهُ: مُقَرِّنٌ؛ لِأَنَّهُ قَرَنَ أَرْبَعةَ أَسْرى في يَوْمِ بَدْرٍ. وهُوَ الَّذي أَسَرَ عَقِيلَ بنَ أَبي طالِبٍ يَوْمَئِذٍ.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ بن رَزاحٍ وحُلَفائِهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي عَبْدِ بنِ رَزاحِ بنِ كَعْبٍ: نَصْرُ بنُ الحارِثِ ابنِ عَبْدٍ، ومُعَتِّبُ بنُ عَبْدٍ.

وَمِنْ حُلَفائِهِمْ، مِنْ بَلِيٍّ: عَبْدُ اللهِ بنُ طارِقٍ. ثَلاثَةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي حارِثَةَ]

وَمِنْ بَنِي حارِثَةَ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ الأَوْسِ: مَسْعُودُ بنُ سَعْدِ بنِ عامِرِ بنِ عَدِيِّ بنِ جُشَمَ بنِ مَجْدَعةَ بنِ حارِثَةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: مَسْعُودُ بنُ عَبْدِ سَعْدٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأبو عَبْسِ بنُ جَبْرِ بنِ عَمْرِو بنِ زَيْدِ بنِ جُشَمَ بنِ مَجْدَعةَ بن حارِثَةَ.

وَمِنْ حُلَفائِهِمْ، ثُمَّ مِنْ بَلِيٍّ: أبو بُرْدَةَ بنُ نِيارٍ، واسْمُهُ: هانِئُ بنُ نِيارِ بنِ عَمْرِو بنِ عُبَيْدِ بنِ كِلابِ بنِ دُهْمانَ بنِ غَنَمِ بنِ ذُبْيانَ بنِ هُمَيْمِ بنِ كاهِلِ ابنِ ذُهْلِ بنِ هُنَيِّ بنِ بَلِيِّ بنِ عَمْرِو بنِ الحافِ بنِ قُضاعةَ. ثَلاثَةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي عَمْرٍو]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ مالِكِ بنِ الأَوْسِ، ثُمَّ مِنْ

بَني ضُبَيْعَةَ بن زَيْدِ بن مالِكِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفٍ: عاصِمُ بنُ ثابِتِ ابنِ قَيْسٍ، وقَيْسٌ أبو الأقْلَحِ بنُ عِصْمةَ بنِ مالِكِ بنِ أمةَ بنِ ضُبَيْعةَ، ومُعَتِّبُ ابنُ قُشَيْرِ بنِ مُلَيْلِ بنِ زَيْدِ بنِ العَطّافِ بنِ ضُبَيْعةَ، وأبو مُلَيْلِ بنُ الأزْعَرِ ابنِ زَيْدِ بنِ العَطّافِ بن ضُبَيْعةَ، وعَمْرُو بنُ مَعْبَدِ بنِ الأزْعَرِ بنِ زَيْدِ بنِ العَطّافِ بنِ ضُبَيْعةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عُمَيْرُ بنُ مَعْبَدٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وسَهْلُ بنُ حُنَيْفِ بنِ واهِبِ بنِ العُكَيْمِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ مَجْدَعةَ بنِ الحارِثِ بنِ عَمْرٍو، وعَمْرٌو الَّذي يُقالُ لَهُ: بَحْزَجُ بنُ حَنَسِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفٍ. خَمْسةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي أُمَيّةَ]

وَمِنْ بَنِي أُمَيّةَ بنِ زَيْدِ بنِ مالِكٍ: مُبَشِّرُ بنُ عَبْدِ المُنْذِرِ بنِ زَنْبَرِ بنِ زَيْدِ بنِ أُمَيّةَ، ورِفاعةُ بنُ عَبْدِ المُنْذِرِ بنِ زَنْبَرٍ، وسَعْدُ بنُ عُبَيْدِ بنِ النُّعْمانِ ابنِ قَيْسِ بن عَمْرِو بنِ زَيْدِ بنِ أُمَيّةَ، وعُوَيْمُ بنُ ساعِدةَ، ورافِعُ بنُ عَنْجَدةَ - وعَنْجَدةُ أُمُّهُ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ - وعُبَيْدُ بنُ أبي عُبَيْدٍ، وثَعْلَبةُ بنُ حاطِبٍ.

وَزَعَمُوا أنَّ أبا لُبابةَ بنَ عَبْدِ المُنْذِرِ، والحارِثَ بنَ حاطِبٍ، خَرَجا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فرَجَّعَهُما، وأمَّرَ أبا لُبابةَ على المَدِينةِ، فضَرَبَ لَهُما بِسَهْمَيْنِ مَعَ أصْحابِ بَدْرٍ. تِسْعةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: رَدَّهُما مِن الرَّوْحاءِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحاطِبُ بنُ عَمْرِو بنِ عُبَيْدِ بنِ أُمَيّةَ، واسْمُ أبي لُبابةَ: بَشِيرٌ.

[مِنْ بَنِي عُبَيْدٍ وحُلَفائِهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي عُبَيْدِ بنِ زَيْدِ بنِ مالِكٍ: أُنَيْسُ بنُ قَتادةَ بنِ رَبِيعةَ بنِ خالِدِ بنِ الحارِثِ بنِ عُبَيْدٍ.

وَمِنْ حُلَفائِهِمْ مِنْ بَلِيٍّ: مَعْنُ بنُ عَدِيِّ بنِ الجَدِّ بنِ العَجْلانِ بنِ ضُبَيْعةَ، وثابِتُ بنُ أقْرَمَ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ عَدِيِّ بنِ العَجْلانِ، وعَبْدُ الله بنُ سَلَمةَ بنِ مالِكِ بنِ الحارِثِ بن عَدِيِّ بنِ العَجْلانِ، وزَيْدُ بنُ أسْلَمَ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ عَدِيِّ ابنِ العَجْلانِ، ورِبْعِيُّ بنُ رافِعِ بنِ زَيْدِ بنِ حارِثةَ بنِ الجَدِّ بنِ العَجْلانِ. وخَرَجَ عاصِمُ بنُ عَدِيِّ بنِ الجَدِّ بنِ العَجْلانِ، فرَدَّهُ رَسُولُ الله ﷺ، وضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ مَعَ أصْحابِ بَدْرٍ. سَبْعةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي ثَعْلَبةَ]

وَمِنْ بَنِي ثَعْلَبةَ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفٍ: عَبْدُ الله بنُ جُبَيْرِ بنِ النُّعْمانِ ابنِ أُمَيّةَ بنِ البُرَكِ ـ واسْمُ البُرَكِ: امْرُؤُ القَيْسِ ـ بنِ ثَعْلَبةَ، وعاصِمُ بنُ قَيْسٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عاصِمُ بنُ قَيْسِ بن ثابِتِ بنِ النُّعْمانِ بنِ أُمَيّةَ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بن ثَعْلَبةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأبو ضَيّاحِ بنُ ثابِتِ بنِ النُّعْمانِ بنِ أُمَيّةَ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ ثَعْلَبةَ، وأبو حَنّةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهُوَ أخُو أبي ضَيّاحٍ، ويُقالُ: أبو حَبّةَ. ويُقالُ لِامْرِئِ القَيْسِ: البُرَكُ بنُ ثَعْلَبَةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وسالِمُ بنُ عُمَيْرِ بنِ ثابِتِ بنِ النُّعْمانِ بنِ أُمَيّةَ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بن ثَعْلَبةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: ثابِت بن عَمْرِو بنِ ثَعْلَبةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والحارِثُ بنُ النُّعْمانِ بنِ أُمَيّةَ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ، وخَوّاتُ بنُ جُبَيْرِ بنِ النُّعْمانِ، ضَرَبَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ بِسَهْمٍ مَعَ أصْحابِ بَدْرٍ. سَبْعةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي جَحْجَبى وحُلَفائِهِمْ]

وَمِنْ بَنِي جَحْجَبى بنِ كُلْفةَ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفٍ: مُنْذِرُ بنُ مُحَمَّدِ بن عُقْبةَ بنِ أُحَيْحةَ بنِ الجُلاحِ بنِ الحَرِيشِ بنِ جَحْجَبى بنِ كُلْفةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: الحَرِيسُ بنُ جَحْجَبى.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ حُلَفائِهِمْ مِنْ بَنِي أُنَيْفٍ: أبو عَقِيلِ بنُ عَبْدِ الله ابنِ ثَعْلَبَةَ بن بَيْحانَ بنِ عامِرِ بنِ الحارِثِ بنِ مالِكِ بنِ عامِرِ بنِ أُنَيْفِ بنِ جُشَمَ بنِ عَبْدِ الله بن تَيْمِ بنِ إراشِ بنِ عامِرِ بنِ عُمَيْلةَ بنِ قِسْمِيلِ بنِ فرانَ بنِ بَلِيٍّ بنِ عَمْرِو بنِ الحافِ بنِ قُضاعةَ. رَجُلانِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: تَمِيمُ بنُ إراشةَ، وقِسْمِيلُ بنُ فارانَ.

[مِنْ بَنِي غَنْمٍ]

وَقالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي غَنْمِ بنِ السِّلْمِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ مالِكِ

ابنِ الأوْسِ: سَعْدُ بنُ خَيْثَمَةَ بنِ الحارِثِ بنِ مالِكِ بنِ كَعْبِ بنِ النَّحّاطِ بنِ كَعْبِ بنِ حارِثَةَ بن غَنْمٍ، ومُنْذِرُ بنُ قُدامةَ بنِ عَرْفَجةَ، ومالِكُ بنُ قُدامةَ ابنِ عَرْفَجةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَرْفَجةُ: ابنُ كَعْبِ بنِ النَّحّاطِ بنِ كَعْبِ بنِ حارِثَةَ بنِ غَنْمٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والحارِثُ بنُ عَرْفَجةَ، وتَمِيمٌ مَوْلى بَنِي غَنْمٍ. خَمْسةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: تَمِيمٌ: مَوْلى سَعْدِ بنِ خَيْثَمَةَ.

[مِنْ بَنِي مُعاوِيَةَ وحُلَفائِهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي مُعاوِيَةَ بنِ مالِكِ بنِ عَوْفِ بن عَمْرِو بنِ عَوْفٍ: جَبْرُ بنُ عَتِيكِ بنِ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ هَيْشَةَ بنِ الحارِثِ بنِ أُمَيَّةَ ابنِ مُعاوِيَةَ، ومالِكُ بنُ نُمَيْلَةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ مُزَيْنَةَ، والنُّعْمانُ بنُ عَصَرٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَلِيٍّ. ثَلاثةُ نَفَرٍ.

[عَدَدُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِن الأوْسِ]

فَجَمِيعُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِن الأوْسِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ومَنْ ضُرِبَ لَهُ بِسَهْمِهِ وأجْرِهِ: أحَدٌ وسِتُّونَ رَجُلًا.

[مِنْ بَنِي امْرِئِ القَيْسِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وشَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِن المُسْلِمِينَ، ثُمَّ مِن الأنْصارِ، ثُمَّ مِن الخَزْرَجِ بنِ حارِثَةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بن عَمْرِو بنِ عامِرٍ، ثُمَّ مِنْ

بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي امْرِئِ القَيْسِ بن مالِكِ بنِ ثَعْلَبَةَ بن كَعْبِ ابنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ: خارِجةُ بنُ زَيْدِ بنِ أبي زُهَيْرِ بنِ مالِكِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ، وسَعْدُ بنُ رَبِيعِ بنِ عَمْرِو بنِ أبي زُهَيْرِ بنِ مالِكِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ، وعَبْدُ الله بنُ رَواحةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ عَمْرِو ابنِ امْرِئِ القَيْسِ، وخَلّادُ بنُ سُوَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَمْرِو بنِ حارِثَةَ بنِ امْرِئِ القَيْسِ. أَرْبَعةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي زَيْدٍ]

وَمِنْ بَنِي زَيْدِ بنِ مالِكِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ: بَشِيرُ بنُ سَعْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ خِلاسِ بنِ زَيْدٍ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: جُلاسٌ، وهُوَ عِنْدَنا خَطَأٌ ـ وأَخُوهُ سِماكُ بنُ سَعْدٍ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي عَدِيٍّ]

وَمِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ: سُبَيْعُ بنُ قَيْسِ بنِ عَيْشَةَ بنِ أُمَيَّةَ بنِ مالِكِ بنِ عامِرِ بنِ عَدِيٍّ، وعَبّادُ بنُ قَيْسِ بنِ عَيْشَةَ، أَخُوهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: قَيْسُ بنُ عَبَسةَ بنِ أُمَيَّةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعَبْدُ الله بنُ عَبْسٍ. ثَلاثةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي أَحْمَرَ]

وَمِنْ بَنِي أَحْمَرَ بنِ حارِثَةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارِثِ ابنِ الخَزْرَجِ: يَزِيدُ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ مالِكِ بنِ أَحْمَرَ، وهُوَ الَّذي يُقالُ لَهُ: ابنُ فُسْحُمَ. رَجُلٌ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: فُسْحُمُ أُمُّهُ، وهِيَ امْرَأَةٌ مِن القَيْنِ بن جَسْرٍ.

[مِنْ بَنِي جُشَمَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي جُشَمَ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، وزَيْدِ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، وهُما التَّوْأمانِ: خُبَيْبُ بنُ إسافِ بنِ عُتْبَةَ بنِ عَمْرِو ابنِ خَدِيجِ بنِ عامِرِ بنِ جُشَمَ، وعَبْدُ الله بنُ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عَبْدِ رَبِّهِ بنِ زَيْدٍ، وأَخُوهُ حُرَيْثُ بنُ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ، زَعَمُوا، وسُفيانُ بنُ بَشْرٍ. أَرْبَعَةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: سُفيانُ بنُ نَسْرِ بنِ عَمْرِو بنِ الحارِثِ بنِ كَعْبِ بنِ زَيْدٍ.

[مِنْ بَنِي جِدارَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي جِدارَةَ بنِ عَوْفِ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ: تَمِيمُ بنُ يَعارَ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ أُمَيَّةَ بنِ جِدارَةَ، وعَبْدُ الله بنُ عُمَيْرٍ مِنْ بَنِي حارِثَةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: عَبْدُ الله بنُ عُمَيْرِ بنِ عَدِيِّ بنِ أُمَيَّةَ بنِ جِدارَةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وزَيْدُ بنُ المُزَيْنِ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ أُمَيَّةَ بنِ جِدارَةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: زَيْدُ بنُ المُرِّيِّ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعَبْدُ اللهِ بنُ عُرْفُطَةَ بنِ عَدِيِّ بنِ أُمَيَّةَ بنِ جِدارَةَ. أَرْبَعَةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي الأَبْجَرِ]

وَمِنْ بَنِي الأَبْجَرِ - وهُمْ بَنُو خُدْرَةَ - بنِ عَوْفِ بنِ الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ: عَبْدُ الله بنُ رَبِيعِ بنِ قَيْسِ بنِ عَمْرِو بنِ عَبّادِ بنِ الأَبْجَرِ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي عَوْفٍ]

وَمِنْ بَنِي عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عُبَيْدِ بنِ مالِكِ بنِ سالِمِ بنِ غَنْمِ بنِ عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ، وهُمْ بَنُو الحُبْلى ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: الحُبْلى: سالِمُ ابنُ غَنْمِ بنِ عَوْفٍ، وإنَّما سُمِّيَ: الحُبْلى؛ لِعِظَمِ بَطْنِهِ ـ: عَبْدُ الله بنُ عَبْدِ الله ابنِ أُبَيِّ بنِ مالِكِ بنِ الحارِثِ بنِ عُبَيْدٍ المَشْهُورُ بِابنِ سَلُولَ، وإنَّما سَلُولُ امْرَأَةٌ، وهِيَ أُمُّ أُبَيٍّ، وأَوْسُ بنُ خَوْلِيِّ بنِ عَبْدِ الله بنِ الحارِثِ بنِ عُبَيْدٍ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي جَزْءٍ وحُلَفائِهِمْ]

وَمِنْ بَنِي جَزْءِ بنِ عَدِيِّ بنِ مالِكِ بنِ سالِمِ بنِ غَنْمٍ: زَيْدُ بنُ ودِيعةَ بنِ عَمْرِو بنِ قَيْسِ بنِ جَزْءٍ، وعُقْبةُ بنُ وهْبِ بنِ كَلَدةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي عَبْدِ الله بنِ غَطَفانَ، ورِفاعةُ بنُ عَمْرِو بنِ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ ثَعْلَبةَ بنِ مالِكِ بنِ سالِمِ بن غَنْمٍ، وعامِرُ بنُ سَلَمةَ بنِ عامِرٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ. قالَ ابنُ هِشامٍ: وَيُقالُ: عَمْرُو بنُ سَلَمةَ، وهُوَ مِنْ بَلِيٍّ، مِنْ قُضاعةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأبو حُمَيْضةَ مَعْبَدُ بنُ عَبّادِ بنِ قُشَيْرِ بنِ المُقَدَّمِ بنِ سالِمِ بنِ غَنْمٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: مَعْبَدُ بنُ عُبادةَ بنِ قُشْغُرَ بنِ المُقَدَّمِ، ويُقالُ: عُبادةُ بنُ قَيْسِ بنِ القُدْمِ.

وَقالَ ابنُ إسْحاقَ: وعامِرُ بنُ البُكَيْرِ، حَلِيفٌ لَهُمْ. سِتّةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عامِرُ بنُ العُكَيْرِ، ويُقالُ: عاصِمُ بنُ العُكَيْرِ.

[مِنْ بَنِي سالِمٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي سالِمِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي العَجْلانِ بنِ زَيْدِ بنِ غَنْمِ بنِ سالِمٍ: نَوْفَلُ بنُ عَبْدِ الله بنِ نَضْلَةَ ابنِ مالِكِ بنِ العَجْلانِ بنِ العَجْلانِ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي أَصْرَمَ]

وَمِنْ بَنِي أَصْرَمَ بنِ فِهْرِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمِ بنِ سالِمِ بنِ عَوْفٍ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: هذا غَنْمُ بنُ عَوْفٍ، أَخُو سالِمِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ، وغَنْمُ بنُ سالِمٍ الَّذي قَبْلَهُ، على ما قالَ ابنُ إسْحاقَ ـ: عُبادَةُ بنُ الصّامِتِ بنِ قَيْسِ بنِ أَصْرَمَ، وأَخُوهُ أَوْسُ بنُ الصّامِتِ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي دَعْدٍ]

وَمِنْ بَنِي دَعْدِ بنِ فِهْرِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمٍ: النُّعْمانُ بنُ مالِكِ بنِ ثَعْلَبَةَ ابنِ دَعْدٍ، والنُّعْمانُ الَّذي يُقالُ لَهُ: قَوْقَلُ. رَجُلٌ.

وَمِنْ بَنِي قِرْيَوْشِ بنِ غَنْمِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ لَوْذانَ بنِ سالِمٍ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: وَيُقالُ: قِرْيَوس بنُ غَنْمٍ ـ: ثابِتُ بنُ هَزّالِ بنِ عَمْرِو بنِ قِرْيَوْشٍ. رَجُلٌ.

وَمِنْ بَنِي مَرْضَخةَ بنِ غَنْمِ بنِ سالِمٍ: مالِكُ بنُ الدُّخْشُمِ بنِ مَرْضَخةَ. رَجُلٌ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: مالِكُ بنُ الدُّخْشُمِ بنِ مالِكِ بنِ الدُّخْشُمِ بنِ مَرْضَخةَ.

[مِنْ بَنِي لَوْذانَ وحُلَفائِهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي لَوْذانَ بنِ سالِمٍ: رَبِيعُ بنُ إياسِ بنِ عَمْرِو بنِ

غَنْمِ بنِ أُمَيّةَ بنِ لَوْذانَ، وأخُوهُ ورَقةُ بنُ إياسٍ، وعَمْرُو بنُ إياسٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ أهْلِ اليَمَنِ. ثَلاثةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: عَمْرُو بنُ إياسٍ، أخُو رَبِيعٍ ووَرَقةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ حُلَفائِهِمْ مِنْ بَلِيٍّ، ثُمَّ مِنْ بَنِي غُصَيْنةَ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: غُصَيْنةُ: أُمُّهُمْ، وأبوهُمْ عَمْرُو بنُ عِمارةَ ـ: المُجَذَّرُ بنُ ذِيادِ بنِ عَمْرِو ابنِ زَمْزمةَ بنِ عَمْرِو بنِ عَمّارةَ بنِ مالِكِ بنِ غُصَيْنةَ بنِ عَمْرِو بنِ بُتَيْرةَ ابنِ مَشْنُوِّ بنِ قَسْرِ بنِ تَيْمِ بنِ إراشِ بنِ عامِرِ بنِ عُمَيْلةَ بنِ قِسْمِيلِ بنِ فرانَ ابنِ بَلِيِّ بنِ عَمْرِو بنِ الحافِ بنِ قُضاعةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: قَسْرُ بنُ تَمِيمِ بنِ إراشةَ، وقِسْمِيلُ بنُ فارانَ.

واسْمُ المُجَذَّرِ: عَبْدُ اللهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعُبادةُ بنُ الخَشْخاشِ بنِ عَمْرِو بنِ زَمْزمةَ، ونَحّابُ ابنُ ثَعْلَبةَ بنِ حَزَمةَ بنِ أصْرَمَ بنِ عَمْرِو بنِ عِمارةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: بَحّاثُ بنُ ثَعْلَبةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعَبْدُ اللهِ بنُ ثَعْلَبةَ بنِ حَزَمةَ بنِ أصْرَمَ. وزَعَمُوا أنَّ عُتْبةَ بنَ رَبِيعةَ بنِ خالِدِ بنِ مُعاوِيةَ حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَهْراءَ، قَدْ شَهِدَ بَدْرًا. خَمْسةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عُتْبةَ بنُ بَهْزٍ، مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ.

[مِنْ بَنِي ساعِدةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي ساعِدةَ بنِ كَعْبِ بنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي

ثَعْلَبَةَ بنِ الخَزْرَجِ بنِ ساعِدةَ: أبو دُجانةَ سِماكُ بنُ خَرَشةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أبو دُجانةَ: سِماكُ بنُ أوْسِ بنِ خَرَشةَ بنِ لَوْذانَ بنِ عَبْدِ وُدٍّ بنِ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والمُنْذِرُ بنُ عَمْرِو بنِ خُنَيْسِ بنِ حارِثةَ بنِ لَوْذانَ بنِ عَبْدِ وُدٍّ بنِ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ. رَجُلانِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: المُنْذِرُ بنُ عَمْرِو بنِ خَنْبَش.

[مِنْ بَنِي البَديِّ وحُلَفائِهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي البَدِيِّ بنِ عامِرِ بنِ عَوْفِ بنِ حارِثةَ بنِ عَمْرِو بنِ الخَزْرَجِ بنِ ساعِدةَ: أبو أُسَيْدٍ مالِكُ بنُ رَبِيعةَ بنِ البَدِيِّ، ومالِكُ ابنُ مَسْعُودٍ، وهُوَ إلى البَدِيِّ. رَجُلانِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: مالِكُ بنُ مَسْعُودٍ: ابنُ البَدِيِّ، فيما ذَكَرَ لِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ.

[مِنْ بَنِي طَرِيفٍ وحُلَفائِهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي طَرِيفِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ ساعِدةَ: عَبْدُ رَبِّهِ ابنِ حَقٍّ بن أوْسِ بنِ وقْشِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ طَرِيفٍ. رَجُلٌ.

وَمِنْ حُلَفائِهِمْ، مِنْ جُهَيْنةَ: كَعْبُ بنُ حِمارِ بنِ ثَعْلَبَةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: كَعْبٌ: ابنُ جَمّازٍ، وهُوَ مِنْ غُبْشانَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وضَمْرةُ وزِيادٌ وبَسْبَسٌ، بَنُو عَمْرٍو.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ضَمْرةُ وزِيادٌ ابنا بشْرٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعَبْدُ الله بنُ عامِرٍ، مِنْ بَلِيٍّ. خَمْسةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي جُشَمَ]

وَمِنْ بَنِي جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي سَلِمةَ بنِ سَعْدِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَسَدِ ابنِ سارِدةَ بنِ تَزِيدَ بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي حَرامِ بنِ كَعْبِ بنِ غَنْمِ ابنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ: خِراشُ بنُ الصِّمّةِ بنِ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ بنِ زَيْدِ بنِ حَرامٍ، والحُبابُ بنُ المُنْذِرِ بنِ الجَمُوحِ بنِ زَيْدِ بنِ حَرامٍ، وعُمَيْرُ بنُ الحُمامِ ابنِ الجَمُوحِ بنِ زَيْدِ بنِ حَرامٍ، وتَمِيمٌ مَوْلى خِراشِ بنِ الصِّمّةِ، وعَبْدُ الله بنُ عَمْرِو بنِ حَرامِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ حَرامٍ، ومُعاذُ بنُ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ، ومُعَوِّذُ بنُ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ بنِ زَيْدِ بنِ حَرامٍ، وخَلّادُ بنُ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ بنِ زَيْدِ ابنِ حَرامٍ، وعُقْبةُ بنُ عامِرِ بنِ نابِي بنِ زَيْدِ بنِ حَرامٍ، وحَبِيبُ بنُ أَسْوَدَ، مَوْلًى لَهُمْ، وثابِتُ بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ زَيْدِ بن الحارِثِ بنِ حَرامٍ، وثَعْلَبةُ الَّذي يُقالُ لَهُ: الجِذْعُ، وعُمَيْرُ بنُ الحارِثِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ الحارِثِ بن حَرامٍ. اثْنا عَشَرَ رَجُلًا.

[نَسَبُ الجَمُوحِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكُلُّ ما كانَ ههُنا الجَمُوحُ، فَهُوَ الجَمُوحُ بنُ زَيْدِ بنِ حَرامٍ، إلّا ما كانَ مِنْ جَدِّ الصِّمّةِ بنِ عَمْرٍو؛ فإنَّهُ الجَمُوحُ بنُ حَرامٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عُمَيْرُ بنُ الحارِثِ: ابنُ لبدةَ بنِ ثَعْلَبةَ.

[مِنْ بَنِي عُبَيْدٍ وحُلَفائِهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي عُبَيْدِ بنِ عَدِيِّ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ،

ثُمَّ مِنْ بَنِي خَنْساءَ بن سِنانِ بنِ عُبَيْدٍ: بِشْرُ بنُ البَراءِ بنِ مَعْرُورِ بنِ صَخْرِ ابنِ مالِكِ بنِ خَنْساءَ، والطُّفيلُ بنُ مالِكِ بنِ خَنْساءَ، والطُّفيلُ بنُ النُّعْمانِ ابنِ خَنْساءَ، وسِنانُ بنُ صَيْفيِّ بنِ صَخْرِ بنِ خَنْساءَ، وعَبْدُ الله بنُ الجَدِّ بنِ قَيْسِ بن صَخْرِ بنِ خَنْساءَ، وعُتْبةُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ صَخْرِ بنِ خَنْساءَ، وجَبّارُ ابنُ صَخْرِ بنِ أُمَيّةَ بنِ خَنْساءَ، وخارِجةُ بنُ حُمَيِّرَ، وعَبْدُ اللهِ بنُ حُمَيِّرَ، حَلِيفانِ لَهُمْ مِنْ أَشْجَعَ، مِنْ بَنِي دُهْمانَ. تِسْعةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: جَبّارُ بنُ صَخْرِ بنِ أُمَيّةَ بنِ خُناسٍ.

[مِنْ بَنِي خُناسٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي خُناسِ بن سِنانِ بنِ عُبَيْدٍ: يَزِيدُ بنُ المُنْذِرِ ابنِ سَرْحِ بنِ خُناسٍ، ومَعْقِلُ بنُ المُنْذِرِ بنِ سَرْحِ بنِ خُناسٍ، وعَبْدُ الله ابنُ النُّعْمانِ بنِ بَلْدَمةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: بُلْذُمةُ وبُلْدُمةُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والضَّحّاكُ بنُ حارِثةَ بنِ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ عُبَيْدِ بنِ عَدِيٍّ، وسَوادُ بنُ زُرَيْقِ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ عُبَيْدِ بنِ عَدِيٍّ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: سَوادُ بنُ رِزْنِ بنِ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومَعْبَدُ بنُ قَيْسِ بنِ صَخْرِ بنِ حَرامِ بنِ رَبِيعةَ بنِ عَدِيِّ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ. ويُقالُ: مَعْبَدُ بنُ قَيْسِ بن صَيْفيِّ بنِ صَخْرِ بنِ حَرامِ بنِ رَبِيعةَ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعَبْدُ الله بنُ قَيْسِ بنِ صَخْرِ بنِ حَرامِ بنِ رَبِيعةَ بنِ عَدِيِّ بنِ غَنْمٍ. سَبْعةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي النُّعْمانِ]

وَمِنْ بَنِي النُّعْمانِ بنِ سِنانِ بنِ عُبَيْدٍ: عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ مَنافِ بنِ النُّعْمانِ، وجابِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ رِئابِ بنِ النُّعْمانِ، وخُلَيْدةُ بنُ قَيْسِ بنِ النُّعْمانِ، والنُّعْمانُ بنُ سِنانٍ، مَوْلًى لَهُمْ. أرْبَعةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي سَوادٍ]

وَمِنْ بَنِي سَوادِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي حَدِيدةَ بنِ عَمْرِو بنِ غَنْمِ بنِ سَوادٍ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: عَمْرُو بنُ سَوادٍ، لَيْسَ لِسَوادٍ ابنٌ يُقالُ لَهُ غَنْمٌ ـ: أبو المُنْذِرِ، وهُوَ يَزِيدُ بنُ عامِرِ بنِ حَدِيدةَ، وسُلَيْمُ بنُ عَمْرِو ابنِ حَدِيدةَ، وقُطْبةُ بنُ عامِرِ بنِ حَدِيدةَ، وعَنْتَرةُ مَوْلى سُلَيْمِ بنِ عَمْرٍو. أرْبَعةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَنْتَرةُ مِنْ بَنِي سُلَيْمِ بنِ مَنْصُورٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي ذَكْوانَ.

[مِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ نابِي]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ نابِي بنِ عَمْرِو بنِ سَوادِ بنِ غَنْمٍ: عَبْسُ بنُ عامِرِ بنِ عَدِيٍّ، وثَعْلَبةُ بنُ غَنَمةَ بنِ عَدِيٍّ، وأبو اليَسَرِ، وهُوَ كَعْبُ بنُ عَمْرِو بنِ عَبّادِ بنِ عَمْرِو بنِ غَنْمِ بنِ سَوادٍ، وسَهْلُ بنُ قَيْسِ بنِ أبِي كَعْبِ بنِ القَيْنِ بنِ كَعْبِ بنِ سَوادٍ، وعَمْرُو بنُ طَلْقِ بنِ زَيْدِ بنِ أُمَيّةَ ابنِ سِنانِ بنِ كَعْبِ بن غَنْمٍ، ومُعاذُ بنُ جَبَلِ بنِ عَمْرِو بنِ أوْسِ بنِ عائِذِ ابنِ عَدِيِّ بنِ كَعْبِ بنِ عَدِيِّ بنِ أُدَيِّ بنِ سَعْدِ بنِ عَلِيِّ بنِ أسَدِ بنِ سارِدةَ ابنِ تَزِيدَ بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ بنِ حارِثةَ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرٍ. سِتّةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أَوْسُ بنُ عَبّادِ بنِ عَدِيِّ بنِ كَعْبِ بنِ عَمْرِو بنِ أُدَيِّ ابنِ سَعْدٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وإنَّما نَسَبَ ابنُ إسْحاقَ مُعاذَ بنَ جَبَلٍ في بَنِي سَوادٍ، ولَيْسَ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُ فيهِمْ.

[تَسْمِيةُ مَنْ كَسَرُوا آلهِةَ بَنِي سَلِمةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والَّذِينَ كَسَرُوا آلهِةَ بَنِي سَلِمةَ: مُعاذُ بنُ جَبَلٍ، وعَبْدُ اللهِ ابنُ أُنَيْسٍ، وثَعْلَبَةُ بنُ غَنَمةَ، وهُمْ في بَنِي سَوادِ بنِ غَنْمٍ.

[مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي زُرَيْقِ بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقِ بنِ عَبْدِ حارِثةَ بنِ مالِكِ بنِ غَضْبِ بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مُخَلَّدِ بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقٍ - قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: عامِرُ بنُ الأَزْرَقِ -: قَيْسُ بنُ مُحْصنِ بنِ خالِدِ بنِ مُخَلَّدٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: قَيْسُ بنُ حِصْنٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأبو خالِدٍ، وهُوَ الحارِثُ بنُ قَيْسِ بنِ خالِدِ بنِ مُخَلَّدٍ، وجُبَيْرُ بنُ إياسِ بنِ خالِدِ بنِ مُخَلَّدٍ، وأبو عُبادةَ، وهُوَ سَعْدُ بنُ عُثْمانَ بنِ خَلَدةَ ابنِ مُخَلَّدٍ، وأَخُوهُ عُقْبةُ بنُ عُثْمانَ بنُ خَلَدةَ بنِ مُخَلَّدٍ، وذَكْوانُ بنُ عَبْدِ قَيْسِ ابنِ خَلَدةَ بنِ مُخَلَّدٍ، ومَسْعُودُ بنُ خَلَدةَ بنِ عامِرِ بنِ مُخَلَّدٍ. سَبْعةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي خالِدٍ]

وَمِنْ بَنِي خالِدِ بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقٍ: عَبّادُ بنُ قَيْسِ بنِ عامِرِ بنِ خالِدٍ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي خَلدةَ]

وَمن بني خَلَدةَ بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقٍ: أَسْعَدُ بنُ يَزِيدَ بنِ الفاكِهِ بنِ زَيْدِ ابنِ خَلَدةَ، والفاكِهُ بنُ بِشْرِ بنِ الفاكِهِ بنِ زَيْدِ بنِ خَلَدةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: بُسْرُ بنُ الفاكِهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومُعاذُ بنُ ماعِصِ بنِ قَيْسِ بنِ خَلَدةَ، وأَخُوهُ: عائِذُ ابنُ ماعِصِ بنِ قَيْسِ بنِ خَلَدةَ، ومَسْعُودُ بنُ سَعْدِ بنِ قَيْسِ بنِ خَلَدةَ. خَمْسةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي العَجْلانِ]

وَمِنْ بَنِي العَجْلانِ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقٍ: رِفاعةُ بنُ رافِعِ بنِ العَجْلانِ، وأَخُوهُ خَلّادُ بنُ رافِعِ بنِ مالِكِ بنِ العَجْلانِ، وعُبَيْدُ بنُ زَيْدِ بنِ عامِرِ بنِ العَجْلانِ. ثَلاثةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي بَياضةَ]

وَمِنْ بَنِي بَياضةَ بنِ عامِرِ بنِ زُرَيْقٍ: زِيادُ بنُ لَبِيدِ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ سِنانِ ابنِ عامِرِ بنِ عَدِيِّ بنِ أُمَيّةَ بنِ بَياضةَ، وفَرْوةُ بنُ عَمْرِو بنِ وذْفةَ بنِ عُبَيْدِ ابنِ عامِرِ بنِ بَياضةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: وذْفةُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وخالِدُ بنُ قَيْسِ بنِ مالِكِ بنِ العَجْلانِ بنِ عامِرِ بنِ بَياضةَ، ورُجَيْلةُ بنُ ثَعْلَبةَ بنِ خالِدِ بنِ ثَعْلَبةَ بنِ عامِرِ بنِ بَياضةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: رُخَيْلةُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعَطِيّةُ بنُ نُوَيْرةَ بنِ عامرِ بنِ عَطِيّةَ بنِ عامرِ بنِ بَياضةَ، وخليفةُ بنُ عَدِيِّ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ عامرِ بنِ فُهَيْرةَ بنِ بَياضةَ. سِتّةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: عُلَيْفةُ.

[مِنْ بَنِي حَبِيبٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي حَبِيبِ بنِ عَبْدِ حارِثةَ بنِ مالِكِ بنِ غَضْبِ ابنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ: رافِعُ بنُ المُعلّى بنِ لَوْذانَ بنِ حارِثةَ بنِ عَدِيِّ بنِ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ حَبِيبٍ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي النَّجّارِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي النَّجّارِ - وهُوَ تَيْمُ اللهِ بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ عَمْرِو ابنِ الخَزْرَجِ - ثُمَّ مِنْ بَنِي غَنْمِ بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ ابنِ عَبْدِ عَوْفِ بنِ غَنْمٍ: أبو أيُّوبَ خالِدُ بنُ زَيْدِ بنِ كُلَيْبِ بنِ ثَعْلَبةَ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي عُسَيرةَ]

وَمِنْ بَنِي عُسَيْرةَ بنِ عَبْدِ عَوْفِ بنِ غَنْمٍ: ثابِتُ بنُ خالِدِ بنِ النُّعْمانِ ابن خَنْساءَ بنِ عُسَيْرةَ. رَجُلٌ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقال: عُسَير، وعُشَيرة.

[مِنْ بَنِي عَمْرٍو]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ عَبْدِ عَوْفِ بنِ غَنْمٍ: عُمارةُ بنُ

حَزْمِ بن زَيْدِ بنِ لَوْذانَ بنِ عَمْرٍو، وسُراقةُ بنُ كَعْبِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ غَزِيّةَ بنِ عَمْرٍو. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ]

وَمِنْ بَنِي عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمٍ: حارِثةُ بنُ النُّعْمانِ بنِ زَيْدِ بنِ عُبَيْدٍ، وسُلَيْمُ بنُ قَيْسِ بنِ قَهْدٍ: واسْمُ قَهْدٍ: خالِدُ بنُ قَيْسِ بنِ عُبَيْدٍ. رَجُلانِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: حارِثةُ بنُ النُّعْمانِ بنُ نَفْعِ بنِ زَيْدٍ.

[مِنْ بَنِي عائِذٍ وحُلَفائِهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي عائِذِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمٍ ـ ويُقالُ: عابِدٌ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ ـ: سُهَيْلُ بنُ رافِعِ بنِ أبي عَمْرِو بنِ عائِذٍ، وعَدِيُّ بنُ الزَّغْباءِ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ جُهَيْنةَ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي زَيْدٍ]

وَمِنْ بَنِي زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ غَنْمٍ: مَسْعُودُ بنُ أوْسِ بنِ زَيْدٍ، وأبو خُزَيْمةَ ابنُ أوْسِ بنِ زَيْدِ بنِ أصْرَمَ بنِ زَيْدٍ، ورافِعُ بنُ الحارِثِ بنِ سَوادِ بنِ زَيْدٍ. ثَلاثةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي سَوادٍ وحُلَفائِهِمْ]

وَمِنْ بَنِي سَوادِ بنِ مالِكِ بنِ غَنْمٍ: عَوْفٌ، ومُعَوِّذٌ، ومُعاذٌ، بَنُو الحارِثِ ابن رِفاعةَ بنِ سَوادٍ، وهُمْ بَنُو عَفْراءَ.

[نَسَبُ عَفْراءَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: عَفْراءُ بِنْتُ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُبَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ

غَنْمِ بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ، ويُقالُ: رِفاعةُ بنُ الحارِثِ بنِ سَوادٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والنُّعْمانُ بنُ عَمْرِو بنِ رِفاعةَ بنِ سَوادٍ، ويُقالُ: نُعَيْمانُ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعامِرُ بنُ مُخَلَّدِ بنِ الحارِثِ بنِ سَوادٍ، وعَبْدُ اللهِ بنُ قَيْسِ بنِ خالِدِ بنِ خَلَدةَ بنِ الحارِثِ بنِ سَوادٍ، وعُصَيْمةُ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ أشْجَعَ، ووَدِيعةُ بنُ عَمْرٍو، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ جُهَيْنةَ، وثابِتُ بنُ عَمْرِو بنِ زَيْدِ ابنِ عَدِيِّ بنِ سَوادٍ. وزَعَمُوا أنَّ أبا الحَمْراءِ مَوْلى الحارِثِ بنِ عَفْراءَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا. عَشَرةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أبو الحَمْراءِ مَوْلى الحارِثِ بنِ رِفاعةَ.

[مِنْ بَنِي عامِرِ بنِ مالِكٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي عامِرِ بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ - وعامِرٌ: مَبْذُولٌ - ثُمَّ مِنْ بَنِي عَتِيكِ بنِ عَمْرِو بنِ مَبْذُولٍ: ثَعْلَبةُ بنُ عَمْرِو بنِ مِحْصَنِ بنِ عَمْرِو بنِ عَتِيكٍ، وسَهْلُ بنُ عَتِيكِ بنِ عَمْرِو بنِ النُّعْمانِ بنِ عَتِيكٍ، والحارِثُ ابنُ الصِّمّةِ بنِ عَمْرِو بنِ عَتِيكٍ، كُسِرَ بِهِ بِالرَّوْحاءِ، فضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَهْمِهِ. ثَلاثةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ مالِكٍ]

وَمِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ - وهُمْ بَنُو حُدَيْلةَ - ثُمَّ مِنْ بَنِي قَيْسِ بنِ عُبَيْدِ بنِ زَيْدِ بنِ مُعاوِيةَ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ.

[نَسَبُ حُدَيْلَةَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: حُدَيْلَةُ بِنْتُ مالِكِ بنِ زَيْدِ الله بنِ حَبِيبِ بنِ عَبْدِ حارِثَةَ ابنِ مالِكِ بنِ غَضْبِ بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ، وهِيَ أُمُّ مُعاوِيَةَ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ، فبَنُو مُعاوِيَةَ يَنْتَسِبُونَ إلَيْها.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: أُبَيُّ بنُ كَعْبِ بنِ قَيْسٍ، وأنَسُ بنُ مُعاذِ بنِ أنَسِ بنِ قَيْسٍ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ عَمْرٍو]

وَمِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ:

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهُمْ بَنُو مَغالَةَ بِنْتِ عَوْفِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بن كِنانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ، ويُقالُ: إنَّها مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ، وهِيَ أُمُّ عَدِيِّ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ، فبَنُو عَدِيٍّ يُنْسَبُونَ إلَيْها.

أوْسُ بنُ ثابِتِ بنِ المُنْذِرِ بنِ حَرامِ بنِ عَمْرِو بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ عَدِيٍّ، وأبو شَيْخٍ أُبَيُّ بنُ ثابِتِ بنِ المُنْذِرِ بنِ حَرامِ بنِ عَمْرِو بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ عَدِيٍّ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أبو شَيْخٍ أُبَيُّ بنُ ثابِتٍ، أخُو حَسّانَ بنِ ثابِتٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأبو طَلْحَةَ، وهُوَ زَيْدُ بنُ سَهْلِ بنِ الأسْوَدِ بنِ حَرامِ ابنِ عَمْرِو بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ عَدِيٍّ. ثَلاثَةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ النَّجّارِ]

وَمِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ النَّجّارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ عامِرِ بنِ غَنْمِ بنِ النَّجّارِ: حارِثَةُ بنُ سُراقَةَ بنِ الحارِثِ بنِ عَدِيِّ بنِ مالِكِ بنِ عَدِيِّ بنِ عامِرٍ،

وعَمْرُو بنُ ثَعْلَبَةَ بنِ وهْبِ بنِ عَدِيِّ بنِ مالِكِ بنِ عَدِيِّ بنِ عامِرٍ، وهُوَ أبو حَكِيمٍ، وسَلِيطُ بنُ قَيْسِ بنِ عَمْرِو بنِ عَتِيكِ بنِ مالِكِ بنِ عَدِيِّ بنِ عامِرٍ، وأبو سَلِيطٍ، وهُوَ أُسَيْرَةُ بنُ عَمْرٍو، وعَمْرٌو أبو خارِجَةَ بنِ قَيْسِ بنِ مالِكِ ابنِ عَدِيِّ بنِ عامِرٍ، وثابِتُ بنُ خَنْساءَ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ عَدِيِّ بنِ عامِرٍ، وعامِرُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ زَيْدِ بنِ الحَسْحاسِ بنِ مالِكِ بنِ عَدِيِّ بنِ عامِرٍ، ومُحْرِزُ بنُ عامِرِ بنِ مالِكِ بنِ عَدِيِّ بن عامِرٍ، وسَوادُ بنُ غَزِيَّةَ بنِ أُهَيْبٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَلِيٍّ. ثَمانِيَةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: سَوّادٌ.

[مِنْ بَنِي حَرامِ بنِ جُنْدبٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي حَرامِ بنِ جُنْدُبِ بنِ عامِرِ بنِ غَنْمِ بنِ عَدِيِّ ابنِ النَّجّارِ: أبو زَيْدٍ قَيْسُ بنُ سَكَنِ بنِ قَيْسِ بنِ زَعُوراءَ بنِ حَرامٍ، وأبو الأَعْوَرِ بنُ الحارِثِ بنِ ظالِمِ بنِ عَبْسِ بنِ حَرامٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: أبو الأَعْوَرِ: الحارِثُ بنُ ظالِمٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وسُلَيْمُ بنُ مِلْحانَ، وحَرامُ بنُ مِلْحانَ. واسْمُ مِلْحانَ: مالِكُ بنُ خالِدِ بنِ زَيْدِ بنِ حَرامٍ. أَرْبَعَةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي مازِنِ بنِ النَّجّارِ وَحُلَفائِهِمْ]

وَمن بَنِي مازِنِ بنِ النَّجّارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَوْفِ بنِ مَبْذُولِ بنِ عَمْرِو بنِ غَنْمِ بنِ مازِنِ بنِ النَّجّارِ: قَيْسُ بنُ أبي صَعْصَعةَ ـ واسْمُ أبي صَعْصَعةَ: عَمْرُو ابنُ زَيْدِ بنِ عَوْفٍ ـ وعَبْدُ الله بنُ كَعْبِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، وعُصَيْمَةُ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي أَسَدِ بنِ خُزَيْمَةَ. ثَلاثَةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي خَنْساءَ بنِ مَبْذُولٍ]

وَمِنْ بَنِي خَنْساءَ بنِ مَبْذُولِ بنِ عَمْرِو بنِ غَنْمِ بنِ مازِنٍ: أبو داوُدَ عُمَيْرُ ابنُ عامِرِ بنِ مالِكِ بنِ خَنْساءَ، وسُراقةُ بنُ عَمْرِو بنِ عَطِيّةَ بنِ خَنْساءَ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي ثَعْلَبةَ بنِ مازِنٍ]

وَمِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ بنِ مازِنِ بنِ النَّجّارِ: قَيْسُ بنُ مُخَلَّدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ صَخْرِ ابنِ حَبِيبِ بنِ الحارِثِ بنِ ثَعْلَبَةَ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي دِينارِ بنِ النَّجّارِ]

وَمِنْ بَنِي دِينارِ بنِ النَّجّارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي مَسْعُودِ بنِ عَبْدِ الأشْهَلِ بنِ حارِثَةَ بنِ دِينارِ بنِ النَّجّارِ: النُّعْمانُ بنُ عَبْدِ عَمْرِو بنِ مَسْعُودٍ، والضَّحّاكُ ابنُ عَبْدِ عَمْرِو بنِ مَسْعُودٍ، وسُلَيْمُ بنُ الحارِثِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ كَعْبِ بنِ حارِثَةَ ابنِ دِينارٍ، وهُوَ أخُو الضَّحّاكِ والنُّعْمانِ ابنَيْ عَبْدِ عَمْرٍو لِأُمِّهِما، وجابِرُ بنُ خالِدِ بنِ عَبْدِ الأشْهَلِ بنِ حارِثَةَ، وسَعْدُ بنُ سُهَيْلِ بنِ عَبْدِ الأشْهَلِ. خَمْسةُ نَفَرٍ.

وَمِنْ بَنِي قَيْسِ بنِ مالِكِ بنِ كَعْبِ بنِ حارِثَةَ بنِ دِينارِ بنِ النَّجّارِ: كَعْبُ ابنُ زَيْدِ بنِ قَيْسٍ، وبُجَيْرُ بنُ أبي بُجَيْرٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ. رَجُلانِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: بُجَيْرٌ: مِنْ عَبْسِ بنِ بَغِيضِ بنِ رَيْثِ بنِ غَطَفانَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي جَذِيمةَ بنِ رَواحةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فجَمِيعُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا من الخَزْرَج مئةٌ وسَبْعُونَ رَجُلًا.

[مَنْ فاتَ ابنَ إسْحاقَ ذِكْرُهُمْ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأكْثَرُ أهْلِ العِلْمِ يَذْكُرُ في الخَزْرَجِ بِبَدْرٍ في بَنِي العَجْلانِ ابنِ زَيْدِ بنِ غَنْمِ بنِ سالِمِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفِ بنِ الخَزْرَجِ: عِتْبانَ ابنَ مالِكِ بنِ عَمْرِو بنِ العَجْلانِ، ومُلَيْلَ بنَ وبَرةَ بنِ خالِدِ بنِ العَجْلانِ، وعِصْمةَ بنَ الحُصَيْنِ بنِ وَبْرةَ بنِ خالِدِ بنِ العَجْلانِ.

وَفي بَنِي حَبِيبِ بنِ عَبْدِ حارِثَةَ بنِ مالِكِ بنِ غَضْبِ بنِ جُشَمَ بنِ الخَزْرَجِ، وهُمْ في بَنِي زُرَيْقٍ: هِلالَ بنَ المُعلّى بنِ لَوْذانَ بنِ حارِثَةَ بنِ عَدِيِّ ابنِ زَيْدِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ مالِكِ بنِ زَيْدِ مَناةَ بنِ حَبِيبٍ.

[عَدَدُ البَدْرِيِّينَ جَمِيعًا]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فجَمِيعُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِن المُسْلِمِينَ مِن المُهاجِرِينَ والأنْصارِ، مَنْ شَهِدَها مِنْهُمْ، ومَنْ ضُرِبَ لَهُ بِسَهْمِهِ وَأَجْرِهِ: ثَلاثُ مئةِ رَجُلٍ وأرْبَعةَ عَشَرَ رَجُلًا؛ مِن المُهاجِرِينَ ثَلاثةٌ وثَمانُونَ رَجُلًا، ومِن الأوْسِ واحِدٌ وسِتُّونَ رَجُلًا، ومن الخَزْرَج مئةٌ وسَبْعُونَ رَجُلًا.

مَن اسْتُشْهِدَ مِن المُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ

[القُرَشِيُّونَ مِنْ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ]

واسْتُشْهِدَ مِن المُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي المُطَّلِبِ بن عَبْدِ مَنافٍ: عُبَيْدةُ بنُ الحارِثِ بنِ المُطَّلِبِ، قَتَلَهُ عُتْبةُ ابنُ رَبِيعةَ، قَطَعَ رِجْلَهُ، فماتَ بِالصَّفْراءِ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي زُهْرَةَ]

وَمِنْ بَنِي زُهْرَةَ بنِ كِلابٍ: عُمَيْرُ بنُ أبي وقّاصِ بنِ أُهَيْبِ بنِ عَبْدِ مَنافِ ابنِ زُهْرَةَ، وهُوَ أخُو سَعْدِ بنِ أبي وقّاصٍ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ، وذُو الشِّمالَيْنِ ابنُ عَبْدِ عَمْرِو بنِ نَضْلَةَ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ خُزاعةَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي غُبْشانَ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي عَدِيٍّ]

وَمِنْ بَنِي عَدِيِّ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ: عاقِلُ بنُ البُكَيْرِ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي سَعْدِ بنِ لَيْثِ بنِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ، ومِهْجَعٌ مَوْلى عُمَرَ بنِ الخَطّابِ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ فِهْرٍ]

وَمِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ فِهْرٍ: صَفْوانُ بنُ بَيْضاءَ. رَجُلٌ. سِتّةُ نَفَرٍ.

[وَمِنَ الأنْصارِ]

وَمِن الأنْصارِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ: سَعْدُ بنُ خَيْثَمةَ، ومُبَشِّرُ ابنُ عَبْدِ المُنْذِرِ بنِ زَنْبَرٍ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ]

وَمِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ: يَزِيدُ بنُ الحارِثِ، وهُوَ الَّذي يُقالُ لَهُ: ابنُ فُسْحُمَ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي سَلِمةَ]

وَمِنْ بَنِي سَلِمةَ، ثُمَّ مِنْ بَنِي حَرامِ بنِ كَعْبِ بنِ غَنْمِ بنِ كَعْبِ بنِ سَلِمةَ: عُمَيْرُ بنُ الحُمامِ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي حَبِيبٍ]

وَمِنْ بَنِي حَبِيبِ بنِ عَبْدِ حارِثَةَ بنِ مالِكِ بنِ غَضْبِ بنِ جُشَمَ: رافِعُ ابنُ المُعلّى. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي النَّجّارِ]

وَمِنْ بَنِي النَّجّارِ: حارِثةُ بنُ سُراقةَ بنِ الحارِثِ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي غَنْمٍ]

وَمِنْ بَنِي غَنمِ بنِ مالِكِ بنِ النَّجّارِ: عَوْفٌ ومُعَوِّذٌ ابنا الحارِثِ بنِ رِفاعةَ ابن سَوادٍ، وهُما ابنا عَفْراءَ. رَجُلانِ. ثَمانِيةُ نَفَرٍ.

تَسْمِيةُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا

وقَدْ تَقَدّمَ التّعْرِيفُ بِكَثِيرٍ مِنْهُمْ، ومِنْ غَيْرِهِمْ مِمّنْ [جَرى][1] ذِكْرُهُ في السِّيرةِ، والتّنْبيهُ على ما تَتَشَوّفُ[2] إلَيْهِ نَفْسُ الطّالِبِ مِنْ هَذا الفَنِّ، وسائِرُهُمْ قَدْ نَسَبَهُ[3] ابنُ إسْحاقَ وابنُ هِشامٍ في هَذا البابِ، ونَسَبنا نَحْنُ فيما تَقَدّمَ طائِفةً لَمْ يَنْسُبْهُم ابنُ إسْحاقَ في هَذا البابِ، مِنْهُمْ: أَبُو الهَيْثَمِ بنُ التّيِّهانِ، تَقَدّمَ التّعْرِيفُ بِهِ في بَيْعةِ العَقَبةِ[4]، وأنّهُ مِنْ بَنِي إراشٍ في قَوْلِ ابنِ إسْحاقَ، وقالَ ابنُ هِشامٍ: إراشة [بن فارانَ بنِ بَلِيٍّ][5].

(١) سقط من (ب).

(٢) في (أ): «تتشوق»، وفي (ب): «تتشرف».

(٣) في (ص): «نسبهم».

(٤) انظر: (٤: ١٠٦).

(٥) عن (أ)، (ب). وفي (ب): «من بلي وفاران» هكذا، وفي «المؤتلف» للدارقطني: =

وذَكرَ في بَنِي الحارِثِ بنِ فِهْرٍ عِياضَ بنَ أَبِي زُهَيْرٍ، هَكَذا أَلْفَيْتُه في نُسْخَةِ أَبِي بَحْرٍ وفي غَيْرِها مِن النّسَخِ الصِّحاحِ، وهُو وهْمٌ، والصّوابُ: عِياضُ بنُ زهير، وليس الوهمُ فيه من ابنِ إسْحاقَ؛ لِأَنّهُ قَدْ ذَكرَهُ في المُهاجِرِينَ إلى الحَبَشةِ، فقالَ فيهِ: «ابنُ زُهَيْرٍ» على الصّوابِ، وكَذا[١] قالَ في ابنِ أخِيهِ عَمْرِو ابنِ الحارِثِ بنِ زُهَيرٍ، وإنما[٢] جاءَ الوهمُ فيه من ابنِ هشامٍ أو[٣] ممن دُونه، وكانوا ثلاثةَ إخوةٍ: عياضُ بنُ زهيرٍ، وغَنْمُ بنُ زهيرٍ والدُ عياضِ بنِ غَنْمٍ صاحِبِ الفُتُوحاتِ الّذِي يَقُولُ فيهِ[٤] ابنُ الرُّقَيّاتِ[٥]: [من الخفيف]

وعِيــاضٌ وما عِياضُ بنُ غَنْمٍ   كانَ مِنْ خَيْرِ مَنْ تُجِنّ النِّساءُ

والحارِثُ بنُ زُهَيْرٍ والِدُ عَمْرِو بنِ الحارِثِ بنِ زُهَيْرٍ، وقَدْ ذَكرَ ابنُ إسْحاقَ [عَمْرَو بنَ الحارِثِ أيْضًا؛ فقالَ فيهِ: «ابنُ زُهَيْرٍ» لا ابنُ أَبِي زُهَيْرٍ، والحَمْدُ للهِ.

وذَكرَ [ابنُ إسْحاقَ][٦] في البَدْرِيِّينَ عاصِمَ بنَ عَدِيٍّ، ولَمْ يَشْهَدْها؛ لِأَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَدّهُ مِن الرّوْحاءِ لِسَبَبٍ ذَكرَهُ مُوسى بنُ عُقْبةَ وغَيْرُهُ؛ وذَلِكَ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَلَغَهُ [شَيْءٌ][٧] عَنْ أهْلِ مَسْجِدِ الضِّرارِ، وكانَ قَد اسْتَخْلَفَهُ على

= (٤: ١٩١٧)، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم: (ص: ٤٤٢): «فـران». هذا وسيذكر السهيلي في أسرى المشركين يوم بدر (٥: ٣١٤): أنه عند أكثر أهل النسب «فران» بغير ألف، ونقل عن ابن دريد أنه كان يشدد الراء، وأنه قال: هو فعلان من الفرار.

(١) في (ف): «وكذلك».

(٢) في (ف): «فإنما».

(٣) في (ف): «و».

(٤) في (ف): «التي يقول فيها».

(٥) «ديوانه» (ص: ٩٤).

(٦) ما بين المعقوفين سقط من: (أ)، (ف).

(٧) سقط من (ب).

قُباءٍ والعالِيةِ، فرَدّهُ لِيَنْظُرَ في ذَلِكَ، وضَرَبَ لَهُ بِسَهْمٍ[١] مَعَ أهْلِ بَدْرٍ، وعاصِمٌ هُو المذكور في حديثِ اللِّعانِ الذي يقولُ لَهُ عُويْمِرٌ العَجْلانِيّ - وهُو عُويْمِرُ ابنُ أبْيَضَ، ويُقالُ فيهِ: ابنُ أشْقَرَ -: سَلْ لِي يا عاصِمُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ[٢]. تُوُفِّيَ سَنةَ[٣] خَمْسٍ وأرْبَعِينَ وهُو ابنُ عِشْرِينَ ومِئةٍ، يُكْنى: أبا عَمْرٍو، وقِيلَ: أبا عبدِ اللهِ[٤].

وذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ فيمَنْ رَدَّهُ رسولُ الله ﷺ [يَوْمَ بَدْرٍ][٥]، وضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ خَوّاتَ بنَ جُبَيْرٍ، رَدّهُ مِن الصَّفْراءِ، وسَبَبُ ذَلِكَ - فيما ذَكَرَه ابنُ عُقْبةَ -: أنّ حَجَرًا أصابَهُ في رِجْلِهِ فورِمَتْ عَلَيْهِ، واعْتَلَّتْ، فرَدّهُ رسول الله ﷺ لِذَلِكَ، وهُو صاحِبُ خَوْلَةَ ذاتِ النِّحْيَيْنِ في الجاهِلِيّةِ، وهِيَ امْرَأةٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللهِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُكابَةَ بنِ صَعْبِ بنِ عَلِيِّ بنِ بَكْرِ بنِ وائِلٍ، ويُرْوى أنّ رسولَ الله ﷺ سَألَهُ عَنْها وتَبَسّمَ، فقالَ: يا رَسُولَ اللهِ، قَدْ رَزَقَ اللهُ خَيْرًا، وأعُوذُ باللهِ مِن الحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ[٦]، ويُرْوى أنّهُ قالَ لَهُ: «ما فعَلَ بَعِيرُك الشّارِدُ؟» فقالَ: قَيّدَهُ الإسْلامُ يا رَسُولَ اللهِ، وقِيلَ: مَعْنى قَوْلِهِ: «بَعِيرُك الشّارِدُ»: أنّهُ مَرَّ في الجاهِلِيّةِ بِنِسْوةٍ أعْجَبَهُ حُسْنُهُنّ، فسَألَهُنّ أنْ يَفْتِلْنَ [لَهُ][٧] قَيْدًا لِبَعِيرٍ لَهُ، زَعَمَ أنّهُ شارِدٌ، وجَلَسَ

---

(١) في (أ)، (ب)، (ف): «بسهمه».

(٢) «مسند أحمد» (٥: ٣٣٤)، و«فتح الباري»، تفسير سورة النور: (٨: ٤٤٨)، ومسلم، كتاب اللعان: (٢: ١١٢٩-١١٣٠)، و«سنن أبي داود»، كتاب الطلاق (٢: ٢٧٤-٢٧٥).

(٣) في (ف): «في سنة».

(٤) «أسد الغابة» (٣: ١١٤-١١٥).

(٥) «أسد الغابة» (٢: ١٤٨).

(٦) «مجمع الأمثال» للميداني: (١: ٣٧٦-٣٧٧)، و«المستقصى» للزمخشري: (١: ٩٩-١٠٠). ومعنى قوله: «أعوذ بالله من الحور بعد الكور»؛ أي: من النقص بعد الزيادة.

(٧) ليس في (ب).

إلَيْهِنّ بِهذهِ العِلّةِ، فمَرّ بِهِ رسولُ الله ﷺ وهُو يَتَحَدّثُ إلَيْهِنّ، فأعْرَضَ عَنْهُ وعَنْهُنّ، فلَمّا أسْلَمَ سَألَهُ عَنْ ذَلِكَ البَعِيرِ الشّارِدِ وهُو يَبتسِمُ لَهُ، فقالَ له خَوّاتٌ: قَيّدَهُ الإسْلامُ، قالَ الواقِدِيّ: يُكَنّى خَوّاتٌ: أبا صالِحٍ.

ورَوى النَّمريُّ[1] في حَدِيثٍ مُسْنَدٍ إلى خَوّاتٍ: أنّ عُمَرَ بنَ الخَطّابِ رضي الله عنه كَنّاهُ: أبا عَبْدِ اللهِ؛ وذَلِكَ أنّهُ كانَ مَعَهُ في رَكْبٍ، فقالَ لَهُ الرّكْبُ: غَنِّنا مِنْ شِعْرِ ضِرارٍ، فقالَ عُمَرُ: دَعُوا أبا عَبْدِ اللهِ يُغَنِّينا من بُنَيّاتِ فُؤادِهِ، قالَ: فأنْشَدْتُهُمْ حَتّى السّحَرِ، فقالَ عُمَرُ: ارْفَعْ لِسانَك يا أبا عَبْدِ اللهِ؛ فقَدْ أسْحَرْنا.

ومِمّنْ لَمْ يَشْهَدْ بَدْرًا لِعُذْرٍ وهُو مِن النّقَباءِ: سَعْدُ بنُ عُبادةَ سَيّدُ الخَزْرَجِ؛ لِأنّهُ نَهَشَتْهُ حَيّةٌ، فلَمْ يَسْتَطِعِ الخُرُوجَ، هَذا قَوْلُ القُتَبِيِّ[2]، ولِذَلِكَ لَمْ يَذْكُرْهُ ابنُ إسْحاقَ ولا ابنُ عُقْبَةَ في البدريِّين، وقَدْ ذَكَرَتْهُ طائِفَةٌ فيهِم: ابنُ الكَلْبيّ وجَماعةٌ.

وذَكَرَ في بَنِي النّجّارِ مَنْ يُنْسَبُ إلى جِدارةَ[3] بنِ الحارِثِ، وجدارةُ أخو خُدْرةَ رَهْطِ أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، وغَيْرُ ابنِ إسْحاقَ يَقُولُ في جِدارةَ: «خُدارةَ» بِالخاءِ المعجمة مَضْمُومةً، قالَهُ ابنُ دُرَيْدٍ، وكَذَلِكَ قَيّدَهُ النّمَرِيُّ[4]، فهُما خُدارةُ وخُدْرةُ ابنا الحارِثِ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ رُجَيْلَةَ بنَ ثَعْلَبَةَ، وقُيِّدَ في رِوايةِ مُوسى بنِ عُقْبَةَ: «رُخَيْلةُ» بِالخاءِ

---

(١) «الاستيعاب» (٢: ٤٥٧).

(٢) «المعارف» (ص: ٢٥٩).

(٣) «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٢: ٧٦٠).

(٤) «الاستيعاب» (٤: ١٦٧١).

المَنْقُوطةِ، وقالَهُ ابنُ هِشام بِالحاءِ المُهْمَلةِ، كَذَلِكَ قالَ أَبُو عُمَرَ[١]. وقَيَّدَهُ الشَّيْخُ أَبُو بَحْرٍ عَنْ أَبِي الولِيدِ في قَوْلِ ابْنِ هِشامٍ بالخاءِ المنقوطةِ، كَما وقَعَ في رِوايةِ مُوسى بنِ عُقْبَةَ.

[وَمِمَّنَ ذُكِر فيهم ـ في رِوايةِ يُونُسَ عَنِ ابْنِ إسحاقَ ـ حارِثَةُ بنُ خُمَيرٍ [بالخاء المنقوطةِ ـ وَقَالَ فِيهِ مُوسى بْنُ عُقْبَةَ: حارِثَةُ بْنُ حُمَيِّرٍ][٢]، وَوَقَعَ فِي رِوايةِ إِبْراهيمَ بْنِ سعدٍ، عَنِ ابنِ إسحاقَ: خارجَةُ بنُ حُمَيِّرٍ، ممّن شَهِدَ بَدْرًا، فالله أعلَمُ][٣].

وذَكَرَ فيهِمْ أبا شَيْخ بنَ ثابتٍ، واسْمُهُ: أُبَيّ، وهُو أَخُو حَسّانَ، وقِيلَ: بَلْ هُو ابنُ أُبَيّ بنِ ثابتٍ، وحَسّانُ عَمُّهُ، ووقَعَ في نُسْخةِ الشَّيْخ [أَبِي بَحْرٍ][٤] غَلَطٌ أَصْلَحْتُه، وكانَ قَبْلَ الإصْلاحِ: أَبُو شَيْخِ بنُ أبي ثابتِ بنِ المنذرِ.

ومِمّنْ شَهِدَ بَدْرًا ولَمْ يَذْكُرْهُ ابنُ هِشامٍ عَنِ البَكّائِيِّ، وذَكرَهُ ابنُ إسْحاقَ في رِوايةِ إبْراهِيمَ بنِ سَعْدٍ عَنْهُ: عِياضُ بنُ زُهَيْرِ بنِ أَبِي شَدّادِ بنِ رَبِيعةَ[٥] بنِ هِلالِ ابنِ وَهْبِ بنِ ضَبّةَ بنِ الحارِثِ بنِ فِهْرٍ، وهُو مِمّنْ هاجَرَ إلى أَرْضِ الحَبَشةِ، وقَدْ ذَكرَهُ في البَدْرِيّينَ مُوسى بنُ عُقْبةَ وخَلِيفةُ بنُ خَيّاطٍ وجَماعةٌ، وَهُوَ الذي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ في الصَّفحِ قَبْلَ هَذَا[٦].

ومِمّنْ ذُكِرَ في البَدْرِيِّينَ ولَمْ يَذْكُرْهُ ابنُ إسْحاقَ: يَزِيدُ بنُ الأَخْنَسِ السُّلَمِيُّ،

(١) «الاستيعاب» (٢: ٥٠٥).
(٢) عن (أ)، (ب)، (ف). وانظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٢: ٦٦٨-٦٦٩).
(٣) سقط من (ب).
(٤) عن (ص)، (ج).
(٥) في (أ): «أبي ربيعة». انظر «جمهرة ابن حزم» (ص: ١٧٧)، و«أسد الغابة» (٤: ٣٢٣).
(٦) انظر: (٥: ٢٧٦).

وابنُهُ مَعْنُ بنُ يَزِيدَ، وأبُوهُ الأخْنَسُ، ولا يُعْرَفُ فيمَنْ شَهِدَ بَدْرًا ثَلاثَةٌ أبٌ وابنٌ وجَدٌّ إلّا هَؤُلاءِ، وأكْثَرُ أهْلِ العِلْمِ بِالسِّيَرِ لا يُصَحِّحُ شُهُودَهُمْ بَدْرًا لَكِنْ شَهِدُوا بَيْعةَ الرِّضْوانِ، ويَزِيدُ بنُ الأخْنَسِ [السُّلَميُّ][١] هَذا هُو [ابنُ][٢] الأخْنَسِ ابنِ جَنابِ[٣] بنِ حَبِيبِ بنِ جُرّةَ - بضمِّ الجيمِ وتشديدِ الراءِ - بنِ زِغْبِ[٤] مِنْ بَنِي بُهْثةَ[٥] بنِ سُلَيْمٍ. قالَ ابن ماكولا: ولا يُعْرَفُ «جُرّةُ» بِضَمِّ الجِيمِ إلّا هَذا، ولا «جِرّةَ» بِكَسْرِ الجِيمِ إلّا السُّؤمُ بِنْتُ عامرِ بنِ جِرّةَ[٦] مِنْ بَنِي[٧] ضَمْرةَ أُمّ الشّدّاخِ، واسْمُهُ: يَعْمَرُ بنُ عَوْفٍ، وقَدْ تَقَدّمَ ذِكْرُه في حَديثِ قُصَيٍّ ولِمَ سُمّيَ الشّدّاخَ[٨].

ومِمّنْ ذَكَرَهُ البُخارِيُّ في البَدْرِيّينَ: خُرَيْمُ بنُ فاتِكٍ، وأخُوهُ سَبْرةُ بنُ فاتكٍ الأسَدِيّانِ[٩].

ومِمّنْ شَهِدَ بَدْرًا وذَكَرَهُ ابنُ إسْحاقَ في غَيْرِ رِوايةِ ابنِ هِشامٍ: طُلَيْبُ بنُ عُمَيْرٍ[١٠] مِنْ بَنِي عَبْدِ بنِ قُصَيٍّ، وأُمّهُ أرْوى عَمّةُ رَسولِ الله ﷺ.

---

(١) عن (أ).

(٢) ليس في (ب).

(٣) في (ف)، (ص): «خباب». وليست في «جمهرة ابن حزم» (ص: ٢٦١)، ولا «جمهرة الكلبي» (ص: ٣٩٩)، ولا «أسد الغابة» (٥: ٤٧٤)، بل فيها: «الأخنس بن حبيب».

(٤) في (أ): «زُغْب»، والصواب ما أثبت. انظر: «التبصير» (٢: ٦٤٢).

(٥) في (ب): «جهينة»، وهو تحريف.

(٦) «التبصير» (١: ٤٣٠).

(٧) في (ف): «ابني».

(٨) انظر: (٢: ٤٧).

(٩) «أسد الغابة» (٢: ١٢٠). وانظر: «التاريخ الكبير» للبخاري: (٣: ٢٢٤)، (٤: ١٨٧).

(١٠) «المغازي» للواقدي: (١: ١٥٤)، و«أسد الغابة» (٣: ٩٤).

ومِمّنْ ذَكَرَهُ البُخارِيُّ في البَدْرِيّينَ من بني سَلِمةَ: جابرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ حَرامٍ، وقالَ أَبُو عُمَرَ: لا يَصِحّ شُهُودُهُ بَدْرًا، وذَكَرَ اخْتِلافَ النّاسِ في ذَلِكَ[١]، [وفي «السُّنَنِ»][٢] لِأَبِي داوُدَ، أَنّ جابرًا قالَ: كُنْتُ أَمِيحُ أَصْحابِي الماءَ يَوْمَ بَدْرٍ[٣]؛ أيْ: كانَ صَغِيرًا فلَمْ يُسْهَمْ لَهُ، وزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنّ هذهِ الرّوايةَ تَصْحِيفٌ، وأَنّ الصّحِيحَ: كُنْتُ مَنِيحَ[٤] أَصْحابِي يَوْمَ بَدْرٍ، والمَنِيحُ: السّهْمُ، يُرِيدُ: أَنّهُمْ كانُوا يُرْسِلُونَهُ في حَوائِجِهِمْ لِصِغَرِ سِنِّهِ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ النّعْمانَ بنَ عَصَرٍ، ولَمْ يَنْسُبْهُ، وهُو ابنُ عَصَرِ بنِ الرَّبِيعِ بنِ الحارِثِ ابنِ أَدِيمٍ البَلَوِيُّ، وقِيلَ: عَصَرُ بنُ عُبَيْدِ بنِ وائِلةَ بنِ حارِثةَ البلويُّ، قُتِل باليمامةِ[٥].

وذَكَرَ في نَسَبِ زَيْدِ بنِ ودِيعةَ: جَزِيَّ بنَ عَدِيٍّ. وذَكَرَ أَبُو بَحْرٍ أَنّهُ قَيّدَهُ عَنْ أَبِي الولِيدِ: «جَزْءَ» بِسُكُونِ الزّايِ، وأَنّهُ لَمْ يَجِدْهُ عَنْ غَيْرِهِ إلّا بكَسْرِ الزاي.

وذَكَرَ رافِعَ بن عَنْجَدةَ، وقالَ: هِيَ أُمّهُ، ولَمْ يَذْكُرْ أباهُ، واسْمُهُ: عَبْدُ الحارِثِ، والعَنْجَدةُ: حَبُّ الزّبِيبِ، ويُقالُ: هُو الزّبِيبُ، وأَمّا عَجْمُ العِنَبِ، فهُو الفِرْصِدُ. قالَهُ[٦] أَبُو حَنِيفةَ.

---

(١) «الاستيعاب» (١: ٢٢٠).

(٢) سقط من (ب).

(٣) «سنن أبي داود»، كتاب الجهاد: (٣: ٧٥). وماح أصحابه: استقى لهم.

(٤) «النهاية» (منح)، يقول ابن الأثير: «المنيح: أحد سهام الميسر الثلاثة التي لا غُنم لها ولا غرم عليها، أراد: أنه كان يوم بدر صبيًّا، ولم يكن يُضرب له بسهم مع المجاهدين».

(٥) «أسد الغابة» (٥: ٣٣٦)، و«المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٤: ٢٢٨٨).

(٦) في (أ)، (ب)، (ف): «ذكره».

وذَكَرَ كَعْبَ بنَ جَمّازٍ بِالجِيمِ والزّايِ، كَما قالَ ابنُ هِشام، لا كَما قالَ ابنُ إسْحاقَ؛ فإنّ أهْلَ النّسَبِ على ما قالَ ابنُ هِشامٍ، غَيْرَ أَنَّ الدّارقطنيَّ قَيَّدَ فيهِ رِوايةً ثالِثةً: ابن حِمّانَ[1]؛ بِنُونٍ وحاءٍ مكسورةٍ.

وَذَكَرَ فِيهم أبا حُميضةَ، واسْمُهُ: مَعْبَدُ بنُ عَبّادٍ، قالَ أَبُو عُمَرَ: كَذا قَيَّدَهُ إبْراهِيمُ بنُ سَعْدٍ عَن ابنِ إسْحاقَ، وغَيْرُهُ يَقُولُ فيهِ عَن ابنِ إسْحاقَ: [أَبُو][2] خُمَيْصةَ؛ بِخاءٍ مَنْقُوطةٍ وصادٍ مُهْمَلةٍ[3].

وذَكَرَ في البَلَوِيِّينَ أبا عَقيلٍ، ولَمْ يُسَمِّهِ، وكانَ اسْمُهُ في الجاهِلِيّةِ: عَبْدَ العُزّى، فسَمّاهُ النّبيّ ﷺ: عَبْدَ الرحمن[4] عدوّ الأوثانِ ابن عَبْدِ اللهِ بنِ ثَعْلَبةَ، قُتِلَ باليَمامةِ.

وأمّا أبُو عَقِيلٍ صاحِبُ الصّاعِ الّذِي لمَزَه المنافقون، فاسْمُه: حثحاثٌ[5]، وفيهِ نزلَتْ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٧٩]؛ وذَلِكَ أنّهُ جاءَ بِصاعِ تَمْرٍ فوضَعَهُ في العَرَقةِ[6] حِينَ حَثَّ رَسولُ الله ﷺ على النّفَقةِ في سَبِيلِ اللهِ، فضَحِكَ مِنْهُ المُنافِقُونَ وقالُوا: إنّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صاعِ أَبِي عَقِيلٍ[7].

ووَقَعَ في أنْسابِ البَدْرِيّينَ ابنُ قِرْيُوشٍ [بِكَسْرِ القافِ وبالشِّينِ المَنْقُوطةِ،

---

(١) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٢: ٧٤٠-٧٤١).

(٢) ليس في (ب).

(٣) «الاستيعاب» (٤: ١٦٣٣).

(٤) «أسد الغابة» (٣: ٤٦٦)، (٦: ٣١٩).

(٥) كذا النسخ، ومثله في «الإصابة» (٤: ١٣٦)، على أنه في «أسد الغابة» (١: ٤٣٨)، (٦: ٢٢٠)، وابن كثير في «تفسيره» عند آية التوبة: (٤: ١٦٨٧): «حبحاب»، بالحاء و الباء.

(٦) العرَقة والعرَق: هو زَبيل (قفة) منسوج من الخوص. «النهاية» (عرق).

(٧) «تفسير الطبري» (١٠: ١٩٦)، و«أسد الغابة» (١: ٤٣٨)، و«الدر المنثور» (٤: ٥٠).

وقالَ ابنُ هِشامٍ(١)](٢): بِالسِّينِ المُهْمَلةِ، كَذا قَيّدَهُ أَبُو الوليدِ، وفي أَكْثَرِ الرّواياتِ: قَرْبُوسٌ؛ بِفَتْحِ القافِ، وبالباءِ المَضْمُومةِ المَنْقُوطةِ بواحِدةٍ(٣)، [فقِرْيُوشٌ: [بالشِّين المنقوطة](٤) فِعْيُولٌ مِن التّقَرُّشِ، وهُو التّكَسُّبُ، وبِالسِّينِ فِعْيُولٌ مِن القَرْسِ، وهُو البَرْدُ](٥)، وقِرْيُوشٌ بِالشِّيْنِ المَنْقُوطةِ أَصَحُّ فيهِ؛ لِأَنّهُ مِن التّقَرّشِ، وهُو التّكَسّبُ، كَما سُمّيَتْ قُرَيْشٌ بِهِ، قالَهُ قُطْرُبٌ.

وذَكرَ أَبا الضّياحِ، ولم يُسَمِّهِ، واسْمُهُ: النُّعْمانُ، وقِيلَ: عُمَيْرُ بنُ ثابِتِ بنِ النّعمانِ، قُتِلَ يومَ خَيبرَ.

فَصْلٌ

[وذَكرَ فيمَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِن الأنْصارِ: أَوْسَ بنَ خَوْلِيّ(٦)، أَحَدَ بَنِي الحُبْلى، يُقالُ: كانَ مِن الكَمَلةِ، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ قَدْ آخى بَيْنَهُ وبَيْنَ شُجاعِ بنِ وهْبٍ، والخَوْلي في اللّغةِ: هُو الّذِي يَقُومُ على الخَيْلِ ويَخْدُمُها. وفي الخَبَرِ: أَنّ حُمَيلًا الكَلْبِيَّ، كانَ خَوْلِيًّا لِمُعاوِيةَ، وفي هَذا ما يَدُلُّ على أَنّ الياءَ في الخَيْلِ أَصْلُها الواوُ(٧)، واللهُ أعلم](٨).

---

(١) بعده في (ف): «قربوس».

(٢) سقط من (أ).

(٣) بعده في حاشية (ب): «من أسفل».

(٤) من: (ص)، (ج).

(٥) ليس في (ب).

(٦) خَوليّ: بفتح الواو، كذا ضبطه العسكري في كتاب «التصحيف». انظر: «تبصير المنتبه» (٢: ٥٤٢).

(٧) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (١: ٣٥٢)، (٣: ١٤١٣).

(٨) ذكر أوس بن خولي في (ص)، (ج) فيمَن قُتل من المشركين في بدر بعد السائب بن =

وذَكرَ[١] فيمَن اسْتُشْهِدَ[٢] يَوْمَ بَدْرٍ: عُمَيْرَ بنَ أبِي وقّاصٍ، وذَكرَ الواقِدِيُّ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ [قَدْ كانَ رَدَّهُ في ذَلِكَ اليَوْمِ؛ لِأنّهُ اسْتَصْغَرَهُ، فبَكى عُمَيْرٌ، فلَمّا رَأى رسولُ الله ﷺ][٣] بُكاءَهُ، أذِنَ لَهُ في الخروجِ مَعه، فقُتِل وَهُوَ ابنُ ستَّ عشْرةَ سَنَةً، قَتَلَهُ العاصي بنُ سعيدٍ[٤].

وذَكرَ ابنُ إسْحاقَ حارِثةَ بنَ سُراقةَ فيمَنْ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ[٥]؛ وهُو أوّلُ قَتِيلٍ مِن المُسْلِمِينَ في ذَلِكَ اليَوْمِ، رَماهُ حِبّانُ بنُ العَرِقةِ بِسَهْمٍ، فأصابَ حَنْجَرَتَهُ، فماتَ[٦]، فجاءَتْ[٧] أُمُّهُ - وهِيَ الرُّبَيِّعُ بِنْتُ النّضْرِ عَمّةُ أنَسٍ - فقالَتْ: يا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْتَ مَوْضِعَ حارِثةَ مِنِّي، فإنْ يَكُنْ في الجَنّةِ أصْبِرُ وأحْتَسِبُ، وإنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ، فسَتَرى ما أصْنَعُ، فَقالَ: «أوَجَنّةٌ واحِدةٌ هِيَ؟ إنَّها جَنّاتٌ، وَإنَّ ابْنَكِ مِنْها لَفِي الْفِرْدَوْسِ»[٨].

= أبي السائب، وقيل: مالك بن عبيد الله بن عثمان. ومكانه هذا هو الصواب، كما في (أ)، (ب)، (ف).

(١) قبله في (ف): «فصل».

(٢) في (ف): «شهد».

(٣) سقط من (ب).

(٤) كذا، والذي في «المغازي» للواقدي: (١: ١٤٥) أن الذي قتله هو عمرو بن عبد ودّ، وكذلك في «أسد الغابة» (٤: ٢٩٩)، قال: قتله عمرو بن عبد وُدّ، فأما العاصي بن سعيد فقد قُتِل يوم بدر، كما في «المغازي» (١: ١٤٨).

(٥) «المغازي» (١: ٦٥).

(٦) «أسد الغابة» (١: ٤٢٥).

(٧) في (ف): «وجاءت».

(٨) «مسند الإمام أحمد» (٣: ١٢٤)، و«فتح الباري»، كتاب الجهاد: (٦: ٢٥-٢٦)، و«البداية والنهاية» (ط. هجر): (٥: ٢٢٣).

وذَكَرَ فيهِمْ عُمَيْرَ بنَ الحُمامِ بنِ الجَمُوحِ، وقَدْ قَدَّمْنا ذِكْرَهُ[١]، وقَتَلَهُ خالدُ ابنُ الأَعْلَمِ[٢].

وذَكَرَ ذا الشِّمالَينِ الْخُزاعيَّ الغُبْشانيَّ حَلِيفَ بَنِي زُهْرةَ، وهُو الَّذِي ذَكَرَهُ الزُّهْرِيُّ في حَدِيثِ التَّسْلِيمِ مِنْ رَكْعَتَيْنِ، قالَ: فقامَ ذُو الشِّمالَيْنِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُهْرةَ، فقالَ: أَقَصُرَتِ الصَّلاةُ أَمْ نَسِيتَ يا رَسُولَ اللهِ؟ فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَصَدَقَ ذو اليدَينِ؟». لَمْ يَرْوِهِ أَحَدٌ هَكَذا بِهَذا اللَّفْظِ إلّا ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ، وهُو غَلَطٌ عِنْدَ أَهْلِ الحَدِيثِ، وإنّما هُو ذُو اليَدَيْنِ السُّلَمِيّ، واسْمُهُ: خِرْباقٌ، وذُو الشِّمالَيْنِ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، وحَدِيثُ التَّسليمِ مِنْ رَكْعَتَيْنِ شَهِدَهُ أَبُو هُرَيْرةَ، وكانَ إسْلامُهُ بَعْدَ بَدْرٍ بِسِنِينَ، وماتَ ذُو اليَدَيْنِ السُّلَمِيُّ في خِلافةِ مُعاوِيةَ[٣]، ورَوى عَنْهُ حَدِيثَهُ في التَّسْلِيمِ[٤] ابنُهُ مَطِيرُ بنُ الخِرْباقِ، ويَرْوِيهِ عَنْ مُطِيرٍ ابْنُه شُعَيثُ[٥] بن مُطَيرٍ.

ولَمّا رَأى المُبَرّدُ حَدِيثَ الزُّهْرِيّ: فقامَ ذُو الشّمالَيْنِ، وفي آخِرِهِ: «أَصَدَقَ ذُو اليَدَيْنِ؟» قالَ: هُو ذُو الشّمالَيْنِ وذُو اليَدَيْنِ، [كانَ][٦] يُسَمّى بِهِما جَمِيعًا، وجَهِلَ ما قالَهُ أَهْلُ الحَدِيثِ والسّيَرِ في ذِي الشّمالَيْنِ، ولَمْ يَعْرِفْ رِوايةً إلّا الرّوايةَ الّتِي فيها الغَلَطُ، قالَ ذَلِكَ في آخِرِ كِتابِ «الكامِلِ»[٧] في بابِ الأَذْواءِ[٨].

---

(١) انظر: (٥: ١٢٣).

(٢) «المغازي» للواقدي: (١: ٦٥).

(٣) انظر: «فتح الباري» (٣: ٩٦-٩٧)، و«أسد الغابة» (٢: ١٧٩-١٨٠).

(٤) بعده في (ف): «من ركعتين».

(٥) فيما عدا (أ)، (ف): «شعيب». انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٣: ١٣٥٥).

(٦) عن (أ)، (ب)، (ف).

(٧) انظر: «الكامل» للمبرد: (٣: ١٤٧٠).

(٨) كذا في (أ)، (ف)، وفي غيرهما: «ومن الأذواء». وهو خطأ.

ومِن البَدْرِيّينَ: عَلِيفةُ بنُ عَدِيٍّ البَياضِيّ أيْضًا، هَكَذا اسْمُهُ عِنْدَ أهْلِ السِّيَرِ، وسَمّاهُ ابنُ إسْحاقَ فقالَ: خَلِيفةُ(١) بنُ عَدِيّ بِالخاءِ(٢).

(٣)[وممّنْ ذُكِرَ في البدريِّين: كثيرُ بنُ عمرٍو السُّلَميُّ، حليفُ بني أسد، ويُقال: حليفُ بني عبد شمس، لم يَذكُرْهُ ابنُ هشام، وذكرَهُ ابنُ السرّاجِ في رِوايتِهِ عن زِيادٍ البَكّائيِّ، عن ابنِ إسحاقَ، قالَ أبو عُمرَ(٤): لم(٥) أجدْهُ في غيرِ هذه الرِّوايةِ، ولعلّهُ أنْ يكونَ ثَقْفَ بنَ عمرٍو؛ فإنّ ثَقْفًا شَهِدها هو وأخوهُ مالكُ ابنُ عمرٍو، فلعلّ ثَقْفًا لقبٌ، واسمهُ: كثيرٌ، واللهُ أعلمُ.

وذكَرَ في البدريِّينَ ثعلبةَ بنَ حاطب، ولمْ ينسبْهُ(٦)، فلعلّهُ غيرُ ثعلبة الذي نزلتْ فيه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ إلى قولِه: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧]. وهو حديثٌ مُسندٌ من [طريق](٧) أبي أُمامةَ الباهليِّ قال: قال ثعلبةُ بنُ حاطبٍ: ادعُ اللهَ أنْ يرزقني مالًا. فقال له: «قليلٌ تشكرهُ خيرٌ من كثيرٍ لا تُطيقهُ». فأبى، وهو حديثٌ طويلٌ مشهورٌ عند المفسِّرين(٨). ومات في خلافة عُمر. وقيل: في خلافةِ عثمان. فإنْ صحّ حديثهُ فذِكْرُ ابنِ إسحاقَ لهُ في

---

(١) في (ف): «الخليفة».

(٢) انظر: «أسد الغابة» (٢: ١٤٥-١٤٦). وقد وعد ابن الأثير أن يذكر عليفة في موضعه ولم أجده.

(٣) من هنا حتى آخر الفصل عن (أ)، (ب)، (ف).

(٤) «الاستيعاب» (٣: ١٣٠٨-١٣٠٩).

(٥) في (ف): «ولم».

(٦) في (ب): «ولم يسمه».

(٧) سقط من (ب).

(٨) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم. انظر: «تفسير ابن كثير» عند هذه الآية: (٤: ١٦٨٤-١٦٨٥).

البدريِّين وهَمٌ؛ لأنّه منافقٌ بنصِّ القرآنِ، أو يكون رجلًا آخرَ وافقَ اسمُهُ اسمَ البدريِّ، وهو ثعلبةُ بنُ حاطبِ بنِ عمرِو بنِ عُبيدِ بنِ أميّةَ بنِ زيدِ بنِ مالكِ بنِ عوفِ بنِ عمرِو بنِ عوفِ بنِ مالكِ بنِ الأوس. وحديثُ أبي أُمامةَ ضعيفٌ؛ إنّما يرويهِ عليُّ بنُ يزيدَ أبو عبدِ الملكِ، عن القاسمِ بنِ عبد الرحمن[1]، عن أبي أمامةَ، وعليُّ بنُ يزيدَ مُنكَرُ الحديثِ، قالهُ البخاريُّ[2] وغيره. ويُضعِّفُ أيضًا أنه ثَعلبةُ البدريُّ: أنّ هذا الذي نزلتْ فيه الآيةُ قد اختُلِفَ في اسمه؛ فروى الكشِّيُّ[3] في «تفسيره» عن قتادةَ، أنه قال: نزلتْ في حاطبٍ، ولم يقلْ في: ثعلبةَ بنِ حاطب، وقال في روايةٍ أخرى: نزلتْ في رجلٍ من الأنصار، ولم يُسَمِّه، فهو إذًا غيرُ المذكورِ في البدريِّين، وقد ذكرهُ ابنُ إسحاقَ قبْلَ هَذا في الْمُنافِقِين[4]، وذكَرَ الآيةَ التي نَزَلَتْ فيه].

* * *

---

(١) القاسم بن عبد الرحمن، يُكنى: أبا عبد الرحمن، شاميّ. انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم: (٧: ١١٣).

(٢) «التاريخ الصغير» (١: ٣١٠)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم: (٦: ٢٠٨-٢٠٩).

(٣) هو الإمام الحافظ عبد بن حميد بن نصر، قيل: اسمه: عبد الحميد، منسوب إلى كش على ثلاثة فراسخ من جرجان، ثقة، له «المسند» و«التفسير». انظر: «طبقات المفسرين» للداوودي: (١: ٣٦٨-٣٦٩)، و«العبر» للذهبي: (١: ٤٥٤).

(٤) انظر: «السيرة» (١: ٥٢٢).

مَنْ قُتِلَ بِبَدْرٍ مِن المُشْرِكِينَ

[مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ]

وَقُتِلَ مِن المُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: حَنْظَلةُ بنُ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبِ بنِ أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، قَتَلَهُ زَيْدُ بنُ حارِثةَ مَوْلى رَسُولِ الله ﷺ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ، ويُقالُ: اشْتَرَكَ فيهِ حَمْزةُ وعَلِيٌّ وزَيْدٌ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والحارِثُ بنُ الحَضْرَمِيِّ، وعامِرُ بنُ الحَضْرَمِيِّ، حَلِيفانِ لَهُمْ، قَتَلَ عامِرًا: عَمّارُ بنُ ياسِرٍ، وقَتَلَ الحارِثَ: النُّعْمانُ بنُ عَصَرٍ، حَلِيفٌ لِلْأَوْسِ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ. وعُمَيْرُ بنُ أبي عُمَيْرٍ، وابنُهُ: مَوْلَيانِ لَهُمْ. قَتَلَ عُمَيْرَ بنَ أبي عُمَيْرٍ: سالِمٌ مَوْلى أبي حُذَيْفةَ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعُبَيْدةُ بنُ سَعِيدِ بنِ العاصِ بنِ أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، قَتَلَهُ الزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ، والعاصِ بنُ سَعِيدِ بنِ العاصِ بنِ أُمَيّةَ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ. وعُقْبةُ بنُ أبي مُعَيْطِ بنِ أبي عَمْرِو بنِ أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، قَتَلَهُ عاصِمُ بنُ ثابِتِ بنِ أبي الأَقْلَحِ ـ أخُو بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ ـ صَبْرًا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعُتْبةُ بنُ رَبِيعةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، قَتَلَهُ عُبَيْدةُ بنُ الحارِثِ بنِ المُطَّلِبِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: اشْتَرَكَ فيهِ هُوَ وحَمْزةُ وعَلِيٌّ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وشَيْبةُ بنُ رَبيعةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، قَتَلَهُ حَمْزةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، والوَلِيدُ بنُ عُتْبةَ بنِ رَبِيعةَ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، وعامِرُ ابنُ عَبْدِ اللهِ حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي أنْمارِ بنِ بَغِيضٍ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ. اثْنا عَشَرَ رَجُلًا.

[مِنْ بَنِي نَوْفَلٍ]

وَمِنْ بَنِي نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: الحارِثُ بنُ عامِرِ بنِ نَوْفَلٍ، قَتَلَهُ ـ فيما يَذْكُرُونَ ـ خُبَيبُ بنُ إسافٍ، أخُو بَنِي الحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، وطُعَيْمةُ بنُ عَدِيِّ ابنِ نَوْفَلٍ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، ويُقالُ: حَمْزةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي أسَدٍ]

وَمِنْ بَنِي أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيٍّ: زَمَعةُ بنُ الأسْوَدِ بنِ المُطَّلِبِ ابنِ أسَدٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَتَلَهُ ثابِتُ بنُ الجِذْعِ، أخُو بَنِي حَرامٍ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

وَيُقالُ: اشْتَرَكَ فيهِ حَمْزةُ وعَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ وثابِتٌ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والحارِثُ بنُ زَمَعةَ، قَتَلَهُ عَمّارُ بنُ ياسِرٍ فيما قالَ ابنُ هِشامٍ، وعقيلُ بنُ الأسْوَدِ بنِ المُطَّلِبِ، قَتَلَهُ حَمْزةُ وعَلِيٌّ، اشْتَرَكا فيهِ فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

وأبو البَخْتَرِيِّ ـ وهُوَ العاصِ بنُ هِشامِ بنِ الحارِثِ بنِ أسَدٍ ـ قَتَلَهُ المُجَذَّرُ بنُ ذِيادٍ البَلَوِيُّ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: أبو البَخْتَرِيِّ: العاصِ بنُ هاشِمٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ونَوْفَلُ بنُ خُوَيْلِدِ بنِ أسَدٍ، وهُوَ ابنُ العَدَوِيّةِ، عَدِيُّ خُزاعةَ، وهُوَ الّذي قَرَنَ أبا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ وطَلْحةَ بنَ عُبَيْدِ الله حِينَ أسْلَما في حَبْلٍ، فكانا يُسَمَّيانِ: القَرِينَيْنِ لِذلك، وكانَ مِنْ شَياطِينِ قُرَيْشٍ، قَتَلَهُ عَلِيُّ ابنُ أبي طالِبٍ. خَمْسةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ]

وَمِنْ عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ: النَّضْرُ بنُ الحارِثِ بنِ كَلَدةَ بنِ عَلْقَمةَ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الدّارِ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ صَبْرًا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ بِالصَّفْراءِ، فيما يَذْكُرُونَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: بِالأُثَيْلِ. قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: النَّضْرُ بنُ الحارِثِ بنِ عَلْقَمةَ بنِ كَلَدةَ بنِ عَبْدِ مَنافٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وزَيْدُ بنُ مُلَيْصٍ، مَوْلى عُمَيْرِ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ ابنِ عَبْدِ الدّارِ. رَجُلانِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَتَلَ زَيْدَ بنَ مُلَيْصٍ: بِلالُ بنُ رَباحٍ مَوْلى أبي بَكْرٍ، وزَيْدٌ حَليفٌ لِبَنِي عَبْدِ الدّارِ، مِنْ بَنِي مازِنِ بنِ مالِكِ بنِ عَمْرِو بنِ تَمِيمٍ، ويُقالُ: قَتَلَهُ المِقْدادُ بنُ عَمْرٍو.

[مِنْ بَنِي تَمِيمِ بنِ مُرّةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي تَيْمِ بنِ مُرّةَ: عُمَيْرُ بنُ عُثْمانَ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بن سَعْدِ بنِ تَيْمٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، ويُقالُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعُثْمانُ بنُ مالِكِ بنِ عُبَيْدِ الله بنِ عُثْمانَ بنِ عَمْرِو ابنِ كَعْبٍ، قَتَلَهُ صُهَيْبُ بنُ سِنانٍ. رَجُلانِ.

فَصْلٌ

وذَكَرَ فيمَنْ قُتِلَ مِن المشركين يَوْمَ بَدْرٍ العاصِيَ بنَ سَعِيدِ بنِ العاصِي، وقَدْ ذَكَرْنا فيما تَقَدّمَ مِنْ هَذا الكِتابِ الحَدِيثَ الّذِي أسْنَدَهُ أبُو عُبَيْدٍ إلى سَعْدِ ابنِ أبي وقّاصٍ، قال: قَتلْتُ يومَ بدرٍ العاصيَ بنَ سَعِيدٍ، وأخَذْتُ سَيْفَهُ ذا الكَتِيفةِ[1]. وذَكرَ الحَدِيثَ، قالَ أبُو عُبَيْدٍ: وأهْلُ السِّيَرِ يَقُولُونَ: قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أبي طالِبٍ.

قالَ المُؤَلّفُ: وبَعْضُ أهْلِ التّفْسِيرِ يَقُولُونَ: قَتَلَهُ أبُو اليَسَرِ كعبُ بنُ عمرٍو. وقال أبو عبدِ اللهِ الزّبَيْرُ بنُ أبِي بَكْرٍ القاضِي في «أنْسابِ قُرَيْشٍ» لَهُ: والعاصِي قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبِي طالِبٍ يَوْمَ بَدْرٍ كافِرًا؛ حَدّثَ إبْراهِيمُ بنُ حَمْزَةَ، عَنْ إبْراهِيمَ ابنِ سَعْدٍ، عَنْ صالِحِ بنِ كَيْسانَ، عَن ابنِ شِهابٍ، قالَ: بَيْنَما عُمَرُ ابنُ الخَطّابِ جالِسٌ في المَسْجِدِ؛ إذْ مَرّ بِهِ سَعِيدُ بنُ العاصِي، فسَلّمَ عَلَيْهِ، فقالَ لَهُ عُمَرُ: إنّي واللهِ يا ابنَ أخِي ما قَتَلْتُ أباك يَوْمَ بَدْرٍ، ولَكِنّي قَتَلْتُ خالِي العاصيَ بنَ هشام، وما بي أنْ أكُونَ أعْتَذِرُ مِنْ قَتْلِ مُشْرِكٍ، قالَ: فقالَ لَهُ سعيدُ ابنُ العاصي: لَوْ قَتَلْتَه كُنْتَ على الحَقّ، وكانَ على الباطِلِ. قالَ: فعَجِبَ عُمَرُ مِنْ قَوْلِهِ ولَوى كَفَّيْهِ، وقالَ: قُرَيْشٌ أفْضَلُ النّاسِ أحلامًا، وأعظمُ الناسِ أمانةً،

(١) انظر: (٥: ٢٠٨).

ومَنْ يُرِدْ بِقُرَيشٍ سُوءًا يَكُبَّهُ اللهُ لِفيهِ. وقالَ: قالَ عَمِّي مُصْعَبُ بنُ عَبْدِ اللهِ: زَعَمُوا أنّ عُمَرَ قالَ: رَأيْتُه يَبْحَثُ التّرابَ كَأنّهُ ثَوْرٌ، فصَدَدْتُ عَنْهُ، وصَمَدَ لَهُ عَلِيٌّ فقَتَلَهُ(١).

[مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ]

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ بنِ مُرّةَ: أبو جَهْلِ بنُ هِشامٍ، واسْمُهُ: عَمْرُو ابنُ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ الله بنِ عَمْرِو بنِ مَخْزُومٍ، ضَرَبَهُ مُعاذُ بنُ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ، فقَطَعَ رِجْلَهُ، وضَرَبَ ابنُهُ عِكْرِمةُ يَدَ مُعاذٍ فطَرَحَها، ثُمَّ ضَرَبَهُ مُعَوِّذُ بنُ عَفْراءَ حَتّى أثْبَتَهُ، ثُمَّ تَرَكَهُ وبِهِ رَمَقٌ، ثُمَّ ذَفَّفَ عَلَيْهِ عَبْدُ الله ابنُ مَسْعُودٍ، واحْتَزَّ رَأْسَهُ، حِينَ أمَرَ رَسُولُ الله ﷺ أنْ يُلْتَمَسَ في القَتْلى.

والعاصِ بنُ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، قَتَلَهُ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ.

ويَزِيدُ بنُ عَبْدِ اللهِ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ثُمَّ أحَدُ بَنِي عَمْرِو بنِ تَمِيمٍ ـ وكانَ شُجاعًا، قَتَلَهُ عَمّارُ بنُ ياسِرٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأبو مُسافِعٍ الأشْعَرِيُّ، حَلِيفٌ لَهُمْ، قَتَلَهُ أبو دُجانةَ السّاعِدِيُّ فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

وحَرْمَلةُ بنُ عَمْرٍو، حَلِيفٌ لَهُمْ، قالَ ابنُ هِشامٍ: قَتَلَهُ خارِجةُ بنُ زَيْدِ ابنِ أبي زُهَيْرٍ، أخُو بَلْحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، ويُقالُ: بَلْ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ فيما قالَ ابنُ هِشامٍ، وحَرْمَلةُ مِن الأسَدِ.

(١) انظر: «نسب قريش» لمصعب: (ص: ١٧٦).

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومَسْعُودُ بنُ أبي أُمَيّةَ بنِ المُغِيرةِ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

وأبو قَيْسِ بنُ الوَلِيدِ بنِ المُغِيرةِ، قالَ ابنُ هِشامٍ: قَتَلَهُ حَمْزةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأبو قَيْسِ بنُ الفاكِهِ بنِ المُغِيرةِ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، ويُقالُ: قَتَلَهُ عَمّارُ بنُ ياسِرٍ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ورِفاعةُ بنُ أبي رِفاعةَ بنِ عابِدِ بنِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ ابنِ مَخْزُومٍ، قَتَلَهُ سَعْدُ بنُ الرّبيعِ، أخُو بَلْحارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

والمُنْذِرُ بنُ أبي رِفاعةَ بنِ عابِدٍ، قَتَلَهُ مَعْنُ بنُ عَدِيِّ بنِ الجَدِّ بنِ العَجْلانِ، حَلِيفُ بَنِي عُبَيْدِ بنِ زَيْدِ بنِ مالِكِ بنِ عَوْفِ بنِ عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

وعَبْدُ الله بنُ المُنْذِرِ بنِ أبي رِفاعةَ بنِ عابِدٍ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والسّائِبُ بنُ أبي السّائِبِ بنِ عابِدِ بنِ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: السّائِبُ بنُ أبي السّائِبِ شَرِيكُ رَسُولِ الله ﷺ الّذي جاءَ فيهِ الحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ: «نِعْمَ الشَّرِيكُ السّائِبُ؛ لا يُشاري ولا يُماري»، وكانَ أسْلَمَ فحَسُنَ إسْلامُهُ فيما بَلَغَنا، والله أعْلَمُ.

وَذَكَرَ ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عُتْبَةَ، عَن ابنِ عَبّاسٍ: أَنَّ السّائِبَ بنَ أَبي السّائِبِ بنِ عابِدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ مِمَّنْ بايَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ، وأَعْطاهُ يَوْمَ الجِعرانةِ مِنْ غَنائِمِ حُنَيْنٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وذَكَرَ غَيْرُ ابنِ إسْحاقَ: أَنَّ الَّذي قَتَلَهُ الزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: والأَسْوَدُ بنُ عَبْدِ الأَسَدِ بنِ هِلالِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، قَتَلَهُ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وحاجِبُ بنُ السّائِبِ بنِ عُوَيْمِرِ بنِ عَمْرِو بنِ عائِذِ بنِ عَبْدِ بنِ عِمرانَ بنِ مَخْزُومٍ، قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ عائِذُ بنُ عِمْرانَ بنِ مَخْزُومٍ، ويُقالُ: حاجِزُ بنُ السّائِبِ، والَّذي قَتَلَ حاجِبَ بنَ السّائِبِ عَلِيُّ بنُ أَبي طالِبٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعُوَيْمِرُ بنُ السّائِبِ بنِ عُوَيْمِرٍ، قَتَلَهُ النُّعْمانُ بنُ مالِكٍ القَوْقَلِيُّ مُبارَزَةً، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعَمْرُو بنُ سُفيانَ، وجابِرُ بنُ سُفيانَ، حَلِيفانِ لَهُمْ مِنْ طَيِّئٍ؛ قَتَلَ عَمْرًا يَزِيدُ بنُ رُقَيْشٍ، وقَتَلَ جابِرًا أبو بُرْدَةَ بنُ نِيارٍ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ، قالَ ابنُ إسْحاقَ: سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا.

[مِنْ بَنِي سَهْمٍ]

وَمِنْ بَنِي سَهْمِ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ: مُنَبِّهُ بنُ الحَجّاجِ ابنِ عامِرِ بنِ حُذَيْفةَ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، قَتَلَهُ أبو اليَسَرِ، أَخُو بَنِي سَلِمةَ، وابنُهُ العاصِ بنُ مُنَبِّهِ بنِ الحَجّاجِ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أَبي طالِبٍ فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

وَنُبَيْهُ بنُ الحَجّاجِ بنِ عامِرٍ، قَتَلَهُ حَمْزةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ وسَعْدُ بنُ أَبي وقّاصٍ؛ اشْتَرَكا فيهِ فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

وأبو العاصِ بنُ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، ويُقالُ: النُّعْمانُ بنُ مالِكٍ القَوْقَلِيُّ، ويُقالُ: أبو دُجانةَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وعاصِمُ بنُ عَوْفِ بنِ ضُبَيْرَةَ بنِ سَعِيدِ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، قَتَلَهُ أبو اليَسَرِ، أخُو بَنِي سَلِمةَ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ. خَمْسةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي جُمَحَ]

وَمِنْ بَنِي جُمَحَ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيٍّ: أُمَيّةُ بنُ خَلَفِ ابنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ، قَتَلَهُ رَجُلٌ مِن الأنْصارِ مِنْ بَنِي مازِنٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: بَلْ قَتَلَهُ مُعاذُ بنُ عَفْراءَ وخارِجةُ بنُ زَيْدٍ وخُبَيبُ ابنُ إسافٍ، اشْتَرَكُوا في قَتْلِهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وابنُهُ عَلِيُّ بنُ أُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ، قَتَلَهُ عَمّارُ بنُ ياسِرٍ.

وأوْسُ بنُ مِعْيَرِ بنِ لَوْذانَ بنِ سَعْدِ بنِ جُمَحَ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ فيما قالَ ابنُ هِشامٍ، ويُقالُ: قَتَلَهُ الحُصَيْنُ بنُ الحارِثِ بنِ المُطَّلِبِ، وعُثْمانُ ابنُ مَظْعُونٍ، اشْتَرَكا فيهِ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثَلاثةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي عامِرٍ]

وَمِنْ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ: مُعاوِيةُ بنُ عامِرٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ عَبْدِ القَيْسِ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، ويُقالُ: قَتَلَهُ عُكّاشةُ بنُ مِحْصَنٍ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومَعْبَدُ بنُ وهْبٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي كَلْبِ بنِ عَوْفِ ابن كَعْبِ بنِ عامِرِ بنِ لَيْثٍ، قَتَلَ مَعْبَدًا خالِدٌ وإياسٌ ابنا البُكَيْرِ، ويُقالُ: أبو دُجانَةَ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ. رَجُلانِ.

[عَدَدُهُمْ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: فجَمِيعُ مَنْ أُحْصِيَ لَنا مِنْ قَتْلى قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ خَمْسُونَ رَجُلًا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنِي أبو عُبَيْدَةَ، عَنْ أبي عَمْرٍو: أنَّ قَتْلى بَدْرٍ مِن المُشْرِكِينَ كانُوا سَبْعِينَ رَجُلًا، والأَسْرى كَذلك، وهُوَ قَوْلُ ابنِ عَبّاسٍ وسَعِيدِ ابنِ المُسَيِّبِ، وفي كِتابِ الله تَبارَكَ وتَعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥]، يَقُولُهُ لِأَصْحابِ أُحُدٍ، وكانَ مَن اسْتُشْهِدَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا، يَقُولُ: قَدْ أَصَبْتُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِثْلَيْ مَن اسْتُشْهِدَ مِنْكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ؛ سَبْعِينَ قَتِيلًا، وسَبْعِينَ أَسِيرًا. وأَنْشَدَنِي أبو زَيْدٍ الأَنْصارِيُّ لِكَعْبِ ابنِ مالِكٍ:

فَأَقامَ بِالعَطَنِ المُعَطَّنِ مِنْهُمُ   سَبْعُونَ، عُتْبَةُ مِنْهُمُ والأَسْوَدُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: يَعْنِي قَتْلى بَدْرٍ.

وهذا البَيْتُ في قَصِيدةٍ لَهُ في حَدِيثِ يَوْمِ أُحُدٍ، سَأَذْكُرُها إنْ شاءَ الله تَعالى في مَوْضِعِها.

[مَنْ فاتَ ابنَ إسْحاقَ ذِكْرُهُمْ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: ومِمَّنْ لَمْ يَذْكُر ابنُ إسْحاقَ مِنْ هَؤُلاءِ السَّبْعِينَ القَتْلى.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ]

مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: وهْبُ بنُ الحارِثِ، مِنْ بَنِي أنْمارِ ابنِ بَغِيضٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ، وعامِرُ بنُ زَيْدٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِن اليَمَنِ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي أَسَدٍ]

وَمِنْ بَنِي أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى: عُقْبَةُ بنُ زَيْدٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِن اليَمَنِ، وعُمَيْرٌ مَوْلًى لَهُمْ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ: نُبَيْهُ بنُ زَيْدِ بنِ مُلَيْصٍ، وعُبَيْدُ بنُ سَلِيطٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ قَيْسٍ. رَجُلانِ.

وذَكَرَ فيمَنْ قُتِلَ مِن المُشْرِكِينَ يومَ بَدْرٍ: السّائِبَ بنَ أبي السائبِ، واسمُ أبي السائب: صَيْفيُّ بنُ عابِدٍ[١]، وأنْكَرَ ابنُ هِشامٍ أنْ يَكُونَ السّائِبُ قُتِلَ كافِرًا، قالَ: وقَدْ أَسْلَمَ وحَسُنَ إسْلامُهُ، وذَكَرَ أَبُو عُمَرَ عَن الزُّبَيْرِ أنّ السّائِبَ قُتِلَ كافِرًا [يَوْمَ بَدْرٍ][٢]، قالَ: وأَحْسَبُهُ اتَّبَعَ في ذَلِكَ قَوْلَ ابنِ إسْحاقَ، قالَ: وقَدْ نَقَضَ الزُّبَيْرُ ذَلِكَ في مَوْضِعَيْنِ مِنْ كِتابِهِ بَعْدَ ذَلِكَ، فقالَ: حَدّثَنِي يَحْيى[٣] بنُ مُحَمّدِ ابنِ عَبْدِ اللهِ بنِ ثَوْبانَ، عَنْ جَعْفَرِ بنِ عِكْرِمَةَ، عَنْ يَحْيى بنِ كَعْبٍ، عن أبيه كَعْبٍ مَولى سَعيدِ بنِ العاصي، قال: مَرّ مُعاوِيةُ وهُو يَطُوفُ بِالبَيْتِ ومَعَهُ جُنْدُهُ،

(١) انظر: «التبصير» (٣: ٨٨٧).
(٢) سقط من (ب).
(٣) «الاستيعاب» (٢: ٥٧٢).

فزَحَمُوا[١] السّائِبَ بنَ صَيْفيٍّ بنِ عابدٍ، فسَقَطَ، فوقَفَ عَلَيْهِ مُعاويةُ وهُو يَوْمَئِذٍ خَلِيفةٌ، فقال: ارفعوا الشّيْخَ، فلَمّا قامَ قالَ: ما هَذا يا مُعاويةُ؟! تَصْرَعُونَنا حَوْلَ البَيْتِ؟! أما واللهِ لَقَدْ أردتُ أن أتزوَّجَ أمَّك، فقال مُعاويةُ: لَيْتَك فعَلْتَ فجاءَتْ بِمِثْلِ أَبِي السّائِبِ، يَعْنِي: عَبْدَ اللهِ بنَ السّائِبِ.

وهَذا واضِحٌ في إدْراكِهِ الإسْلامَ، وفي طُولِ عُمُرِهِ.

وقالَ في مَوْضِعِ آخَرَ: حَدّثَنِي أَبُو ضَمْرةَ أَنَسُ بنُ عِياضٍ اللّيْثِيُّ، قالَ: حَدّثَنِي أَبُو السّائِبِ ـ يَعْنِي: الماجنَ[٢]، وهُو عَبْدُ اللهِ بنُ السّائِبِ ـ قالَ: كانَ جَدِّي أَبُو السّائِبِ شَرِيكَ رسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «نِعْمَ الشّرِيكُ أَبُو السّائِبِ؛ لا يُشارِي ولا يُمارِي»[٣].

وهَذا كُلُّهُ مِن الزُّبَيْرِ مُناقَضةٌ فيما ذَكَرَ أنّ السّائِبَ بنَ أَبِي السّائِبِ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ كافِرًا.

وقالَ ابنُ هِشامٍ: السّائِبُ بنُ أَبِي السّائِبِ الّذِي جاءَ فيهِ الحَدِيثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «نِعْمَ الشّرِيكُ أَبُو السّائِبِ؛ لا يُشارِي ولا يُمارِي». كانَ قَدْ أَسْلَمَ فحَسُنَ إسْلامُهُ فيما بَلَغَنا[٤].

قالَ ابنُ هِشامٍ: وذَكَرَ ابنُ شِهابٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُتْبَةَ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، أنّ السّائِبَ بنَ أَبِي السّائِبِ بنِ عابدِ بن عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ مِمّنْ هاجَرَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وأعْطاهُ يَوْمَ الجِعْرانةِ مِنْ غَنائِمِ حُنَيْنٍ[٥].

(١) في (أ)، (ج): «فزحمه».
(٢) «الاستيعاب» (٢: ٥٧٣).
(٣) «الاستيعاب» (٢: ٥٧٣).
(٤) «السيرة» (١: ٧١١-٧١٢).
(٥) «السيرة» (١: ٧١٢). وفي (ص)، (ج) بدل «حنين»: «خيبر». وانظر: «الاستيعاب» لابن =

قالَ أبُو عُمرَ: هَذا أوْلى ما عُوِّلَ عَلَيْهِ في هَذا الباب، وقَدْ ذَكَرْنا أنّ الحَدِيثَ فيمَنْ كانَ شَريكَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ هَؤُلاءِ مُضْطَرِبٌ جِدًّا؛ مِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُ الشّركةَ لِلسّائِبِ بنِ أبي السّائب، ومِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُها للسّائِبِ أبيه[1]، كَما ذَكَرْنا عَنِ الزّبَيْرِ هنا، ومِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُها لِقَيْسِ بنِ السّائِبِ، ومنهم من يَجعلُها لعبدِ الله بن [أبي][2] السّائبِ[3]، وهذ اضْطِرابٌ لا يَثْبُتُ بِهِ شَيْءٌ ولا تَقُومُ بِهِ حُجّةٌ، والسّائِبُ بنُ أبِي السّائِبِ مِن المُؤَلَّفةِ قُلُوبُهُمْ ومِمّنْ حَسُنَ إسْلامُهُ منهم.

هَذا آخِرُ كَلامِ أبِي عُمَرَ في كِتابِ «الِاسْتِيعابِ»[4]، حَدّثَنِي بِهِ أبُو بَكْرِ بنُ طاهِرٍ الإشْبِيلِيُّ، عَنْ أبِي عَلِيٍّ الغَسّانِيِّ، عَنْهُ، وكَذَلِكَ اخْتَلَفَتِ الرّوايةُ[5] في هذ الكَلامِ: «كانَ خَيْرَ شَرِيكٍ؛ لا يُشارِي ولا يُمارِي»، فمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهُ مِنْ قَوْلِ النّبِيِّ ﷺ [في أبِي السّائِبِ][6]، ومنهم من يَجْعَلُهُ مِنْ قَوْلِ أبِي السّائِبِ في النّبِيِّ ﷺ.

[مِنْ بني تيمٍ]

وَمِنْ بَنِي تَيْمِ بنِ مُرّةَ: مالِكُ بنُ عُبَيْدِ الله بنِ عُثْمانَ، وَهُوَ أخُو طَلْحةَ ابنِ عُبَيْدِ الله بنِ عُثْمانَ، أُسِرَ فماتَ في الأُسارى، فعُدَّ في القَتْلى. ويُقالُ: وعَمْرُو بن عَبْدِ الله بنِ جُدْعانَ. رَجُلانِ.

= عبد البر: (٢: ٥٧٣-٥٧٤).

(١) «الاستيعاب» (٢: ٥٧٣).

(٢) ليس في (ب)، (ف).

(٣) «الاستيعاب» (٢: ٥٧٤).

(٤) «الاستيعاب» (٢: ٥٧٤).

(٥) في (أ) (ف): «الروايات».

(٦) ليس في (أ).

وذَكرَ ابنُ هِشامٍ فيمَنْ قُتِلَ مِن المُشْرِكِينَ مِمّنْ لَمْ يَذْكُرْهُ ابنُ إسْحاقَ: مالِكَ ابنَ عُبَيْدِ اللهِ بن عُثْمانَ، وهُو أخُو طَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ اللهِ.

وذَكرَ عَمْرَو بنَ عَبْدِ اللهِ بنِ جُدعانَ التَّيْمِيَّ، وعَبْدُ[1] اللهِ بنُ جُدعانَ هُو الجَوادُ المَشْهُورُ، صاحِبُ الجَفْنَةِ العَظِيمةِ الّتِي كانَ يَأْكُلُ مِنْها الرّاكِبُ على البَعِيرِ، وكانَ رسولُ الله ﷺ يَستظِلُّ بظلِّها، ووَقَعَ فيها إنسانٌ فغَرِقَ وماتَ، وقَدْ ذَكَرْنا في أوّلِ هَذا الكِتابِ حَدِيثَهُ، والسّبَبَ في غِناهُ بَعْدَ أنْ كانَ صُعْلُوكًا، وسُؤالَ عائِشةَ عَنْهُ النّبِيَّ[2] ﷺ: هَلْ يَنْتَفِعُ بِجُودِهِ أمْ لا؟

* * *

(١) في (أ): «وعبيد الله».

(٢) في (ف): «للنبي».

[مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ]

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ: حُذَيْفَةُ بنُ أبي حُذَيْفَةَ بنِ المُغِيرةِ، قَتَلَهُ سَعْدُ ابْنُ أبي وقّاصٍ.

وهِشامُ بنُ أبي حُذَيْفةَ بنِ المُغِيرةِ، قَتَلَهُ صُهَيْبُ بنُ سِنانٍ.

وزُهَيْرُ بنُ أبي رِفاعةَ، قَتَلَهُ أبو أُسَيْدٍ مالِكُ بنُ رَبِيعةَ.

والسّائِبُ بنُ أبي رِفاعةَ، قَتَلَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ.

وعائِذُ بنُ السّائِبِ بنِ عُوَيْمِرٍ، أُسِرَ ثُمَّ افْتُدِيَ، فماتَ في الطَّرِيقِ مِنْ جِراحةٍ جَرَحَهُ إيّاها حَمْزةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

وعُمَيْرٌ حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ طيِّئٍ.

وخِيارٌ حَلِيفٌ لَهُمْ مِن القارةِ. سَبْعةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي جُمَحَ]

وَمِنْ بَنِي جُمَحَ بنِ عَمْرٍو: سَبْرةُ بنُ مالِكٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي سَهْمٍ]

وَمِنْ بَنِي سَهْمِ بنِ عَمْرٍو: الحارِثُ بنُ مُنَبِّهِ بنِ الحَجّاجِ، قَتَلَهُ صُهَيْبُ ابنُ سِنانٍ.

وعامِرُ بنُ عَوْفِ بنِ ضُبَيْرةَ، أخُو عاصِمِ بنِ ضُبَيْرةَ، قَتَلَهُ عَبْدُ اللهِ بنُ سَلَمَةَ العَجْلانِيُّ، ويُقالُ: أبو دُجانةَ. رَجُلانِ.

وذَكرَ ابنُ هِشامٍ فيهِمْ أيْضًا حُذَيْفةَ بنَ أَبِي حُذَيْفةَ بنِ المُغِيرةِ، واسْمُ أَبِي حُذَيْفةَ هَذا: مُهَشِّمٌ، وهُو أخُو هِشامٍ وهاشِمٍ ابنَي المُغِيرةِ، وهِشامٌ: والِدُ أَبِي جَهْلٍ، وهاشِمٌ جَدُّ عُمَرَ لِأُمِّهِ[1]، ومُهَشِّمٌ هُو: أَبُو حُذَيْفةَ، وأمّا أَبُو حُذَيْفةَ بنُ عُتْبةَ فاسْمُهُ: قَيْسٌ، ولَمْ يَقُلْ ذَلِكَ ابنُ إسْحاقَ ولا ابنُ هِشامٍ، وإنّما قالُوا فيهِ: مُهَشِّمٌ[2]، وهُو عِنْدَ أهْلِ النَّسَبِ غَلَطٌ؛ إنّما مُهَشِّمٌ أَبُو حُذَيْفةَ الذي ذَكَرْنا[3] لا أبو حُذيفةَ بْنِ عُتْبةَ[4].

ذِكْرُ أَسْرى قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ

[مِنْ بَنِي هاشِمٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأُسِرَ مِن المُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ بَنِي هاشِمِ ابنِ عَبْدِ مَنافٍ: عَقِيلُ بنُ أبي طالِبِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ، ونَوْفَلُ ابنُ الحارِثِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ.

[مِنْ بَنِي المُطَّلِبِ]

وَمِنْ بَنِي المُطَّلِبِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: السّائِبُ بنُ عُبَيْدِ بنِ عَبْدِ يَزِيدَ ابنِ هاشِمِ بنِ المُطَّلِبِ، ونُعْمانُ بنُ عَمْرِو بنِ عَلْقَمةَ بنِ المُطَّلِبِ. رَجُلانِ.

---

(١) من «السيرة» (١: ١٣٤).

(٢) «جمهرة ابن حزم» (ص: ١٤٤).

(٣) في (ف): «ذكرناه».

(٤) انظر: «السيرة» (١: ٦٧٩).

[مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وحُلَفائِهِمْ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: عَمْرُو بنُ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبِ ابنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ، والحارِثُ بنُ أبي وجْزَةَ بنِ أبي عَمْرِو بنِ أُمَيَّـةَ بـنِ عَبْدِ شَمْسٍ. وَيُقالُ: ابنُ أبي وحْرةَ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وأبو العاصِ بنُ الرَّبِيعِ بنِ عَبْدِ العُزّى بن عَبْدِ شَمْسٍ، وأبو العاصِ بنُ نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ شَمْسٍ.

وَمِنْ حُلَفائِهِمْ: أبو رِيشةَ بنُ أبي عَمْرٍو، وعَمْرُو بنُ الأزْرَقِ، وعُقْبةُ بنُ عَبْدِ الحارِثِ بنِ الحَضْرَمِيِّ. سَبْعةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي نَوْفَلٍ وحُلَفائِهِمْ]

وَمِنْ بَنِي نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: عَدِيُّ بنُ الخِيارِ بنِ عَدِيِّ بنِ نَوْفَلٍ، وعُثْمانُ بنُ عَبْدِ شَمْسِ بنِ أخِي غَزْوانَ بنِ جابِرٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي مازِنِ ابنِ مَنْصُورٍ، وأبو ثَوْرٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ. ثَلاثةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ وحُلَفائِهِمْ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ: أبو عزيزِ بنِ عُمَيْرِ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ ابنِ عَبْدِ الدّارِ، والأسْوَدُ بنُ عامِرٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ. ويَقُولُونَ: نَحْنُ بَنُو الأسْوَدِ ابنِ عامِرِ بن عَمْرِو بنِ الحارِثِ بنِ السَّبّاقِ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي أسَدٍ وحُلَفائِهِمْ]

وَمِنْ بَنِي أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى بنِ قُصَيٍّ: السّائِبُ بنُ أبي حُبَيْشِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ أسَدٍ، والحُوَيْرِثُ بنُ عَبّادِ بنِ عُثْمانَ بنِ أسَدٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: هُوَ الحارِثُ بنُ عائِذِ بنِ عُثْمانَ بنِ أسَدٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وسالِمُ بنُ شَمّاخٍ، حَلِيفٌ لَهُمْ. ثَلاثَةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ]

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ بنِ مُرّةَ: خالِدُ بنُ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ اللهِ ابنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، وأُمَيّةُ بنُ أبي حُذَيْفةَ بنِ المُغِيرةِ، والوَلِيدُ بنُ الوَلِيدِ ابنِ المُغِيرةِ، وعُثْمانُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ المُغِيرةِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، وصَيْفِيُّ بنُ أبي رِفاعةَ بنِ عابِدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، وأبو المُنْذِرِ بنُ أبي رِفاعةَ بنِ عابِدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، وأبو عَطاءٍ عَبْدُ اللهِ بنُ أبي السّائِبِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، والمُطَّلِبُ بنُ حَنْطَبِ بنِ الحارِثِ بنِ عُبَيْدِ بنِ عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ، وخالِدُ بنُ الأعْلَمِ، حَلِيفٌ لَهُمْ، وهُوَ كانَ ـ فيما يَذْكُرُونَ ـ أوّلَ مَنْ ولّى فارًّا مُنْهَزِمًا، وهُوَ الَّذي يَقُولُ:

وَلَسْنا على الأدْبارِ تَدْمى كُلُومُنا ... ولَكِنْ على أقْدامِنا يَقْطُرُ الدَّمُ

تِسْعةُ نَفَرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى: «لَسْنا على الأعْقابِ».

وَخالِدُ بنُ الأعْلَمِ مِنْ خُزاعةَ، ويُقالُ: عُقَيْلِيٌّ.

[مِنْ بَنِي سَهْمٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ومِنْ بَنِي سَهْمِ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ: أبو وداعةَ بنُ ضُبَيْرةَ بنِ سَعِيدِ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، كانَ أوّلَ أسِيرٍ افْتُدِيَ مِنْ أسْرى بَدْرٍ، افْتَداهُ ابنُهُ المُطَّلِبُ بنُ أبي وداعةَ، وفَرْوةُ بنُ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ

ابنِ حُذافةَ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، وحَنْظَلةُ بنُ قَبِيصةَ بنِ حُذافةَ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، والحَجّاجُ بنُ قَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ. أرْبَعةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي جُمَحَ]

وَمِنْ بَنِي جُمَحَ بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ: عَبْدُ الله بنُ أُبَيِّ بنِ خَلَفِ ابنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ، وأبو عَزَّةَ عَمْرُو بنُ عَبْدِ بنِ عُثْمانَ بنِ وُهَيْبِ ابنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ، والفاكِهُ مَوْلى أُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ، ادَّعاهُ بَعْدَ ذلك رَباحُ بنُ المُغْتَرِفِ، وهُوَ يَزْعُمُ أنَّهُ مِنْ بَنِي شَمّاخِ بنِ مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ، ويُقالُ: إنَّ الفاكِهَ ابنُ جَرْوَلِ بنِ حِذْيَمِ بنِ عَوْفِ بنِ غَضْبِ بنِ شَمّاخِ بنِ مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ، ووَهْبُ ابنُ عُمَيْرِ بنِ وهْبِ بنِ خَلَفِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ، ورَبِيعةُ بنُ دَرّاجِ ابنِ العَنْبَسِ بنِ أُهْبانَ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ. خَمْسةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي عامِرٍ]

وَمِنْ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ: سُهَيْلُ بنُ عَمْرِو بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ ابنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ، أَسَرَهُ مالِكُ بنُ الدُّخْشُمِ، أخُو بَنِي سالِمِ بنِ عَوْفٍ.

وعَبْدُ بنُ زَمَعةَ بنِ قَيْسِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ ابنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مَشْنُوءِ بنِ وقْدانَ بنِ قَيْسِ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ وُدِّ بنِ نَصْرِ بنِ مالِكِ بنِ حِسْلِ بنِ عامِرٍ. ثَلاثةُ نفرٍ.

[من بني الحارِثِ]

وَمِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ فِهْرٍ: الطُّفيلُ بنُ أبي قُنَيْعٍ، وعُتْبةُ بنُ عَمْرِو بنِ جَحْدَمٍ. رَجُلانِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فجَمِيعُ مَنْ حُفِظَ لَنا مِن الأُسارى ثَلاثةٌ وأرْبَعُونَ رَجُلًا.

[ما فاتَ ابنَ إسْحاقَ ذِكْرُهُمْ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقَعَ مِنْ جُمْلةِ العَدَدِ رَجُلٌ لَمْ نَذْكُرِ اسْمَهُ، ومِمَّنْ لَمْ يذْكُرِ ابنُ إسْحاقَ مِن الأُسارى:

[مِنْ بَنِي هاشِمٍ]

مِنْ بَنِي هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: عُتْبةُ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِنْ بَنِي فِهْرٍ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي المُطَّلِبِ]

وَمِنْ بَنِي المُطَّلِبِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: عَقِيلُ بنُ عَمْرٍو، حَلِيفٌ لَهُمْ، وأخُوهُ تَمِيمُ بنُ عَمْرٍو، وابنُهُ. ثَلاثةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: خالِدُ بنُ أُسَيْدِ بنِ أبي العِيصِ، وأبو العَرِيضِ يَسارٌ، مَوْلى العاصِ بنِ أُمَيّةَ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي نَوْفَلٍ]

وَمِنْ بَنِي نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ: نَبْهانُ، مَوْلًى لَهُمْ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي أسَدٍ]

وَمِنْ بَنِي أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى: عَبْدُ الله بنُ حُمَيْدِ بنِ زُهَيْرِ بنِ الحارِثِ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ]

وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ بنِ قُصَيٍّ: عَقِيلٌ، حَلِيفٌ لَهُمْ مِن اليَمَنِ. رَجُلٌ.

[مِنْ بني تيمٍ]

وَمِنْ بَنِي تَيْمِ بنِ مُرّةَ: مُسافِعُ بنُ عِياضِ بنِ صَخْرِ بنِ عامِرِ بنِ كَعْبِ ابنِ سَعْدِ بنِ تَيْمٍ، وجابِرُ بنُ الزَّبِيرِ، حَلِيفٌ لَهُمْ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ]

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ: قَيْسُ بنُ السّائِبِ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي جُمَحَ]

وَمِنْ بَنِي جُمَحَ بنِ عَمْرٍو: عَمْرُو بنُ أُبَيِّ بنِ خَلَفٍ، وأبو رُهْمِ بنِ عَبْدِ اللّه، حَلِيفٌ لَهُمْ، وحَلِيفٌ لَهُمْ ذَهَبَ عَنِّي اسْمُهُ، ومَوْلَيانِ لِأُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ، أَحَدُهُما نِسْطاسٌ، وأبو رافِعٍ غُلامُ أُمَيّةَ بنِ خَلَفٍ. سِتّةُ نَفَرٍ.

[مِنْ بَنِي سَهْمٍ]

وَمِنْ بَنِي سَهْمِ بنِ عَمْرٍو: أَسْلَمُ مَوْلَى نُبَيْهِ بنِ الحَجّاجِ. رَجُلٌ.

[مِنْ بَنِي عامِرٍ]

وَمِنْ بَنِي عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ: حَبِيبُ بنُ جابِرٍ، والسّائِبُ بنُ مالِكٍ. رَجُلانِ.

[مِنْ بَنِي الحارِثِ]

وَمِنْ بَنِي الحارِثِ بنِ فِهْرٍ: شافِعٌ وشَفِيعٌ، حَلِيفانِ لَهُمْ مِنْ أَرْضِ اليَمَنِ. رَجُلانِ.

تَسْمِيةُ مَنْ أُسِرَ مِن المُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ

لَمْ يُسَمِّ ابنُ إسْحاقَ ولا ابنُ هِشامٍ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ، والحاجةُ ماسّةٌ بقارئ السِّيرةِ إلى مَعْرِفةِ ذَلِكَ، فأوّلُهُمْ وأفْضَلُهُم العَبّاسُ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ولا خَفاءَ بإسْلامِهِ [وفَضْلِهِ][1]، وقَدْ ذَكَرْنا سَبَبَ إسْلامِهِ في فصْلٍ قَبْلَ هَذا الفَصْلِ[2]، وأنّ أبا اليَسَرِ [كَعْبَ بنَ عَمْرٍو][3] هُو الّذِي كان أسَرَهُ، وكانَ قَصِيرًا دمِيمًا، وفي «مُسْنَدِ البَزّارِ» أنّهُ قِيلَ لِلْعَبّاسِ: كَيْفَ أسَرَكَ أبُو اليَسَرِ، ولَوْ أخَذْته بكَفّك لَوسِعَتْهُ كَفُّك؟ فقالَ: ما هُو إلّا أنْ لَقِيتُه، فظَهَرَ في عَيْنِي كالخَنْدَمةِ[4]، والخَنْدَمةُ: جَبَلٌ مِنْ جِبالِ مَكّةَ.

وعَقِيلُ بنُ أبِي طالِبٍ مِمّنْ أسْلَمَ وحَسُنَ إسْلامُهُ؛ أسْلَمَ عامَ الحُدَيْبِيةِ[5]، وقالَ له رسولُ اللهِ ﷺ: «يا أبا يَزِيدَ، إنّي أُحِبّك حُبّيْنِ: حُبًّا لِقَرابَتِك مِنّي، وحُبًّا لِما أعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي إيّاكَ»[6]، سَكَنَ عَقِيلٌ البَصْرةَ، وماتَ بالشّامِ في خِلافةِ مُعاوِيةَ. رَوى عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[7] في الوُضُوءِ بالمُدِّ والطُّهُورِ بالصّاعِ[8]، وحَدِيثًا آخَرَ أيْضًا: «لا تَقُولُوا: بِالرَّفاءِ والبَنِينَ، وقُولُوا: بارَكَ اللهُ لَك، وبارَكَ

(١) ليس في (أ).

(٢) انظر: (٥: ٢٤٤).

(٣) ليس في (ب).

(٤) «كشف الأستار عن زوائد البزار» (٢: ٣٢٠).

(٥) في (ب): «يوم الحديبية».

(٦) رواه الطبراني مرسلًا، ورجاله ثقات. انظر: «مجمع الزوائد» (٩: ٣٧٣)، و«أسد الغابة» (٤: ٦٤).

(٧) بعده في (ف): «حديثًا».

(٨) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة: (١: ٩٩)، ولفظه: «يجزئ من الوضوء مُدٌّ، ومن الغسل صاع».

عَلَيْك»(١). كان أسنَّ مِنْ جَعْفرٍ بِعَشْرِ سِنينَ، [وكانَ جَعْفَرٌ أَسَنَّ مِنْ عَلِيٍّ بِعَشْرِ سِنِينَ](٢)، وكانَ طالِبٌ أَسَنَّ مِنْ عَقِيلٍ بِمِثْلِ ذَلِكَ(٣).

ومِنْهُمْ: نَوْفَلُ بنُ الحارثِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، يُقالُ: أَسْلَمَ عامَ الخَنْدَقِ، وهاجَرَ، وقِيلَ: [بَلْ](٤) أَسْلَمَ حِينَ أُسِرَ؛ وذَلِكَ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ لَهُ: «افْدِ نَفْسَك»، قالَ: لَيْسَ لِي مالٌ أَفْتَدِي بِهِ، قالَ(٥): «افْدِ نَفْسَك بأَرْماحِك الَّتِي بِجُدَّةَ»، قالَ(٦): واللهِ ما عَلِمَ أَحَدٌ أَنَّ لِي بِجُدَّةَ أَرْماحًا غَيْرُ اللهِ، أَشْهَدُ أَنَّك رَسُولُ اللهِ(٧).

ونَوفلٌ مِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ، وأعانَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عِنْدَ الخُرُوجِ إِلَيْها بِثَلاثةِ آلافِ رُمْحٍ، فقالَ لَهُ النَّبِيّ ﷺ: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلى رِماحِك(٨) هذهِ تَقْصِفُ ظُهُورَ المُشْرِكِينَ». ماتَ بِالمَدِينةِ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرةَ، صَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ.

ومنهم: أبو العاصي بنُ الرَّبِيعِ صِهْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وقَدْ ذَكَرْنا خَبَرَهُ مَعَ ما ذَكَرَ ابنُ إِسْحاقَ مِنْ حَدِيثِهِ، وذَكَرْنا الِاخْتِلافَ في اسْمِهِ قَبْلَ هَذه(٩) الكُرّاسةِ(١٠).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣: ٤٥١).

(٢) سقط من (ب).

(٣) «نسب قريش» لمصعب: (ص: ٣٩)، وبعده في (أ): «مات عقيل بن أبي طالب بالشام».

(٤) ليس في (أ).

(٥) في (ف): «فقال».

(٦) في (ف): «فقال».

(٧) «الطبقات الكبرى» لابن سعد: (٤/ ١/ ٣١)، و«أسد الغابة» (٥: ٣٦٩).

(٨) في (أ)، (ب)، (ف): «أرماحك».

(٩) في (أ)، (ب)، (ف): «قبل هذا».

(١٠) انظر: (٥: ١٨١).

ومِنْهُمْ: أبُو عُزِيزِ بنُ عُمَيْرٍ العَبْدَرِيُّ، وقَدْ ذَكَرْنا اسْمَهُ واسْمَ أُمِّهِ وإخْوتِهِ في أوّلِ خَبَرِ بَدْرٍ(١).

ومِنْهُم: السّائِبُ بنُ أبي حُبيشِ بن المطّلبِ بن أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزّى، وهُو الّذي قالَ فيهِ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ: ذاكَ رَجُلٌ لا أعْلَمُ فيهِ عَيْبًا، وما أحَدٌ إلّا وأنا أقْدِرُ أنْ أعِيبَهُ بَعْدَ رَسولِ الله ﷺ(٢). وقد قِيلَ: إنّ هذهِ المَقالةَ قالَها عُمَرُ في ابنِهِ عَبْدِ اللهِ بنِ السّائِبِ، والسّائِبُ هَذا هُو أخُو فاطِمةَ بِنْتِ أبِي حُبَيْشٍ المُسْتَحاضةِ(٣).

ومِنْهُمْ: خالِدُ بنُ هِشامٍ، ذَكرَهُ بَعْضُهُمْ في المُؤَلَّفةِ [قُلُوبُهُمْ](٤).

ومِنْهُمْ: عَبْدُ اللهِ بنُ [السائبِ بنِ](٥) أبِي السّائِبِ، واسْمُ أبِي السّائِبِ: صَيْفيٌّ، وقَدْ تَقَدّمَ قَوْلُ عُمَرَ فيهِ وفي أبِيهِ، وعَنْهُ أخَذَ أهْلُ مَكّةَ القِراءةَ، وعَلَيْهِ قَرَأ مُجاهِدٌ وغَيْرُهُ مِنْ قُرّاءِ أهْلِ مَكّةَ(٦).

ومِنْهُم: المُطّلِبُ بنُ حَنْطَبِ بنِ الحارِثِ بنِ عُبَيْدِ(٧) بنِ عمرَ بنِ مَخْزُومٍ، وبَنُو عُمَرَ بنِ مَخْزُومٍ ثَلاثةٌ: عبْدُ الله، وعبيدٌ(٨)، وعَبْدُ العُزّى، ومِنْ أهْلِ النّسَبِ

---

(١) انظر: (٥: ١٦٨).

(٢) «أسد الغابة» (٢: ٣١٣).

(٣) أخرجه الترمذي، انظر «عارضة الأحوذي»، كتاب الطهارة: (١: ١٩٧ - ١٩٨).

(٤) ليس في (أ)، (ف).

(٥) سقط من النسخ.

(٦) انظر «غاية النهاية» (١: ٤١٩-٤٢٠).

(٧) في (أ)، (ب): «عبيد بن عبد الله بن عمر»، وفي (ف): «عبيد بن عبيد الله». انظر ترجمته في «أسد الغابة» (٥: ١٨٩)، و«جمهرة ابن حزم» (ص: ١٤٢).

(٨) كذا في (ج)، وفي غيرها: «عابد»، انظر: «نسب قريش» لمصعب: (ص: ٢٩٩)، و«جمهرة ابن الكلبي» (ص: ٨٥)، و«جمهرة ابن حزم» (ص: ١٤٢).

مَنْ ذَكَرَ فيهِمْ عُثْمانَ بنَ عُمَرَ، وبَنُو مَخْزُومٍ ثَلاثَةٌ: عُمَرُ والِدُ هَؤُلاءِ الثَّلاثَةِ، وعِمْرانُ، وعامِرٌ، هَؤُلاءِ فيهِم العَدَدُ، ويُذْكَرُ في بَنِي مَخْزُومٍ[1] عُمَيْرٌ وعَمِيرَةُ، ولَمْ يُعْقِبْ عَمِيرَةُ إلّا بِنْتًا اسْمُها: زَيْنَبُ. مِن حَديثِ المُطَّلِبِ هَذا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «أبُو بَكْرٍ وعُمَرُ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ السَّمْعِ والبَصَرِ مِن الرَّأْسِ»[2]، وفي إسْنادِهِ ضَعْفٌ.

ومِنْ ولَدِهِ الحَكَمُ بنُ المطَّلبِ بنِ عبد الله بن المُطَّلِبِ[3]، كانَ أكْرَمَ أهْلِ زَمانِهِ وأسْخاهُمْ، ثُمّ تَزَهّدَ في آخِرة عُمُرِهِ، وماتَ بِمَنْبِجَ، وفيهِ يَقُولُ الرّاتِجِيُّ[4] يَرْثِيهِ: [من البسيط]

سَألُوا عَن الجُودِ والمَعْرُوفِ: ما فعَلا؟
فقُلْتُ: إنّهُما ماتا مع الحَكَمِ
ماتا مَعَ الرّجُلِ المُوفي بِذِمَّتِهِ
قَبْلَ السُّؤالِ إذا لم يُوفَ بالذِّمَمِ

وذكرَ الدّارقطنيُّ[5] عَنْ حُمَيْدِ بنِ مَعْرُوفٍ، قالَ: حَضَرْتُ وفاةَ الحكمِ بنِ المطلبِ بنِ عبد الله بنِ المُطّلِبِ بنِ حَنْطَبٍ، فأصابَتْهُ مِن المَوْتِ شِدّةٌ، فقالَ قائِلٌ في البَيْتِ: اللهُمّ هَوّنْ عَلَيْهِ [المَوْتَ][6]؛ فقَدْ كانَ، وقَدْ كانَ، يُثْني عَلَيْهِ،

(١) بعده في (ف): «أيضًا».
(٢) أخرجه الطبراني (١٣/ ٣٣٣، رقم ١٤١٣٩)، قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٥٢): ولهذا الحديث طريق في باب مناقب جماعة من الصحابة.
(٣) في (أ): «الحكم بن المطلب بن حنطب».
(٤) نسبة إلى راتج من آطام يهود المدينة، وهو عباءة بن عمر الراتجي المدني. انظر: «معجم الشعراء» (ص: ٣٠٤)، و«سمط اللآلي في شرح أمالي القالي» (٢: ١٠٣). (ج)
(٥) «المؤتلف والمختلف» (٢: ٦٧٥)، وفيه: «حميد بن معيوف». (ج)
(٦) ليس في (أ)، (ب).

فأفاقَ الحَكَمُ فقالَ: مَنِ المُتَكَلِّمُ؟ فقالَ الرّجُلُ: أنا، فقالَ الحَكَمُ: يَقُولُ لَك مَلَكُ المَوْتِ: أنا بِكُلِّ سَخِيٍّ رَفيقٌ، ثُمّ كَأَنّما كانَ فتِيلةً فطُفِئَتْ. وقَدْ ذَكرَ هَذا الخَبَرَ[١] الزّبَيْرُ بنُ أَبِي بَكْرٍ أَيْضًا، وحِين سُجِنَ الحَكَمُ في وِلايةٍ ولِيَها، قالَ فيهِ شاعِرٌ[٢]: [من الطويل]

خَلِيلَيَّ إنّ الجُودَ في السِّجْنِ فابْكِيا ... على الجُودِ إذْ سُدَّتْ عَلَيْنا مَرافِقُهْ

في أبْياتٍ، فأعْطى قائِلَ هَذا الشِّعْرِ ثَلاثَةَ آلافِ دِرْهَمٍ.

ومِنْهُمْ: أبُو وداعةَ الحارِثُ بنُ صُبَيْرةَ بنِ سَعِيدِ بنِ سَعْدِ بنِ سَهْمٍ، أَسْلَمَ هُو وابنُهُ المُطّلِبُ بنُ أَبِي وداعةَ يَوْمَ فتْحِ مَكّةَ[٣].

ومِنْهُم: الحَجّاجُ بنُ الحارِثِ بنِ قَيْسِ بنِ عَدِيٍّ بنِ سَعِيدِ بنِ سَهْمٍ، ولَمْ يُوافِق الواقِدِيُّ[٤] ولا غَيْرُهُ لابنِ إسْحاقَ على قَوْلِهِ: «سَعِيدِ بنِ سَهْمٍ»، وقالُوا: إنّما هُو سَعْدٌ، وقَدْ تَقَدّمَ هَذا، وأحْسَبُ ذِكْرَ الحَجّاجِ في هَذا[٥] وهْمًا؛ فإنّهُ مِنْ مُهاجِرةِ الحَبَشةِ، وقَدِمَ المَدِينةَ بَعْدَ أُحُدٍ، فكَيْفَ يُعَدُّ في أَسْرى المُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ؟!

ومِنْهُمْ: عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيِّ بنِ خَلَفٍ الجُمَحِيُّ، أَسْلَمَ يَوْمَ الفَتْحِ، وقُتِلَ يَوْمَ الجَمَلِ.

ومِنْهُمْ: وهْبُ بنُ عُمَيْرٍ الجُمَحِيُّ، أَسْلَمَ بَعْدَ أَنْ جاءَ أَبُوه عُمَيْرٌ في فِدائِهِ

---

(١) في (ب): «هذا الحديث».

(٢) البيت لبعض ولد نهيك بن إساف الأنصاري كما في «تاريخ دمشق» (١٥: ٤٣). (ج)

(٣) «أسد الغابة» (١: ٢٩٨). وصبيرة: هكذا بالصاد. وفي (ص) (٢: ٧٩) من ط الجمالية أن السهيلي روى عن الخطابي أنه بالضاد المعجمة. وانظر: «نسب قريش» لمصعب: (ص: ٤٠٦).

(٤) «المغازي» (ص: ١٤٢).

(٥) في (ف): «هذا الموضع».

فأسْلَما جَمِيعًا، وقَدْ ذَكرَ خَبَرَ إسْلامِهِ ابنُ إسْحاقَ قَبْلَ هَذا(١).

ومِنْهُمْ: سُهَيْلُ بنُ عَمْرٍو، أسْلَمَ وماتَ بِالشّامِ شَهِيدًا، وهُو خَطِيبُ قُرَيْشٍ، وأخْبارُهُ في السّير(٢) مَشْهُورةٌ وغَيْرِها.

ومِنْهُمْ: عَبْدُ بنُ زَمْعةَ(٣) أخُو(٤) سَوْدةَ بِنْتِ زَمعةَ، أسْلَمَ، وهُو الّذِي خاصَمَهُ سَعْدٌ في ابنِ ولِيدةِ زَمعةَ، واسْمُ الِابنِ المُخاصَمِ فيهِ: عَبْدُ الرّحْمَنِ، وهُو الّذِي قالَ فيهِ النّبِيّ ﷺ: «هُو لَكَ يا عبدُ بنَ زمعةَ»(٥).

ومِنْهُمْ: قَيْسُ بنُ السّائِبِ المَخْزُومِيُّ، إلَيْهِ كانَ ولاءُ مُجاهِدِ بنِ جُبَيْرٍ(٦) القارِئ، ويُقالُ فيه: مجاهدُ بنُ جَبْرٍ، وهُو قَوْلُ ابنِ إسْحاقَ، وكانَ مُجاهِدٌ يقولُ: في مَولاي قَيسِ بن السّائِبِ أَنْزَلَ اللهُ تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾(٧) [البقرة: ١٨٤]، فأفْطَرَ وأطْعَمَ مكانَ كُلِّ(٨) يَوْمٍ مِسْكِينًا، وهُو الّذِي [قالَ](٩): كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في الجاهِلِيّةِ شَرِيكِي، [وكانَ](١٠) خَيْرَ شَرِيكٍ؛ لا يُشارِينِي ولا يُمارِينِي. وقِيلَ: إنّ أباهُ قالَ هذهِ

---

(١) انظر: «السيرة» (١: ٦٦١-٦٦٢).

(٢) في (ص)، (ج): «السيرة».

(٣) فوقه في (ب): «معًا». وكأنه يصوِّب فتح الميم من (زَمَعة).

(٤) في (ب): «وهو أخو».

(٥) أخرجه مالك في «الموطأ»، كتاب الأقضية: (٢: ٧٣٩).

(٦) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم: (٨: ٣١٩).

(٧) كذا في (أ)، (ج)، (ص)، (ف). وهي قراءة نافع وابن ذكوان بالجمع والإضافة، وبالإفراد وتنوين (فدية) وجر (مسكين) قراءة غيرهما. انظر: «الإقناع» لابن الباذش: (٢: ٦٠٧).

(٨) في (ف): «وأطعم عن كل».

(٩) ليست في (ب).

(١٠) عن (أ)، وفي (ب)، وفي (ف): «فكان».

المَقالةَ(١)، وقد تَقَدَّمَ الاِضْطِرابُ في ذَلِكَ والاِخْتِلافُ، وقَوْلُهُ: «[لا](٢) يُشارِيني» مِنْ شَرِيَ الأمْرُ بَيْنَهُمْ: إذا تَغاضَبُوا.

ومِنْهُمْ: نِسْطاسٌ مَوْلى أُمَيَّةَ بنِ خَلَفٍ، يُقالُ: إنَّهُ أسْلَمَ بَعْدَ أُحُدٍ، وكانَ يُحَدِّثُ عَن انْهِزامِ المُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، ودُخُولِ المُسْلِمِينَ عَلَيْهِ في القُبَّةِ وهُرُوبِ صَفْوانَ بِخَبَرٍ(٣) عَجِيبٍ لَمْ يَذْكُرْهُ ابنُ إسْحاقَ، فهذهِ جُمْلَةُ مَنْ أسْلَمَ مِن الأُسارى الّذِينَ أُسِرُوا يَوْمَ بَدْرٍ.

وذَكَرَ فيمَنْ لَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ: عَبْدَ اللهِ بنَ حُمَيْدِ بنِ زُهَيْرٍ الأسَدِيَّ(٤)، والمَعْرُوفُ فيهِ عُبَيْدُ اللهِ بنُ حُمَيْدٍ، كَذَلِكَ ذَكَرَهُ ابنُ قُتَيْبَةَ(٥)، وأبُو عُمَرَ، والكَلاباذِيّ(٦) أبُو نَصْرٍ، وهُو مَوْلى حاطِبِ بنِ أبِي بَلْتَعةَ.

وما ذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ في نَسَبِ بَلِيٍّ بنِ فارانَ، فإنّهُ عِنْدَ أكْثَرِ أهْلِ النّسَبِ «فران» بِغَيْرِ ألِفٍ، غَيْرَ أنّ مِنْهُمْ مَنْ يُشَدِّدُ(٧) الرّاءَ، وهُو ابنُ دُرَيْدٍ(٨)، وقالَ: هُو «فَعْلانٌ» مِن الفِرارِ.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب التجارات: (٢: ٧٦٨).

(٢) عن (ب)، (ف).

(٣) كان ذلك في غزوة أحد. انظر: «المغازي» للواقدي: (١: ٢٠٢، ٢٣٠-٢٣١، ٢٦٢، ٣٦٢)، وقد ذكر أن نسطاس كان مولى صفوان.

(٤) انظر: «المغازي» (١: ٢٤٦-٢٤٧).

(٥) في (ج)، (ص): «ذكره القتبي». وانظر: «المعارف» (ص: ٣١٧-٣١٨).

(٦) في (أ): «والكالباذي». وفي حاشيتها: «الكلاباذي هو المحفوظ». وهو: أحمد بن محمد بن الحسين، أحد الحفاظ المتقنين، تُوفِّي سنة (٣٩٨هـ) عن ٧٥ سنة. انظر: «العبر» للذهبي: (٣: ٦٧-٦٨).

(٧) في (ص): «شدّد».

(٨) «الاشتقاق» لابن دريد: (ص: ٥٥٠). (ج)

فَصْلٌ[١]

وذَكَرَ في «السِّيرةِ» تَخَلُّفَ عُثْمانَ على امْرَأتِهِ رُقَيَّةَ، فضَرَبَ لَهُ [رَسُولُ اللهِ ﷺ][٢] بِسَهْمِهِ[٣] [وأجْرِهِ][٤]، وكانَ مَوْتُها يَوْمَ قَدِمَ زيدُ بنُ حارِثَةَ بَشِيرًا بِوقْعةِ بَدْرٍ، وهَذا هُو الصَّحِيحُ في وفاةِ رُقَيَّةَ[٥]، وقَدْ رَوى البُخارِيُّ في «التّارِيخِ»[٦] حَدِيثَ أنَسٍ: أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ شَهِدَ دفْنَ بِنْتِهِ رُقَيَّةَ، فقَعَدَ على قَبْرِها، ودَمَعَتْ عَيْناهُ، وقالَ: «أيُّكُمْ لم يُقارِفِ اللَّيْلةَ؟» فقالَ أبُو طَلْحةَ: أنا، فأمَرَهُ أنْ يَنْزِلَ في قَبْرِها، ثُمّ أنْكَرَ البُخارِيُّ هذهِ الرِّوايةَ، وخَرَّجَهُ في كِتابِ «الجامِعِ» فقالَ فيهِ: «عَنْ أنَسٍ: شَهِدْنا دَفْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[٧]، وذَكَرَ الحَدِيثَ، ولَمْ يُسَمِّ رُقَيَّةَ ولا غَيْرَها، ورَواهُ الطَّبَرِيُّ، فقالَ فيهِ: «عَنْ أنَسٍ: شَهِدْنا دَفْنَ أُمِّ كُلْثُوم بِنتِ رسولِ الله ﷺ»، فبَيَّنَ في هَذا الحَدِيثِ، وهُو كُلُّهُ حَدِيثٌ واحِدٌ، ومَنْ قالَ: كانَتْ رُقَيَّةَ، فقَدْ وهِمَ بِلا شَكٍّ، وقالَ في الحَدِيثِ: «أيُّكُمْ لم يُقارِفِ اللَّيْلةَ؟» فقالَ فُلَيْحُ بنُ سُلَيْمانَ ـ وهُو راوِي الحَدِيثِ ـ: يَعْنِي: الذَّنْبَ؛ هَكَذا وقَعَ في «الجامِعِ»، وهُو خَطَأٌ؛ لِأنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ أوْلى بِهَذا، وإنّما أرادَ: أيُّكُمْ لَمْ يُقارِفْ أهْلَهُ؟ وكَذا رَواهُ غَيْرُهُ بِهَذا اللَّفْظِ.

---

(١) انظر ما ذكره ابن هشام في تخلف عثمان على امرأته رقية رضي الله عنهما وضرب الرسول ﷺ له بسهمه؛ انظره في «السيرة» (٥: ٢٣٤). (ج)

(٢) ليس في (ص)، (ج).

(٣) في (ف): «سهمه».

(٤) ليس في (ص)

(٥) انظر: كتاب «نسب قريش» لمصعب: (ص: ٢٢-٢٣).

(٦) ذكر البخاري حديث أنس في «التاريخ الكبير» (١١: ٤٩٨) مصرحًا باسم أم كلثوم وليس رقية.

(٧) «فتح الباري» كتاب الجنائز: (٣: ١٥١، ٢٠٨)، وتفسير فليح في (٣: ٢٠٨).

قالَ ابنُ بَطّالٍ: أرادَ النّبيُّ ﷺ أنْ يَحْرِمَ عُثْمانَ النُّزُولَ في قَبْرِها، وقَدْ كانَ أحَقَّ النّاسِ بِذَلِكَ؛ لِأنّهُ كانَ بَعْلَها، وفَقَدَ فيها عِلْقًا لا عِوضَ مِنْهُ؛ لِأنّهُ حِينَ قالَ النبيُّ ﷺ: «أيُّكُمْ لَمْ يُقارِف اللّيْلةَ[1]؟» سَكَتَ عُثْمانُ، ولَمْ يَقُلْ: أنا؛ لِأنّهُ كانَ قَدْ قارَفَ لَيْلةَ ماتَتْ بَعْضَ نِسائِهِ، ولَمْ يَشْغَلْهُ الحزنُ بالمُصِيبةِ وانْقِطاعِ صِهْرِهِ مِن النّبيِّ ﷺ عَن المُقارَفةِ، فحُرِمَ بِذَلِكَ ما كانَ حَقًّا لَهُ، وكانَ أوْلى بِهِ مِنْ أبِي طَلْحةَ وغَيْرِهِ، وهَذا بَيِّنٌ في مَعْنى الحَدِيثِ، ولَعَلّ النّبيَّ ﷺ قَدْ كانَ[2] عَلِمَ ذَلِكَ بِوحْيٍ[3]، فلَمْ يَقُلْ لَهُ شَيْئًا؛ لِأنّهُ فعَلَ[4] حَلالًا، غَيْرَ أنّ المُصِيبةَ لَمْ تَبْلُغْ مِنْهُ مَبْلَغًا يَشْغَلُهُ حَتّى حُرِمَ ما حُرِمَ مِنْ ذَلِكَ بِتَعْرِيضٍ غَيْرِ تَصْرِيحٍ، واللهُ أعْلَمُ.

❊ ❊ ❊

---

(١) بعده في (أ)، (ف): «أهله».

(٢) في (ف): «كان قد».

(٣) في (أ)، (ب)، (ف): «بالوحي».

(٤) بعده في (أ)، (ف): «فعلًا».

ما قِيلَ مِن الشِّعْرِ في يَوْمِ بَدْرٍ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِمّا قِيلَ مِن الشِّعْرِ في يَوْمِ بَدْرٍ، وتَرادَّ بَه القَوْمُ بَيْنَهُمْ لِما كانَ فيهِ؛ قَوْلُ حَمْزَةَ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ يَرْحَمُهُ اللهُ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: وأكْثَرُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها ونَقِيضَتَها ـ:

أَلَمْ تَرَ أمْرًا كانَ مِنْ عَجبِ الدَّهْرِ ... ولِلْحَيْنِ أَسبابٌ مُبَيَّنةُ الأمْرِ
وَما ذاكَ إلّا أنَّ قَوْمًا أفادَهُمْ ... فحانُوا تَواصٍ بِالعُقُوقِ وبِالكُفْرِ
عَشِيّةَ راحُوا نَحْوَ بَدْرٍ بِجَمْعِهِمْ ... فكانُوا رُهُونًا لِلرَّكِيّةِ مِنْ بَدْرِ
وَكُنّا طَلَبنا العِيرَ لَمْ نَبْغِ غَيْرَها ... فسارُوا إلَيْنا فالْتَقَيْنا على قَدْرِ
فَلَمّا التَقَيْنا لَمْ تَكُنْ مَثْنَوِيّةٌ ... لَنا غَيْرُ طَعْنٍ بِالمُثَقَّفةِ السُّمْرِ
وَضَرْبٍ بِبِيضٍ يَخْتَلِي الهامَ حَدُّها ... مُشَهَّرةِ الألْوانِ بَيِّنةِ الأُثْرِ
وَنَحْنُ تَرَكْنا عُتْبَةَ الغَيِّ ثاوِيًا ... وشَيْبةَ في القَتْلى تَجَرْجَمَ في الجَفْرِ
وَعَمْرٌو ثَوى فيمَنْ ثَوى مِنْ حُماتِهِمْ ... فشُقَّتْ جُيُوبُ النّائِحاتِ على عَمْرِو
جُيُوبُ نِساءٍ مِنْ لُؤَيِّ بنِ غالِبٍ ... كِرامٍ تَفَرَّعْنَ الذَّوائِبَ مِنْ فِهْرِ
أُولَئِكَ قَوْمٌ قُتِّلُوا في ضَلالِهِمْ ... وخَلَّوْا لِواءً غَيْرَ مُحْتَضَرِ النَّصْرِ
لِواءَ ضَلالٍ قادَ إبْلِيسُ أهْلَهُ ... فخاسَ بِهِمْ، إنَّ الخَبِيثَ إلى غَدْرِ
وَقالَ لَهُمْ إذْ عايَنَ الأمْرَ واضِحًا ... بَرِئْتُ إلَيْكُمْ ما بِيَ اليَوْمَ مِنْ صَبْرِ
فَإنِّي أرى ما لا تَرَوْنَ وإنَّني ... أخافُ عِقابَ اللهِ واللهُ ذُو قَسْرِ
فَقَدَّمَهُمْ لِلْحَيْنِ حَتّى تَوَرَّطُوا ... وكانَ بِما لَمْ يَخْبُرِ القَوْمُ ذا خُبْرِ

فَكانُوا غَـداةَ البِئْرِ أَلْفًـا وجَمْعُنا ... ثَـلاثُ مِئِينٍ كالمُسَـدَّمةِ الزُّهْرِ
وَفينـا جُنُـودُ اللهِ حِـينَ يُمِدُّنا ... بِهِمْ في مَقامٍ ثُمَّ مُسْـتَوْضَحِ الذِّكْرِ
فَشَـدَّ بِهِمْ جِبْرِيلُ تَحْـتَ لِوائِنا ... لَدى مَـأْزِقٍ فيـهِ مَنايَاهُمُ تَجْرِي

فَأجابَهُ الحارِثُ بنُ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ، فقالَ:

ألا يـا لِقَـوْمِي لِلصَّبابـةِ والهَجْرِ ... ولِلْحُزْنِ مِـنِّي والحَرارةِ في الصَّدْرِ
وَلِلدَّمْـعِ مِـنْ عَيْنَيَّ جَـوْدًا كَأَنَّهُ ... فرِيدٌ هَوى مِنْ سِلْكِ ناظِمِهِ يَجْرِي
على البَطَلِ الحُلْوِ الشَّـمائِلِ إذْ ثَوى ... رَهِـينَ مَقـامٍ لِلرَّكِيّةِ مِـنْ بَدْرِ
فَلا تَبْعَدَنْ يا عَمْرُو مِنْ ذِي قَرابةٍ ... ومِنْ ذِي نِـدامٍ كانَ ذا خُلُقٍ غَمْرِ
فَإنْ يَكُ قَوْمٌ صادَفُـوا مِنْكَ دَوْلةً ... فَـلا بُدَّ لِلْأَيّـامِ مِـنْ دُوَلِ الدَّهْرِ
فَقَدْ كُنْتَ في صَرْفِ الزَّمانِ الَّذي مَضى ... تُرِيهِـمْ هَوانًا مِنْكَ ذا سُـبُلٍ وعْرِ
فَإلّا أمُتْ يا عَمْرُو أتْـرُكْكَ ثائِرًا ... ولا أُبْـقِ بُقْيا في إخـاءٍ ولا صِهْرِ
وَأَقْطَـعُ ظَهْرًا مِنْ رِجـالٍ بِمَعْشَرٍ ... كِرامٍ عَلَيْهِمْ مِثْلَ ما قَطَعُوا ظَهْرِي
أغَرَّهُـمُ مـا جَمَّعُوا مِنْ وشِـيظةٍ ... ونَحْنُ الصَّمِيـمُ في القَبائِلِ مِنْ فِهْرِ
فيـالَ لُؤَيٍّ ذَبِّبُوا عَـنْ حَرِيمِكُمْ ... وآلِهَـةٍ لا تَتْرُكُوهـا لِذِي الفَخْـرِ
تَوارَثَهـا آباؤُكُـمْ ووَرِثْتُـمُ ... أواسِيَها والبَيْتَ ذا السَّقْفِ والسِّتْرِ
فَمـا لِحَلِيـمٍ قَـدْ أرادَ هَلاكَكُمْ ... فلا تَعْـذِرُوهُ آلَ غالِـبَ مِنْ عُذْرِ
وَجِـدُّوا لِمَـنْ عادَيْتُمُ وتَـوازَرُوا ... وكُونُوا جَمِيعًا في التَّأَسِّي وفي الصَّبْرِ
لَعَلَّكُـمُ أنْ تَثْـأَرُوا بِأخِيكُـمُ ... ولا شَيْءَ إنْ لَمْ تَثْأَرُوا بِذَوِي عَمْرِو
بِمُطَّـرِداتٍ في الأكُـفِّ كَأنَّهـا ... ومِيـضٌ تُطِيرُ الهـامَ بَيِّنـةَ الأُثْرِ
كَأنَّ مَـدَبَّ الذَّرِّ فـوْقَ مُتُونِهـا ... إذا جُـرِّدَتْ يَوْمًـا لِأَعْدائِها الخُزْرِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أَبْدَلْنا مِنْ هَذِهِ القَصِيدةِ كَلِمَتَيْنِ مِمّا رَوى ابنُ إسْحاقَ، وهُما «الفَخْرُ» في آخر البَيْتِ، و«فَما لِحَلِيمِ» في أَوَّلِ البَيْتِ؛ لِأَنَّهُ نالَ فيهِما مِن النَّبِيِّ ﷺ.

أَشْعارُ يَوْمِ بَدْرٍ

وقَدْ قَدّمْنا في آخِرِ حَدِيثِ الهِجْرةِ[1]: أَنّا لا نَعْرِضُ لشَيْءٍ[2] مِن الشِّعْرِ الّذِي هُجِيَ فيه[3] المُسْلِمُونَ، ونالَ فيهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ المُشْرِكُونَ إلّا شِعْرًا أَسْلَمَ صاحِبُهُ، وتَكَلّمْنا هُنالِكَ على ما قِيلَ في تِلْكَ الأَشْعارِ، وذَكَرْنا قَوْلَ مَن طعَنَ على ابنِ إسْحاقَ بِسَبَبِها هُنالِكَ، وبَيّنّا الحَقَّ في ذلك، والحَمْدُ للهِ.

الشِّعْرُ المَنْسُوبُ إلى حَمْزةَ فيهِ: [من الطويل]

وما ذاكَ إلّا أنّ قومًا أفادهم

أي: أَهْلَكَهُمْ[4]، يُقالُ: فادَ [الرّجُلُ][5] وفاظَ، وفَطَسَ، وفازَ، وفَوّزَ: إذا هَلَكَ، ولا يُقالُ: «فاضَ» بالضّاد، ولا يُقالُ: «فاضتْ نَفْسُهُ» إلّا في لُغةِ بَنِي ضَبّةَ بنِ أُدٍّ[6].

وقَوْلُهُ: «تَواصٍ» هُو تَفاعُلٌ مِن الوصِيّةِ، وهُو الفاعِلُ بـ«أفادَهُمْ».

---

(١) انظر: (٥: ٦٢).

(٢) في (ب): «بشرح شيء»، وفي (ف): «لشرح شيء».

(٣) في (أ)، (ج)، (ف): «به».

(٤) في (أ)، (ف): «أفادهم: أهلكهم».

(٥) سقط من (ب).

(٦) «لسان العرب» (فيظ).

وفيها: «يُجَرْجَم[١] في الجَفْرِ» الجَفْرُ: كُلُّ بِئْرٍ [غَيرِ مَطويّةٍ][٢]، ومِثْلُها: الجُفْرةُ، و«يُجَرْجَمُ»: يُجْعَلُ بَعْضُهم على بعضٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ في يَوْمِ بَدْرٍ:

قالَ ابنُ هِشامٍ: ولَمْ أرَ أحَدًا مِنْ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يَعْرِفُها ولا نَقِيضَتَها، وإنَّما كَتَبناهُما لِأنَّهُ يُقالُ: إنَّ عَمْرَو بنَ عَبْدِ الله بنِ جُدْعانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، ولَمْ يَذْكُرْهُ ابنُ إسْحاقَ في القَتْلى، وذَكَرَهُ في هذا الشِّعْرِ:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ الله أبْـلى رَسُـولَهُ ... بَلاءَ عَزِيـزٍ ذِي اقْتِدارٍ وذِي فضْلِ
بِمـا أنْـزَلَ الكُفّـارَ دارَ مَذَلّـةٍ ... فلاقَوْا هَوانًا مِنْ إسـارٍ ومِنْ قَتْلِ
فَأَمْسى رَسُـولُ الله قَـدْ عَزَّ نَصْرُهُ ... وكانَ رَسُـولُ الله أُرْسِـلَ بِالعَدْلِ
فَجـاءَ بِفُرْقـانٍ مِـن الله مُنْزَلٍ ... مُبَيَّنَـةٍ آياتُـهُ لِذَوِي العَقْـلِ
فَآمَـنَ أقْـوامٌ بِـذاكَ وأيْقَنُـوا ... فأمْسَـوْا بِحَمْدِ الله مُجْتَمِعِي الشَّمْلِ
وَأنْكَرَ أقْـوامٌ فزاغَـتْ قُلُوبُهُمْ ... فزادَهُمُ ذُو العَرْشِ خَبْلًا على خَبْلِ
وَأمْكَـنَ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ رَسُـولَهُ ... وقَوْمًا غِضابًا فِعْلُهُمْ أحْسَنُ الفِعْلِ
بِأيْدِيهِمُ بِيضٌ خِفـافٌ عَصَوْا بِها ... وقَدْ حادَثُوها بِالجِـلاءِ وبِالصَّقْلِ
فَكَمْ تَرَكُوا مِنْ ناشِـئٍ ذِي حَمِيّةٍ ... صَرِيعًا ومِـنْ ذِي نَجْدةٍ مِنْهُمُ كَهْلِ
تَبِيتُ عُيُـونُ النّائِحـاتِ عَلَيْهِمُ ... تَجُودُ بِأسْـبالِ الرَّشـاشِ وبِالوَبْلِ
نَوائِـحَ تَنْـعَى عُتْبَةَ الـغَيِّ وابنَهُ ... وشَـيْبَةَ تَنْعـاهُ وتَنْعى أبـا جَهْلِ
وَذا الرِّجْلِ تَنْعى وابنَ جُدْعانَ فيهِمُ ... مُسَـلَّبةً حَـرّى مُبَيَّنَـةَ الثُّـكْلِ

(١) ضبط في «السيرة» هكذا: تَجَرْجَمَ.

(٢) في (أ)، (ب)، (ف): «لم تطو».

ثَــوى مِنْهُمُ في بِئْرِ بَــدْرٍ عِصابَةٌ ... ذَوي نَجَداتٍ في الحُرُوبِ وفي المَحْلِ
دَعا الغَيُّ مِنْهُمْ مَــنْ دَعا فأجابَهُ ... ولِلْغَيِّ أَسْــبابٌ مُرَمَّقَــةُ الوَصْلِ
فَأَضْحَوْا لَدى دارِ الجَحِيمِ بِمَعْزِلٍ ... عَنِ الشَّغْبِ والعُدْوانِ في أشْغَلِ الشُّغْلِ

فَأجابَهُ الحارِثُ بنُ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ، فقالَ:

عَجِبْتُ لِأَقْــوامٍ تَغَنّى سَــفيهُهُمْ ... بِأَمْرٍ سَفاهٍ ذِي اعْتِراضٍ وذِي بُطْلِ
تَغَــنّى بِقَتْلى يَــوْمَ بَــدْرٍ تَتابَعُوا ... كِرامِ المَساعِي مِنْ غُلامٍ ومِنْ كَهْلِ
مَصاليتَ بِيضٍ مِنْ لُؤَيِّ بنِ غالِبٍ ... مَطاعِينَ في الهَيْجا مَطاعِيمَ في المَحْلِ
أُصِيبُــوا كِرامًا لَمْ يَبِيعُوا عَشِــيرَةً ... بِقَوْمٍ سِــواهُمْ نازِحِي الدّارِ والأصْلِ
كَما أَصْبَحَتْ غَسّانُ فيكُمْ بِطانَةً ... لَكُــمْ بَدَلًا مِنّا فيا لَــكَ مِنْ فِعْلِ
عُقُوقًــا وإثْمًــا بَيِّنًــا وقَطِيعَــةً ... يَرى جَوْرَكم فيها ذَوو الرأيِ والعَقْلِ
فَــإنْ يَكُ قَوْمٌ قَدْ مَضَوْا لِسَــبِيلِهِمْ ... وخَيْرُ المَنايــا ما يَكُونُ مِن القَتْلِ
فَلا تَفْرَحُــوا أنْ تَقْتُلُوهُمْ فقَتْلُهُمْ ... لَكُمْ كائِــنٌ خَبْلًا مُقِيمًا على خَبْلِ
فَإنَّكُمُ لَــنْ تَبْرَحُوا بَعْــدَ قَتْلِهِمْ ... شَتِيتًا هَواكُمْ غَيْرَ مُجْتَمِعِي الشَّمْلِ
بِفَقْــدِ ابنِ جُــدْعانَ الحَمِيدِ فِعالُهُ ... وعُتْبَةَ والمَدْعُــوَّ فيكُمْ أبا جَهْلِ
وَشَــيْبَةُ فيهِــمْ والوَلِيــدُ وفيهِــمُ ... أُمَيَّةُ مَأْوى المُعْتَرِيــنَ وذُو الرِّجْلِ
أُولَئِــكَ فابْكِ ثُمَّ لا تَبْــكِ غَيْرَهُمْ ... نَوائِــحُ تَدْعُــو بِالرَّزِيَّــةِ والثُّكْلِ
وَقُولُوا لِأَهْلِ المَكَّتَيْنِ: تَحاشَــدُوا ... وسِــيرُوا إلى آطامِ يَثْرِبَ ذِي النَّخْلِ
جَمِيعًــا وحامُوا آلَ كَعْــبٍ وذَبِّبُوا ... بِخالِصَةِ الألْــوانِ مُحْدَثَــةِ الصَّقْلِ
وَإلّا فَبِيتُــوا خائِفِــينَ وأَصْبِحُوا ... أذَلَّ لِــوَطْءِ الواطِئِينَ مِــن النَّعْلِ
على أنَّنِي واللّاتِ يــا قَوْمُ فاعْلَمُوا ... بِكُــمْ واثِقٌ ألّا تُقِيمُــوا على تَبْلِ
سِــوى جَمْعِكُمْ لِلسّابِغاتِ ولِلْقَنا ... ولِلْبَيْــضِ والبِيضِ القَواطِعِ والنَّبْلِ

وَقالَ ضِرارُ بنُ الخَطّابِ بنِ مِرْداسٍ أخُو بَني مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ في يَوْمِ بَدْرٍ:

عَجِبْتُ لِفَخْرِ الأوْسِ والحَيْنُ دائِرُ ... عَلَيْهِمْ غَدًا والدَّهْرُ فيهِ بَصائِرُ
وَفَخْرُ بَنِي النَّجّارِ إنْ كانَ مَعْشَرٌ ... أُصِيبُوا بِبَدْرٍ كُلُّهُمْ ثَمَّ صابِرُ
فَإنْ تَكُ قَتْلى غُودِرَتْ مِنْ رِجالِنا ... فإنّا رِجالٌ بَعْدَهُمْ سَنُغادِرُ
وَتَرْدِي بِنا الجُرْدُ العَناجِيجُ وَسطكُمْ ... بَنِي الأوْسِ حَتّى يَشْفِيَ النَّفْسَ ثائِرُ
وَوَسْطَ بَنِي النَّجّارِ سَوْفَ نَكُرُّها ... لَها بالقَنا والدّارِعِينَ زَوافِرُ
فَنَتْرُكُ صَرْعى تَعْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ ... ولَيْسَ لَهُمْ إلّا الأمانِيُّ ناصِرُ
وَتَبْكِيهِمُ مِنْ أهْلِ يَثْرِبَ نِسْوَةٌ ... لَهُنَّ بِها لَيْلٌ عَنِ النَّوْمِ ساهِرُ
وَذلكَ أنّا لا تَزالُ سُيُوفُنا ... بِهِنَّ دَمٌ مِمَّنْ يُحارِبْنَ مائِرُ
فَإنْ تَظْفَرُوا في يَوْمِ بَدْرٍ فإنَّما ... بِأحْمَدَ أمْسى جَدُّكُمْ وهْوَ ظاهِرُ
وَبِالنَّفَرِ الأخْيارِ هُمْ أوْلِياؤُهُ ... يُحامُونَ في اللَّأْواءِ والمَوْتُ حاضِرُ
يُعَدُّ أبو بَكْرٍ وحَمْزَةُ فيهِمُ ... ويُدْعى عَلِيٌّ وسْطَ مَنْ أنْتَ ذاكِرُ
وَيُدْعى أبو حَفْصٍ وعُثْمانُ مِنْهُمُ ... وسَعْدٌ إذا ما كانَ في الحَرْبِ حاضِرُ
أُولَئِكَ لا مَنْ نَتَّجَتْ في دِيارِها ... بَنُو الأوْسِ والنَّجّارِ حَيْنَ تُفاخِرُ
وَلَكِنْ أبوهُمْ مِنْ لُؤَيِّ بنِ غالِبٍ ... إذا عُدَّتِ الأنْسابُ كَعْبٌ وعامِرُ
هُم الطّاعِنُونَ الخَيْلَ في كُلِّ مَعْرَكٍ ... غَداةَ الهِياجِ الأطْيَبُونَ الأكاثِرُ

فَأجابَهُ كَعْبُ بنُ مالِكٍ أخُو بَنِي سَلِمَةَ، فقالَ:

عَجِبْتُ لِأمْرِ اللهِ واللهُ قادِرُ ... على ما أرادَ لَيْسَ للهِ قاهِرُ
قَضى يَوْمَ بَدْرٍ أنْ نُلاقِيَ مَعْشَرًا ... بَغَوْا وسَبِيلُ البَغْيِ بِالنّاسِ جائِرُ
وَقَدْ حَشَدُوا واسْتَنْفَرُوا مَنْ يَلِيهِمُ ... مِنَ النّاسِ حَتّى جَمْعُهُمْ مُتَكاثِرُ

وَسارَتْ إلَيْنا لا تُحاوِلُ غَيْرَنا ... بِأجْمَعِها كَعْبٌ جَمِيعًا وعامِرُ
وَفينا رَسُولُ الله والأوْسُ حَوْلَهُ ... لَهُ مَعْقِلٌ مِنْهُمْ عَزِيزٌ وناصِرُ
وَجَمْعُ بَنِي النَّجّارِ تَحْتَ لِوائِهِ ... يُمَشَّوْنَ في الماذِيِّ والنَّقْعُ ثائِرُ
فَلَمّا لَقِيناهُمْ وكُلٌّ مُجاهِدٌ ... لِأصْحابِهِ مُسْتَبْسِلُ النَّفْسِ صابِرُ
شَهِدْنا بِأنَّ الله لا رَبَّ غَيْرُهُ ... وأنَّ رَسُولَ الله بِالحَقِّ ظاهِرُ
وَقَدْ عُرِّيَتْ بِيضٌ خِفافٌ كَأنَّها ... مَقابِيسُ يُزْهِيها لِعَيْنَيْكَ شاهِرُ
بِهِنَّ أبَدْنا جَمْعَهُمْ فتَبَدَّدُوا ... وكانَ يُلاقِي الحَيْنَ مَنْ هُوَ فاجِرُ
فَكُبَّ أبو جَهْلٍ صَرِيعًا لِوَجْهِهِ ... وعُتْبَةُ قَدْ غادَرْنَهُ وهْوَ عاثِرُ
وَشَيْبَةَ والتَّيْمِيَّ غادَرْنَ في الوَغى ... وما مِنْهُمُ إلّا بِذِي العَرْشِ كافِرُ
فَأمْسَوْا وَقُودَ النّارِ في مُسْتَقَرِّها ... وكُلُّ كَفُورٍ في جَهَنَّمَ صائِرُ
تَلَظّى عَلَيْهِمْ وهْيَ قَدْ شَبَّ حَمْيُها ... بِزُبَرِ الحَدِيدِ والحِجارَةِ ساجِرُ
وَكانَ رَسُولُ الله قَدْ قالَ أقْبِلُوا ... فوَلَّوْا وقالُوا: إنَّما أنْتَ ساحِرُ
لِأمْرٍ أرادَ الله أنْ يَهْلِكُوا بِهِ ... ولَيْسَ لِأمْرٍ حَمَّهُ الله زاجِرُ

وَقالَ عَبْدُ الله بنُ الزِّبَعْرى السَّهْمِيُّ يَبْكِي قَتْلى بَدْرٍ:

قالَ ابنُ هِشامٍ: وتُرْوى لِلْأعْشى بنِ زُرارَةَ بنِ النَّبّاشِ، أحَدِ بَنِي أُسَيْدِ ابن عَمْرِو بنِ تَمِيمٍ، حَلِيفِ بَنِي نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الدّارِ:

ماذا على بَدْرٍ؟ وماذا حَوْلَهُ ... مِنْ فِتْيَةٍ بِيضِ الوُجُوهِ كِرامِ؟
تَرَكُوا نُبَيْهًا خَلْفَهُمْ ومُنَبِّهًا ... وابنَيْ رَبِيعةَ خَيْرَ خَصْم فِئامِ
والحارِثَ الفيّاضَ يَبْرُقُ وجْهُهُ ... كالبَدْرِ جَلّى لَيْلَةَ الإظْلامِ

والعــاصِيَ بنَ مُنَبِّــهٍ ذا مِرّةٍ   رُمحًا تَمِيمًا غَـيْرَ ذِي أوْصامِ
تَنْمِي بِــهِ أعْراقُــهُ وجُدُودُهُ   ومَآثِــرُ الأخْـوالِ والأعْمامِ
وَإذا بَكى باكٍ فأعْوَلَ شَجْوَهُ   فعلى الرَّئِيسِ الماجِدِ بنِ هِشامِ
حَيّا الإلَهُ أبــا الوَلِيدِ ورَهْطَهُ   رَبُّ الأنامِ وخَصَّهُمْ بِسَــلامِ

فَأجابَهُ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ الأنْصارِيُّ، فقالَ:

ابْكِ بَكَتْ عَيْناكَ ثُمَّ تَبادَرَتْ   بِــدَمٍ تُعَــلُّ غُرُوبُها سَــجّامِ
ماذا بَكَيْتَ بِهِ الَّذينَ تَتايَعُوا   هَلّا ذَكَرْتَ مَــكارِمَ الأقْوامِ؟
وَذَكَــرْتَ مِنّا ماجِــدًا ذا هِمّةٍ   سَمْحَ الخَلائِقِ صادِقَ الإقْدامِ
أعْنِي النَّبِيَّ أخا المَكارِمِ والنَّدى   وأبَــرَّ مَنْ يُولى على الإقْســامِ
فَلِمِثْلِــهِ ولِمِثْلِ مــا يَدْعُو لَهُ   كانَ المُمَــدَّحَ ثَمَّ غَــيْرَ كَهامِ

وقالَ في الشِّعْرِ الَّذِي يُعْزى إلى عَلِيٍّ[1]: [من الطويل]

بِأيْدِيهِمْ بِيضٌ خِفافٌ عَصَوْا بها

يُقالُ: عَصَيْتُ بالسَّيْفِ[2]، وعَصَوْتُ بِالعَصا، فإذا أخْبَرْتَ عَنْ جَماعةٍ قُلْتَ: عَصُوا بِضَمِّ الصّادِ؛ كَما تقولُ: عَمُوا، ومِن العَصا تَقُولُ: عَصَوْا، كَما تَقُولُ: غَزَوْا.

وقَوْلُهُ: «مُسَلِّبةً»[3]؛ أيْ: قَدْ لَبِسَتِ السِّلابَ، وهِيَ خرقةٌ سوداءُ تلبسها الثّكلى. قال لَبِيدٌ[4]: [من الرجز]

---

(١) في (أ)، (ب)، (ف): «يعزى لعلي».

(٢) يقال أيضًا: عصوته بالسيف. انظر: «اللسان» (عصا). و«شرح السيرة» لأبي ذر: (١ : ١٧٨).

(٣) يقال: سَلِبَتِ المرأةُ وسَلَّبَتْ.

(٤) «ديوانه» (ص: ٣٣٢)، مع تغيّر في ترتيب الأبيات.

وأَبِّنــا[١] مُـلاعِـبَ الـرِّمـاحِ ومِــدْرَهَ[٢] الكَتِيبَــةِ الرَّداحِ
يَضْرِبــنَ حُــرَّ أَوْجُـهٍ صِحـاحِ في السُّلُبِ السُّودِ وفي الأَمْساحِ[٣][٤]

[شِعْرٌ لِحَسّانَ في بَدْرٍ أَيْضًا]

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ الأَنْصارِيُّ أَيْضًا:

تَبَلَتْ فُؤادَكَ في المَنامِ خَرِيدةٌ تَسْـقِي الضَّجِيعَ بِبارِدٍ بَسّـامِ
كالمِسْـكِ تَخْلِطُهُ بِماءِ سَحابةٍ أَوْ عاتِـقٍ كَدَمِ الذَّبِيـحِ مُدامِ
نُفُجُ الحَقِيبــةِ بُوصُها مُتَنَضِّدٌ بَلْهاءُ غَيْرُ وشِـيكَةِ الأَقْسامِ
بُنِيَـتْ على قَطَنٍ أَجَـمَّ كَأَنَّهُ فُضُلًا إذا قَعَدَتْ مَداكُ رُخامِ
وَتَكادُ تَكسَلُ أَنْ تَجِيءَ فِراشَها في جِسْمِ خَرْعَبةٍ وحُسْنِ قَوامِ
أَمّا النَّهــارَ فلا أُفَـتِّرُ ذِكْرَها واللَّيْلَ تُوزِعُـنِي بِها أَحْلامِي
أَقْسَمْتُ أَنْساها وأَتْرُكُ ذِكْرَها حَتّى تُغَيَّبَ في الضَّرِيحِ عِظامِي
يا مَــنْ لِعاذِلةٍ تَلُومُ سَـفاهةً ولَقَدْ عَصَيْتُ على الهَوى لُوّامِي
بَكَرَتْ عَلَيَّ بِسُحْرةٍ بَعْدَ الكَرى وتَقــارُبٍ مِنْ حــادِثِ الأَيّامِ
زَعَمَتْ بأَنّ المَرْءَ يَكْرُبُ عُمْرَهُ عَــدَمٌ لِمُعْتَكِرٍ مِــن الأَصْرامِ
إنْ كُنْتِ كاذِبةَ الَّذي حَدَّثْتِنِي فنَجَوْتِ مَنْجى الحارِثِ بنِ هِشامِ
تَرَكَ الأَحِبّــةَ أَنْ يُقاتِلَ دُونَهُمْ ونَجــا بِــرَأْسِ طِمــرّةٍ ولِجامِ

---

(١) في النسخ: «وأبّني». وأثبتنا ما في «الديوان»، و«اللسان» (رمح).
(٢) المدره: السيِّد الشريف، وزعيم القوم وخطيبهم. والرَّداح: الضخمة الكثيرة.
(٣) السُّلُب: جمع سِلاب، وهو ثوب أسود أو أبيض تلبسه المرأة في الحداد. والأمساح: جمع مِسْح بكسر فسكون ـ وهو الكساء من الشَّعَر.
(٤) بعدها في (ف): «والسُّلُب جمع سِلاب».

تَذَرُ العَناجِيجَ الجِيادَ بِقَفْرةٍ مَرَّ الدَّمُوكِ بِمُحْصَدٍ ورِجامِ
مَلَأَتْ بِهِ الفَرْجَيْنِ فارمَدّتْ بِهِ وثَوى أحِبَّتُهُ بِشَرِّ مَقامِ
وَبَنُو أبيهِ ورَهْطُهُ في مَعْرَكٍ نَصَرَ الإلَهُ بِهِ ذَوِي الإسْلامِ
طَحَنَتْهُمُ واللهُ يُنْفِذُ أمْرَهُ حَرْبٌ يُشَبُّ سَعِيرُها بِضِرامِ
لَوْلا الإلَهُ وجَرْيُها لَتَرَكْنَهُ جَزَرَ السِّباعِ ودُسْنَهُ بِحَوامِي
مِنْ بَيْنِ مَأْسُورٍ يُشَدُّ وَثاقُهُ صَقْرٍ إذا لاقى الأسِنّةَ حامِي
وَمُجَدَّلٍ لا يَسْتَجِيبُ لِدَعْوةٍ حَتّى تَزُولَ شَوامِخُ الأعْلامِ
بِالعارِ والذُّلِّ المُبَيَّنِ إذْ رَأى بِيضَ السُّيُوفِ تَسُوقُ كُلَّ هُمامِ
بِيَدَيْ أغَرَّ إذا انْتَمى لَمْ يُخْزِهِ نَسَبُ القِصارِ سَمَيْدَعٍ مِقْدامِ
بِيضٌ إذا لاقَتْ حَدِيدًا صَمَّمَتْ كالبَرْقِ تَحْتَ ظِلالِ كُلِّ غَمامِ

[شِعْرُ الحارِثِ في الرَّدِّ على حَسّانَ]

فَأجابَهُ الحارِثُ بنُ هِشامٍ ـ فيما ذَكَرَ ابنُ هِشامٍ ـ فقالَ:

اللهُ أعْلَمُ ما تَرَكْتُ قِتالَهُمْ حَتّى حَبَوْا مُهْرِي بِأشْقَرَ مُزْبِدِ
وَعَرَفْتُ أنِّي إنْ أُقاتِلْ واحِدًا أُقْتَلْ ولا يَنْكِي عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ والأحِبّةُ فيهِمُ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقابِ يَوْمٍ مُفْسِدِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: قالَها الحارِثُ يَعْتَذِرُ مِنْ فِرارِهِ يَوْمَ بَدْرٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: تَرَكْنا مِنْ قَصِيدةِ حَسّانَ ثَلاثةَ أبْياتٍ مِنْ آخِرِها؛ لِأنَّهُ أقْذَعَ فيها.

[شِعْرٌ لِحَسّانَ فيها أيْضًا]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا:

لَقَدْ عَلِمَــتْ قُرَيْشٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَداةَ الأَسْرِ والقَتْلِ الشَّدِيدِ
بِأَنّا حَــيْنَ تَشْــتَجِرُ العَوالِي حُماةُ الحَرْبِ يَــوْمَ أَبي الوَلِيدِ
قَتَلْنا ابنَيْ رَبِيعةَ يَوْمَ ســارا إِلَيْنــا في مُضاعَفَــةِ الحَدِيدِ
وَفَرَّ بِها حَكِيــمٌ يَوْمَ جالَتْ بَنُو النَّجّارِ تَخْطِرُ كالأُسُــودِ
وَوَلَّتْ عِنْــدَ ذاكَ جُمُوعُ فِهْرٍ وأَسْــلَمَها الحُوَيْرِثُ مِنْ بِعِيدِ
لَقَــدْ لاقَيْتُــمُ ذُلًّا وقَتْــلًا جَهِــيزًا نافِذًا تَحْــتَ الوَرِيدِ
وَكُلُّ القَــوْمِ قَدْ ولَّــوْا جَمِيعًا ولَمْ يَلْوُوا على الحَسَبِ التَّلِيدِ

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أَيْضًا:

يا حارِ قَدْ عَوَّلْتَ غَــيْرَ مُعَوَّلِ عِنْدَ الهِياجِ وســاعَةَ الأَحْسابِ
إِذْ تَمْتَطِــي سُرُحَ اليَدَيْنِ نَجِيبَةً مَرْطى الجِــراءِ طَوِيلَةَ الأَقْرابِ
والقَوْمُ خَلْفَكَ قَدْ تَرَكْتَ قِتالَهُمْ تَرْجُو النَّجاءَ ولَيْسَ حِينَ ذَهابِ
أَلّا عَطَفْت على ابنِ أُمِّكَ إِذْ ثَوى قَعْصَ الأَسِــنّةِ ضائِعَ الأَسْلابِ
عَجِلَ المَلِيــكُ لَهُ فأَهْلَكَ جَمْعَهُ بِشَــنارِ مُخْزِيَــةٍ وسُــوءِ عَذابِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: تَرَكْنا مِنْها بَيْتًا واحِدًا أَقْذَعَ فيه.

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أَيْضًا:

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: بَلْ قالَها عَبْدُ اللهِ بنُ الحارِثِ السَّهْمِيُّ:

مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ الماذِيِّ يَقْدُمُهُمْ جَلْدُ النَّحِيزَةِ مــاضٍ غَيْرُ رِعْدِيدِ
أَعْنِي رَسُــولَ إِلَهِ الخَلْــقِ فَضَّلَهُ على البَرِيّــةِ بِالتَّقْــوى وبِالجُــودِ
وَقَدْ زَعَمْتُمْ بِــأَنْ تَحْمُوا ذِمارَكُمُ وماءُ بَــدْرٍ زَعَمْتُمْ غَــيْرُ مَوْرُودِ
ثُــمَّ ورَدْنا ولَمْ نَسْــمَعْ لِقَوْلِكُمُ حَــتّى شَرِبنا رَواءً غَــيْرَ تَصْرِيدِ

مُسْــتَعْصِمِينَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْجَذِمٍ مُسْتَحْكِمٍ مِنْ حِبالِ الله مَمْدُودِ
فينا الرَّسُــولُ وفينا الحَــقُّ نَتْبَعُهُ حَتّى المَماتِ ونَــصْرٌ غَيْرُ مَحْدُودِ
وافٍ وماضٍ شِــهابٌ يُسْتَضاءُ بِهِ بَــدْرٌ أنــارَ على كُلِّ الأماجِيــدِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: بَيْتُهُ «مُسْتَعْصِمِينَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْجَذِمٍ» عَنْ أبي زَيْدٍ الأنْصارِيِّ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا:

خابَتْ بَنُو أسَــدٍ وآبَ غزِيُّهُمْ يَوْمَ القَليبِ بِسَــوءَةٍ وفُضُوحِ
مِنْهُمْ أبو العاصِي تَجَدَّلَ مُقْعَصًا عَنْ ظَهْرِ صادِقَةِ النَّجاءِ سَبُوحِ
حَيْنًــا لَهُ مِنْ مانِعٍ بِسِــلاحِهِ لَمّا ثَــوى بِمَقامِــهِ المَذْبُوحِ
والمَرْءُ زَمْعَةُ قَــدْ تَرَكْنَ ونَحْرُهُ يَدْمى بِعانِدِ مُعْبَطٍ مَسْــفُوحِ
مُتَوَسِّــدًا حُرَّ الجَبِــينِ مُعَفَّرًا قَدْ عُرَّ مــارِنُ أنْفِــهِ بِقُبُوحِ
وَنَجا ابنُ قَيْسٍ في بَقِيَّةِ رَهْطِهِ بِشَــفا الرِّماقِ مُوَلِّيًــا بِجُرُوحِ

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا:

ألا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أتى أهْلَ مَكَّةٍ إبارَتُنا الكُفّارَ في ســاعَةِ العُسْرِ
قَتَلْنــا سَراةَ القَوْمِ عِنْــدَ مَجالِنا فلَمْ يَرْجِعُــوا إلّا بِقاصِمَةِ الظَّهْرِ
قَتَلْنــا أبا جَهْــلٍ وعُتْبــةَ قَبْلَهُ وشَــيْبَةُ يَكْبُو لِلْيَدَيْــنِ ولِلنَّحْرِ
قَتَلْنــا سُــوَيْدًا ثُمَّ عُتْبــةَ بَعْدَهُ وطُعْمــةَ أيْضًا عِنْدَ ثائِــرَةِ القَتْرِ
فَكَمْ قَدْ قَتَلْنا مِــنْ كَرِيمٍ مُرَزَّأٍ لَهُ حَسَــبٌ في قَوْمِهِ نابِــهُ الذِّكْرِ
تَرَكْناهُــمُ لِلْعاوِيــاتِ يَنُبْنَهُــمْ ويَصْلَوْنَ نــارًا بَعْدُ حامِيَةَ القَعْرِ
لَعَمْرُكَ ما حامَــتْ فوارِسُ مالِكٍ وأشْــياعهمْ يَوْمَ التَقَيْنا على بَدْرِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي أبو زَيْدٍ الأنْصارِيُّ بَيْتَهُ:

قَتَلْنا أبا جَهْــلٍ وعُتْبَةَ قَبْلَهُ   وشَيْبةُ يَكْبُو لِلْيَدَيْنِ ولِلنَّحْرِ

وفي شِعْرِ حَسّانَ: [من الكامل]

تَبَلَتْ فُــؤادَكَ في المَنامِ خَرِيدةٌ

يَجُوزُ أنْ يَكُونَ أرادَ بِالمَنامِ: النَّوْمَ، ومَوْضِعَ النَّوْمِ، ووقْتَ النَّوْمِ؛ لِأنَّ «مَفْعَلًا» يَصْلُحُ في هَذا كُلِّهِ في ذَواتِ الواوِ، وقَدْ تُسَمّى العَيْنُ أيْضًا: مَنامًا؛ لِأنّها مَوْضِعُ النّوْمِ، وعَلَيْهِ تُؤُوِّلَ(١) قَوْلُهُ تَعالى: ﴿ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗا ﴾ [الأنفال: ٤٣]؛ أيْ: في عَيْنِك، ويُقَوِّيهِ قَوْلُهُ: ﴿وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ [الأنفال: ٤٤].

ولا فرْقَ عِنْدَ النَّحويين بَيْنَ «مَفْعَلٍ» في هَذا البابِ و«فَعْلٍ»، نَحْو مَضْرَبٍ وضَرْبٍ، ومَنامٍ ونَوْمٍ، وكَذَلِكَ هُما في التَّعْدِيةِ سَواءٌ، نَحْو: ضَرْبُ زَيْدٍ عَمْرًا، ومَضْرَبُ زَيْدٍ عَمْرًا، وأمّا في حُكْمِ البَلاغةِ والعِلْمِ بِجَوْهَرِ الكَلامِ، فلا سَواءَ؛ فإنّ(٢) المَصْدَرَ إذا حَدَّدْته قُلْت: ضَرْبةٌ ونَوْمةٌ(٣)، ولا يُقالُ(٤): مَضْرَبةٌ ولا مَنامةٌ، فهَذا فرْقٌ، وفَرْقٌ آخَرُ تَقُولُ: ما أنْتَ إلّا نَوْمٌ وإلّا سَيْرٌ؛ إذا قَصَدْتَ التَّوْكِيدَ، ولا يَجُوزُ: ما أنْتَ إلّا مَنامٌ وإلّا مَسِيرٌ، ومِنْ جِهةِ النَّظَرِ أنّ الميم لم تُزَدْ إلا لمعنًى زائِدٍ كالزوائِدِ الأرْبَعِ في المُضارِعِ، وعلى ما قالُوهُ، تَكُونُ زائِدةً لِغَيْرِ مَعْنًى.

---

(١) في (ب): «حُمِل قوله».

(٢) في (ف): «لأن».

(٣) في (ص)، (ج): «نومة وضربة».

(٤) في (ف): «ولا يقول».

فَإنْ قُلْت: فما ذاكَ(١) المَعْنى الّذِي تُعْطِيهِ المِيمُ؟

قُلْنا: الحَدَثُ(٢) يَتَضَمّنُ زَمانًا ومَكانًا وحالًا، فالمَذْهَبُ عِبارةٌ عَن الزَّمانِ الّذِي فيهِ الذّهابُ، وعَن المَكانِ أيْضًا، فهي تُعْطِي مَعْنى الحَدَثِ(٣) وشَيْءٍ زائِدٍ عَلَيْهِ، وكَذَلِكَ إذا أَرَدْتَ الحَدَثَ مَقْرُونًا بِالحالةِ والهَيْئةِ الّتِي يَقَعُ عَلَيْها، قالَ اللهُ سُبْحانَهُ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الروم: ٢٣]، فأحالَ على التّفكُّرِ في هذهِ الحالةِ المُسْتَمِرّةِ على البَشَرِ، ثُمّ قالَ في [آيةٍ](٤) أُخْرى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ولَمْ يَقُلْ: مَنامٌ؛ لِخُلُوِّ هَذا المَوْطِنِ مِنْ تِلْكَ الحالةِ، وتَعَرِّيه مِنْ ذَلِكَ المَعْنى الزّائِدِ في الآيةِ الأُخْرى، ومَنْ لَمْ يَعْرِفْ جَوْهَرَ الكَلامِ لَمْ يَعْرِفْ إعْجازَ القُرْآنِ.

[وفي هَذا الشّعْرِ](٥): [من الكامل]

بُنِيَتْ على قَطَنٍ أجَمَّ كَأنّهُ فُضُلًا........................

[قَطَنُها: ثَبَجُها ووسَطُها، وأجَمُّ؛ أي: لا عظامَ فيه.

وقَوْلُهُ: «كَأنّهُ فُضُلًا»، نُصِبَ «فُضُلًا» على الحالِ؛ أي: كأنّ قَطَنَها](٦) إذا كانَتْ فُضُلًا، فهُو حالٌ مِن الهاءِ في «كَأنّهُ»، وإنْ كانَ الفُضُلُ مِنْ صِفةِ المَرْأةِ لا مِنْ صِفةِ القَطَنِ، ولَكِنْ لَمّا كانَ القَطَنُ بَعْضَها صارَ كَأنّهُ حالٌ مِنْها، ولا

(١) في (ف): «ذلك».
(٢) في (ص)، (ج): «الحديث».
(٣) في (ص)، (ج): «الحديث».
(٤) ليس في (ب).
(٥) مكانه في (أ)، (ب)، (ف): «وفيه».
(٦) سقط من (ب).

يَجُوزُ أنْ يَكُونَ حالًا مِن الضَّمِيرِ في «قَعَدَتْ»؛ لِاسْتِحالةِ أنْ يَعْمَلَ ما بَعْدَ «إذا» فيما قَبْلَها، والفُضُلُ مِن النّساءِ والرّجالِ: المُتَوشِّحُ في ثَوْبٍ واحِدٍ، والمَداكُ: صَلاءةُ الطِّيبِ، وهُو مَفْعَلٌ مِنْ دُكْت أدُوكُ: إذا دَقَقْتَ، ومِنْهُ الدَّوْكةُ والدُّوكةُ[1].

وقَوْلُهُ: «مَرّ الدَّمُوكِ»، يُقالُ: دَمَكَهُ دَمْكًا: إذا طَحَنَهُ طَحْنًا سَرِيعًا، وبَكَرةٌ[2] دَمُوكٌ؛ أيْ: سَرِيعةُ المَرِّ، وكَذَلِكَ: رَحًى دَمُوكٌ.

والمُحْصَدُ: الحَبْلُ المُحْكَمُ الفَتْلِ.

والرِّجامُ: واحِدُ الرِّجامَيْنِ، وهُما الخَشَبَتانِ اللّتانِ تُلْقى عَلَيْهِما البَكَرةُ، والرِّجامُ أيْضًا: جَمْعُ رُجْمةٍ، وهِيَ حِجارةٌ مُجْتَمِعةٌ، وجَمْعُ رَجَمٍ، وهُو القَبْرُ، ومِنْهُ قَوْلُ أبِي الطَّيّبِ[3]: [من الوافر]

تمتّعْ مِن رُقادٍ أوْ سُهادٍ ... ولا تَأْمَلْ كَرًى تَحْتَ الرِّجامِ
فَإنّ لِثالِثِ الحالَيْنِ مَعْنًى ... سِوى مَعْنى انْتِباهِكَ والمَنامِ

و«ارْقَدّتْ»[4]: أسْرَعَتْ، ومَصْدَرُهُ: ارْقِدادٌ، وكَذَلِكَ «ارْمَدّتْ»، وافْعَلّ في غَيْرِ الألْوانِ والخِلَقِ عَزِيزٌ، وأمّا «انْقَضّ» فلَيْسَ مِنْهُ في شَيْءٍ؛ لِأنّك تَقُولُ في مَعْناهُ تَقَضّضَ البِناءُ، فالقافُ: فاءُ الفِعْلِ، وكذلك: «تقضّي البازي»[5]؛ لأنّه

(١) الدوكة ـ بفتح الدال وضمّها ـ: الشرُّ والخصومة.
(٢) البكرة ـ محركة وبفتح فسكون ـ: خشبة مستديرة في جوفها محور تدور عليه.
(٣) «ديوانه» (٤: ٢٨٠).
(٤) في «السيرة»: «ارتدت»، والمعنى واحد.
(٥) من بيت العجاج في «ديوانه» (ص: ٢٨):

دانى جناحيه من الطُّورِ فمرْ ... تقضّي البازي إذا البازي كسرْ

يقول: انقض انقضاض البازي ضمّ جناحيه.

منه، وغَلِطَ الفَسَوِيُّ[١] في «الإيضاح»[٢]، فجَعَلَ ﴿ يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾ [الكهف: ٧٧]، مِنْ بابِ احْمَرَّ، وإنّما هُو مِنْ بابِ انْقَدَّ [وانشقَّ][٣] وانْجَرَّ، والنّونُ زائِدةٌ، ووزْنُهُ: انْفَعَلَ، وكَذَلِكَ غَلِطَ القالِي في «النّوادِرِ» فقالَ في قَوْلِهِ: «وجَرْيُها انْثِرارٌ»[٤]: إنّهُ افْعِلالٌ مِن النَّثْرِ، كَما قالَ الفَسَوِيُّ في الاِنْقِضاضِ، وإنّما هُو انْفِعالٌ مِنْ عَيْنٍ ثَرّةٍ؛ أيْ: كَثِيرةِ الماءِ.

و«دُسْنَهُ بِحَوام»، يَعْنِي: الحَوافِرَ[٥]، وما حَوْلَ الحافِرِ[٦] يُقالُ له: الحامِيةُ، وجَمْعُهُ: حَوامٍ.

وقَوْلُ الحارِثِ بنِ هِشامٍ: [من الكامل]

حَتّى عَلَوْا فرسي بِأَشْـقَرَ مُزْبِدِ[٧]

يَعْنِي: الدَّمَ، و«مُزْبِدٌ» قَدْ عَلاهُ الزَّبَدُ.

وقَوْلُهُ: «والأَحِبّةُ فيهِمُ»؛ يَعْنِي: مَنْ قُتِلَ أَوْ أُسِرَ؛ مِنْ رَهْطِهِ وإخْوتِهِ.

* * *

(١) في (ص)، (ج): «الفارسي». وأبو علي الفارسي يُنسَب كذلك إلى «فَسا»، وهي مدينة بفارس، بينها وبين شيراز أربع مراحل، وتنطق (بسا) بالباء بدل الفاء. انظر: «معجم البلدان» لياقوت: (فسا).

(٢) انظر: «التكملة» (ص: ٥١٨).

(٣) ليس في (ب)، (ف).

(٤) لفظ «الأمالي» (١: ٤٤) ـ والنوادر هي الأمالي ـ: «جريها انبتار». وفسره أبو علي بقوله: «الانبتار: الشدة في العدْو»، ولم يزن المصدر. ولعل ما ذكره السهيلي من نسخة أخرى من «النوادر».

(٥) في (ب): «بحوافر».

(٦) في (ف): «الحوافر».

(٧) في «السيرة»: «حتى حبَوْا».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا:

نَـــجّى حَكِيمًا يَوْمَ بَدْرٍ شَــدُّهُ كَنَجاءِ مُهْرٍ مِنْ بَناتِ الأعْوَجِ
لَمّا رَأى بَدْرًا تَسِــيلُ جِلاهُهُ بِكَتِيبةٍ خَضْراءَ مِنْ بَلْخَزْرَجِ
لا يَنْكُلــون إذا لَقُوا أعْداءَهُمْ يَمْشُونَ عائِدَةَ الطَّرِيقِ المَنْهَجِ
كَمْ فيهِمُ مِنْ ماجِدٍ ذِي مَنْعةٍ بَطَلٍ بِمَهْلَكةِ الجَبانِ المُحْرَجِ
وَمُسَوَّدٍ يُعْطِي الجَزِيلَ بِكَفِّهِ حَمّــالِ أثْقالِ الدِّيــاتِ مُتَوَّجِ
زَيْنِ النَّــدِيِّ مُعاوِدٍ يَوْمَ الوَغى ضَرْبَ الكُماةِ بِكُلِّ أبْيَضَ سَلْجَجِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُهُ: «سَلْجَجِ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ أيْضًا:

فَما نَخْشى بِحَــوْلِ اللهِ قَوْمًا وإنْ كَثُرُوا وأُجْمِعَت الزُّحُوفُ
إذا مــا ألَّبُــوا جَمْعًــا عَلَيْنا كَفانــا حَدَّهُــمْ رَبٌّ رَؤُوفُ
سَــمَوْنا يَوْمَ بَــدْرٍ بِالعَوالِي سِراعًا ما تُضَعْضِعُنا الحُتُوفُ
فَلَمْ تَرَ عُصْبةً في النّاسِ أنْكى لِمَنْ عادَوْا إذا لَقِحَتْ كُشُوفُ
وَلَكِنّــا تَوَكَّلْنــا وقُلْنــا: مَآثِرُنــا ومَعْقِلُنا السُّــيُوفُ
لَقِيناهُــمْ بِهــا لَمّا سَــمَوْنا ونَحْــنُ عِصابةٌ وهُــمُ أُلُوفُ

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا يَهْجُو بَنِي جُمَحَ ومَنْ أُصِيبَ مِنْهُمْ:

جَمَحَتْ بَنُو جُمَحٍ لِشِقْوةِ جَدِّهِمْ إنَّ الذَّلِيــلَ مُــوَكَّلٌ بِذَلِيــلِ

قُتِلَتْ بَنُو جُمَحٍ بِبَدْرٍ عَنْوَةً وتَخاذَلُوا سَعْيًا بِكُلِّ سَبِيل
جَحَدُوا الكِتابَ وكَذَّبُوا بِمُحَمَّدٍ واللهُ يُظْهِرُ دِينَ كُلِّ رَسُولِ
لَعَنَ الإلَهُ أبا خُزَيْمَةَ وابنَهُ والخالِدَيْنِ وصاعِدَ بنَ عَقِيلِ

[شِعْرُ عبيدةَ بنِ الحارِثِ في قَطْعِ رِجْلِهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ عُبَيْدَةُ بنُ الحارِثِ بنِ المُطَّلِبِ في يَوْمِ بَدْرٍ، وفي قَطْعِ رِجْلِهِ حِينَ أُصِيبَتْ في مُبارَزَتِهِ هُوَ وحَمْزَةُ وعَلِيٌّ حِينَ بارَزُوا عَدُوَّهُمْ، قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِعُبَيْدَةَ:

سَتَبْلُغُ عَنّا أهْلَ مَكّةَ وقْعَةٌ يَهُبُّ لَها مَنْ كانَ عَنْ ذاكَ نائِيا
بِعُتْبَةَ إذْ ولّى وشَيْبَةُ بَعْدَهُ وما كانَ فيها بِكْرُ عُتْبَةَ راضِيا
فَإنْ تَقْطَعُوا رِجْلِي فإنِّيَ مُسْلِمٌ أُرَجِّي بِها عَيْشًا مِنَ اللهِ دانِيا
مَعَ الحُورِ أمْثالَ التَّماثِيلِ أُخْلِصَتْ مَعَ الجَنّةِ العُلْيا لِمَنْ كانَ عالِيا
وَبِعْتُ بِها عَيْشًا تَعَرَّقْتُ صَفْوَهُ وعالَجْتُهُ حَتّى فقَدْتُ الأدانِيا
فَأكْرَمَنِي الرَّحْمَنُ مِنْ فضْلِ مَنِّهِ بِثَوْبٍ مِن الإسْلامِ غَطّى المَساوِيا
وَما كانَ مَكْرُوهًا إلَيَّ قِتالُهُمْ غَداةَ دَعا الأكْفاءَ مَنْ كانَ داعِيا
وَلَمْ يَبْغِ إذْ سالُوا النَّبِيَّ سَواءَنا ثَلاثَتَنا حَتّى حَضَرْنا المُنادِيا
لَقِيناهُمُ كالأسْدِ تَخْطِرُ بِالقَنا نُقاتِلُ في الرَّحْمَنِ مَنْ كانَ عاصِيا
فَما بَرِحَتْ أقْدامُنا مِنْ مَقامِنا ثَلاثَتِنا حَتّى أزِيرُوا المَنائِيا

قالَ ابنُ هِشامٍ: لَمّا أُصِيبَتْ رِجْلُ عبيدةَ قالَ: أما واللهِ لَوْ أدْرَكَ أبو طالِبٍ هذا اليَوْمَ لَعَلِمَ أنِّي أحَقُّ مِنْهُ بِما قالَ حِينَ يَقُولُ:

كَذَبْتُمْ وبَيْتِ اللهِ يُبْزى مُحَمَّدٌ ولَمّا نُطاعِنْ دُونَهُ ونُناضِلِ

وَنُسْـــلِمُهُ حَتّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ ... ونُذْهَلُ عَنْ أبنائِنا والحلائلِ

وَهذان البَيْتانِ في قَصِيدةٍ لِأبي طالِبٍ، وقَدْ ذَكَرْناها فيما مَضى مِنْ هذا الكِتابِ.

[رِثاءُ كَعْبٍ لِعُبَيدةَ بنِ الحارِثِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا هَلَكَ عُبَيدةُ بنُ الحارِثِ مِنْ مُصابِ رِجْلِهِ يَوْمَ بَدْرٍ، قالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ الأنْصارِيُّ يَبْكِيهِ:

أيا عَيْنُ جُــودِي ولا تَبْخَلِي ... بِدَمْعِــكِ حَقًّــا ولا تَنْزُرِي
على سَــيِّدٍ هَدَّنــا هُلْكُــهُ ... كَرِيــمِ المَشــاهِدِ والعُنْصُرِ
جَرِيءِ المُقَدَّمِ شاكِي السِّلاحِ ... كَرِيمِ النَّثا طَيِّــبِ المَكْسِرِ
عُبَيــدةُ أمْــسى ولا نَرْتَجِيهِ ... لِعُــرْفٍ عَرانــا ولا مُنْكَــرِ
وَقَدْ كانَ يَحْمي غَــداةَ القِتا ... ل حامِيــةَ الجَيْــشِ بِالمبْتَرِ

[شِعْرٌ لِكَعْبٍ في بَدْرٍ]

وَقالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ أيْضًا في يَوْمِ بَدْرٍ:

ألا هَلْ أتى غَسّانَ في نَأْيِ دارِها ... وأخْبَرُ شَيْءٍ بِالأُمُورِ عَلِيمُها
بِأنْ قَدْ رَمَتْنا عَنْ قِسِيٍّ عَداوةً ... مَعَدٌّ مَعًــا جُهّالُها وحَلِيمُها؟
لِأنّا عَبَدْنا اللهَ لَمْ نَرْجُ غَيْرَهُ ... رَجاءَ الجِنانِ إذْ أتانا زَعِيمُها
نَــبِيٌّ لَهُ في قَوْمِــهِ إرْثُ عِزّةٍ ... وأعْراقُ صِدْقٍ هَذَّبَتْها أُرُومُها
فَسارُوا وسِرْنا فالتَقَيْنا كَأنَّنا ... أُسُــودُ لِقاءٍ لا يُرَجّى كَلِيمُها
ضَرَبناهُمُ حَتّى هَوى في مَكَرِّنا ... لِمَنْخِرِ سَوْءٍ مِنْ لُؤَيٍّ عَظِيمُها
فَوَلَّوْا ودُسْناهُمْ بِبِيضٍ صَوارِمٍ ... سَواءٌ عَلَيْنا حِلْفُها وصَمِيمُها

وقَوْلُ حَسّانَ: [من الكامل]

بكَتِيبةٍ خَضْراءَ من بَلْخَزْرَج

العَرَبُ تَجْعَلُ الأسْودَ أخْضَرَ، فتَقُولُ: لَيْلٌ أخْضَرُ، كَما قالَ[١]: [من البسيط]

في ظِلِّ أخْضَرَ يَدْعُو هامةَ البُومِ

ويُسمّى الأخْضَرُ: أسْودَ؛ إذا اشْتَدّتْ خُضْرَتُهُ، وفي التنزيل: ﴿ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٦٤]، قال أهلُ التأويلِ[٢]: سوداوانِ مِنْ شِدّةِ الخُضْرةِ.

وقولُ حسانَ[٣]: «بأبيض[٤] سَلْجَجٍ»، هو السَّيفُ الماضي الذي يقطعُ الضَّريبةَ بسهولةٍ، ومنه المَثَلُ: الأخْذُ سَلَجانٌ، والقَضاءُ لِيّانٌ[٥]؛ أي: الأخْذُ سَهْلٌ يَسُوغُ في الحَلْقِ بلا عُسْرٍ، كَما قالُوا[٦]: الأخْذُ سُرَّيطٌ، والقَضاءُ ضُرّيطٌ[٧]، فسُرَّيْطٌ مِنْ سَرطْتُ الشّيْءَ: إذا بَلَعْتَهُ بَلْعًا سَهْلًا، فسَلْجَجُ مِنْ هَذا، إلّا أنّهُمْ ضاعَفُوا الجِيمَ، كَما ضاعَفُوا الدّالَ مِنْ مَهْدَد، ولَمْ يُدْغِمُوا؛ لأنهم ألحقوه بجعفرٍ.

---

(١) ذو الرمة، «ديوانه» (١: ٤٠١)، وصدره:

قد أعسِفُ النازحَ المجهولَ مَعْسِفُهُ

وانظره في «اللسان» (عسف، وغضف، وخُضر، وهوم).

(٢) في (أ)، (ج)، (ف): «التفسير».

(٣) في (ف): «وقوله» بدل «وقول حسان».

(٤) كذا، والبيت: «بكل أبيض».

(٥) «مجمع الأمثال» للميداني: (١: ٤١)، ولفظه: الأكل سلجان. يقال: سلجَ الطعام سلْجًا وسلَجانًا: بلعه وأكله بسرعة. واللِّيّان: المطل، يُضرب المثل لمن يأخذ مال الناس فيسهل عليه، فإذا طُولب بالقضاء ماطل وصعُب عليه.

(٦) في (ف): «قال».

(٧) المصدر السابق نفسه.

وقَوْلُهُ: «بَلْخَزْرَجِ»، أرادَ[١]: بَنِي الخَزْرَجِ، فحَذَفَ النّونَ؛ لأَنّها مِنْ مَخْرَجِ اللّامِ، وهُمْ يَحْذِفُونَ اللّامَ في مِثْلِ: عَلْماءِ وظِلْتُ، كَراهِيَةَ اجْتِماعِ[٢] اللّامَيْنِ، وكَذَلِكَ «أَحَسْتُ» كَراهِيَةَ التّضْعِيفِ، وفي حَدِيثِ عائِشَةَ: «تَرِبَتْ يَمِينُك وأَلْتِ»، أرادَ: أَلِلْتِ، أيْ: طُعِنْت مِنْ قَوْلِهِمْ: أُلَّ وغُلَّ مالُهُ[٣]، ويُرْوى: «أُلّتْ»[٤] [بسكون التاء][٥]، فتَكُونُ التّاءُ عَلَمًا لِلتّأْنِيثِ؛ أيْ: أُلّتْ يَدُك، وعِنْدَنا فيهِ رِوايَةٌ ثالِثَةٌ في «كِتابِ مُسْلِمٍ»[٦]، وهِيَ: «تَرِبَتْ يَداك وأُلّتِ» بِكَسْرِ التّاءِ وتَشْدِيدِ اللّامِ، وهِيَ على لُغَةِ مَنْ يَقُولُ في رَدَدْتِ: رَدّتْ، فيُدْغِمُ مَعَ ضَمِيرِ الفاعِلِ، وهِيَ لُغَةٌ حَكاها سِيبَوَيْهِ[٧].

* * *

(١) في (ف): «أي أراد».

(٢) في (ف): «لاجتماع».

(٣) كذا في (ب)، ومثله في (ص)، ولكن أُشير إلى تأخير «ماله». وسقط «ماله» من (أ)، (ج)، (ف).

(٤) في (ج): «أللت».

(٥) ليس في (أ)، (ب)، (ف).

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الحيض: (١: ٢٥١).

(٧) «الكتاب» (٣: ٥٣٥)، (٤: ١٠٧)، ونسبها سيبويه إلى بكر بن وائل.

وَقالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ أيْضًا:

لَعَمْــرُ أبيكُما يا ابْــنَي لُؤَيٍّ ... على زَهْوٍ لَدَيْكُــمْ وانْتِخاءِ
لَمَا حامَتْ فوارِسُــكُمْ بِبَدْرٍ ... ولا صَــبَرُوا بِهِ عِنْــدَ اللِّقاءِ
وَرَدْنــاهُ بِنُــورِ اللهِ يَجْلُــو ... دُجى الظَّلْمــاءِ عَنّا والغِطاءِ
رَسُــولُ اللهِ يَقْدُمُنــا بِأمْرٍ ... مِنَ امْرِ اللهِ أُحْكِمَ بِالقَضاءِ
فَما ظَفِرَتْ فوارِسُكُمْ بِبَدْرٍ ... وما رَجَعُوا إلَيْكُمْ بِالسَّــواءِ
فَلا تَعْجَلْ أبا سُفيانَ وارْقُبْ ... جِيادَ الخَيْلِ تَطْلُعُ مِنْ كَداءِ
بِنَصْرِ اللهِ رُوحُ القُدْسِ فيها ... ومِيــكالٌ فيا طِيــبَ المَلاءِ

[شِعْرُ طالِبٍ في مَدْحِ الرَّسُولِ وبُكاءِ أصْحابِ القَلِيبِ]

وَقالَ طالِبُ بنُ أبي طالِبٍ يَمْدَحُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، ويَبْكِي أصْحابَ القَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ:

ألا إنَّ عَيْنِي أنْفَدَتْ دَمْعَها سَــكْبا ... تُبَكِّي على كَعْــبٍ وما إنْ تَرى كَعْبا
ألا إنَّ كَعْبًــا في الحُــرُوبِ تَخاذَلُوا ... وأرْداهُمُ ذا الدَّهْــرُ واجْتَرَحُوا ذَنْبا
وَعامِــرُ تَبْــكِي لِلْمُلمّــاتِ غُدْوةً ... فيا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أرى لَهُما قُرْبا؟
هُمــا أخَــوايَ لَــنْ يُعَــدّا لِغَيّةٍ ... تُعَــدُّ ولَنْ يُسْــتامَ جارُهُما غَصْبا
فيــا أخَوَيْنا عَبْدَ شَــمس وَنَوْفَلًا ... فِدًا لَكُمــا لا تَبْعَثُــوا بيْنَنا حَرْبا
وَلا تُصْبِحُــوا مِنْ بَعْــدِ وُدٍّ وأُلْفةٍ ... أحادِيثَ فيها كُلُّكُمْ يَشْتَكِي النَّكْبا
ألَمْ تَعْلَمُوا ما كانَ في حَرْبِ داحِسٍ ... وجَيْشِ أبي يَكْسُومَ إذْ مَلَؤُوا الشِّعْبا

فَلَــوْلا دِفــاعُ اللهِ لا شَيْءَ غَيْرُهُ لَأَصْبَحْتُمُ لا تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرْبا
فَما إنْ جَنينــا في قُرَيْش عَظِيمَةً سِوى أنْ حَمَيْنا خَيْرَ مَنْ وطِئَ التُّرْبا
أخــا ثِقــةٍ في النّائِباتِ مــرزّءاً كَريمًا نَثــاهُ لا بَخِيــلًا ولا ذَرْبا
يُطِيفُ بِهِ العافُونَ يَغْشَــوْنَ بابَهُ يَؤُمُّونَ بَحْرًا لا نَــزُورًا ولا صَرْبا
فــواللهِ لا تَنْفَكُّ نَفْــسِي حَزِينَةً تَمَلْمَلُ حَتّى تَصْدُقُوا الخَزْرَجَ الضَّرْبا

[شِعْرُ ضِرارٍ في رِثاءِ أبي جَهْلٍ]

وَقالَ ضِرارُ بنُ الخَطّابِ الفِهْرِيُّ يَرْثِي أبا جَهْلٍ:

ألا مَنْ لَعَيْنٍ باتَــت اللَّيْلَ لَمْ تَنَمْ؟ تُراقِبُ نَجْمًا في سَــوادٍ مِــنْ الظُّلَمْ
كَأَنَّ قَــذًى فيها ولَيْــسَ بِها قَذًى سِوى عَبْرَةٍ مِنْ جائِلِ الدَّمْعِ تَنْسَجِمْ
فَبَلِّــغْ قُرَيْشًــا أنَّ خَــيْرَ نَدِيِّهــا وأكْرَمَ مَنْ يَمْشِي بِســاقٍ على قَدَمْ
ثَوى يَوْمَ بَــدْرٍ رَهْنَ خَوْصاءَ رَهْنُها كَرِيمُ المَســاعِي غَيْرُ وغْدٍ ولا بَرِمْ
فَآلَيْــتُ لا تَنْفَــكُّ عَيْــني بِعَبْرَةٍ على هالِكٍ بَعْدَ الرَّئِيسِ أبي الحَكَمْ
على هالِكٍ أشْــجى لُــؤَيَّ بنَ غالِبٍ أتَتْــهُ المَنايا يَــوْمَ بَدْرٍ فلَــمْ يَرِمْ
تَرى كِــسَرَ الخَطِّيّ في نَحْــرِ مُهْرِهِ لَدى بائِــنٍ مِنْ لَحْمِــهِ بَيْنَها خِذَمْ
وَما كانَ لَيْثٌ ســاكِنٌ بَطْنَ بِيشةٍ لَدى غَلَلٍ يَجْــرِي بِبَطْحاءَ في أجَمْ
بِأجْــرَأَ مِنْــهُ حِينَ تَخْتَلِــفُ القَنا وتُدْعى نَــزالِ في القَماقِمــةِ البُهَمْ
فَلا تَجْزَعُوا آلَ المُغِــيرةِ واصْبِرُوا عَلَيْــهِ ومَنْ يَجْزَعْ عَلَيْــهِ فلَمْ يُلَمْ
وَجِدُّوا فإنَّ المَــوْتَ مَكْرُمةٌ لَكُمْ وما بَعْدَهُ في آخِــرِ العَيْشِ مِنْ نَدَمْ
وَقَدْ قُلْتُ: إنَّ الرِّيــحَ طَيِّبةٌ لَكُمْ وعِــزَّ المَقامِ غَيْرُ شَــكٍّ لِذِي فهَمْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِضِرارٍ.

[شِعْرُ الحارِثِ بنِ هِشامٍ في رِثاءِ أبي جَهْلٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ الحارِثُ بنُ هِشامٍ يَبْكِي أخاهُ أبا جَهْلٍ:

ألا يا لَهْفَ نَفْسِي بَعْدَ عَمْرٍو ... وهَلْ يُغْنِي التَّلَهُّفُ مِنْ قَتِيلِ؟
يُخَبِّرُنِي المُخَبِّرُ أنَّ عَمْرًا ... أمامَ القَوْمِ في جَفْرٍ مُحِيلِ
فَقِدْمًا كُنْتُ أحْسِبُ ذاكَ حَقًّا ... وأنْتَ لِما تَقَدَّمَ غَيْرُ فيلِ
وَكُنْتُ بِنِعْمَة ما دُمْتَ حَيًّا ... فقَدْ خُلِّفْتُ في دَرَجِ المسِيلِ
كأني حِينَ أُمْسِي لا أراهُ ... ضَعِيفُ العَقْدِ ذُو هَمٍّ طَوِيلِ
على عَمْرٍو إذا أمْسَيْتُ يَوْمًا ... وطَرْفِ مَنْ تَذَكُّرِهِ كَلِيلِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِلْحارِثِ بنِ هِشامٍ، وقَوْلُهُ: «في جَفْرٍ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

[شِعْرُ ابنِ الأسْوَدِ في بُكاءِ قَتْلى بَدْرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ أبو بَكْرِ بنُ الأسْوَدِ بنِ شَعُوبٍ اللَّيْثِيُّ، وهُوَ شَدّادُ ابن الأسْوَدِ:

تُحَيِّي بِالسَّلامةِ أُمَّ بَكْرٍ ... وهَلْ لِي بَعْدَ قَوْمِي مِنْ سَلامِ؟
فَماذا بِالقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ ... مِن القَيْناتِ والشَّرْبِ الكِرامِ؟
وَماذا بِالقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ ... مِن الشِّيزى تُكَلَّلُ بِالسَّنامِ؟
وَكَمْ لَكَ بِالطَّوِيِّ طَوِيِّ بَدْرٍ ... مِن الحَوْماتِ والنَّعَمِ المُسامِ
وَكَمْ لَكَ بِالطَّوِيِّ طَوِيِّ بَدْرٍ ... مِن الغاياتِ والدُّسُعِ العِظامِ
وَأصْحابِ الكَرِيمِ أبي عَلِيٍّ ... أخِي الكأسِ الكَرِيمةِ والنِّدامِ؟
وَإنَّكَ لَوْ رَأيْتَ أبا عَقِيلٍ ... وأصْحابَ الثَّنِيَّةِ مِنْ نَعامِ

إذًا لَظَلِلْتَ مِنْ وجْدٍ عَلَيْهِمْ   كَأمِّ السَّـقْبِ جائِلَةِ المَرامِ
يُخَبِّرُنا الرَّسُـولُ لَسَوْفَ نَحْيا   وكَيْفَ لِقاءُ أصْـداءٍ وهامِ؟!

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي أبو عُبَيْدَةَ النَّحْوِيُّ:

يُخَبِّرُنا الرَّسُـولُ بِأنْ سَنَحْيا   وكَيْفَ حَيـاةُ أصْداءٍ وهامِ؟!

قالَ: وكانَ قَدْ أسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ.

[شِعْرُ أُمَيَّةَ بنِ أبي الصَّلْتِ في رِثاءِ قَتْلى بَدْرٍ]

وَقالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ أُمَيَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ يَرْثِي مَنْ أُصِيبَ مِنْ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ:

ألّا بَكَيْـتِ على الكِـرا   م بَنِي الكِرامِ أُولِي المَمادِحْ
كَبُـكا الحمـام على فـرو   ع الأيْكِ في الغُصُنِ الجَوانِحْ
يَبْكـينَ حَرّى مسـتكينا   ت يَرُحْـنَ مَـعَ الرّوائـحْ
أمـثـالَهـنَّ البـاكـيـا   تِ المُعْـوِلاتِ مِن النَّوائِحْ
مَـنْ يَبْكِهِـمْ يَبْـكِ على   حُزْنٍ ويَصْـدُقُ كُلُّ مادِحْ
مـاذا بِبَـدْرٍ فالعقنْـ   ـقَلِ مِنْ مَرازِبَةٍ جَحاجِحْ
فَمدافـع البرقـين فالـ   حنان مِنْ طَرَفِ الأواشِـحْ
شُـمْـطٍ وشُـبّـانٍ بِها   لِيـلٍ مَغاوِيـرٍ وحـاوِحْ
ألا تَـرَوْنَ لِمـا أرى   ولَقَـدْ أبـانَ لِـكُلِّ لامِحْ
أنْ قَـدْ تَغَيَّرَ بَطْـنُ مَكْـ   ـكةَ فهْيَ مُوحِشةُ الأباطِحْ
مِـنْ كُلِّ بِطْرِيـقٍ لِبِطْـ   ـرِيقٍ نَقِيِّ اللَّـوْنِ واضِحْ
دُعْمُـوصِ أبْـواب المُلو   كِ وجائِـبٍ لِلْخَـرْقِ فاتِحْ

مـــن السّراطمــة الخـــلا جمـــةِ المَلاوِثـــةِ المَناجِحْ
القائِلِــــينَ الفاعِلِيــــ ــــنَ الآمِرِينَ بِكُلِّ صالِحْ
المُطْعِمِــينَ الشَّــحْمَ فــوْ قَ الخُبْزِ شَــحْمًا كالأنافِحْ
نُقُــلُ الجِفــانِ مَــعَ الجِفا نِ إلى جِفــانٍ كالمَناضِــحْ
لَيْسَــتْ بأصفــار لمــن يعفـــو ولا رُحٍّ رَحــارِحْ
لِلضَّيْفِ ثُــمَّ الضَّيْفِ بَعْدَ الضَّيْفِ والبُسُطِ السَّلاطِحْ
وُهُــبُ المِئينَ مِــن المِئيــ ــنَ إلى المِئِينَ مِن اللَّواقِحْ
سَــوْقَ المُؤَبَّــلِ لِلْمُؤَبــ ــبلِ صادِراتٍ عَنْ بَلادِحْ
لِكِرامِهِــم فــوق الكِــرا مِ مَزِيّــةٌ وزْنَ الرَّواجِــحْ
كَتَثاقُــلِ الأرْطــالِ بِالــ ـقِسْطاسِ في الأيْدِي المَوائِحْ
خَــذَلَتْــهُــمُ فِئــةٌ وهُــمْ يَحْمُونَ عَــوْراتِ الفَضائِحْ
الضّارِبِــينَ التَّقدُمِيْــ ــيّةَ بِالمُهَنَّــدةِ الصَّفائِحْ
وَلَقَــدْ عَنــانِي صَوْتُهُــمْ مِنْ بَيْنِ مُسْتَسْــقٍ وصائِحْ
لِلهِ دَرُّ بَـــني عَـــلِيْ يِ أيِّــمٍ مِنْهُــمْ وناكِــحْ
إنْ لَــمْ يُــغِــيرُوا غارةً شَــعْواءَ تُجْحِــرُ كُلَّ نابِحْ
بالمُقْرَبـــاتِ المُبْعَدا تِ الطّامِحاتِ مَعَ الطَّوامِحْ
مُــــرْدًا على جُــرْدٍ إلى أُسْــدٍ مُــكالِبــةٍ كَــوالِــحْ
وَيُــلاقِ قِــرْنٌ قِــرْنَــهُ مَشْيَ المُصافِــحِ لِلْمُصافِحْ
بِزُهــاءِ أَلْــفٍ ثُــمَّ أَلْــ ــفٍ بَيْنَ ذِي بَدَنٍ ورامِحْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: تَرَكْنا مِنْها بَيْتَيْنِ نالَ فيهِما مِنْ أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.
وأَنْشَدَنِي غَيْرُ واحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ بَيْتَهُ:

وَيُــلاقِ قِــرْنٌ قِرْنَــهُ مَشْيَ المُصافِحِ لِلْمُصافِحْ

وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا:

وُهُبُ المِئِينَ مِن المِئِيـ ـنَ إلى المئين من الدّواقح
سَــوْقَ المُؤَبَّــلِ لِلْمُؤَبْـ ـبَلِ صادِرات عَنْ بَلادِحْ

قالَ ابنُ إِسْحاقَ: وقالَ أُمَيَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ، يَبْكِي زَمعةَ بنَ الأَسْوَدِ، وقَتْلى بَنِي أَسَدٍ:

عَيْنُ بَكِّي بالمُسْبلاتِ أبا الحا رِث لا تَذْخَــرِي على زَمَعَــهْ
وابْكِي عَقِيلَ بنَ أسود أسدَ البَأْ سِ لِيَــوْمِ الهِيــاجِ والدَّفَعَــهْ
تِلْــكَ بَنُو أَســدٍ إخْــوةُ الجَوْ زاءِ لا خانَــةٌ ولا خَدَعَــهْ
هُم الأُسْرةُ الوَسِــيطةُ مِنْ كَعْـ ـبٍ وهُمْ ذِرْوةُ السَّنامِ والقَمَعَهْ
وهم أَنْبَتُوا مِنْ مَعاشرٍ شَعر الرَّأْ سِ وهُــم أَلْحَقُوهُــم المَنَعَــهْ
أَمْسى بَنُو عَمِّهِمْ إذا حضر البَأْ سُ أَكْبادُهُــمْ عَلَيْهِــمْ وجِعَهْ
وَهُم المُطْعِمُونَ إذْ قحط القطـ ـــر وحالَتْ فلا تَــرى قَزَعَهْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: هَذِهِ الرِّوايةُ لِهذا الشِّعْرِ مُخْتَلِطةٌ، لَيْسَتْ بِصَحِيحةِ البِناءِ، لَكِنْ أَنْشَدَنِي أبو مُحْرِزٍ خَلَفُ الأَحْمَرُ وغَيْرُهُ، رَوى بَعْضٌ ما لَمْ يَرْوِ بَعْضٌ:

عَيْنُ بَكِّي بالمسبلاتِ أبا الحا رِث لا تَذْخَــرِي على زَمَعَهْ
وَعَقِيلَ بنَ أَســودٍ أَســد البَأْ س لِيَــوْمِ الهِيــاجِ والدَّفَعَهْ
فَعلى مِثْلِ هُلْكِهِم خوتِ الجو زاءُ لا خانَــةٌ ولا خَدَعَــهْ
وهُم الأُسْرةُ الوَسِيطةُ مِنْ كَعْـ ـــبٍ وفيهِمْ كَذِرْوةِ القَمَعَهْ

أنْبَتُوا مِنْ معاشرٍ شـعَرَ الرَّأْ سِ وهُـمْ أَلْحَقُوهُـم المَنَعَهْ
فَبَنُـو عَمِّهِـمْ إذا حضر البَأْ س عَلَيْهِـمْ أكْبادُهُمْ وجِعَهْ
وَهُم المُطْعِمُونَ إذْ قَحَطَ القَطْـ ـرُ وحالَتْ فلا تَرى قَزَعَهْ

وذَكرَ شِعْرَ كَعْبٍ وفيهِ: [من الوافر]

لَعَمْرُ أَبِيكُما يا ابني لُؤَيٍّ على زَهْوٍ لَدَيْكُمْ وانْتِخاءِ

الِانْتِخاءُ: افْتِعالٌ مِن النَّخْوةِ، يُقالُ: نُخِيَ الرّجُلُ وانْتَخى. ومِن الزَّهوِ: زُهِيَ وازْدَهى، ولا يَكُونُ الأمْرُ مِنْ مِثْلِ هَذا إلّا بِاللّامِ؛ لِأنّ الفِعْلَ فيهِ لِغَيْرِ المُخاطَبِ، وإذا أُمِرَ مَنْ لَيْسَ بِمُخاطَبٍ، فإنّما يُؤْمَرُ بِاللّامِ، كَقَوْلِك: لِتُزْهَ يا فُلانُ، ولِتُعْنَ بِحاجَتِي، وكانَ القِياسُ أيْضًا ألّا يُقالَ مِنْ هَذا الفِعْلِ: ما أَفْعَلَهُ، ولا: هُو أَفْعَلُ مِنْ كَذا، كَما لا يُقالُ في المَرْكُوبِ: ما أرْكَبَهُ، ولا في المَضْرُوبِ: ما أضْرَبَهُ، ولَكِنّهُ قَدْ جاءَ في مِثْلِ هذهِ الأفْعالِ: ما أزْهاهُ، وما أعْناهُ بِحاجَتِي[١]، وقالُوا: هُو أَشْغَلُ مِنْ ذاتِ النِّحْيَيْنِ[٢]، وهُو أزْهى مِنْ غُرابٍ[٣]، والفِعْلُ في هَذا كُلِّهِ: زُهِيَ، وشُغِلَ، فهُو مَشْغُولٌ ومَزْهُوٌّ. وقِيلَ في المَجْنُونِ: ما أَجَنّهُ، حَكاهُ أَبُو عُمَرَ الجَرْمِيُّ[٤]. وقالَ سِيبَوَيْهِ[٥]: «واعْلَمْ أنّ العَرَبَ تُقَدّمُ في كَلامِها ما هُمْ بِهِ أَهَمّ، وهم بِبَيانِه أعنى، وإن كانا جَمِيعًا يُهِمّانِهِمْ، ويَعْنِيانِهِمْ»، وهُو مِنْ هَمّهِمْ

(١) في (ف): «لحاجتي».
(٢) «مجمع الأمثال» للميداني: (١: ٣٧٦-٣٧٧).
(٣) السابق: (١: ٣٢٧).
(٤) صالح بن إسحاق الجرمي ولاءً، كان رأسًا في اللغة والنحو، وملك بالأدب دنيا عريضة. حكى عن يونس بن حبيب والأخفش الأوسط، تُوفِّي سنة (٢٢٥هـ).
(٥) «الكتاب» (١: ٣٤). ويقال: همّه الأمر وأهمّه بمعنًى.

وعَناهُمْ، فهُمْ بِهِ مَعْنِيُّونَ، مِثْل: مَضْرُوبُونَ، فجازَ في هذهِ الأفْعالِ ما تَرى، وسَبَبُ جَوازِهِ: أنَّ المَفْعُولَ فيها[1] فاعِلٌ في المَعْنى، فالمَزْهُوُّ مُتَكَبِّرٌ، وكَذا[2] المَنْخُوُّ، والمَشْغُولُ مُشْتَغِلٌ وفاعِلٌ لِشُغْلِهِ، والمَعْنِيُّ بالأمْرِ كَذَلِكَ، والمَجْنُونُ كالأحْمَقِ، فيُقالُ: ما أجَنَّهُ، كَما يُقالُ: ما أحْمَقَهُ، ولَيْسَ كَذَلِكَ مَضْرُوبٌ، ولا مَرْكُوبٌ، ولا مَشْتُومٌ، ولا مَمْدُوحٌ، فلا يُقالُ في شَيْءٍ مِنْهُ: ما أفْعَلَهُ، ولا هُو أفْعَلُ مِنْ غَيْرِهِ.

فَإنْ قُلْت: فكانَ[3] يَنْبَغِي على هَذا القِياسِ أيْضًا أنْ يُؤْمَرَ فيهِ بِغَيْرِ اللّامِ، كَما يُؤْمَرُ الفاعِلُ؛ إذْ قَدْ[4] قُلْتُمْ: إنَّهُ فاعِلٌ في المَعْنى.

فالجَوابُ: أنَّ الأمْرَ إنّما هُو بِلَفْظِ المُسْتَقْبَلِ، وهُو تَضْرِبُ وتَخْرُجُ، فإذا أمَرْتَ حذفتَ حرفَ المضارعةِ، وبَقَّيْتَ حُرُوفَ الفِعْلِ على بِنْيَتِها، ولَيْسَ كَذَلِكَ زُهِيتَ فأنْتَ تُزْهى، ولا شُغِلْتَ فأنْتَ تُشْغَلُ؛ لِأنّك لَوْ حَذَفْتَ مِنْهُ حَرْفَ المُضارَعةِ لَبَقِيَ لَفْظُ الفِعْلِ على بِنْيةٍ لَيَسَتْ لِلْغائِبِ، ولا لِلْمُخاطَبِ؛ لِأنَّ بِنْيةَ الأمْرِ لِلْمُخاطَبِ: «افْعَلْ»، وبِنْيَتَهُ لِلْغائِبِ: «فلْيَفْعَلْ»، والبِنْيةُ الّتِي قَدَّرْناها لا تَصْلُحُ لِواحِدٍ مِنْهُما؛ لِأنّك كُنْت تَقُولُ: ازْهَ، مِنْ زُهِيتَ، وكُنْت تَقُولُ مِنْ شُغِلْتَ: اشْغَلْ، [فتَخْرُجُ مِنْ بابِ شُغِلْتَ فأنْتَ مَشْغُولٌ إلى بابِ شَغَلْتَ غَيْرَك][5]، فأنْتَ شاغِلٌ، فلَمْ يَسْتَقِمْ فيهِ الأمرُ [إلّا][6] باللّام.

---

(١) في (ص)، (ج): «فيه».
(٢) في (ف): «وكذلك».
(٣) في (ف): «كان».
(٤) في (ف)، (ص)، (ب): «إذ وقد».
(٥) سقط من (ب).
(٦) سقط من (أ).

وقوله: [من الوافر]

وجبريـــلٌ فيا طِيــبَ المَلاءِ

أرادَ: المَلأ، ولَيْسَ مِنْ بابِ مَدِّ المَقْصُورِ؛ إذْ لا يَجُوزُ في عَصا: عَصاءٌ، ولا في رَحى: رَحاءٌ، في الشّعْرِ، ولا في الكَلامِ، وإنْ كانُوا قَدْ أشْبَعُوا الحَرَكاتِ في الضَّرُورةِ، فقالُوا في الكَلْكَلِ: الكَلْكالُ، وفي الصَّيارِفِ: الصَّياريفُ، ولَكِنّ مَدَّ المَقْصُورِ أبْعَدُ مِنْ هَذا؛ لِأنّ زِيادةَ الألِفِ تَغْيِيرٌ واحِدٌ، ومَدَّ المَقْصُورِ تَغْيِيرانِ: زِيادةُ ألِفٍ، وهَمْزُ ما لَيْسَ بِمَهْمُوزٍ[١]، غَيْرَ أنّهُ قَدْ جاءَ في شِعْرِ طَرَفةَ[٢]: [من الطويل]

وكَشْـــحانِ لَمْ يَنْقُصْ طَواءَهُما الحَبَلْ

لَكِنّهُ حَسّنَهُ [قَلِيلًا][٣] في بَيْتِ طَرَفةَ أنّهُ لم يُرِد الطّوى الذي هو مَصْدَرُ طَوِيَ يَطْوِي: إذا جاعَ، وخَوِيَ بَطْنُهُ، وإنّما أرادَ: رِقّةَ الخَصْرِ، وذَلِكَ جَمالٌ في المَرْأةِ، وكَمالٌ في الخِلْقةِ، فجاءَ في اللّفْظِ على وزْنِ جمالٍ وكمالٍ، وظهرَ في لفظِهِ ما كانَ في نَفْسِهِ، والعَرَبُ تَنْحُو بالكَلِمةِ إلى وزْنِ ما هُو في مَعْناها[٤]، وقَدْ مَضى مِنْهُ كَثِيرٌ، وسَيَرِدُ عَلَيْك ما هُو أكْثَرُ إن شاء الله.

وأمّا المَلَأُ والخَطَأُ والرّشَأُ والفَرَأُ، وما كانَ مِنْ هَذا البابِ، فإنّ هَمْزَتَهُ تُقْلَبُ ألِفًا في الوقْفِ بِإجْمـاعٍ[٥]، نَعَمْ وفي الوصْـلِ في بَعْـضِ اللُّغاتِ، فتكُونُ

(١) في صلب (أ): «وهمز ما لم يهمز»، وفي حاشيتها مثل ما أثبت، وفي (ب): «ما ليس يهمز».

(٢) «ديوانه» (ص: ١١٣)، وصدره:

لها كبدٌ ملســاءُ ذات أسِرّةٍ

وانظر: «لسان العرب» (طوى).

(٣) ليس في (ب).

(٤) في (ص): «معناه».

(٥) انظر: «الكتاب» (٤: ١٧٩)، و«شرح الشافية» للرضي: (٢: ٣١٤)، و«شرح الكافية الشافية» =

الألِفُ عِوضًا مِن الهَمْزةِ، وقَدْ يَجْمَعُونَ بَيْنَ العِوضِ والمُعَوَّضِ مِنْهُ، كَما قالُوا: أهَراقَ الماءَ، وإنّما كانَت الهاءُ بَدَلًا مِن الهَمْزةِ، فجَمَعُوا بَيْنَهُما، وقالُوا في النّسَبِ إلى فمٍ: فمَوِيٌّ، وقالُوا في النّسَبِ إلى اليَمَنِ: يَمَنِيٌّ، ثُمّ قالُوا: يَمانٍ، فعَوّضُوا الألِفَ مِنْ إحْدى الياءَيْنِ، ثُمّ قالُوا: يَمانِيٌّ بِالتّشْدِيدِ، فجمعوا بينَ العِوضِ والمعوَّض منه، فقولُه: [«فيا طِيبَ][1] المَلاءِ» مِنْ هَذا البابِ، وكَذَلِكَ قَوْلُهُم: «الخَطاءُ» في الخَطَأ. قالَ الشّاعِرُ: [من الطويل]

فَكُلّهُمُ مُسْتَقْبِحٌ لِصَوابِ مَنْ ... يُخالِفُـهُ مُسْتَحْسِـنٌ لِخَطائِهِ

وقَدْ قالَ ورَقَةُ: [من الطويل]

.... إلّا ما[2] غَفَرْتَ خَطائِيا[3]

فَإنْ قِيلَ: فقَدْ أنشد أبو عليٍّ في مدِّ المقصور[4]: [من الرجز]

يا لَـكَ مِنْ تَمْـرٍ ومِنْ شِيشـاءِ ... يَنْشَبُ[5] في المَسْعَلِ واللِّهاءِ[6]

أرادَ: جَمْعَ لَهاةٍ.

قُلْنـا: يَحْتَمِـلُ أنْ يَكُـونَ كَلامًـا مُولَّـدًا، وإنْ كانَ عَرَبِيًّـا، فلَعَـلّ الرِّوايـةَ

= لابن مالك (٤: ١٩٩٤).

(١) ليس في (ب).

(٢) في (ف): «من».

(٣) تقدم البيت في «السيرة» (٢: ٣٢٣)، وفسره السهيلي، انظر: (٢: ٣٢٤).

(٤) «أمالي القالي» (٢: ٢٤٤). وقد تردَّد البيتان كثيرًا في كتب النحو. ويُنسب الرَّجز إلى أبي المقدام كما في «اللآلي» (٢: ٨٧٤)، وأبو المقدام هو بيهس بن صهيب، وقد توقف الميمني في نسبة البيت، وقال: «لعله للمقدام لا لأبي المقدام».

(٥) في (ف): «تنشب».

(٦) الشيشاء: التمر الذي لا يشتدُّ نواه. والمسعل: موضع السعال من الحلق.

فيهِ(١): اللِّهاءُ [بِكَسْرِ اللّامِ](٢)، فيَكُونُ مِنْ بابِ أكَمةٍ وإكامٍ، وقَدْ ذَكرَها أبُو عُبَيْدٍ في «الغَرِيبِ المُصَنّف» بِالكَسْرِ والفَتْحِ(٣).

[شِعْرُ أبي أُسامةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ أبو أُسامةَ مُعاوِيةُ بنُ زُهَيْرِ بنِ قَيْسِ بنِ الحارِثِ ابن سَعْدِ بنِ ضُبَيْعةَ بنِ مازِنِ بنِ عَدِيِّ بنِ جُشَمَ بنِ مُعاوِيةَ حَلِيفُ بَنِي مَخْزُومٍ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ مُشْرِكًا، وكانَ مَرَّ بهُبَيْرَةَ بنِ أبي وهْبٍ وهُمْ مُنْهَزِمُونَ يَوْمَ بَدْرٍ، وقَدْ أعْيا هُبَيْرةُ، فقامَ فألْقى عَنْهُ دِرْعَهُ وحَمَلَهُ، فمَضى بِهِ. قالَ ابنُ هِشامٍ: وهَذِهِ أصَحُّ أشْعارِ أهْلِ بَدْرٍ:

وَلَمّا أنْ رَأيْتُ القَوْمَ خَفُّوا ... وقَدْ زالَتْ نَعامَتُهُمْ لِنَفْرِ
وَأنْ تُرِكَتْ سَراةُ القَوْمِ صَرْعى ... كَأنَّ خِيارَهُمْ أذْباحُ عِتْرِ
وَكانَتْ جُمّةٌ وافَتْ حِمامًا ... ولُقِّينا المَنايا يَوْمَ بَدْرِ
نَصُدُّ عَنِ الطَّرِيقِ وأدْرَكُونا ... كَأنَّ زُهاءَهُمْ غَطَيانُ بَحْرِ
وَقالَ القائِلُونَ: مَن ابنُ قَيْسٍ؟ ... فقُلْتُ: أبو أُسامةَ غَيْرَ فخْرِ
أنا الجُشَمِيُّ كَيْما تَعْرِفُونِي ... أُبَيِّنْ نِسْبَتِي نَقْرًا بِنَقْرِ
فَإنْ تَكُ في الغَلاصِمِ مِنْ قُرَيْشٍ ... فإنِّي مِنْ مُعاوِيةَ بنِ بَكْرِ
فَأبْلِغْ مالِكًا لَمّا غُشِينا ... وعِنْدَكَ مالِ إنْ نَبَّأْتَ خُبْري
وَأبْلِغْ إنْ بلغتَ المَرْءَ عَنّا ... هُبَيْرَةَ وهْوَ ذُو عِلْمٍ وقَدْرِ

(١) في (ج)، (ص): «فيها».
(٢) عن (أ)، (ب)، (ف).
(٣) لم أجده في «الغريب المصنف» المطبوع.

بِـأَنِّي إِذْ دُعِيـتُ إِلى أفيـدٍ كَرَرْتُ ولَمْ يَضِقْ بِالكَرِّ صَدْرِي
عَشِـيَّةَ لا يُكَرُّ على مُضافٍ ولا ذِي نَعْمَـةٍ مِنْهُـمْ وصِهْرِ
فَدُونَكُمُ بَـنِي لَأْيٍ أخاكُمْ ودُونَـكِ مالِكًا يـا أُمَّ عَمْرِو
فَلَوْلا مَشْـهَدِي قامَتْ عَلَيْهِ مُوَقَّفَـةُ القَوائِـمِ أُمُّ أجْـرِي
دَفُـوعٌ لِلْقُبُـورِ بِمَنْكِبَيْهـا كَأَنَّ بِوَجْهِهـا تَحْمِيـمَ قِـدْرِ
فَأُقْسِـمُ بِالَّذِي قَـدْ كانَ رَبِّي وأَنْصـابٍ لَدى الجَمَراتِ مُغْرِ
لَسَوْفَ تَرَوْنَ ما حَسَبِي إذا ما تَبَدَّلَـت الجُلُودُ جُلُـودَ نمْرِ
فَمـا إِنْ خادِرٌ مِنْ أُسْـدِ تَرْجٍ مُدِلٌّ عَنْبَـسٌ في الغَيْلِ مُجْرِي
فَقَدْ أحْمى الأَباءَةَ مِنْ كُلافٍ فمـا يَدْنُـو لَهُ أَحَـدٌ بِنَقْـرِ
بِخَـلٍّ تَعْجِـزُ الحُلَفـاءُ عَنْهُ يُواثِـبُ كُلَّ هَجْهَجَـةٍ وزَجْرِ
بِأَوْشَـكَ سَـوْرَةً مِـنِّي إذا ما حَبَـوْتُ لَهُ بِقَرْقَـرةٍ وهَـدْرِ
بِبِيـضٍ كالأَسِـنَّةِ مُرْهَفاتٍ كَأَنَّ ظُباتِهِـنَّ جَحِيـمُ جَمْرِ
وَأَكْلَـفَ مُجْنَأً مِنْ جِـلْدِ ثَوْرٍ وصَفْـراءِ البُرايـةِ ذاتِ أَزْرِ
وَأَبْيَضَ كالغَدِيـرِ ثَوى عَلَيْهِ عُمَيْرٌ بِالمَداوِسِ نِصْفَ شَهْرِ
أُرَفِّـلُ في حَمائِلِـهِ وأَمْـشِي كَمِشْـيَةِ خادِرٍ لَيْثٍ سِـبَطْرِ
يقُـولُ لِيَ الفَتى سَـعْدٌ: هَدِيًّا فقُلْـتُ: لَعَلَّهُ تَقْرِيـبُ غَدْرِ
وَقُلْتُ: أبا عَـدِيٍّ لا تَطُرْهُمْ وذلك إنْ أَطَعْـتَ اليَوْمَ أَمْرِي
كَدَأْبِهِـمُ بِفَـرْوَةَ إِذْ أتاهُـمْ فظَلَّ يُقـادُ مَكْتُوفًـا بِضَفْرِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأنْشَدَنِي أبو مُحْرِزٍ خَلَفُ الأَحْمَرُ:

نَصُدُّ عَـنِ الطَّرِيقِ وأدْرَكُونا كَأَنَّ سِراعَهُـمْ تَيّـارُ بَحْـرِ

وَقَوْلُهُ: «مُدِلٌّ عَنْبَسٌ في الغَيْلِ مُجْرِي» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

وذَكرَ شِعْرَ أبِي أُسامةَ بنِ زُهَيْرٍ(١) الجُشَمِيِّ، وفيهِ: [من الوافر]

وقَدْ زالَــتْ نَعامَتُهُــمْ لِنَفْرِ

العَرَبُ تَضْرِبُ زَوالَ النّعامةِ مَثَلًا في الفرارِ، وتقول: شالتْ نَعامةُ القومِ: إذا فرُّوا أو هَلَكُوا. قال الشّاعِرُ(٢): [من البسيط]

يا لَيْتَ ما أُمّنا شالَتْ نَعامَتُها إمّــا إلــى جَنّــةٍ إمّا إلــى نارِ

وقالَ أُمَيّةُ(٣): [من البسيط]

اشْرَبْ هَنِيئًا فقَدْ شالَتْ نَعامَتُهُمْ

والنّعامةُ في اللّغةِ: باطِنُ القَدَم، ومَنْ ماتَ فقَدْ شالَتْ رِجْلُهُ؛ أيْ: ارْتَفَعَتْ، وظَهَرَتْ نَعامَتُهُ، والنّعامةُ أيْضًا: الظُّلْمةُ، [وابنُ النّعامةِ: عِرْقٌ في باطِنِ القَدَمِ](٤)، فيَجُوزُ أنْ يَكُونَ قَوْلُهُ: «زالَتْ نَعامَتُهُمْ(٥)»، كما يقال: زالَ سوادُه، وضَحا ظِلُّهُ: إذا ماتَ، وجائِزٌ أنْ يَكُونَ ضَرَبَ النّعامةَ مَثَلًا، وهُو الظّاهِرُ في بَيْتِ أبِي أُسامةَ؛ لِأنّهُ قالَ: «زالَتْ نَعامَتُهُمْ لِنَفْرِ»، والعَرَبُ تَقُولُ: أشْرَدُ مِنْ نَعامةٍ، وأنْفَرُ مِنْ نَعامةٍ(٦)،

---

(١) في (ص): «بن زيد». انظر: «جمهرة ابن حزم» (ص: ٢٧٠).

(٢) هو سعد بن قُرط بن سيار، ويُلقب بالنُّحَيف. انظر: «الخزانة» (١١: ٩٢). والبيت في «المحتسب» (١: ٤١، ٢٨٤)، وغير مرجع.

(٣) ابن أبي الصلت، والبيت في «اللسان» (نعم)، و«المستقصى» (٢: ١٢٦)، و«الخزانة» (١١: ٩٠)، وعجزه:

وأسبل اليوم في برديك إسبالا

«ديوان أمية بن أبي الصلت» (ص: ٤٥٩).

(٤) عن (ص)، (ج).

(٥) بعده في (ف): «منه».

(٦) نقل ذلك البغدادي في «شرح أبيات مغني اللبيب» (٢: ٦).

قالَ الشّاعِرُ[١]: [من الوافر]

هُمْ تَرَكُوك أَسْلَحَ مِنْ حُبارى رَأَتْ صَقْرًا وأَشْرَدَ مِنْ نَعامِ[٢]

وقالَ آخَرُ[٣]: [من الطويل]

وكُنْتُمْ نَعامًـا عِنْدَ ذاكَ مُنَفَّرًا

فإذا[٤] قُلْت: زالَتْ نَعامَتُهُ، فمَعْناهُ: نَفَرَتْ نَفْسُهُ الَّتِي هِيَ كالنَّعامةِ في شُرُودِها.

وقَوْلُهُ: [من الوافر]

وأَنْ تُرِكَتْ سَراةُ القَوْمِ صَرْعى

سَراةُ كُلِّ شَيْءٍ: ما علا منه، وسَراةُ الفَرَسِ: ظَهْرُهُ؛ لِأَنَّهُ أَعْلاهُ. قالَ الشّاعِرُ يَصِفُ حِمارًا[٥]: [من الكامل]

بِسَراتِهِ نَدَبٌ لَها وكُلُومُ[٦]

---

(١) هو أوس بن غلفاء، وهو شاعر جاهلي، والبيت من قصيدة في «المفضليات» (ص: ٣٨٧-٣٨٩)، وانظره في «طبقات فحول الشعراء» (ص: ١٦٨).

(٢) والحُبارى: طائر أشبه بالإوز، جبان، إذا رأى صقرًا سلح عليه، أي: رمى بذي بطنه. والنعام أقل الوحش أُنسًا.

(٣) الشماخ، ولم أجده في «ديوانه»، وفيه قصيدة (١٣٩-١٤٥) من غرِّ قصائده من البحر والقافية، وقد نسبه الأزهري في «التهذيب» (ثوب) (١٥: ١٥٤)، ونصه هناك:

رَمَوْها بأَثْوابٍ خفافٍ ولا تَرَى لها شَبَهًا إلّا النَّعامَ الـــمُنَفَّرا

(٤) في (ف): «وإذا».

(٥) هو لبيد، والبيت في «شرح ديوانه» (ص: ١٢٥)، و«الكتاب» (١: ١١٢)، وصدره:

«أو مِسحَلٌ سَنِقٌ عِضادةَ سَمْحَجٍ»

(٦) في «الديوان»: «بسراتها». والمسحل: الحمار الوحشي. وسنق ـ كذا في «الديوان»، وفي =

وقَوْلُهُمْ: سَراةُ القَوْمِ، كَما تَقُولُ: كاهِلُ القَوْمِ، وذِرْوةُ القَوْمِ، قالَ مُعاويةُ: إنّ مُضَرَ كاهِلُ العَرَبِ، وتميمٌ كاهلُ مضر، وبنو سعدٍ كاهلُ تَمِيمٍ(١). وقالَ بَعْضُ خُطَباءِ بَنِي تَمِيمٍ: لَنا العِزُّ الأقْعَسُ(٢)، والعَدَدُ الهَيْضَلُ، ونَحْنُ في الجاهِلِيّةِ القُدّامُ، ونَحْنُ الذِّرْوةُ والسَّنامُ، وهَذا مَعْنًى صَحِيحٌ بَيِّنٌ؛ فلَيْسَ لِأَحَدٍ أنْ يَقُولَ في الذِّرْوةِ، ولا في السّنامِ، ولا في الكاهِلِ: إنّهُ جَمْعٌ؛ أيْ: مِنْ أبنِيةِ الجَمْعِ، ولا اسْمٌ لِلْجَمْعِ، فكَذَلِكَ يَنْبَغِي ألّا يُقالَ في سَراةِ القَوْمِ: إنّهُ جَمْعُ سَرِيٍّ، لا على القِياسِ، ولا على غَيْرِ القِياسِ، كَما لا يُقالُ ذَلِكَ في كاهِلِ القَوْمِ، وسَنامِ القَوْمِ. والعَجَبُ كَيْفَ خَفِيَ هَذا على النّحْوِيّينَ حَتّى قَلَّد الخالفُ منهم السّالِفَ، فقالُوا: سَراةٌ جَمْعُ سَرِيٍّ! ويا سُبْحانَ اللهِ! كَيْفَ يَكُونُ جَمْعًا لَهُ وهُمْ يَقُولُونَ في جَمْعِ سَـراةٍ: سَرَواتٌ، مِثْلَ: قَطـاةٍ وقَطَواتٍ، يُقالُ: هَؤُلاءِ مِنْ سَرَواتِ النّاسِ، كَما تَقُولُ: من رُؤُوسِ الناسِ، قال قيسُ بنُ الخَطيمِ(٣): [من المتقارب]

وعمرةُ مِنْ سَرواتِ النّسا ... ءِ تَنْفَحُ بِالمِسْكِ أرْدانُها

ولَوْ كانَ السَّراةُ جَمْعًا ما جُمِعَ؛ لِأَنّهُ على وزْنِ فَعْلة، ومِثْلُ هَذا البِناءِ في الجُمُوعِ لا يُجْمَعُ، وإنّما سَرِيٌّ فعِيلٌ مِن السّرْوِ، وهُو الشّرَفُ، فإنْ جُمِعَ(٤)

= «الكتاب»: شنج - أي: ملازم. والعضادة: الجانب. والسمحج: الأتان الطويلة الظهر. والنَّدَب: واحدها ندبة، وهي أثر الجروح. والكلوم: جمع كَلْم، وهو الجرح.

(١) انظر الخبر في «الكامل» للمبرد: (١: ٩٠-٩١). يقال: فلان كاهل بني فلان: إذا كان معتمدهم في الملمات. وهو شديد الكاهل: منيع الجانب.

(٢) أي: الثابت، يقال: قعُس العِزُّ: ثبت وامتنع، وهو أقعس. والهيطل: الجيش الكثير، والجماعة المتسلحة أمرهم واحد.

(٣) «ديوانه» (ص: ٢٦). والأردان: ما يلي الذراعين جميعًا والإبطين من الكمين.

(٤) في (ف): «يجمع».

على لَفْظِهِ، قِيلَ: سَرِيٌّ وأَسْرِياءُ، مِثْلَ: غَنِيٍّ وأَغْنِياءَ، ولَكِنّهُ قَلِيلٌ وُجُودُهُ، وقِلّةُ وُجُودِهِ لا يَدْفَعُ القِياسَ فيهِ، [وقَدْ حَكاهُ سِيبَوَيْهِ][1].

وقَوْلُهُ: «أَذْباحُ عِتْرٍ» جَمْعُ ذِبْحٍ، وعِترٌ بِكَسْرِ العَيْنِ: الصّنَمُ الّذِي كانَ يُعْتَرُ لَهُ في الجاهليّة؛ أي: يُذبَح له العَتائِرُ، جَمْعُ عَتِيرةٍ، وهِيَ الرّجَبِيّةُ، وقَدْ ذَكَرْنا في نَسَبِ[2] النّبيّ ﷺ أوّلَ مَنْ سَنّ العَتِيرة، وأنّ اسمه: [بُورا، وأبوه سعدُ رجبٍ الذي سَنّ رَجَبًا لِلْعَرَبِ، فكان يُقال له: سعدُ رجبٍ][3]، ولَوْ قالَ: «أَذْباحُ عَترٍ» بِفَتْحِ العَيْنِ لَجازَ؛ لِأَنّهُ مَصْدَرٌ.

وقَوْلُهُ: «وكانَتْ حمّةً»[4] الحمةُ: السّوادُ، والحمّةُ: الفِرْقةُ[5]، فإنْ كانَ أرادَ بِالحمّةِ: سَوادَ القَوْمِ وكَثْرَتَهُمْ، فلَهُ وجْهٌ، وإنْ كانَ أرادَ: الفِرْقةَ مِنْهُمْ، فهُو أَوْجَهُ، وقَدْ ذَكَرَهُ صاحِبُ «العَيْنِ»[6].

وقَوْله: «غطَيانُ بَحْرٍ»: فَيَضانُهُ.

وقَوْلُهُ: [من الوافر]

أُبَيّنُ نِسْـبَتِي نَقْرًا بِنَقْرِ

النّقْرُ: الطَّعْنُ في النّسَبِ وغَيْرِهِ، يَقُولُ: إنْ طَعَنْتُمْ في نَسَبِي وعِبْتُمُوهُ، بَيّنْتُ

(١) عن (أ)، (ب). وانظر: «الكتاب» (٢: ٣٩٢).
(٢) انظر فيما تقدم: (١: ١٢٠)، و«تاريخ الرسل والملوك» (٢: ٢٧٢) وما بعدها.
(٣) في (أ) و(ب): «بورى بن صحُورى، وأنَّ أباه سنَّ رجبًا للعرب، فكان يقال له: سعد رجب».
(٤) في «السيرة»: «جمة» بالجيم. وذكر أبو ذر في «غريب السيرة» (ص: ٢٠٠) روايتي الجيم والحاء، وقال: «من رواه بالجيم فمعناه: الجماعة من الناس...».
(٥) يُفهم من السياق الآتي أن الفِرقة بكسر الفاء.
(٦) انظر: «العين» (٣: ٣٣-٣٥).

الحَقَّ ونَقَرْتُ في أنْسابِكُمْ؛ أيْ: عِبْتُها، وجازَيْت على النَّقْرِ بالنَّقْرِ. وقالَتْ جارِيَةٌ مِن العَرَبِ: مُرُّوا بِي على بَنِي نَظَرِي، تعْنِي: الفِتْيانَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إلَيّ ولا تَمُرّوا بِي على بَنَاتِ نَقْرِي، تعني النِّساءَ اللّواتي ينقرن؛ أي: يَعِبْن[١].

وقَوْلُهُ: «دُعِيتُ إلى أُفَيْدٍ»، تَصْغِيرُ وفْدٍ، وهُم المُتَقَدِّمُونَ مِنْ كُلّ شَيْءٍ؛ مِنْ ناسٍ، أوْ خَيْلٍ، أوْ إبِلٍ، وهُو اسْمٌ لِلْجَمْعِ، مِثْل: رَكْبٍ؛ ولِذَلِكَ جازَ تَصْغِيرُهُ، وقِيلَ فيه: اسْمُ مَوْضِعٍ.

وقَوْلُهُ: «على مُضافٍ» المُضافُ: الخائِفُ المُضْطَرّ.

وقَوْلُهُ: [من الوافر]

فَدُونَكُمُ بَنِي لَأْيٍ أخاكُمْ

هَذا شاهِدٌ لِما ذَكَرْناهُ[٢] في نَسَبِ النَّبِيّ ﷺ واشْتِقاقِ تِلْكَ الأسْماءِ، وقُلْنا في لُؤَيٍّ: إنَّهُ تَصْغِيرُ لَأْيٍ، واخْتَرْنا هَذا القَوْلَ على قولِ ابنِ الأنباريِّ وقُطْرُبٍ، وحَكَيْنا قَوْلَهُ وشاهِدَهُ، وإنّما أرادَ هُنا بِبَنِي لأيٍ: بني لؤيٍّ، فجاء به مكبَّرًا كما[٣] قُلْناهُ[٤].

وقَوْلُهُ: [من الوافر]

مُوقَّفةُ القَوائِمِ أُمّ أجْرِ

يَعْنِي: الضَّبُعَ، و«مُوقَّفة» مِن الوقْفِ، وهُو الخَلْخالُ[٥]؛ لِأنّ في قَوائِمِها

(١) «اللسان» عن «التهذيب» (نقر، نظر).

(٢) في (أ)، (ب): «على ما قلناه».

(٣) في (ف): «على ما».

(٤) انظر: (١: ١١٠).

(٥) في (ص): «وهو يعني: الخلخال»، وفي (ج): «هو من الوقف، يعني: الخلخال».

سَوادًا. قالَ الشّاعِرُ[١]: [من البسيط]

كأنه قاطِـمٌ وقْفَين من عاجِ

وأُمُّ أجْرٍ: جَمْعُ جَرْوٍ، وكَما تقُولُ: دَلْوٌ وأدْلٍ، وهَذا كَقَوْلِ الهُذَلِيّ[٢]: [من الوافر]

وغُــودِرَ ثاوِيًــا وتَأَوَّبَتْهُ مُوقَّفَــةٌ[٣] أُمَيْمُ لَها فلِيلُ

والفَلِيلُ: عُرْفُها، وكَقَوْلِ الآخَرِ[٤]: [من الكامل]

يا لَهْفَ مِنْ عَرْفــاءَ ذاتِ فلِيلةٍ جــاءَتْ إلَيّ على ثَلاثٍ تَخْمَعُ
وتَظَلُّ تَنْشِــطُني وتُلْحمُ أجْرِيًا وسْطَ العَرينِ ولَيْسَ حَيٌّ يَدْفَعُ
لَوْ كانَ سَــيْفِي بِاليَمِينِ دَفَعْتُها عَنّي ولَمْ أُوكَل وجَنْبِي الأضْبُعُ

فَوصَفَها أنّها[٥] تَخْمَع، كَما قالَ ابنُ المُهَلّبِ[٦]: الضَّبُعةُ العَرْجاءُ، ولُحِّنَ

---

(١) أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدي، كان شاعرًا مقلاً عالمًا. معدود في التابعين، والبيت في «اللسان» (قطم)، وصدره:

«وخائــفٍ لَحِمٍ شــاكًا برائنه»

(٢) ساعدة بن جؤية، «ديوان الهذليين» (١: ٢١٥)، و«اللسان» (ذرع، فلل).

(٣) في «الديوان»: «مذرَّعة». وفُسِّر بأنها ضَبُع بذراعيها توقيف، أي: آثار. والفليل: الشعر والوبر.

(٤) مُتَمِّم بن نُويرة، والأبيات من قصيدة في «المفضليات» (ص: ٥٢-٥٣)، و«شرح المفضليات» (ص: ٧٥-٧٦).

قال يصف ضَبُعًا، والعرفاء: التي لها عُرف من الشعر في قفاها. والفليلة: قطعة شعر، وتخمع: تعرج. وتنشطني: تجذبني. وتُلحم: تطعِم اللحم. والأضيع: الضائع. يقول: لو كان سيفي بيميني لضربتها ودفعتها عني ولم أتركها تأكلني.

(٥) في (ف): «بأنها».

(٦) هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، أحد القادة الأجواد، وولي الإمارة لبني أمية، قال عنه =

فِي قَوْلِهِ: «الضّبُعةُ». وقالَ آخَرُ[١]: [من الطويل]

فَلَوْ ماتَ مِنْهُمْ مَنْ جَرَحْنا لَأَصْبَحَتْ
ضِباعٌ بِأَكْنافِ الشُّـرَيْفِ[٢] عَرائِسـا

وذَلِكَ أنّ الضّبُعَ تَقْلِبُ القَتِيلَ على قَفاهُ فيما ذكروا، وتَسْتَعْمِلُ كَمَرَتَهُ؛ لِأنّها أشْبَقُ البَهائِمِ، وكذَلِكَ[٣] يُقالُ لَها حِينَ تُصْطادُ[٤]: أَبْشِرِي أُمّ عامِرٍ بِجَرادٍ عُضالٍ وكَمَرِ رِجالٍ، يَخْدَعُونَها بِذَلِكَ، وهِيَ تُكَنّى: أُمَّ عامِرٍ، وأُمَّ عَمْرٍو، وأُمَّ الهِنّبْرِ، وأُمَّ خَنُّور[٥]، وتُسَمّى: حَضاجِرَ وجَعارَ وقَثامَ، [وقَثام أيْضًا: اسْمٌ لِلْغَنِيمةِ الكَثِيرةِ، يُقالُ: أصابَ القَوْمَ قثامٌ، قالَهُ الزّبَيْرُ][٦]، وحيل[٧] وعَيْثُوم، وأمّا الذَّكَرُ مِنْها[٨] ....

= المبرد: «لم تُؤخَذ عليه زلة في لفظه إلا قوله: هذه الضبعة العرجاء». وأخباره كثيرة، وقُتِل في إحدى معاركه سنة (١٠٢هـ). انظر: «الكامل» للمبرد: (١: ٣٦٥)، و«العبر» للذهبي: (١: ١٢٤)، و«درة الغواص» (٩٨)، و«شرح الطرة على الغرة» (٣١٠) للآلوسي أبي الثناء.

(١) العباس بن مرداس، مخضرم. والبيت من قصيدة في «الأغاني» (١٤: ٥١٨٧)، وذكره الجاحظ في «الحيوان» (٦: ٤٥٣).

(٢) في (ب): «الشريب». وفي «الأغاني» و«الحيوان»: «الأراك».

(٣) في (ف): «لذلك».

(٤) في (أ): «تصاد».

(٥) كذا في النسخ، بالراء. ويُرْوى بالزاي، ونص ابن سيده على أنه بالزاي، «المخصص» (٨: ٧٠). وانظر: «تاج العروس» (خنز).

(٦) كذا في (أ)، (ب)، ومكانه في (ص): «وقال الزبير: قثام...». إلى آخر نص الزبير. ولم يرد نص الزبير في (ج).

(٧) في (أ)، (ب)، (ف): «وجيأل». وهما لغتانِ، وهناك لغة ثالثة: جَيّل، بتضعيف الياء. انظر: «المخصص» (١٦: ١٠٨).

(٨) في (ص)، (ج): «والذكر منها عيلام».

فعَيْلامٌ وعِثْيان[١] وذِيخٌ.

وقَوْلُهُ في وصْفِ الأسَدِ في الغِيلِ: «مُجْري»؛ أيْ: ذُو أَجْراءٍ، والأباءةُ: الأجَمةُ الّتِي هُو فيها، وكَذَلِكَ الغِيلُ والخِدْرُ والعَرِينُ والعِرّيسة.

وقَوْلُهُ: «أحْمى الأباءةَ»؛ أيْ: حَماها، وأحْمى لُغةٌ في حَمى لَكِنّها ضَعِيفةٌ، ولَعَلّهُ أرادَ: أحْمى الأباءةَ، أيْ: جَعَلَها كالنّارِ الحامِيةِ، تقول: أحْمَيْتُ الحَدِيدةَ في النّارِ، يَعْنِي: أنّ أباءَتَهُ قَدْ حُمِيَتْ [بِهِ][٢] فلا تُقْرَبُ.

وقَوْلُهُ: «مِنْ كُلافٍ»، لَعَلّهُ أرادَ: مِنْ شِدّةِ كَلَفٍ بما يَحْمِيهِ، فجاءَ بِهِ على وزْنِ فُعالٍ؛ لِأنّ الكَلَفَ إذا اشْتَدَّ: [كان][٣] كالهُيامِ والعُطاشِ، وفي مَعْنى السُّعارِ، ولَعَلّ كُلافًا اسْمُ مَوْضِعٍ، [والله أعلم][٤]، وقد قالَ[٥] أبُو حَنِيفةَ: الكُلافُ: اسمُ شجرٍ[٦]، [فالله أعلم][٧].

وقَوْلُهُ: «بِخِلٍّ» هُو الطّرِيقُ[٨] في الرّمْلِ، والهَجْهَجةُ مِنْ قَوْلِك: هَجْهَجْتُ بِالذِّيبِ: إذا زَجَرْتَه. قالَ الشّاعِرُ[٩]: [من الرجز]

---

(١) في «التاج»: «العِثيان ـ بالكسر ـ: الضبعان».

(٢) ليس في (ب).

(٣) ليس في (أ)، (ب)

(٤) ليس في (أ)، (ب)، (ف).

(٥) في (أ)، (ب)، (ف): «وقال».

(٦) لم نجده في المطبوع من «النبات» لأبي حنيفة الدينوري. وفي «المحكم» لابن سيده (كلف): «والكُلافيّ: ضرب من العِنَب، قال أبو حنيفة: هو ضرب من العِنَب أَبيض فيه خضرة، وإذا زُبِّب جاء زبيبُه أكلفَ، ولذلك سُمي الكُلافيّ، وقيل: هو منسوب إلى كُلاف: بلد من شِقّ اليمن». (ج)

(٧) عن (أ)، (ب)، (ف).

(٨) في (أ)، (ب)، (ف): «طريق».

(٩) عجز بيت لعمران بن عصام العنزي. ورواية البيت: =

لَمْ يُنْجِهِ مِنْها صِياحُ الهَجْهَجِ

وقوله: «بقَرْقَرةٍ وهَدْرِ». القرقرةُ: صوتٌ شديدٌ مُنقطع(١)، وجاءَ في صِفةِ عامِرٍ الحدّاءِ أنّهُ كانَ قُراقِريَّ الصوتِ، فلما كَبِرَ وضعُف صَوْتُهُ، قالَ: [من الرجز]

أَصْبَحَ صَوْتُ عامِرٍ صُئِيّا أبْكَمَ لا يُكَلِّمُ المَطِيّا(٢)

وهُو عامِرُ بنُ رَبِيعةَ الحدّاءُ التَّغلبيُّ، وإليه يُنسب بَنُو الحدّاء، [وسُمِّي: الحدّاءَ؛ لأنه كان حسنَ الصَّوتِ بالحُداءِ](٣).

وذَكرَ أهْلُ اللّغةِ أنّ الكَشِيشَ أوّلُ رُغاءِ الجمل(٤)، ثم الكَتيتُ، ثم الهدر، ثم القرقرة، ثُمّ الزَّغْدَ، [فيُقالُ: زَغَدَ يَزْغَدُ](٥)، ثُمّ القُلاخُ: إذا جعلَ كأنه يتقلّع.

وقوله: «وأكنف مُجنَأ»، يَعْنِي: التُّرْسَ، وهُو مِنْ أجَنَأْتُ الشّيْءَ: إذا حنَيْتَه(٦) فهُو مُجْنًا.

ويَعْنِي بِصَفْراء(٧) البُرايةِ: القَوْسَ، وبرايتها: ما بُرِيَ منها، وجعلها صفراءَ؛ لجدَّتِها وقوَّتها.

= وهــو الهزبرُ إذا أراد فريسـةً لم يُنجِها منه صياحُ مُهجهجِ
انظر: «البيان والتبيين» (١: ٤٨)، و«العقد الفريد» (٥: ٣١٣). (ج)

(١) في (ف): «متقطع».

(٢) الصئيّ ـ مثلثة الفاء ـ: صوت الفرخ ونحوه. انظر: «التهذيب» (٣: ٣٢٥).

(٣) عن (ب).

(٤) في حاشية (أ): «الإبل».

(٥) عن (أ)، (ب)، (ف). ولفظ (ب)، (ف): «يقال...».

(٦) في النسخ: «جنيته» بالجيم، وهو تصحيف.

(٧) في (ف): «بالصفراء».

وقَوْلُهُ: «وأبْيَضَ كالغَدِيرِ»، أرادَ: السَّيْفَ. وعُمَيْرٌ [اسْمُ صانِعٍ][1].

والمَداوِسُ: جَمْعُ مِدْوسٍ، وهِيَ الآلَةُ الّتِي يَدُوسُ بِها الحَدّادُ والصّيْقَلُ ما يَصْنَعُهُ.

ووصفُهُ إيّاها بِمُغْرٍ، والمُغْرُ: جَمْعُ أمْغَرَ، وهُو الأحْمَرُ. والخادِرُ: الدّاخِلُ في الخِدْرِ، وسِبَطْر: غَيْرُ مُنْقَبِضٍ.

وقَوْلُهُ: [من الوافر]

يَقُولُ لِيَ الفَتى سَــعْدٌ هَدِيّا

الهَدِيُّ: ما يُهْدى إلى البَيْتِ، والهَدِيُّ أيْضًا: العَرُوسُ تُهْدى إلى زَوْجِها، ونَصَبَ «هَدِيًّا» هُنا على إضْمارِ فِعْلٍ، كَأنّهُ أرادَ: اهْدِ هَدِيًّا.

* * *

(١) مكانه بياض في (ص).

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ أبو أسامةَ أيْضًا:

أَلا مَــنْ مُبْلِغٌ عَنِّي رَسُــولًا مُغَلْغَلــةً يُثَبِّتُهــا لَطِيــفُ؟
أَلَــمْ تَعْلَمْ مَــرَدِّي يَــوْمَ بَدْرٍ وقَدْ بَرَقَتْ بِجَنْبَيْكَ الكُفُوفُ؟
وَقَدْ تُرِكَتْ سَراةُ القَوْمِ صَرْعى كَأَنَّ رُؤُوسَــهُمْ حَدَجٌ نَقِيفُ
وَقَدْ مالَــتْ عَلَيْكَ بِبَطْنِ بَدْرٍ خِلافَ القَوْمِ داهِيَةٌ خَصِيفُ
فَنَجّــاهُ مِن الغَمَــراتِ عَزْمِي وعَــوْنُ اللهِ والأَمْرُ الحَصِيفُ
وَمُنْقَلَبِي مِــن الأَبْواءِ وحْدِي ودُونَــكَ جَمْعُ أَعْــداءٍ وُقُوفُ
وَأَنْتَ لِمَنْ أَرادَكَ مُسْــتَكِينٌ بِجَنْبِ كُراشَ مَكْلُــومٌ نَزِيفُ
وَكُنْــتُ إذا دَعانِي يَــوْمَ كَرْبٍ مِنَ الأَصْحابِ داعٍ مُسْتَضِيفُ
فَأَسْــمَعَنِي ولَوْ أَحْبَبْتُ نَفْسِي أَخٌ في مِثْــلِ ذلــك أَوْ حَلِيفُ
أَرُدُّ فأَكْشِــفُ الغُــمّى وأَرْمِي إذا كَلَــحَ المَشــافِرُ والأُنُوفُ
وَقِرْنٍ قَــدْ تَرَكْــتُ على يَدَيْهِ يَنُــوءُ كَأَنَّهُ غُصْــنٌ قَصِيفُ
دَلَفْــتُ لَهُ إذا اخْتَلَطُوا بِحَرّى مُسَحْسَــحةٍ لِعانِدِها حَفيفُ
فَذلــك كانَ صُنْعِي يَــوْمَ بَدْرٍ وقَبْــلُ أَخُو مُــداراةٍ عَزُوفُ
أَخُوكُمْ في السِّنِينَ كَما عَلِمْتُمْ وحَــرْبٍ لا يَزالُ لَهــا صَرِيفُ
وَمِقْــدامٌ لَكُــمْ لا يَزْدَهِينِي جَنانُ اللَّيْلِ والأَنَسُ اللَّفيفُ
أَخُوضُ الــصَّرّةَ الجَمّاءَ خَوْضًا إذا ما الكَلْبُ أَلْجَأَهُ الشَّــفيفُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: تَرَكْتُ قَصِيدةً لِأَبي أُسامةَ على اللّام، لَيْسَ فيها ذِكْرُ بَدْرٍ إلّا في أَوَّلِ بَيْتٍ مِنْها والثّاني؛ كَراهِيَةَ الإكْثارِ.

وقَوْلُهُ في الشِّعْرِ الفاويِّ[١]: [من الوافر]

كأنّ رؤوسَـــهم حَدَجٌ نَقِيفُ

الحَدَجُ: جَمْعُ حَدَجةٍ، وهِيَ الحَنْظَلَةُ، والنَّقيف: المنقوف، كما قالَ امرُؤ القيس[٢]: «...ناقِفُ حَنْظَلِ»؛ وهُو المُسْتَخْرِجُ حَبَّ الحَنْظَلِ.

وقَوْلُهُ: «داهِيَةٌ خَصِيفُ»؛ أيْ: مُتَراكِمةٌ؛ مِنْ خَصَفْتُ النَّعْلَ، أو من خصفتُ اللِّيف: إذا نسجتَه، وقَدْ يُقالُ: كَتِيبةٌ خَصِيفٌ؛ أيْ: مُنْتَسِجةٌ بَعْضُها بِبَعْضٍ، مُتَكاثِفةٌ، وفي «كِتابِ سِيبَوَيْهِ»: كَتِيبةٌ خَصِيفٌ؛ أيْ: سَوْداءُ[٣].

وقَوْلُهُ: «ومُنْقَلَبِي مِن الأبْواءِ»، هُو: المَوْضِعُ الّذِي فيهِ قَبْرُ آمِنةَ أُمِّ رَسُولِ اللهِ[٤] ﷺ، وسُمِّيَ الأبْواءَ؛ لِأنّ السُّيُولَ تَتَبَوّأهُ، وفي الحَدِيثِ: أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ زارَ قَبْرَ أُمِّه بالأبواءِ في ألفِ مُقَنَّعٍ فبكى وأبكى[٥].

ووجَدْتُ على البَيْتِ المُتَقَدِّمِ الّذِي فيهِ: «حَدَجٌ نَقِيفُ» في حاشِيةِ الشَّيْخِ: قالَ أبُو حَنِيفةَ: الحَنْظَلُ مِن الأغلاثِ، وهُو يَنْبُتُ شَرْيًا، كَما يَنْبُتُ شَريُ القِثّاءِ، والشَّريُ: شَجَرةٌ، ثُمّ يَخْرُجُ فيهِ زَهْرٌ، ثُمّ يَخْرُجُ في الزّهْرِ جِراءٌ مِثْلُ جِراءِ البِطِّيخِ، فإذا ضَخُمَ وسَمِنَ حَبُّهُ سَمَّوهُ: الحَدَجَ، واحِدَتُهُ: حَدَجةٌ، فإذا وقَعَتْ فيهِ الصُّفرةُ سمَّوه: الخُطْبان، [وزاد أبو حنيفةَ: أنّ الحنظلةَ إذا اسْودّتْ بَعْدَ الخُضْرةِ، فهِيَ

---

(١) في (ف): «الفائي».

(٢) «ديوانه» (ص: ٣٠).

كأنـــي غــداة البينِ يــومَ تحمَّلوا　　لدى سمرات الحيِّ ناقفُ حنظلِ

(٣) «الكتاب» (٣: ٦٣٨)، (٤: ٢٦).

(٤) في (ف): «النبي».

(٥) «سنن أبي داود»، كتاب الجنائز: (٣: ٢١٨).

قَهْقَرةٌ، وكذلك يُقال أيضًا لشجر[١] القِثّاءِ ونحوها: الشَّرْي، ويُقال لصغار القِثّاء: أَجْرٍ وحَدَجٌ، كَما يُقال في الحَنْظَلِ، وأصغَرُها: الضغابيسُ، ثمَّ القُحُّ، ثم الخَضَف، ثم البِطِّيخ، والقُشْعُرُ والشُّعْرُورُ، [وأيضًا من أسماءِ صغارِها][٢].

و«نقيفٌ» مَعْناهُ: مَكْسُورٌ؛ لِأَنّهُ يُقالُ: نَقَفْتُ رَأْسَهُ عَنْ دِماغِهِ؛ أي: كَسَرْتُه.

وقَوْلُهُ: «أَخُوضُ الصَّرّةَ الجمّاءَ». الصَّرّةُ: الجَماعةُ، والصَّرّةُ: الصّياحُ، والصِّرّةُ: شِدّةُ البَرْدِ، وإيّاها عنى؛ لِأَنّهُ ذَكرَ الشَّفيفَ في آخِرِ البيت، وهو بَرْدٌ ورِيحٌ، ويُقالُ لَهُ: الشّفّانُ أيْضًا، أَنْشَدَ ابنُ الأنْبارِيّ[٣]: [من البسيط]

قُلْ لِلشَّمالِ الّتِي هَبّتْ مُزَعْزِعةً ... تَذْرو مَعَ اللّيْلِ شَفّانًا بِصُرّادِ
أَقْرِي[٤] السَّلامَ على نَجْدٍ وساكِنِهِ ... وحاضِرٍ باللِّوى إنْ كانَ أَوْ بادِ
سَلامَ مُغْتَرِبٍ بغداد مَنْزِلُهُ ... إنْ أنجدَ النّاسُ لم يَهمُمْ بإنجادِ

* * *

(١) في (ف): «لشجرة».
(٢) ما بين القوسين مكرر في (ص)، (ج)، وأثبتنا نص (أ)، (ب)، (ف)؛ لاتساق سياقه.
(٣) «الزاهر في معاني كلمات الناس» لابن الأنباري (٢: ٣٨٦). قال: «أنشدنا أبو بكر المخزومي في مجلس أبي العباس...». (ج)
(٤) يقال: قرأ عليه السلام، وأقرأه إياه، والأصل: أَقْرِئي، وقد خُفِّفت الهمزة وحُذِفت.

[شِعْرُ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بنِ رَبِيعةَ تَبْكِي أباها يَوْمَ بَدْرٍ:

أَعَيْنَيَّ جُودا بِدَمْعٍ سَرِبْ   على خَيْرِ خِنْدِفَ لَمْ يَنْقَلِبْ
تَداعى لَهُ رَهْطُـهُ غُدْوةً   بَنُو هاشِمٍ وبَنُو المُطَّلِبْ
يُذِيقُونَـهُ حَدَّ أَسْـيافِهِمْ   يَعُلُّونَهُ بَعْدَما قَدْ عَطِبْ
يَجُرُّونَـهُ وعَفـيرُ التُّرابِ   على وجْهِهِ عارِيًا قَدْ سُلِبْ
وَكانَ لَنـا جَبَلًا راسِـيًا   جَمِيلَ المَراةِ كثيرَ العُشُبِ
وأمّـا بُـرَيٌّ فلَـمْ أعْنِهِ   فأُوتِيَ مِنْ خَيْرِ ما يَحْتَسِبْ

وفي شِعْرِ هِنْدٍ: «جَمِيلُ المَراةِ»، أرادَتْ: مَرْآةَ العَيْنِ، فنُقِلَتْ حَرَكةُ الهَمْزةِ إلى السّاكِنِ، فذَهَبَت الهَمْزةُ، وإنّما تَذْهَبُ الهَمْزةُ إذا نُقِلَتْ حَرَكَتها؛ لِأنّها تَبْقى في تَقْدِيرِ ألِفٍ ساكِنةٍ، والسّاكِنُ الّذِي قَبْلَها باقٍ على حُكْمِ السّكُونِ؛ لِأنّ الحَرَكةَ المَنْقُولةَ إلَيْهِ عارِضةٌ، فكَأنّهُ قَد اجْتَمَعَ ساكِنانِ، فحُذِفَت الألِفُ لِذَلِكَ، هَذا مَعْنى قولِ[1] ابنِ جِنِّي.

وقَوْلُ هِنْدَ: [من المتقارب]

أمّا بُـرَيٌّ فلَمْ أعْنِهِ

فهُو تَصْغِيرُ البَراءِ؛ اسْمُ رَجُلٍ.

---

(١) في (أ)، (ب)، (ف): «كلام».

وَقالَتْ هِنْدُ أيْضًا:

يَرِيبُ علينـــا دَهْرُنا فَيَسُـــوؤنا ... ويَـــأْبى فما نَـــأْتِي بِـــشَيْءٍ يُغالِبُهْ
أَبَعْــدَ قَتِيلٍ مِنْ لُــؤَيِّ بنِ غالِبٍ ... يُراع امرؤٌإن ماتَ أوْ ماتَ صاحِبُهْ
ألا رُبَّ يَــوْمٍ قَدْ رُزِئْــتُ مرزّءاً ... تَرُوحُ وتَغْدُو بِالجَزِيــلِ مَواهِبُهْ
فَأَبْلِــغْ أبا سُــفيانَ عَــنِّيَ مَأْلُكًا ... فإنْ أَلْقَــهُ يَوْمًا فسَــوْفَ أُعاتِبُهْ
فَقَدْ كانَ حَرْبٌ يَسْعَرُ الحَرْبَ إنَّهُ ... لِكُلِّ امْرِئٍ في النّاسِ مَوْلًى يُطالِبُهْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِهِنْد.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَتْ هِنْدُ أيْضًا:

لله عَيْنـــا مَـــنْ رَأى ... هُلْــكًا كَهُلْــكِ رِجاليهْ
يـــا رُبَّ بـــاكٍ لِي غَـــدًا ... في النّائِبـــاتِ وباكِيَـــهْ
كَمْ غادروا يَوْم القليـ ... ـب غَداةَ تِلْكَ الواعِيَهْ
مِنْ كُلِّ غَيْثٍ في السّنيـ ... ـن إذا الكَواكِبُ خاوِيَهْ
قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُ ما أرى ... فاليَــوْمَ حُــقَّ حَذارِيَهْ
قَدْ كُنْتُ أحْذَرُ ما أرى ... فأنـــا الغَـــداةَ مُوامِيَهْ
يـــا رُبَّ قائِلَـــةٍ غَـــدًا: ... يـــا ويْـــحَ أُمِّ مُعاوِيَـــهْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِهِنْدَ.

وقَوْلُها: [من مجزوء الكامل]

قَدْ كُنْتُ أحْذَرُ ما أرى ... فأنـــا الغَـــداة مُوامِيَهْ

قَوْلُها: «مُوامِيَهْ»، أيْ: ذَلِيلةٌ، وهُو مُؤامِية بِهَمْزةٍ، ولَكِنّها سُهِّلَتْ، فصارَتْ واوًا، وهِيَ مِنْ لَفْظِ الأَمَةِ، تَقُولُ: تَأمَّيْتُ[1] أَمَةً؛ أيْ: اتّخَذْتُها، ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ مَقْلُوبًا مِن المُواءَمةِ، وهِيَ المُوافَقةُ، فيَكُونُ الأَصْلُ: مُوائِمةً، ثُمّ قُلِبَ فصارَ مُوامِيةً على وزْنِ مُفالعةٍ[2]، تُرِيدُ أنّها قَدْ ذَلّتْ، فلا تَتأْبى، بَلْ تُوافِقُ العَدُوَّ على كُرْهٍ، ومِنْهُ اشْتِقاقُ التّوْأَمِ؛ لِأَنَّ وزْنَهُ فوْعَلٌ، مِثْل: التّوْلَجِ، والتّاءُ فيهِما جَمِيعًا بَدَلٌ مِنْ واوٍ، قالَهُ صاحِبُ «العَيْنِ»[3].

* * *

(١) في (ب): «تأيمت» وهو خطأ.

(٢) في (ص)، (ج): «مفاعلة».

(٣) «مختصر العين» للزبيدي: (٢: ٤٥١).

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَتْ هِنْدُ أيْضًا:

يا عَـيْنُ بَكِّـي عُتَبَهْ ... شَـيْخًا شَـدِيدَ الرَّقَبَهْ
يُطْعِـمُ يَوْمَ المَسْـغَبَهْ ... يَدْفَـعُ يَـوْمَ المَغْلَبَـهْ
إنِّي عَـلَـيْـهِ حَـرِبَـهْ ... مَلْهُوفَـةٌ مُسْـتَلِبَهْ
لَنَـهْـبِـطَـنَّ يَـثْرِبَـهْ ... بِـغـارةٍ مُـنْـثَـعِـبَـهْ
فيها الخُيُـولُ مُقْرَبَهْ ... كُلُّ جَـوادٍ سَـلْهَبَهْ

[شِعْرُ صَفيةَ]

وَقالَتْ صَفيةُ بِنْتُ مُسافِرِ بنِ أبي عَمْرِو بنِ أُمَيّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ، تَبْكِي أهْلَ القَلِيبِ الّذينَ أُصِيبُوا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَتَذْكُرُ مُصابَهُمْ:

يا مَـنْ لِعَيْنٍ قَذاها عائِـرُ الرَّمَدِ ... حَدَّ النَّهارِ وقَرْنُ الشَّمْسِ لَمْ يَقِدِ
أُخْـبِرْتُ أنَّ سَراةَ الأكْرَمِينَ مَعًا ... قَـدْ أحْرَزَتْهُمْ مَناياهُـمْ إلى أمَدِ
وَفَرَّ بِالقَوْمِ أصْحابُ الرِّكابِ ولَمْ ... تَعْطِـفْ غَداتَئِـذٍ أُمٌّ على ولَدِ
قُومِي صَفِيّ ولا تَنْـسَي قَرابَتَهُمْ ... وإنْ بَكَيْتِ فما تَبْكِينَ مِنْ بُعُدِ
كانُوا سُقُوبَ سَماءِ البَيْتِ فانْقَصَفَتْ ... فأصْبَحَ السَّمْكُ مِنْها غَيْرَ ذِي عَمَدِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أنْشَدَنِي بَيْتَها: «كانُوا سُقُوبَ» بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَتْ صَفيةُ بِنْتُ مُسافِرٍ أيْضًا:

ألا يـا من لعـينٍ للتـ ـــتبكّي دَمْعُهـا فـانْ
كَغَـرْبَيْ دالِجٍ يَسْـقي خِـلالَ الغَيْـثِ الدّانْ
وَمـا لَيْـثٌ غَرِيفٌ ذُو أظـافـيرَ وأسْـنـانْ
أبـو شِـبْلَيْنِ وثّـابٌ شَـدِيدُ البَطْشِ غَرْثانْ
كَـحِـبِّي إذْ تـولّى و وُجُـوه القَـوْمِ ألْـوانْ
وبالكـفّ حسـام صا رم أبْـيَـضُ ذُكْـرانْ
وَأنـت الطّاعن النّجلا ء مِنْهـا مُزْبِـدٌ آنْ

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويَرَوْنَ قَوْلَها: «وَما لَيْثٌ غَرِيفٌ» إلى آخِرِها مَفْصُولًا مِن البَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ قَبْلَهُ.

[شِعْرُ هِنْدَ بِنْتِ أُثاثَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَتْ هِنْدُ بِنْتُ أُثاثَةَ بنِ عَبّادِ بنِ المُطَّلِبِ تَرْثِي عُبَيدةَ بنَ الحارِثِ بنِ المُطَّلِبِ:

لَقَدْ ضُمِّنَ الصَّفْراءُ مَجْدًا وسُؤْدَدًا وحِلْمًا أصِيلًا وافِرَ اللُّبِّ والعَقْلِ
عُبَيْدةَ فابْكِيـهِ لِأضْيافِ غُرْبةٍ وأرْمَلة تَهْوِي لِأشْـعَثَ كالجِذْلِ
وَبَكِّيـهِ لِلْأقْوامِ في كُلِّ شَـتْوةٍ إذا احْمَرَّ آفاقُ السَّماءِ مِن المَحْلِ
وَبَكِّيهِ للأيتـام والرِّيح زَفزَفٌ وتَشْـبِيبُ قِدْرٍ طالَمَا أزْبَدَتْ تَغْلِي
فَإنْ تُصْبِحِ النِّيرانُ قَدْ ماتَ ضَوْءُها فقَدْ كانَ يُذْكِيهِنَّ بِالحَطَبِ الجَزْلِ
لِطارِقِ لَيْـلٍ أوْ لِمُلْتَمِسِ القِرى ومُسْـتَنْبَحٍ أضْحى لَدَيْهِ على رِسْلِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأكْثَرُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِهِنْدَ.

وقَوْلُها: [من مجزوء الرجز]

مَلْهُوفـةٌ مُسْتَلِبَهْ

الأجْودُ في «مُسْتَلِبَهْ» أنْ تكُونَ بِكَسْرِ اللّام، مِن السِّلابِ، وهِيَ الخِرْقةُ السّوْداءُ الّتِي تُخَمَّرُ بِها الثّكْلى، ومِنْهُ قَوْلُ النّبيّ ﷺ لِأسْماءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ حِينَ ماتَ عَنْها جَعْفَرٌ: «تَسَلّبي ثَلاثًا، ثُمّ اصْنَعِي ما شِئْتِ»[1]، وهُو حَدِيثٌ مَنْسُوخٌ بِالإحْدادِ، أو مُتَأَوَّلٌ، [ذَكرَهُ الطّبَرِيّ][2].

* * *

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤٥/ ٤٥٩) برقم (٢٧٤٦٨).

(٢) عن (أ)، (ب)، (ف).

[شِعْرُ قُتَيْلَةَ بِنْتِ الحارِثِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَتْ قُتَيْلةُ بِنْتُ الحارِثِ، أُخْتُ النَّضْرِ بنِ الحارِثِ تَبْكِيهِ:

يــا راكِبًــا إنَّ الأثيــلَ مَظِنّةٌ ... مِنْ صُبْحِ خامِسةٍ وأنْتَ مُوَفَّقُ
أبْلِــغْ بِهــا مَيْتًــا بِــأنَّ تَحِيّةً ... ما إنْ تَزالُ بِها النَّجائِبُ تَخْفِقُ
مِنِّي إلَيْكَ وعَبْرَةً مَسْــفُوحةً ... جادَتْ بِواكِفِها وأُخْرى تَخْنُقُ
هَلْ يَسْمَعَنِّي النَّضْرُ إنْ نادَيْتُهُ؟ ... أمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لا يَنْطِقُ؟
أمُحَمَّدٌ يا خَيْرَ ضِــنْءِ كَرِيمةٍ ... في قَوْمِها والفَحْلُ فحْلٌ مُعْرِقُ
مــا كانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ ورُبَّما ... مَنَّ الفَتى وهْوَ المَغِيظُ المُحْنَقُ
أوْ كُنْتَ قابِــلَ فِدْيةٍ فلْيُنْفِقَنْ ... بِأعَزِّ مــا يَغْلُو بِهِ مــا يُنْفِقُ
فالنَّضْرُ أقْرَبُ مَنْ أسَرْتَ قَرابةً ... وأحَقُّهُــمْ إنْ كانَ عِتْقٌ يُعْتَقُ
ظَلَّتْ سُــيُوفُ بَنِي أبيهِ تَنُوشُهُ ... للهِ أرْحــامٌ هُنــاكَ تُشَــقَّقُ
صَــبْرًا يُقادُ إلى المَنِيّــةِ مُتْعَبًا ... رَسْفَ المُقَيَّدِ وهْوَ عانٍ مُوثَقُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: فيقالُ ـ واللهُ أعْلَمُ ـ: إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمّا بَلَغَهُ هذا الشِّعْرُ، قالَ: «لَوْ بَلَغَنِي هذا قَبْلَ قَتْلِهِ لَمَنَنْتُ عَلَيْهِ».

[تارِيخُ الفَراغِ مِنْ بَدْرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ فراغُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ بَدْرٍ في عَقِبِ شَهْرِ رَمَضانَ أوْ في شَوّالٍ.

غَزْوةُ بَنِي سُلَيْمٍ بِالكُدْرِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ لَمْ يُقِمْ بِها إلّا سَبْعَ لَيالٍ حَتّى غَزا بِنَفْسِهِ، يُرِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ سِباعَ بنَ عُرْفُطةَ الغِفارِيَّ، أو ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فبَلَغَ ماءً مِنْ مِياهِهِمْ يُقالُ لَهُ: الكُدْرُ، فأقامَ عَلَيْهِ ثَلاثَ لَيالٍ ثُمَّ رَجَعَ إلى المَدِينةِ، ولَمْ يَلْقَ كَيْدًا، فأقامَ بِها بَقِيّةَ شَوّالٍ وذا القَعْدةِ، وأفْدى في إقامَتِهِ تِلْكَ جُلَّ الأُسارى مِنْ قُرَيْشٍ.

وذَكَرَ ابنُ هشام شعرَ قُتَيلةَ بنتِ الحارثِ، تَرثِي أخاها النّضْرَ بنَ الحارثِ، والصّحِيحُ أنّها بِنْتُ النَّضْرِ لا أُخْتُهُ، كَذَلِكَ قالَ الزّبَيْرُ وغيرُه[١]، وكذلك وقع في كتابِ «الدلائل»، وقُتَيلة هذهِ كانَتْ تَحْتَ الحارِثِ بنِ أُمَيّةَ الأصْغَرِ، فهِيَ جَدّةُ الثّرَيّا بِنْتِ عَبْدِ اللهِ بنِ الحارِثِ، الّتِي يَقُولُ فيها عُمَرُ بنُ أبِي رَبِيعةَ حِينَ خَطَبَها سُهَيْلُ بنُ عَبْدِ الرّحْمَنِ[٢][٣]: [من الخفيف]

أيّها المُنْكِحُ الثُّرَيّا سُهَيْلًا   عَمْرَكَ اللهُ كَيْفَ يَلْتَقِيانِ؟
هِيَ شامِيّةٌ إذا ما اسْتَقَلّتْ   وسُهَيْلٌ إذا اسْتَقَلّ يَمانِ

(١) انظر: كتاب «نسب قريش» لمصعب: (ص: ٢٥٥).

(٢) بعده في (ف): «بن عوف».

(٣) «ديوانه» (ص: ٤٣٨)، و«جمهرة ابن حزم» (ص: ٧٦). واستقلّ: ارتفع، يقال: استقل الطائر في طيرانه، واستقل النبات، واستقلت الشمس.

ورَهْطُ الثُّرَيّا هذهِ يُقالُ لَهُمْ: العَبَلاتُ؛ لِأنّ أُمَّهُمْ عَبْلَةُ بنتُ عبيد جاذل[1].

وفي شِعْرِ قُتَيْلَةَ: [من الكامل]

أمُحَمّدٌ ها أنْتَ ضِنْءُ نَجيبةٍ

قالَ قاسِمٌ: أرادَتْ يا مُحَمّداهُ على النُّدْبَةِ، [قالَ][2]: الضِّنءُ: الولَدُ، والضِّنْءُ: الأصْلُ، يقال: ضَنِئتِ المرأةُ وأضنأتْ وضَنَتْ تَضْنُو: إذا ولَدت.

غَزْوةُ السَّوِيقِ

[عُدْوانُ أبي سُفيانَ وخُرُوجُ الرَّسُولِ في أثَرِهِ]

قالَ: حَدَّثَنا أبو مُحَمَّدٍ عَبْدُ المَلِكِ بنُ هِشامٍ، قالَ: حَدَّثَنا زِيادُ بنُ عَبْدِ الله البَكّائِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إسْحاقَ المُطَّلِبِيِّ، قالَ: ثُمَّ غَزا أبو سُفيانَ ابنُ حَرْبٍ غَزْوةَ السَّوِيقِ في ذِي الحَجّةِ، ووَلِيَ تِلْكَ الحَجّةَ المُشْرِكُونَ مِنْ تِلْكَ السَّنةِ، فكانَ أبو سُفيانَ ـ كَما حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ الزُّبَيْرِ، ويَزِيدُ ابنُ رُومانَ، ومَنْ لا أتَّهِمُ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ كَعْبِ بنِ مالِكٍ، وكانَ مِنْ أعْلَمِ الأنْصارِ ـ حِينَ رَجَعَ إلى مَكّةَ، ورَجَعَ فَلُّ قُرَيْشٍ مِنْ بَدْرٍ، نَذَرَ ألّا يَمَسَّ رَأْسَهُ ماءٌ مِنْ جَنابةٍ حَتّى يَغْزُوَ مُحَمَّدًا ﷺ، فخرج في مِئَتي راكِبٍ مِنْ قُرَيْشٍ؛ لِيَبَرَّ يَمِينَهُ، فسَلَكَ النَّجْدِيّةَ، حَتّى نَزَلَ بِصَدْرِ قَناةَ إلى جَبَلٍ يُقالُ لَهُ: ثَيْبٌ، مِنَ المَدِينةِ على بَرِيدٍ أوْ نَحْوِهِ، ثُمَّ خَرَجَ مِن اللَّيْلِ حَتّى أتى بَنِي النَّضِيرِ تَحْتَ

---

(١) في (ص)، (ب): «حاذب»، وفي (ج): «حادب»، وفي (ف): «جاذب». وما أثبت يوافق ما في «جمهرة الكلبي» (ص: ٣٧).

(٢) ليس في (أ)، (ف).

اللَّيْلِ، فأتى حُيَيَّ بنَ أَخْطَبَ، فضَرَبَ عَلَيْهِ بابَهُ، فأبى أنْ يَفْتَحَ لَهُ بابَهُ وخافَهُ، فانْصَرَفَ عَنْهُ إلى سَلّامِ بنِ مِشْكَمٍ، وكانَ سَيِّدَ بَنِي النَّضِيرِ في زَمانِهِ ذلك وصاحِبَ كَنْزِهِمْ، فاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فأذِنَ لَهُ، فقَراهُ وسَقاهُ، وبَطَنَ لَهُ مِنْ خَبَرِ النّاسِ، ثُمَّ خَرَجَ في عَقِبِ لَيْلَتِهِ حَتّى أتى أصْحابَهُ، فبَعَثَ رِجالًا مِنْ قُرَيْشٍ إلى المَدِينَةِ، فأتَوْا ناحِيَةً مِنْها يُقالُ لَها: العَرِيضُ، فحَرَّقُوا في أصْوارٍ مِنْ نَخْلٍ بِها، ووَجَدُوا بِها رَجُلًا مِنَ الأنْصارِ وحَلِيفًا لَهُ في حَرْثٍ لَهُما، فقَتَلُوهُما، ثُمَّ انْصَرَفُوا راجِعِينَ، ونَذِرَ بِهِم النّاسُ، فخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في طَلَبِهِمْ، واسْتَعْمَلَ على المَدِينَةِ بَشِيرَ بنَ عَبْدِ المُنْذِرِ ـ وهُوَ أبو لُبابَةَ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ ـ حَتّى بَلَغَ قَرْقَرَةَ الكُدْرِ، ثُمَّ انْصَرَفَ راجِعًا، وقَدْ فاتَهُ أبو سُفيانَ وأصْحابُهُ، وقَدْ رَأَوْا أزْوادًا مِنْ أزْوادِ القَوْمِ قَدْ طَرَحُوها في الحَرْثِ يَتَخَفَّفُونَ مِنْها لِلنَّجاءِ، فقالَ المُسْلِمُونَ حِيْنَ رَجَعَ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يا رَسُولَ اللهِ، أتَطْمَعُ لَنا أنْ تَكُونَ غَزْوَةً؟ قالَ: «نَعَمْ».

[سَبَبُ تَسْمِيَتِها بِغَزْوَةِ السَّوِيقِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وإنَّما سُمِّيَتْ غَزْوَةَ السَّوِيقِ ـ فيما حَدَّثَنِي أبو عُبَيْدَةَ ـ: أنَّ أكْثَرَ ما طَرَحَ القَوْمُ مِنْ أزْوادِهِم السَّوِيقُ، فهَجَمَ المُسْلِمُونَ على سَوِيقٍ كَثِيرٍ، فسُمِّيَتْ غَزْوَةَ السَّوِيقِ.

غَزْوَةُ قَرْقَرَةِ الكُدْرِ

القَرْقَرَةُ: أرْضٌ مَلْساءُ، والكُدْرُ: طَيْرٌ في ألْوانِها كُدْرَةٌ، عُرِفَ بِها ذَلِكَ المَوْضِعُ، وقَدْ كانَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ يَذْكُرُ مَسِيرَهُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في تِلْكَ الغَزْوَةِ، فقالَ لِعِمْرانَ بنِ سَوادَةَ حِينَ قالَ لَهُ: «إنَّ رَعِيَّتَك تَشْكُو مِنْك

عُنْفَ السّياقِ، وقَهْرَ الرّعِيّةِ»، فذَقَّنَ(١) على الدّرّةِ، وجَعَلَ يَمْسَحُ سُيُورَها(٢)، ثُمّ قالَ: قَدْ كُنْتُ زَمِيلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في قَرْقَرةِ الكُدْرِ، فكُنْتُ أُرْتِعُ فأُشْبِعُ، وأسْقِي فأرْوِي، وأُكْثِرُ الزّجْرَ، وأُقِلُّ الضّرْبَ، وأرُدُّ العَنُودَ، وأزْجُرُ العَرُوضَ، وأضمُّ اللَّفُوتَ(٣)، وأُشْهِرُ(٤) بالعَصا، وأضْرِبُ باليَدِ، ولَوْلا ذَلِكَ لأغْدَرْتُ؛ أيْ: لَضَيّعْتُ فتَرَكْتُ(٥)، يَذْكُرُ حُسْنَ سِياسَتِهِ(٦) فيما وُلِّي مِنْ ذَلِكَ. والعَنُودُ: الخارِجُ عَن الطّرِيقِ، والعَرُوضُ: المُسْتَصْعِبُ مِن النّاسِ والدّوابِّ.

وذَكَرَ أنّ أبا سُفْيانَ كانَ نَذَرَ ألّا يَمَسَّ رَأْسَهُ ماءٌ مِنْ جَنابةٍ حَتّى يَغْزُوَ مُحَمّدًا. في هَذا الحَدِيثِ أنّ الغُسْلَ مِن الجَنابةِ كانَ مَعْمُولًا بِهِ في الجاهِلِيّةِ بَقِيّةً مِنْ دِينِ إبْراهِيمَ وإسْماعِيلَ، كَما بَقِيَ فيهِم الحَجُّ والنّكاحُ؛ ولِذَلِكَ سَمَّوْها جَنابةً، وقالُوا: رَجُلٌ جُنُبٌ وقَوْمٌ جُنُبٌ؛ لِمُجانَبَتِهِمْ في تِلْكَ الحالِ البَيْتَ الحَرامَ، ومَواضِعَ قُرْبانِهِمْ، و[لِذَلِكَ عُرِفَ](٧) مَعْنى هذهِ الكَلِمةِ في القُرْآنِ، أعْنِي قَوْلَهُ: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦]، فكان الحدثُ الأكبرُ مَعْرُوفًا بِهَذا الِاسْمِ، فلَمْ يَحْتاجُوا إلى تَفْسِيرِهِ، وأمّا الحَدَثُ الأصْغَرُ ـ وهُو

---

(١) في «النهاية»: «يقال: ذَقَّنَ على يده وعلى عصاه ـ بالتشديد والتخفيف ـ: إذا وضعه تحت ذقنه واتكأ عليه».

(٢) في (ف): «على سيورها».

(٣) اللَّفُوت: التي تتلفّت وتروغ كذا وكذا. وقيل: هي التي تلتفت إلى حالبها لتعضه.

(٤) أي: أرفعُها مخوِّفًا بها ولا أستعملُها.

(٥) أي: فتركت الحق والصواب. هذا وانظر الأثر في: «غريب الحديث» لابن قتيبة: (١: ٥٨٥-٥٨٧)، و«منال الطالب» لمجد الدين بن الأثير: (١٢: ١٢١-١٢٤)، والطبري في «تاريخه» (٤: ٢٢٥).

(٦) قال ابن الأثير في «منال الطالب»: «وأراد به حسن سياسته للناس».

(٧) عن (أ)، (ف). وفي (ج): «ولهذا عرف».

المُوجِبُ لِلْوُضُوءِ ـ فلَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا قَبْلَ الإسْلامِ؛ فلِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ فيهِ: وإنْ كُنْتُمْ مُحْدِثِينَ، فتَوضّؤُوا، كَما قالَ: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ﴾ بَلْ قالَ: ﴿فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] الآية، فبَيّنَ الوُضُوءَ وأعْضاءَهُ [وكَيْفيّتَهُ][١]، والسّبَبَ المُوجِبَ لَهُ، كالقِيامِ مِن النّوْمِ، والمَجِيءِ مِن الغائِطِ، ومُلامَسةِ النّساءِ، ولَمْ يَحْتَجْ في أمْرِ الجَنابةِ إلى بَيانٍ أكْثَرَ مِنْ وُجُوبِ الطّهارةِ مِنْها للصّلاة.

وقَوْلُهُ: «أصْوارِ نَخْلٍ»[٢]، هِيَ[٣]: جَمْعُ صُورٍ. والصورُ: نَخْلٌ مُجْتَمِعةٌ.

وذَكَرَ [فيه][٤] سلّامَ بنَ مِشْكَمٍ، ويقال فيه: سَلاَم[٥]، ويُقالُ: إنّهُ والدُ شَعْثاءَ الّتِي يَقُولُ فيها حَسّانُ[٦]: [من الوافر]

لِشَعْثاءَ الّتِي قَدْ تَيّمَتْهُ فلَيْسَ لِعَقْلِهِ منها شِفاءُ

* * *

(١) ليس في (ص).
(٢) لفظ «السيرة»: «أصوار من نخل».
(٣) في (ف): «وهي».
(٤) ليس في (أ)، (ف).
(٥) في «تبصرة المنتبه» (٢: ٧٠٤): «سلّام بن مشكم، خمّار كان في الجاهلية، والمعروف فيه التشديد».
(٦) «ديوانه» (١: ١٧).

[شِعْرُ أبي سُفيانَ فيها]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ عِنْدَ مُنْصَرَفِهِ لِما صَنَعَ بِهِ سَلّامُ بن مِشْكَمٍ:

وَإِنِّي تَخَيَّرْتُ المَدِينَةَ واحِدًا ... لِحِلْفٍ فلَمْ أَنْدَمْ ولَمْ أتَلَوَّمِ
سَقانِي فرَوّانِي كُمَيْتًا مُدامةً ... على عَجَلٍ مِنِّي سَلامُ بنُ مِشْكَمِ
وَلَمّا تَوَلّى الجَيْشُ قُلْتُ ولَمْ أكُنْ ... لِأُفْرِحَهُ: أبْشِرْ بِعَزٍّ ومَغْنَمِ
تَأَمَّلْ فإنَّ القَوْمَ سِرٌّ وإنَّهُمْ ... صَرِيحُ لُؤَيٍّ لا شَماطِيطُ جُرْهُمِ
وَما كانَ إلّا بَعْضُ لَيْلةِ راكِبٍ ... أتى ساعِيًا مِنْ غَيْرِ خَلّةِ مُعْدِمِ

غَزْوةُ ذِي أمَرٍ

فَلَمّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوةِ السَّوِيقِ، أقامَ بِالمَدِينةِ بَقِيّةَ ذِي الحَجّةِ أوْ قَرِيبًا مِنْها، ثُمَّ غَزا نَجْدًا، يُرِيدُ غَطَفانَ، وهِيَ غَزْوةُ ذِي أمَرٍ، واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ عُثْمانَ بنَ عَفّانَ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأقامَ بِنَجْدٍ صَفَرًا كُلَّهُ أوْ قَرِيبًا مِنْ ذلك، ثُمَّ رَجَعَ إلى المَدِينةِ ولَمْ يَلْقَ كَيْدًا. فلَبِثَ بِها شَهْرَ رَبِيعٍ الأوَّلِ كُلَّهُ، أوْ إلّا قَلِيلًا مِنْهُ.

وقَوْلُ أبِي سُفْيانَ: «شَماطِيطُ جُرْهُمِ» الشّماطِيطُ: الخَيْلُ المُتَفرّقةُ، ويُقالُ لِلْأخْلاطِ مِن النّاسِ أيْضًا: شَماطِيطُ، وأصْلُهُ مِن الشَّمِيطِ، وهُو اخْتِلاطُ الظّلامِ

بِالضَّوْءِ، ومِنْهُ الشَّمَطُ في الرَّأْسِ.

وقَوْلُهُ: «ولَمْ أكُنْ لِأفرِحَهُ»؛ أي: لأُثقِلَه. والمُفرَحُ: الّذِي قَدْ أثْقَلَهُ الدَّيْنُ، وقَدْ تَقَدّمَ شَرْحُهُ[1].

غَزْوةُ الفُرُعِ مِنْ بَحْران

ثمَّ غزا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ قُرَيْشًا، واسْتَعْمَلَ على المَدِينةِ ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَتّى بَلَغَ بَحْرانَ مَعْدِنًا بِالحِجازِ مِنْ ناحِيةِ الفُرُعِ، فأقامَ بِها شَهْرَ رَبِيعٍ الآخِرِ وجُمادى الأُولى، ثُمَّ رَجَعَ إلى المَدِينةِ ولَمْ يَلْقَ كَيْدًا.

وذَكرَ أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أتى بحْرانَ، وهي مِنْ ناحِيةِ الفُرُعِ، فأقامَ بِهِ[2] شَهْرَ رَبِيعٍ الآخِرَ، وجُمادى الأُولى.

الفُرُعُ[3] بِضَمّتَيْنِ، يُقالُ: هِيَ أوّلُ قَرْيةٍ مارَتْ[4] إسْماعِيلَ وأُمَّهُ التّمرَ بِمَكّةَ، وهِيَ مِنْ ناحِيةِ المَدِينةِ، وفيها عَيْنانِ يُقالُ لَهُما: الرَّبَضُ والنَّجَفُ تَسْقِيانِ عِشْرِينَ ألْفَ نَخْلةٍ كانَتْ لِحَمْزةَ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ الزّبَيْرِ.

وتَفْسِيرُ الرَّبَضِ: مَنابِتُ الأراكِ في الرّمْلِ.

---

(١) انظر: (٤: ٢٤٨).

(٢) في (ف): «بها».

(٣) في «معجم البلدان»: «الفُرْع بضم أوله وسكون ثانيه». ونقل عن السهيلي ما ذكره هنا، ولم يعقب.

(٤) مارَهم يَمِيرهم: أعطاهم الميرة، وهي الطعام.

والفَرَعُ بِفَتْحَتَيْنِ: مَوْضِعٌ بَيْنَ الكُوفةِ والبَصْرةِ. قالَ سُوَيْدُ بنُ أَبِي كاهِلٍ[١]:

[من الرمل]

حَـلَّ أَهْلِـي حَيْـثُ لا أَطْلُبُها　　جانِبَ الحَضْرِ[٢] وحَلَّتْ بِالفَرَعْ

ثُمَّ رَجَعَ ﷺ إلى المَدِينةِ.

وقَوْلُ ابنِ إسْحاقَ: «أقامَ شَهْرَ ربيعٍ وجُمادى»؛ لأنَّ الربيع مُشْتَرِكٌ بَيْنَ اسْمِ الشَّهْرِ وزَمَنِ الرَّبِيعِ، فكانَ في لَفْظِ[٣] الشَّهْرِ بَيانٌ لِما أرادَ.

و«جُمادى» اسْمُ عَلَمٍ لَيْسَ فيهِ اشْتِراكٌ، وقَدْ قَدَّمْنا[٤] قَوْلَ سِيبَوَيْهِ: ومِمّا لا يَكُونُ العَمَلُ إلّا فيهِ كُلِّهِ: المُحَرَّمُ وصَفَرٌ[٥]. يَعْنِي: هذهِ الأَسْماءَ كلَّها، وكذلك أسماءُ الأيامِ؛ لا تقولُ: سِرتُ الخميسَ، ولا مشيتُ الأربعاءَ، إلّا والعملُ فيه كُلِّـه، حتـى تَقُولَ: يَوْمَ الأَرْبِعاءِ، ويَوْمَ[٦] كَذا، وفي الشُّهورِ شهر كذا، فحينئذٍ يكونُ ظرفًا لا يَدُلُّ على وُقُوعِ العَمَلِ فيهِ كُلِّهِ.

* * *

(١) شاعر مخضرم مقدَّم، والبيت في «المفضليات» (ص: ١٩٥).

(٢) كذا في النسخ. وفي «المفضليات»، و«معجم البلدان» (الفرع): «الحِصْن».

(٣) في (ف): «في ذكر لفظ».

(٤) انظر: (٢: ٣٦٧).

(٥) «الكتاب» (١: ٢١٦-٢١٧).

(٦) في (ف): «أو يوم».

أمْرُ بَنِي قَيْنُقاعَ

[نَصِيحةُ الرَّسُولِ لَهُمْ ورَدُّهُمْ عَلَيْهِ]

قالَ: وقَدْ كانَ فيما بَيْنَ ذلك مِنْ غَزْوِ رَسُولِ الله ﷺ أمْرُ بَنِي قَيْنُقاعَ، وكانَ مِنْ حَدِيثِ بَنِي قَيْنُقاعَ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ جَمَعَهُمْ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقاعَ، ثُمَّ قالَ: «يا مَعْشَرَ يَهُودَ، احْذَرُوا مِن الله مِثْلَ ما نَزَلَ بِقُرَيْشٍ مِن النِّقْمةِ، وأَسْلِمُوا؛ فإنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، تَجِدُونَ ذلك في كِتابِكُمْ وعَهْدِ الله إلَيْكُمْ»، قالُوا: يا مُحَمَّدُ، إنَّكَ تَرى أنّا قَوْمُكَ! لا يَغُرَّنَّكَ أنَّكَ لَقِيتَ قَوْمًا لا عِلْمَ لَهُمْ بِالحَرْبِ، فأصَبْتَ مِنْهُمْ فُرْصةً، إنّا واللهِ لَئِنْ حارَبناكَ لَتَعْلَمَنَّ أنّا نَحْنُ النّاسُ.

[ما نَزَلَ فيهِمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي مَوْلًى لِآلِ زَيْدِ بنِ ثابِتٍ، عَنْ سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ، أوْ عَنْ عِكْرِمةَ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: ما نَزَلَ هَؤُلاءِ الآياتُ إلّا فيهِمْ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾، أيْ: أصْحابِ بَدْرٍ مِنْ أصْحابِ رَسُولِ الله ﷺ، وقُرَيْشٍ، ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣].

[كانُوا أوَّلَ مَنْ نَقَضَ العَهْدِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ: أنَّ بَني قَيْنُقاعَ كانُوا أوَّلَ يَهُودٍ نَقَضُوا ما بَيْنَهُمْ وبَيْنَ رَسُول الله ﷺ، وحارَبُوا فيما بَيْنَ بَدْرٍ وأُحُدٍ.

[سَبَبُ الحَرْبِ بَيْنَهم وبَيْنَ المُسْلِمِينَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وذَكَرَ عَبْدُ الله بنُ جَعْفَرِ بنِ المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ، عَنْ أبي عَوْنٍ، قالَ: كانَ مِنْ أمْرِ بَني قَيْنُقاعَ: أنَّ امْرَأةً مِن العَرَبِ قَدِمَتْ بِجَلَبٍ لَها، فباعَتْهُ بِسُوقِ بَني قَيْنُقاعَ، وجَلَسَتْ إلى صائِغٍ بِها، فجَعَلُوا يُرِيدُونَها على كَشْفِ وجْهِها، فأبَتْ، فعَمِدَ الصّائِغُ إلى طَرَفِ ثَوْبِها فعَقَدَهُ إلى ظَهْرِها، فلَمّا قامَت انْكَشَفَتْ سَوْأتُها، فضَحِكُوا بِها، فصاحَتْ، فوَثَبَ رَجُلٌ مِن المُسْلِمِينَ على الصّائِغِ فقَتَلَهُ، وكانَ يَهُودِيًّا، وشَدَّت اليَهُودُ على المُسْلِمِ فقَتَلُوهُ، فاسْتَصْرَخَ أهْلُ المُسْلِمِ المُسْلِمِينَ على اليَهُودِ، فغَضِبَ المُسْلِمُونَ، فوَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ بَني قَيْنُقاعَ.

[ما كانَ مِن ابنِ أُبَيٍّ مَعَ الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، قالَ: فحاصَرَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ حَتّى نَزَلُوا على حُكْمِهِ، فقامَ إلَيْهِ عَبْدُ الله بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ حِينَ أمْكَنَهُ الله مِنْهُمْ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، أحْسِنْ في مَوالِيَّ، وكانُوا حُلَفاءَ الخَزْرَجِ، قالَ: فأبْطأَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ، فقالَ: يا مُحَمَّدُ، أحْسِنْ في مُوالِيَّ، قالَ: فأعْرَضَ عَنْهُ. فأدْخَلَ يَدَهُ في جَيْبِ دِرْعِ رَسُولِ الله ﷺ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وكانَ يُقالُ لَها: ذاتُ الفُضُولِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «أرْسِلْنِي»، وغَضِبَ رَسُولُ الله ﷺ حتّى رَأوْا لِوَجْهِهِ ظُلَلًا، ثُمَّ قالَ: «ويْحَكَ! أرْسِلْنِي»، قالَ: لا واللهِ لا أُرْسِلُكَ حَتّى تُحْسِنَ في مواليَّ، أربعُ مئةِ حاسِرٍ وثَلاثُ مئةِ دارِعٍ، قَدْ مَنَعُونِي مِنَ الأحْمَرِ والأسْوَدِ، تَحْصُدُهُمْ في غَداةٍ واحِدةٍ، إنِّي واللهِ امْرُؤٌ أخْشى الدَّوائِرَ، قالَ: فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هُمْ لَكَ».

[مُدّةُ حِصارِهِمْ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْتَعْمَلَ رَسُولُ الله ﷺ على المَدِينةِ في مُحاصَرَتِهِ إيّاهُمْ بَشِيرَ بنَ عَبْدِ المُنْذِرِ، وكانَتْ مُحاصَرَتُهُ إيّاهُمْ خَمْسَ عَشْرةَ لَيْلَةً.

[تَبَرُّؤُ ابنِ الصّامِتِ مِنْ حِلْفِهِمْ، وما نَزَلَ فيهِ وفي ابنِ أُبَيٍّ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي أبي إسْحاقُ بنُ يَسارٍ، عَنْ عُبادةَ بنِ الوَلِيدِ ابنِ عُبادةَ بن الصّامِتِ، قالَ: لَمّا حارَبَتْ بَنُو قَيْنُقاعَ رَسُولَ الله ﷺ، تَشَبَّثَ بِأمْرِهِمْ عَبْدُ الله بنُ أُبَيّ بن سَلُولَ، وقامَ دُونَهُمْ. قالَ: ومَشى عُبادةُ بنُ الصّامِتِ إلى رَسُولِ الله ﷺ، وكانَ أحَدَ بَنِي عَوْفٍ، لَهُمْ مِنْ حِلْفِهِ مِثْلُ الَّذي لَهُمْ مِنْ عَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ، فخَلَعَهُمْ إلى رَسُولِ الله ﷺ، وتَبَرَّأ إلى الله عَزَّ وجَلَّ وإلى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ حِلْفِهِمْ، وقالَ: يا رَسُولَ الله، أتَوَلّى اللهَ ورَسُولَهُ ﷺ والمُؤْمِنِينَ، وأبْرَأُ مِنْ حِلْفِ هَؤُلاءِ الكُفّارِ ووِلايَتِهِمْ. قالَ: ففيهِ وفي عَبْدِ الله ابنِ أُبَيٍّ نَزَلَتْ هَذِهِ القِصّةُ مِن المائِدةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ * فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، أيْ: لِعَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ وقَوْلِهِ: إنِّي أخْشى الدَّوائِرَ، ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ

بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ * وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ ﴾، ثُمَّ القِصَّةُ إلى قَوْلِهِ تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴾. وذَكَرَ لِتُوَلِّي عُبادةَ بنِ الصّامِتِ اللهَ ورَسُولَهُ والَّذِينَ آمَنُوا، وتَبَرُّئِهِ مِنْ بَنِي قَيْنُقاعَ وَحِلْفِهِمْ ووِلايَتِهِمْ: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥١-٥٦].

خَبَرُ بَنِي قَيْنُقاعَ

وقَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ طَرَفٌ قَبْلَ غَزْوةِ بَدْرٍ.

وفيهِ أنّ عَبْدَ اللهِ بنَ أُبَيٍّ قالَ لِلنَّبيِّ ﷺ: أحسِنْ في مَواليَّ، وأنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَضِبَ حَتّى رَأَوْا لِوجْهِهِ[(١)] ظِلالًا[(٢)]، هَكَذا في نُسْخَةِ الشَّيْخِ مُصَحَّحًا عَلَيْهِ، وفي غَيْرِها: «ظُلَلًا» جَمْعُ ظُلَّةٍ، وقَدْ تُجمَعُ فُعْلَةٌ على فِعالٍ، مثلُ بُرْمةٍ وبِرامٍ، وحُفْرةٍ وحِفارٍ، فمَعْنى الرِّوايَتَيْنِ أيضًا واحِدٌ، والظُّلّةُ: ما حَجَبَت عَنْكَ ضَوْءَ الشَّمْسِ وصَحوَ السّماءِ، وكانَ وجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُشْرِقًا بَسّامًا، فإذا غَضِبَ تَلَوّنَ ألْوانًا، فكانَتْ تِلْكَ الألْوانُ حائِلةً دُونَ الإشْراقِ والطَّلاقةِ والضِّياءِ المُنْتشِرِ عِنْدَ تَبَسُّمِهِ؛ فقَدْ[(٣)] رُوِيَ أنّهُ كانَ يَسْطَعُ على الجِدارِ نُورٌ مِنْ ثَغْرِهِ إذا تبَسّمَ، أوْ قالَ: تكَلَّم، يُنظَر[(٤)] «الشَّمائل» للتّرمذيِّ[(٥)].

---

(١) في (ف): «في وجهه».

(٢) «تاريخ الطبري» (٢: ٤٨٠).

(٣) في (ف): «وقد».

(٤) في (ف): «ينظر في».

(٥) أخرج الترمذي في «الشمائل المحمّدية» (ص: ٢٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «كانَ =

وذَكرَ فيهِ الآيةَ الّتي نَزَلَتْ فيهِمْ: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ﴾ [آل عمران: ١٣]، الفِئةُ على وزْنِ فِعةٍ، مِنْ فأوْتُ رَأْسَهُ بِالعَصا: إذا شَقَقْتَه، أوْ مِن الفَأْوِ، وهِيَ جِبالٌ مُجْتَمِعةٌ وبَيْنَهُا فُسْحةٌ مِن الأرْضِ، فحَقِيقةُ الفِئةِ: الفِرْقةُ الّتي كانَتْ مُجْتَمِعةً مَعَ الأُخْرى، فافْتَرَقَتْ.

❊ ❊ ❊

= رَسُولُ الله ﷺ أفْلَجَ الثَّنِيَّتَيْنِ، إذا تَكَلَّمَ رُئِيَ كالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَناياهُ». (ج)

سَرِيّةُ زَيْدِ بنِ حارِثةَ إلى القَرَدةِ

[إصابةُ زَيْدٍ لِلْعِيرِ وإفْلاتُ الرِّجالِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وسَرِيّةُ زَيْدِ بنِ حارِثةَ الّتي بَعَثَهُ رَسُولُ الله ﷺ فيها حيْنَ أصابَ عِيرَ قُرَيْشٍ، وفيها أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ، على القَرَدةِ؛ ماءٌ مِنْ مِياهِ نَجْدٍ. وكانَ مِنْ حَدِيثِها: أنَّ قُرَيْشًا خافُوا طَرِيقَهُم الّذي كانُوا يَسْلُكُونَ إلى الشَّأْمِ حِينَ كانَ مِنْ وقْعةِ بَدْرٍ ما كانَ، فسَلَكُوا طَرِيقَ العِراقِ، فخَرَجَ مِنْهُمْ تُجّارٌ، فيهِمْ أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ، ومَعَهُ فِضّةٌ كَثِيرةٌ، وهِيَ عُظْمُ تِجارَتِهِمْ، واسْتَأْجَرُوا رَجُلًا مِنْ بَنِي بَكْرِ بنِ وائِلٍ يُقالُ لَهُ: فُراتُ بنُ حَيّانَ يَدُلُّهُمْ في ذلك على الطَّرِيقِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: فُراتُ بنُ حَيّانَ مِنْ بَنِي عِجْلٍ، حَلِيفٌ لِبَنِي سَهْمٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وبَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ زَيْدَ بنَ حارِثةَ فلَقِيَهُمْ على ذلك الماءِ، فأصابَ تِلْكَ العِيرَ وما فيها، وأعْجَزَهُ الرِّجالُ، فقَدِمَ بِها على رَسُولِ الله ﷺ.

سَرِيّةُ زَيْدٍ

وذَكَرَ فيها فُراتَ بنَ حَيّانَ العِجْلِيَّ، مَنْسُوبٌ إلى عِجْلِ بنِ لُجَيْمِ بنِ صعبِ ابنِ عَلِيّ بنِ بَكْرِ بنِ وائِلٍ.

واللُّجَيْمُ: تَصْغِيرُ لُجَمٍ، وهِيَ دُوَيْبّةٌ تَطَيَّرُ بِها العَرَبُ، وأَنْشَدُوا(١): [من المتقارب]

لهـا ذنَبٌ مثـلُ ذيـلِ العَرو سِ إلى سَبّةٍ مِثْلِ جُحْرِ اللَّجَمْ

وكانَ عَيْنَ قُرَيْشٍ ودَلِيلَ أَبِي سُفْيانَ، أَسْلَمَ فُراتٌ وحَسُنَ إسْلامُهُ، وقالَ فيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إنّ مِنْكُمْ(٢) رِجالًا نَكِلُهُمْ إلى إسْلامِهِمْ، مِنْهُمْ فُراتٌ»(٣)، وأرْسَلَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى ثُمامةَ بنِ أُثالٍ في شَأْنِ مُسَيْلِمةَ ورِدَّتِه، ومَرّ بِهِ رسولُ الله ﷺ وهو مَعَ أَبِي هُرَيْرةَ والرَّجّالِ(٤) بنِ عُنْفُوةَ، فقالَ: «ضِرْسُ أحدِكم في النّارِ مِثْلُ أُحُدٍ»، فما زالَ فُراتٌ وأبُو هُرَيْرةَ خائِفَينِ حَتّى بَلَغَتْهُما رِدّةُ الرّجّالِ، وإيمانُهُ بِمُسَيْلِمةَ، فخَرّا ساجِدَينِ، [الرَّجّالُ اسمُه: نَهارُ، والرَّجّالُ لقبٌ له، والعُنْفُوةُ: ضَرْبٌ مِن النّبْتِ، وهو الحليُّ(٥)، ويقال فيه: عُنثُوة بالثاءِ المثلَّثةِ](٦).

* * *

(١) البيت لعدي بن زيد في «ديوانه» (ص: ١٦٩). (ج)

(٢) في (ب): «فيكم».

(٣) انظر: «أسد الغابة» (٤: ٣٥١).

(٤) في (أ)، (ب): «الرحال»، بالحاء المهملة. هذا وانظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٢: ١٠٦٢-١٠٦٣).

(٥) في «اللسان»: «الحَلِيّ: نبات بعينه، وهو من خير مراتع أهل البادية للغنم والخيل». وانظر: «النبات» لأبي حنيفة: (ص: ٢٢).

(٦) مكانه في (أ)، (ب)، (ف) بعد قوله: «والرجال بن عنفوة».

[شِعْرُ حَسّانَ في تَأْنِيبِ قُرَيْشٍ]

فقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ بَعْدَ أُحُدٍ في غَزْوةِ بَدْرٍ الآخِرةِ يُؤَنِّبُ قُرَيْشًا لِأَخْذِهِمْ تِلْكَ الطَّرِيقَ:

دَعُوا فلَجاتِ الشّامِ قَدْ حالَ دُونَها جِلادٌ كَأَفْواهِ المَخاضِ الأوارِكِ
بِأَيْدِي رِجالٍ هاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ وأَنْصارِهِ حَقًّا وأَيْدِي المَلائِكِ
إذا سَلَكَتْ لِلْغَوْرِ مِنْ بَطْنِ عالِجٍ فقُولا لَها: لَيْسَ الطّريقُ هنالِكِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهَذِهِ الأَبْياتُ في أَبْياتٍ لِحَسّانَ بنِ ثابِتٍ، نَقَضَها عَلَيْهِ أبو سُفيانَ بنُ الحارِثِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وسَنَذْكُرُها ونَقِيضَتَها إنْ شاءَ الله في مَوْضِعِها.

وفيها قولُ[١] حَسّانَ: [من الطويل]

دَعُوا فلَجاتِ الشّامِ قَدْ حالَ دُونَها

الفَلَجاتُ: جَمْعُ فَلَجٍ، وهِيَ العَيْنُ الجارِيةُ، يُقالُ: ماءٌ فلَجٌ، وعَيْنٌ فلَجٌ. وفلَحاتٌ بِالحاءِ المُهْمَلةِ، وذَكَرَهُ أبُو حَنِيفةَ، وقالَ: الفَلَحةُ: المَزْرَعةُ[٢].

(١) في (ف): «يقول».

(٢) نص أبي حنيفة في «اللسان» (فلح). وقد ذكر فيه روايتي الجيم والحاء في قول حسان، قال: «والفلحة الذي اشتق للزرع... ومن رواه فلجات ـ بالجيم ـ فمعناه: ما اشتق من الأرض للديار». بتصرف.

وقَوْلُهُ: [من الطويل]

طِعانٌ كَأفْواهِ المَخاضِ الأوارِكِ

أيْ: الّتِي أكَلَت الأراكَ، فدَمِيَتْ أفْواهُها، والمَخاضُ واحِدَتُها: خَلِفةٌ، مِنْ غَيْرِ لَفْظِها، وهِيَ الحامِلُ، وقَدْ قِيلَ في الواحِدَةِ: ماخِضٌ، ومِنْهُ قَوْلُ الطائيِّ[1]: [من الطويل]

وأخَّرْتَها عَــنْ وقْتِها وهْيَ ماخِضُ

وعِنْـدِي أنّ المَخـاضَ في الحَقِيقـةِ لَيْسَ بجَمْـعٍ، إنّما هُو مَصْدَرٌ؛ ولِذَلِكَ وُصِفَ بِهِ الجَمـعُ[2]، وفي التّنْزِيلِ: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾ [مريم: ٢٣]، وقَوْلُهُمْ: ناقةٌ ماخِضٌ، كَقَوْلِهِمْ: حامِلٌ، أيْ: ذاتُ مَخاضٍ، وذاتُ حَمْلٍ، وقَدْ يَقُولُ الرّجُلُ لِنسائِهِ: أنْتُنّ الطّلاقُ، فلَيْسَ الطّلاقُ بِجَمْعٍ، وإنّما مَعْناهُ: ذَواتُ طَلاقٍ، وكَذَلِكَ مَعْنى المَخاضِ؛ أيْ: ذَواتُ مَخاضٍ، غَيْرَ أنّهُ قِيلَ لِلْواحِدَةِ: ماخِضٌ، ولَمْ يُقَلْ: ناقةٌ مَخاضٌ؛ أيْ: ذاتُ مَخاضٍ كَما يُقالُ: امْرَأةٌ زَوْرٌ وصَوْمٌ؛ لِأنّ المَصْدَرَ إذا وُصِفَ بِهِ فإنّما يُرادُ بِهِ التَّكْثِيرُ، ولا تَكْثِيرَ في حَمْلِ الواحِدَةِ، ألا تَرى أنّك تَقُولُ: هِيَ أصْومُ النّاسِ، وما أصْومَها! ولا يُقالُ إذا حَبِلَتْ: ما أحْبَلَها؛ لِأنّهُ شَيْءٌ واحِدٌ، كَما لا يُقالُ في المَوْتِ: ما أمْوَتَها! فلَمّا عُدِمَ قَصْدُ التّكْثِيرِ والمُبالَغةِ لَمْ تُوصَفْ به، كما تُوصَفُ بالسَّيرِ إذا قُلتَ[3]: ما هي إلّا سيرٌ، فإذا كانَتْ إبِلًا كَثِيرةً حَصَلَ مَعْنى الكَثْرةِ، فوُصِفَتْ بِالمَخاضِ ـ وهُو المَصْدَرُ ـ [لِذَلِكَ][4].

---

(١) أبو تمام، «ديوانه» (ص: ١٨٤)، وصدره:

«أخا الحرب كم ألحقتها وهْي حائل»

(٢) في (أ)، (ب)، (ف): «الجميع».

(٣) في (ب): «كما توصف بالسير فتقول».

(٤) ليس في (ص).

فإنْ قُلْت: فقَدْ يَقُولُ الرّجُلُ: أنْتِ الطّلاقُ، وأنْتِ الفِراقُ.

قُلْنا: فيهِ مَعْنى التّكْثِيرِ والمُبالَغةِ؛ فلذَلِكَ[1] جازَ؛ لِأَنّهُ شَيْءٌ يَتَمادى ويَدُومُ، لا سِيّما إنْ أراد بالطَّلاقِ: الطَّلاقَ كلَّه لا واحدةً، وليس كَذَلِكَ المَخاضُ والحَمْلُ؛ فإنّ مُدّتَهُ مَعْلُومةٌ، ومِقْدارَهُ مؤقّتٌ.

وقَوْلُهُ: «بِأيْدِي المَلائِكِ»، هُو جَمْعُ مَلَكٍ على غَيْرِ لَفْظِهِ، ولَوْ جَمَعُوهُ على لَفْظِهِ لَقالُوا: أمْلاكٌ، ولَكنّ المِيمَ في «مَلَكٍ» زائِدةٌ فيما زَعَمُوا، وأصْلُهُ: مَأْلَكٌ مِن الأَلُوكِ، وهِيَ الرّسالةُ، قالَ لَبِيدٌ[2]: [من الرمل]

وغُلامٍ أرْسَلَتْهُ أُمُّهُ بِألُوكٍ فبَذَلْنا ما سَألْ

وقالَ الطّائِيُّ[3]: [من الكامل]

مَنْ مُبْلِغُ الفِتْيان عنِّي مألُكًا أنِّي مَتى يَتَثَلّمُوا أتَهَدَّمُ؟

والطّائِيُّ وإنْ كانَ مُوَلَّدًا، فإنّما يُحْتَجُّ بِهِ لِتَلَقِّي أهْلِ العَرَبِيّةِ لَهُ بالقَبُولِ، وإجْماعِهِمْ على أنّهُ لَمْ يَلْحَنْ. وإذا كانَ الأصْلُ فيهِ «مَأْلُكًا»، فإنّما قَلَبُوهُ إرادةَ إلْقاءِ[4] الهمزةِ إذا سَهَّلُوا، ولَوْ سَهَّلُوا «مَأْلُكًا» والهَمْزةُ مُقَدَّمةٌ[5] لَمْ تَسْقُطْ، وإنّما تَسْقُطُ إذا سُكِّنَ ما قَبْلَها، فقالُوا: مَلَك[6]، فإذا جَمَعُوا عادَت الهَمْزةُ، ولَمْ

---

(١) في (أ)، (ج): «ولذلك».

(٢) «شرح ديوان لبيد» (ص: ١٧٨).

(٣) أبو تمام، «ديوانه» (ص: ٢١٣)، وفيه: «فليبلغ الفتيان».

(٤) في (ص)، (ج): «إبقاء».

(٥) في (ف): «متقدمة».

(٦) في (أ): «مالك»، وفي (ب): «ملأك». أراد أنها بعد القلب صارت ملأكًا، فسكن ما قبلها، فسُهِّلت الهمزة بنقل حركتها إلى الساكن قبلها، ثم حُذِفت وقالوا: مَلَكٌ.

تَعُدِ [الهمزةُ][١] إلى مَوْضِعِها؛ لِئَلّا يرْجِعَ كَجَمْعِ مَأْلُكةٍ، وهِيَ الرِّسالةُ.

ولَوْ قِيلَ: إنّ لَفْظَ «مَلَكٍ» مَأْخُوذٌ مِن المَلَكُوتِ، فلِذَلِكَ لَمْ يُهْمَزْ؛ لِأنّ أكْثَرَ المَلائِكـةِ لَيْسُوا بِرُسُـلٍ، ولَوْ أُرِيدَ مَعْنى الرِّسالةِ لَقالُـوا: مُؤْلَكٌ، كَما تَقُولُ: مُرْسَلٌ، ولَضُمَّت المِيمُ في الواحِدِ، وتكُونُ الهَمْزةُ على هَذا زائِدةً في الجميعِ كَما زادُوها في شَمْأَلٍ، وهِيَ مِنْ شَمَلَت الرِّيحُ -لَكانَ [هَذا][٢] وجْهًا حَسَنًا، وسِرُّ زِيادةِ الهَمْزةِ في شَمْأَلٍ أنّ الرِّيح الشِّمالَ شآميّة، فأطْلَعَت الهَمْزةُ رَأْسَها[٣] لِذَلِكَ؛ أي[٤]: قَد اجْتَمَعَ فيها أنّها مِنْ عَنْ شِمالِ البَيْتِ، وأنّها شَآمِيّةٌ، وكَذَلِكَ المَلائِكةُ؛ هُمْ مِنْ مَلَكُوتِ اللهِ تعالى، وفيهم رُسُلٌ، والواحدُ مِنْهُمْ مِنْ مَلَكُوتِ اللهِ فقَطْ؛ لِأنّهُ لا يَتَبَعّضُ كَما تَتَبَعّضُ الجُمْلةُ مِنْهُمْ، فأمّا قَوْلُ الشّاعِرِ[٥]: [من الطويل]

فَلَسْتُ لِإنْسِيٍّ ولَكِنْ لَمَأْلُكٍ   تنزّلَ مِنْ جَوِّ السّماءِ يَصُوبُ

فَهَمَزَ «مَأْلُكًا»، وهُو واحِدٌ، فالبَيْتُ مَجْهُولٌ قائِلُهُ، وقَدْ نَسَبَهُ ابنُ سِيدَهْ[٦] إلى عَلْقَمةَ، وأُنْكِرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ[٧]، ومَعَ هَذا فقَدْ وصَفَ مَأْلُكًا بِالرّسالةِ؛ لِقَوْلِهِ:

(١) ليس في (أ)، (ب)، (ف).
(٢) عن (أ)، (ب)، (ف).
(٣) في (أ): «برأسها».
(٤) في (ف): «إذ».
(٥) نُسِب في «اللسان» (صوب، ملك) لأبي وجزة يزيد بن عُبيد السعدي، وكان شاعرًا مجيدًا، راوية للحديث، تُوفِّي بالمدينة سنة (١٣٠هـ).
(٦) غير منسوب في مطبوع «المحكم والمحيط الأعظم» لابن سيده: (٧: ٩١). وهو منسوب إلى علقمة بن عبدة في «الزاهر» للأنباري (٢/ ٢٥٥). (ج)
(٧) في (ف): «عليه ذلك».

«تنزّل مِنْ جوٍّ السّماء يَصُوبُ»، فحَسُنَ الهمزُ؛ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنى الألُوكِ، كَما حَسُنَ في جُمْلةِ المَلائِكةِ؛ إذْ لِلْجُمْلةِ بَعْضٌ هُم أرْسالٌ، والكُلُّ مِنْ مَلَكُوتِ اللهِ سُبْحانَهُ، ولَيْسَ في الواحِدِ إلّا مَعْنى المَلَكُوتِيّةِ فقَطْ حَتّى يُخَصَّص بِالرّسالةِ، كَما في هَذا البَيْتِ المَذْكُور، فيَتَضَمَّنُ حِينَئِذٍ المَعْنَيَيْنِ، فتَطْلُعُ الهَمْزةُ في اللَّفْظِ؛ لِما في ضِمْنِهِ من معنى الأَلوكِ، وهي الرِّسالةُ.

* * *

مقْتَلُ كَعْبِ بنِ الأشْرَفِ

[اسْتِنْكارُهُ خَبَرَ رَسُولَي الرَّسُولِ بِقَتْلِ ناسٍ مِن المُشْرِكِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بنِ الأشْرَفِ: أنَّهُ لَمّا أُصِيبَ أصْحابُ بَدْرٍ، وقَدِمَ زَيْدُ بنُ حارِثَةَ إلى أهْلِ السّافِلَةِ، وعَبْدُ الله بنُ رَواحَةَ إلى أهْلِ العالِيَةِ بَشِيرَيْنِ، بَعَثَهُما رَسُولُ الله ﷺ إلى مَنْ بِالمَدِينَةِ مِن المُسْلِمِينَ بِفَتْحِ الله عَزَّ وجَلَّ عَلَيْهِ، وقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِن المُشْرِكِينَ - كَما حَدَّثَنِي عَبْدُ الله ابنُ المُغِيثِ بنِ أبي بُرْدَةَ الظَّفَرِيُّ، وعَبْدُ الله بنُ أبي بكرِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَمْرِو بنِ حَزْمٍ، وعاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ، وصالِحُ بنُ أبي أُمامَةَ بنِ سَهْلٍ، كُلٌّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضَ حَدِيثِهِ، قالُوا: - قالَ كَعْبُ بنُ الأشْرَفِ - وكانَ رَجُلًا مِنْ طيِّئٍ، ثُمَّ أحَدَ بَنِي نَبْهانَ، وكانَتْ أُمُّهُ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ - حِينَ بَلَغَهُ الخَبَرُ: أحَقٌّ هذا؟ أتَرَوْنَ مُحَمَّدًا قَتَلَ هَؤُلاءِ الَّذينَ يُسَمّي هذانِ الرَّجُلانِ؟! - يَعْنِي: زَيْدًا وعَبْدَ الله بنَ رَواحَةَ - فهَؤُلاءِ أشْرافُ العَرَبِ ومُلُوكُ النّاسِ، والله لَئِنْ كانَ مُحَمَّدٌ أصابَ هَؤُلاءِ القَوْمَ، لَبَطْنُ الأرْضِ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِها.

[شِعْرُهُ في التَّحْرِيضِ على الرَّسُولِ]

فَلَمّا تَيَقَّنَ عَدُوُّ الله الخَبَرَ، خَرَجَ حَتّى قَدِمَ مَكّةَ، فنَزَلَ على المُطَّلِبِ ابنِ أبي وداعةَ بنِ ضُبَيْرَةَ السَّهْمِيِّ، وعِنْدَهُ عاتِكَةُ بِنْتُ أبي العِيصِ بنِ أُمَيّةَ ابنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ، فأنْزَلَتْهُ وأكْرَمَتْهُ، وجَعَلَ يُحَرِّضُ على

رَسُولِ اللهِ ﷺ، ويُنْشِدُ الأشْعارَ، ويَبْكِي أصْحابَ القَلِيبِ مِنْ قُرَيْشٍ الَّذينَ أُصِيبُوا بِبَدْرٍ، فقالَ:

طَحَنَتْ رَحى بَدْرٍ لِمَهْلِكِ أهْلِهِ ... ولِمِثْلِ بَدْرٍ تَسْتَهِلُّ وتَدْمَعُ
قُتِلَتْ سَراةُ النّاسِ حَوْلَ حِياضِهِمْ ... لا تَبْعَدُوا إنَّ المُلُوكَ تُصَرَّعُ
كَمْ قَدْ أُصِيبَ بِهِ مِنَ ابْيَضَ ماجِدٍ ... ذِي بَهْجَةٍ يَأْوِي إلَيْهِ الضُّيَّعُ
طَلْقِ اليَدَيْنِ إذا الكَواكِبُ أخْلَفَتْ ... حَمّالُ أثْقالٍ يَسُودُ ويَرْبَعُ
وَيَقُولُ أقْوامٌ أُسَرُّ بِسُخْطِهِمْ: ... إنَّ ابنَ الاشْرَفِ ظَلَّ كَعْبًا يَجْزَعُ
صَدَقُوا فلَيْتَ الأرْضَ ساعةَ قُتِّلُوا ... ظَلَّتْ تَسُوخُ بِأهْلِها وتُصَدَّعُ
صارَ الَّذي أثَرَ الحَدِيثَ بِطَعْنِهِ ... أوْ عاشَ أعْمى مُرْعَشًا لا يَسْمَعُ
نُبِّئْتُ أنَّ بَنِي المُغِيرةِ كُلَّهُمْ ... خَشَعُوا لِقَتْلِ أبي الحَكِيمِ وجُدِّعُوا
وابنا رَبِيعةَ عِنْدَهُ ومُنَبِّهٌ ... ما نالَ مِثْلَ المُهْلِكِينَ وتُبَّعُ
نُبِّئْتُ أنَّ الحارِثَ بنَ هِشامِهِمْ ... في النّاسِ يَبْنِي الصّالِحاتِ ويَجْمَعُ
لِيَزُورَ يَثْرِبَ بِالجُمُوعِ وإنَّما ... يَحْمى على الحَسَبِ الكَرِيمُ الأرْوَعُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُهُ: «تُبَّعُ»، «وَأُسَرُّ بِسُخْطِهِمْ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

مَقْتَلُ كَعْبِ بنِ الأشْرَفِ

ذَكَرَ فيهِ أنّهُ شَبَّبَ بِنِساءِ المُسْلِمِينَ، وآذاهُمْ، وكانَ شَبَّبَ[1] بِأُمِّ الفَضْلِ زَوْجِ العَبّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فقالَ[2]: [من البسيط]

---

(١) في (ف): «قد شبب».
(٢) روى الطبري هذا البيت هكذا:

=

أراحِلٌ أنْتَ لَمْ تَرْحَلْ لمعتبةٍ وتارِكٌ أنْتَ أُمَّ الفَضْلِ بِالحَرَمِ؟

في أبْياتٍ من رواية[١] يُونُسَ عَن ابنِ إسْحاقَ.

وذَكَرَ فيهِ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السّلامُ: «مَنْ لِكَعْبٍ[٢]؟ فقَدْ آذى اللهَ ورَسُولَهُ»[٣]. فيهِ مِن الفِقْهِ: وُجُوبُ قَتْلِ مَنْ سَبَّ النّبيَّ ﷺ وإنْ كانَ ذا عَهْدٍ، خِلافًا لِأبِي حَنِيفةَ رَحِمَهُ اللهُ؛ فإنّهُ لا يَرى قَتْلَ الذِّمِّيِّ في مِثْلِ هَذا[٤].

ووقَعَ في كِتابِ «شَرَفِ المُصْطَفى»[٥] أنّ الّذِينَ قَتلُوا كَعْبَ [بنَ الأشْرَفِ][٦] حَمَلُوا رَأْسَهُ في مِخْلاةٍ إلى المَدِينةِ، فقِيلَ: إنّهُ أوّلُ رَأْسٍ حُمِلَ في الإسْلامِ، وقِيلَ: بَلْ رَأْسُ أبِي عَزّةَ الجُمَحِيِّ[٧] الّذِي قالَ لَهُ النّبيُّ ﷺ: «لا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ

= أراحــلٌ أنت لــم تَحْلُــلْ بمَنْقَبةٍ وتاركٌ أنت أمَّ الفضلِ بالحرمِ؟!
«تاريخ الرسل والملوك» (٢: ٤٨٨).

(١) في (ف): «في أبيات رواها».

(٢) بعده في (ف): «بن الأشرف».

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، «فتح الباري» (٧: ٣٣٦-٣٣٧).

(٤) قال ابن حجر في «فتح الباري» (٥: ١٤٣) معقبًا على مقالة السهيلي: «وليس متفقًا عليه عند الحنفية».

(٥) كتاب «شرف المصطفى» تأليف: أبي سعد عبد الملك بن محمد النيسابوري، ويُعرَف بالخَرْكُوشي، كان واعظًا وقدوةً، تُوفِّي سنة (٤٠٧هـ). انظر: «العبر» للذهبي: (٣: ٩٦)، و«فهرسة ابن خير» (ص: ٢٨٩).

(٦) عن (أ)، (ب).

(٧) هو عمرو بن عبد الله بن عمير، قتله رسول الله ﷺ صبرًا، أي: حبسه حتى مات بحمراء الأسد، وكان قد أطلقه يوم بدر معتذرًا بأنه ذو بنات، ثم خرج إلى بني الحارث يحرضهم على الخروج مع قريش لقتال الرسول في أحد، وقال في ذلك أبياتًا، ثم أُسر، وطلب العفو ثانيةً، فقال رسول الله ﷺ مقالته. انظر: «مغازي الواقدي» (١: ١١٠-١١١)، و«نسب قريش» لمصعب: (ص: ٣٩٧-٣٩٨).

مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ»(١)، فقَتَلَهُ واحْتَمَلَ رَأْسَهُ في رُمْحٍ إلى المَدِينَةِ فيما ذكروا(٢)، وأمّا أوّلُ مُسْلِمٍ حُمِلَ رَأْسُهُ في الإسلام فعَمرُو بنُ الحَمِقِ، وله صُحْبَةٌ(٣).

[شِعْرُ حَسّانَ في الرَّدِّ عَلَيْهِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فأجابَهُ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ الأنْصارِيُّ، فقالَ:

أبَكى لِكَعْبٍ ثُمَّ عُلَّ بِعَبْرَةٍ ... مِنْهُ وعاشَ مُجَدَّعًا لا يَسْمَعُ؟
وَلَقَدْ رَأيْتُ بِبَطْنِ بَدْرٍ مِنْهُمُ ... قَتْلى تَسُحُّ لَهَا العُيُونُ وتَدْمَعُ
فابْكِي فقَدْ أبكَيْتَ عَبْدًا راضِعًا ... شِبْهَ الكُلَيْبِ إلى الكُلَيْبَةِ يَتْبَعُ
وَلَقَدْ شَفى الرَّحْمَنُ مِنّا سَيِّدًا ... وأهانَ قَوْمًا قاتَلُوهُ وصُرِّعُوا
وَنَجا وأُفْلِتَ مِنْهُمُ مَنْ قَلْبُهُ ... شَغَفٌ يَظَلُّ لِخَوْفِهِ يَتَصَدَّعُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأكْثَرُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُها لِحَسّانَ. وقَوْلُهُ: «أبَكى لِكَعْبٍ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

[شِعْرُ مَيْمُونَةَ في الرَّدِّ على كَعْبٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَت امْرَأةٌ مِن المُسْلِمِينَ مِنْ بَنِي مُرَيْدٍ، بَطْنٌ مِنْ بَلِيٍّ، كانُوا حَلْفاءَ في بَنِي أُمَيَّةَ بنِ زَيْدٍ، يُقالُ لَهُمْ: الجَعادِرةُ، تُجِيبُ كَعْبًا ـ قالَ ابنُ إسْحاقَ: اسْمُها مَيْمُونةُ بِنْتُ عَبْدِ الله ـ وأكْثَرُ أهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُ هَذِهِ الأبْياتَ لَهَا، ويُنْكِرُ نَقِيضَتَها لِكَعْبِ بنِ الأشْرَفِ:

---

(١) أخرجه البخاري، «فتح الباري»، كتاب الأدب: (١٠: ٥٢٩).

(٢) في (ف): «ذكر».

(٣) كان من شيعة علي، وحارب معه، فطلبه معاوية. انظر خبره في: «أسد الغابة» (٤: ٢١٧-٢١٨)، و«الأوائل» للعسكري: (٢: ٢٣).

تَحَــنَّنَ هــذا العَبْــدُ كُلَّ تَحَــنُّنٍ يُبَكِّي على قَتْلى ولَيْــسَ بِناصِبِ
بَكَتْ عَيْنُ مَنْ يَبْكِي لِبَدْرٍ وأَهْله وعُلَّــتْ بِمِثْلَيْها لُــؤَيُّ بنُ غالِبِ
فَلَيْــتَ الَّذينَ ضُرِّجُــوا بِدِمائِهِمْ يَرى ما بِهِمْ مَنْ كانَ بَيْنَ الأخاشِبِ
فيعْلَمَ حَقًّا عَــنْ يَقِينٍ ويُبْصِرُوا مَجَرَّهُــمُ فوْقَ اللِّــحى والحَواجِبِ

[شِعْرُ كَعْبٍ في الرَّدِّ على مَيْمُونَةَ]

فَأَجابَها كَعْبُ بنُ الأشْرَفِ، فقالَ:

ألا فازْجُرُوا مِنْكُمْ سَفيهًا لِتَسْلَمُوا عَن القَوْلِ يَأْتي مِنْــهُ غَيْرَ مُقارِبِ
أتَشْــتُمُني أنْ كُنْــتُ أبْكِي بِعَبْرَةٍ لِقَــوْمٍ أتــانِي وُدُّهُمْ غَــيْرَ كاذِبِ؟
فَــإنِّي لَبــاكٍ مــا بَقِيــتُ وذاكِرٌ مَآثِــرَ قَــوْمٍ مَجْدُهُــمْ بِالجَباجِبِ
لَعَمْرِي لَقَدْ كانَتْ مُرَيْــدٌ بِمَعْزِلٍ عَن الشَّرِّ فاحْتالَتْ وُجُوهَ الثَّعالِبِ
فَحُــقَّ مُرَيْــدٌ أنْ تُجَــدَّ أُنُوفُهُــمْ بِشَــتْمِهِمُ حَــيَّيْ لُؤَيِّ بْــنِ غالِبِ
وَهَبْــتُ نَصِيبِي مِنْ مُرَيْــدٍ لِجَعْدَرٍ وفــاءً وبَيْتُ اللهِ بَيْنَ الأخاشِــبِ

وفيهِ [مِنْ][1] قَوْلِ حَسّانَ في [كَعْبٍ][2]: [من الكامل]

بُكِّيَ كَعْــبٌ ثُمّ عُــلَّ بِعَبْرَةٍ

فيهِ دُخُولُ زِحافٍ على زِحافٍ؛ وذَلِكَ أنّ أوّلَ الجُزْءِ سَبَبٌ ثَقِيلٌ وسَبَبٌ خَفيفٌ، فإذا دَخَلَ فيهِ الزِّحافُ[3] الّذِي يُسَمّى: الإضْمارَ صارا سَبَبَيْنِ خَفيفَيْنِ،

(١) ليس في (أ).
(٢) ليس في (أ).
(٣) في (ف): «الزحاف فيه».

فيَعُودُ مُتَفاعِلُن إلى وزْنِ مُسْتَفْعِلُنْ، ومُسْتَفْعِلُنْ يَدْخُلُهُ الخَبنُ والطّيّ، وهُو حَذْفُ الرّابعِ مِنْهُ، فشَبّهَ حَسّانُ (مُتَفاعِلن) في الكامِلِ بـ(مُسْتَفْعِلُنْ) لَمّا صارَ إلى وزْنِهِ، فحَذَفَ الحَرْفَ السّاكِنَ ـ وهُو الرّابِعُ ـ مِنْ (مُتَفاعِلُن) فصارَ إلى وزْنِ (مُفْتَعِلُنْ)[1]، وهُو غَرِيبٌ في الزِّحافِ؛ فإنّهُ زِحافٌ سهَّل زِحافًا آخَرَ، ولَوْلا الزِّحافُ[2] ـ الّذي هُو الإضْمارُ ـ ما جازَ البَتّةَ حَذْفُ الرّابعِ مِنْ (مُتَفاعِلُن).

* * *

(١) هذا نوع من الزحاف المزدوج، ويُسمّى: الخزل ـ أو الجزل ـ ولا يدخل إلا متفاعلن. انظر: «العيون الغامزة» (ص: ٨٥، ١٧٣).

(٢) في (ف): «ذلك الزحاف».

[تَشْبِيبُ كَعْبٍ بِنِساءِ المُسْلِمِينَ، والحِيلةُ في قَتْلِهِ]

ثُمَّ رَجَعَ كَعْبُ بنُ الأشْرَفِ إلى المَدِينةِ فشَبَّبَ بِنِساءِ المُسْلِمِينَ حَتّى آذاهُمْ.

فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ ـ كَما حَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ المُغِيثِ بنِ أبِي بُرْدَةَ ـ: «مَنْ لِي بِابنِ الأشْرَفِ؟» فقالَ لَهُ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ أخُو بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ: أنا لَكَ بِهِ يا رَسُولَ الله، أنا أقْتُلُهُ، قالَ: «فافْعَلْ إنْ قَدَرْتَ على ذلك». فرَجَعَ مُحَمَّدُ ابنُ مَسْلَمَةَ فمَكَثَ ثَلاثًا لا يَأْكُلُ ولا يَشْرَبُ إلّا ما يُعْلِقُ بِهِ نَفْسَهُ، فذُكِرَ ذلك لِرَسُولِ الله ﷺ، فدَعاهُ، فقالَ لَهُ: «لِمَ تَرَكْتَ الطَّعامَ والشَّرابَ؟» فقالَ: يا رَسُولَ الله، قُلْتُ لَكَ قَوْلًا لا أدْرِي هَلْ أفِينَّ لَكَ بِهِ أمْ لا؟ فقالَ: «إنَّما عَلَيْكَ الجَهْدُ»، فقالَ: يا رَسُولَ الله، إنَّهُ لا بُدَّ لَنا مِنْ أنْ نَقُولَ، قالَ: «قُولُوا ما بَدا لَكُمْ، فأنْتُمْ في حِلٍّ مِنْ ذلك». فاجْتَمَعَ في قَتْلِهِ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ، وسِلْكانُ بنُ سَلامةَ بنِ وقْشٍ، وهُوَ أبو نائِلةَ، أحَدُ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، وكانَ أخا كَعْبِ بنِ الأشْرَفِ مِن الرَّضاعةِ، وعَبّادُ بنُ بِشْرِ بنِ وقْشٍ، أحَدُ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، والحارِثُ بنُ أوْسِ بن مُعاذٍ، أحَدُ بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ، وأبو عَبْسِ ابنُ جَبْرٍ، أحَدُ بَنِي حارِثةَ، ثُمَّ قَدَّمُوا إلى عَدُوِّ الله كَعْبِ بنِ الأشرفِ قَبْلَ أنْ يَأْتُوهُ سِلْكانَ بنَ سَلامَةَ أبا نائِلةَ، فجاءَهُ، فتَحَدَّثَ مَعَهُ ساعةً، وتَناشَدُوا شِعْرًا، وكانَ أبو نائِلةَ يَقُولُ الشِّعْرَ، ثُمَّ قالَ: ويْحَكَ يا ابنَ الأشْرَفِ! إنِّي قَدْ جِئْتُكَ لِحاجةٍ أُرِيدُ ذِكْرَها لَكَ، فاكْتُمْ عَنِّي، قالَ: أفْعَلُ، قالَ: كانَ قُدُومُ هذا

الرَّجُلِ عَلَيْنا بَلاءً مِن البَلاءِ، عادَتْنا بِهِ العَرَبُ، ورَمَتْنا عَنْ قَوْسٍ واحِدةٍ، وقَطَعَتْ عَنّا السُّبُلَ حَتّى ضاعَ العِيالُ، وجُهِدَت الأنْفُسُ، وأصْبَحْنا قَدْ جُهِدْنا وجُهِدَ عِيالُنا، فقالَ كَعْبٌ: أنا ابنُ الأشْرَفِ، أما واللهِ لَقَدْ كُنْتُ أُخْبِرُكَ يا ابنَ سَلامةَ أنَّ الأمْرَ سَيَصِيرُ إلى ما أقُولُ، فقالَ لَهُ سِلْكانُ: إنِّي قَدْ أرَدْتُ أنْ تَبِيعَنا طَعامًا ونَرْهَنَكَ ونُوثِقَ لَكَ، ونُحْسِنَ في ذلك، فقالَ: أتَرْهَنوني أبناءَكُمْ؟ قالَ: لَقَدْ أرَدْتَ أنْ تَفْضَحَنا، إنَّ مَعِي أصْحابًا لِي على مِثْلِ رَأْيِي، وقَدْ أرَدْتُ أنْ آتِيَكَ بِهِمْ، فتَبِيعَهُمْ وتُحْسِنَ في ذلك، ونَرْهَنَكَ مِن الحَلْقَةِ ما فيهِ وفاءٌ، وأرادَ سِلْكانُ ألّا يُنْكِرَ السِّلاحَ إذا جاؤُوا بِها، قالَ: إنَّ في الحَلْقةِ لَوَفاءً، قالَ: فرَجَعَ سِلْكانُ إلى أصْحابِهِ فأخْبَرَهُمْ خَبَرَهُ، وأمَرَهُمْ أنْ يَأْخُذُوا السِّلاحَ، ثُمَّ يَنْطَلِقُوا فيجْتَمِعُوا إلَيْهِ، فاجْتَمَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: أترهنوني نِساءَكُمْ؟ قالَ: كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِساءَنا وأنْتَ أشَبُّ أهْلِ يَثْرِبَ وأعطَرُهم؟! قالَ: أترهنوني أبناءَكُمْ؟

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي ثَوْرُ بنُ زَيْدٍ، عَنْ عِكْرِمةَ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، قالَ: مَشى مَعَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى بَقِيعِ الغَرْقَدِ، ثُمَّ وجَّهَهُمْ، فقالَ: «انْطَلِقُوا على اسْمِ اللهِ، اللهُمَّ أعِنْهُمْ»، ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى بَيْتِهِ وهُوَ في لَيْلةٍ مُقْمِرةٍ، وأقْبَلُوا حَتّى انْتَهَوْا إلى حِصْنِهِ، فهَتَفَ بِهِ أبو نائِلةَ، وكانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، فوَثَبَ في مِلْحَفَتِهِ، فأخَذَت امْرَأتُهُ بِناحِيَتِها، وقالَتْ: إنَّكَ امْرُؤٌ مُحارِبٌ، وإنَّ أصْحابَ الحَرْبِ لا يَنْزِلُونَ في هَذِهِ السّاعةِ، قالَ: إنَّهُ أبو نائِلةَ، لَوْ وجَدَنِي نائِمًا لَما أيْقَظَنِي، فقالَتْ: واللهِ إنِّي لَأعْرِفُ في صَوْتِهِ الشَّرَّ، قالَ: يَقُولُ لَها كَعْبٌ: لَوْ يُدْعى الفَتى لِطَعْنةٍ لَأجابَ.

فَنَزَلَ فتَحَدَّثَ مَعَهُمْ ساعةً، وتَحَدَّثُوا مَعَهُ، ثُمَّ قالَ: هَلْ لَكَ يا ابنَ الأشْرَفِ أنْ تَتَماشى إلى شِعْبِ العَجُوزِ، فنَتَحَدَّثَ بِهِ بَقِيَّةَ لَيْلَتِنا هَذِهِ؟ قالَ: إنْ شِئْتُمْ.

فَخَرَجُوا يَتماشَوْنَ، فمَشَوْا ساعةً، ثُمَّ إنَّ أبا نائِلةَ شامَ يَدَهُ في فَوْدِ رَأْسِهِ، ثُمَّ شَمَّ يَدَهُ، فقالَ: ما رَأَيْتُ كاللَّيْلَةِ طِيبًا أعْطَرَ قَطُّ، ثُمَّ مَشى ساعةً، ثُمَّ عادَ لِمِثْلِها حَتّى اطْمَأَنَّ، ثُمَّ مَشى ساعةً، ثُمَّ عادَ لِمِثْلِها، فأخَذَ بِفَوْدِ رَأْسِهِ، ثُمَّ قالَ: اضْرِبُوا عَدُوَّ الله، فضَرَبُوهُ، فاخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ أسْيافُهُمْ، فلَمْ تُغْنِ شَيْئًا.

قالَ مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ: فذَكَرْتُ مِغْوَلًا في سَيْفي حِينَ رَأَيْتُ أسْيافَنا لا تُغْنِي شَيْئًا، فأخَذْتُهُ، وقَدْ صاحَ عَدُوُّ الله صَيْحةً لَمْ يَبْقَ حَوْلَنا حِصْنٌ إلّا وقَدْ أُوقِدَتْ عَلَيْهِ نارٌ، قالَ: فوَضَعْتُهُ في ثُنَّتِهِ، ثُمَّ تَحامَلْتُ عَلَيْهِ حَتّى بَلَغْتُ عانَتَهُ فوَقَعَ عَدُوُّ الله، وقَدْ أُصِيبَ الحارِثُ بنُ أوْسِ بنِ مُعاذٍ، فجُرِحَ في رَأْسِهِ أوْ في رِجْلِهِ، أصابَهُ بَعْضُ أسْيافِنا. قالَ: فخَرَجْنا حَتّى سَلَكْنا على بَنِي أُمَيّةَ بنِ زَيْدٍ، ثُمَّ على بَنِي قُرَيْظَةَ، ثُمَّ على بُعاثَ حَتّى أسْنَدْنا في حَرّةِ العريضِ، وقَدْ أبْطَأَ عَلَيْنا صاحِبُنا الحارِثُ بنُ أوْسٍ، ونَزَفَهُ الدَّمُ، فوَقَفْنا لَهُ ساعةً، ثُمَّ أتانا يَتْبَعُ آثارَنا. قالَ: فاحْتَمَلْناهُ فجِئْنا بِهِ رَسُولَ الله ﷺ آخِرَ اللَّيْلِ وهُوَ قائِمٌ يُصَلِّي، فسَلَّمْنا عَلَيْهِ، فخَرَجَ إلَيْنا، فأخْبَرْناهُ بِقَتْلِ عَدُوِّ الله، وتَفَلَ على جُرْحِ صاحِبِنا، فرَجَعَ ورَجَعْنا إلى أهْلِنا فأصْبَحْنا وقَدْ خافَتْ يَهُودُ لِوَقْعَتِنا بِعَدُوِّ الله، فلَيْسَ بِها يَهُودِيٌّ إلّا وهُوَ يَخافُ على نَفْسِهِ.

[شِعْرُ كَعْبِ بنِ مالِكٍ في مَقْتَلِ ابنِ الأشْرَفِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ كَعْبُ بنُ مالِكٍ:

فَغُودِرَ مِنْهُمْ كَعْبٌ صَرِيعًا ... فذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النَّضِيرُ
على الكَفَّـــينِ ثَمَّ وقَدْ عَلَتْهُ ... بِأيْدِينـــا مُشَـــهَّرةٌ ذُكُـــورُ
بِأمْـــرِ مُحَمَّـــدٍ إذْ دَسَّ لَيْلًا ... إلى كَعْبٍ أخا كَعْبٍ يَسِـــيرُ
فَماكَـــرَهُ فأنْـــزَلَهُ بِمَكْـــرٍ ... ومَحْمُودٌ أخُو ثِقةٍ جَسُـــورُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهَذِهِ الأبْياتُ في قَصِيدةٍ لَهُ في يَوْمِ بَنِي النَّضِيرِ، سَأذْكُرُها إنْ شاءَ اللهُ في حَدِيثِ ذلك اليَوْمِ.

[شِعْرُ حَسّانَ في مُقْتَلِ ابنِ الأشْرَفِ وابنِ أبي الحُقَيْقِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابتٍ يَذْكُرُ قَتْلَ كَعْبِ بنِ الأشْرَفِ وقَتْلَ سَلّامِ بنِ أبي الحُقَيْقِ:

للهِ دَرُّ عِصابَـــةٍ لاقَيْتهـــمْ ... يا ابنَ الحُقَيْقِ وأنْتَ يا ابنَ الأشْرَفِ
يَسْرُونَ بِالبِيضِ الخِفافِ إلَيْكُمُ ... مَرَحًا كَأُسْـــدٍ في عَرِيـــنٍ مُغْرِفِ
حَتّى أتَوْكُـــمْ في مَحِلِّ بِلادِكُمْ ... فسَـــقَوْكُمُ حَتْفًا بِبِيضٍ ذُفَّفِ
مُسْـــتَنْصِرِينَ لِنَصْرِ دِيـــنِ نَبِيِّهِمْ ... مُسْـــتَصْغِرِينَ لِـــكُلِّ أمْرٍ مُجْحِفِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وسَأذْكُرُ قَتْلَ سَلّامِ بنِ أبي الحُقَيْقِ في مَوْضِعِهِ إنْ شاءَ اللهُ.

وَقَوْلُهُ: «ذُفَّفِ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

وذَكَرَ في الّذِينَ قَتَلُوا كَعْبًا أبا عَبْسِ بنَ جَبْر[١]، واسْمُهُ: عَبْدُ الرّحْمَنِ، وذَكَرَ سِلْكانَ بنَ سَلامةَ، واسْمُهُ: سَعْدٌ[٢].

---

(١) «المحبر» لابن حبيب: (ص: ٢٨٢).

(٢) في «أسد الغابة» (٢: ٤١٤): «وسلكان لقبه، واسمه: سعد عند بعضهم».

[وذَكرَ شِعْر الفاوِيّ، وفيه](١): «بِبِيضٍ ذُفَّفِ». الذُّفَّفُ: جَمْعُ ذَفيفٍ، وهُو الخَفيفُ [السّريعُ](٢)، وهُو جَمْعٌ على غَيْرِ قِياسٍ، وإنّما فُعَّلٌ جَمْعُ فاعِلٍ، ولَكِنّ الذّفيفَ مِن السُّيُوفِ في معنى(٣) القاطِعِ والصّارِمِ.

وفيهِ: «في عَرِينٍ مُغْرِفِ». العَرِينُ: أجَمةُ الأسَدِ، وهُو الغَرِيفُ أيْضًا، والغَرِيفُ أيْضًا: الكَثِيرُ، فيَحْتَمِلُ أيضًا أنْ(٤) أرادَ بِمُغْرِفٍ مُكْثِرًا مِن الأُسْدِ، ويَحْتَمِلُ أن(٥) أرادَ بُمغْرِفٍ تَوْكِيدَ مَعْنى العَرِينِ، كَما يُقالُ: خَبِيثٌ مُخْبِثٌ.

وذَكرَ قَوْلَ امْرَأةِ كَعْبٍ: «إنِّي لأسمعُ صوتًا [أعرفُ](٦) فيه الشرَّ»، وفي «كِتابِ البُخارِيِّ»: «إنِّي لَأَسْمَعُ صَوْتًا يَقْطُرُ مِنْهُ الدّمُ»(٧).

وفيهِ: «ما رَأيْتُ كاليَوْمِ عِطْرًا»، مَعْناهُ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ: ما رَأيْتُ كَعِطْرٍ أراهُ اليَوْمَ عِطْرًا، كَذَلِكَ قالَ في قَوْلِ العَرَبِ: «لَمْ أرَ كاليَوْمِ رَجُلًا»؛ أيْ: كَرَجُلٍ أراهُ اليَوْمَ رَجُلًا، فحَذَفَ ما دَخَلَتْ عَلَيْهِ الكافُ، وحَذَفَ الفِعْلَ، وهُو «أرى»، وفاعِلَهُ ومَفْعُولَهُ(٨)، وهَذا حَذْفُ كَثِيرٍ لا سِيّما وقَدْ يُقالُ: ما رَأيْتُ كاليَوْمِ، ولا يَذْكُرُ بَعْدَهُ شَيْئًا إذا تَعَجّبْتَ، فدَلَّ على أنّهُمْ لَمْ يَحْذِفُوا هَذا الحَذْفَ الكَثِيرَ، ولَكِنّهُمْ أوْقَعُوا التَّعَجُّبَ على اليَوْمِ؛ لِأنّ الأيّامَ تَأْتِي بِالأعاجِيبِ(٩)، والعَرَبُ

---

(١) مكانه في (أ)، (ب): «وذكر في شعر حسان»

(٢) ليس في (ب).

(٣) في (ب)، (ج): «بمعنى».

(٤) في (ف): «أن يكون».

(٥) في (ف): «أنه».

(٦) عن (أ)، (ب).

(٧) «فتح الباري»، كتاب المغازي: (٧: ٣٣٦-٣٣٧).

(٨) «الكتاب» (١: ٢٢٤، ٢٨٤).

(٩) في (أ)، (ج): «بالعجائب».

تَذُمُّها وتَمْدَحُها في نَظْمِها ونَثْرِها، ويَعْلَمُ المُخاطَبُ أنّ اليَوْمَ لَمْ يُذَمَّ لِنَفْسِهِ ولا تُعُجِّبُ مِنْهُ لِنَفْسِهِ، فيَلْتَمِسُ مِنْك البَيانَ والتّفْسيرَ لِما تَعَجَّبْتَ مِنْهُ، فتَأْتِي بالتّمْييزِ لِتُبَيِّنَ؛ فـ«عِطْرًا» مَنْصُوبٌ على التّمْييزِ، والدّليلُ على ذَلِكَ: أنّهُ يجوزُ خَفْضُهُ بـ«مِنْ»؛ لِأنّهُ مُتَعَجَّبٌ مِنْهُ، فتَقُولُ: لَمْ أرَ كاليَوْمِ مِنْ رَجُلٍ!

وزاد غيرُ ابنِ إسحاقَ[1]: وهو إبْراهِيمُ بنُ سَعْدٍ، بَعْدَ قَوْلِهِ: «فمَشَوْا ساعةً»، وهو يُنشِدُهم كلمتَه أبياتًا، وهي[2]: [من الرمل]

رُبَّ خـالٍ لِـيَ لَـوْ أبْصَرْتَـهُ ... سَـبِـطِ الـمِشْيـةِ أبّـاءٍ أنِـفْ
لَـيِّـنِ الـجانِـبِ فـي أقْـرَبِـهِ ... وعلى الأعْداءِ كالسُّمِّ الذَّعِفْ[3]
وكِـرامٍ لَـمْ يَشِـنْهُمْ حَسَـبٌ ... أهْـلِ عِـزٍّ وحِفـاظٍ وشَـرَفْ
يَبْذُلُـونَ المـالَ فيمـا نابَهُـمْ ... لِحُقُـوقٍ تَعْتَرِيهِـمْ وعُـرُفْ
ولُيُـوثٍ حِيـنَ يَشْـتَدُّ الوغـى ... غَيْـرِ أنْـكاسٍ ولا مِيلٍ كُشُـفْ
فَهُـمُ أهْـلُ سَـماحٍ وقِـرًى ... وحِفـاظٍ لَـمْ يُعابُـوا بِصَلَـفْ
سَـكَنُوا مِـنْ يَثْـرِبٍ كُلَّ رُبًـى ... وسُهُولٍ حَيْثُ حَلّوا في أنَفْ[4]
وهُـمُ أهْـلُ مَـشـارِيـبَ بِها ... وحُـصُـونٍ ونَـخِيـلٍ وغُـرَفْ
ولَنـا بِئْـرٌ رَواءٌ جَمّـةٌ ... مَـنْ يَرِدْهـا بِإنـاءٍ يَغْتَـرِفْ[5]

---

(١) في (أ)، (ب)، (ف): «غير ابن هشام».

(٢) عدتها ١٣ بيتًا، انفرد «الروض» بستة منها، وهي من ٢ حتى ٨، والباقي تجده متفرقًا في «طبقات فحول الشعراء» (ص: ٢٨٣-٢٨٤)، و«الأغاني» (٢٥: ٨٨٣٤)، و«معجم البلدان» (جرف).

(٣) في صلب (أ): «الزعف»، بالزاي، وفي حاشيتها مثل ما أثبت، وكلاهما صواب.

(٤) أي: في عزة.

(٥) ماء رَواء: عذب.

وَنَـخِـيـلٌ فـي تِـلاعِ جَـمَّـةٍ تُخْرِجُ التَّمْـرَ كَأَمْثالِ الأكُفْ[١]
وصَرِيـرٌ مِـنْ محـالٍ خِلتَـهُ آخِـرَ الليـلِ مهاريجَ تَـدِفْ[٢]
تُدْلِـجُ الجُـونَ علـى أكْنافِهـا بِـدِلاءٍ ذاتِ أرْكانٍ صُـدُفْ[٣]
كُلُّ حاجاتِـيَ قَـدْ قَضَّيْتُهـا غَيْرَ حاجاتيَ في بطنِ الجُرفْ[٤]

* * *

(١) تلاع: جمع تَلْعة، وهي ما ارتفع من الأرض، يقول محمود شاكر: «يصف التمر في عناقيده كأنه أكف سِباط الأصابع. وهو بيت جيد».

(٢) الصرير: صوت كصوت الباب. والمحال: جمع محالة، وهي البكرة العظيمة تدور على محور تكون على الماء في الساقية، يُسمَع صوتها إذا دارت. ومهاريج: كذا في النسخ بالراء، وكأن صوابه مهازيج، جمع مهزج أو مهزاج ـ وإن لم تقع لي هذه الصيغة أو تلك ـ ويكون اسم آلة للهزج، وهو صوت مطرب، على أنّ في «طبقات ابن سلام»: أهازيج، وفسَّره المحقق بأنه جمع أهزاج، وقال: «والهزج من الغناء، يصف صوت المحال، وهي تدور فيأتيه أنينها آخر الليل من بعيد كأنه أهازيج قيان يضربنَ بالدف».

وتدف: هكذا في (ب)، (ف)، وفي (أ)، (ص): «تزف»، وفي (ج): «ترف».

(٣) «تدلج»: هكذا في النسخ بالجيم. يقال: دلج الساقي: أخذ الغَرْب ـ وهي الدلو العظيمة ـ من البئر فجاء بها إلى الحوض. والجون: واحدها جونة، وهي الدلو إذا اسودّت. والأكناف: النواحي. وكأنه أراد بالجون دِلاءً أخرى كبيرة على نواحي البئر، وأن المحال تملأ هذه الجون من دِلاء تحملها ذات أركان. فأما صُدف فكأنها جمع صَدُوف على التشبيه، يُشبِّه الدلاء في ميلانها حال صبها الماء بالمرأة تصدف وجهها عن زوجها. والله أعلم.

(٤) الجُرُف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام.

أَمْرُ مُحَيِّصَةَ وحُوَيِّصَةَ

[لَوْمُ حُوَيِّصةَ لِأخِيهِ مُحَيِّصةَ لِقَتْلِهِ يَهُودِيًّا ثُمَّ إسْلامُهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ ظَفِرْتُمْ بِهِ مِنْ رِجالِ يَهُودَ فاقْتُلُوهُ»، فوَثَبَ مُحَيِّصةُ بنُ مَسْعُودٍ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: مَحِيصةُ، ويُقالُ: مُحَيِّصةُ ابنُ مَسْعُودِ بنِ كَعْبِ بنِ عامِرِ بنِ عَدِيِّ بنِ مَجْدَعةَ بنِ حارِثةَ بنِ الحارِثِ ابنِ الخَزْرَجِ بنِ عَمْرِو بنِ مالِكِ بنِ الأوْسِ ـ على ابنِ سُنَيْنةَ ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: سُبَيْنةُ ـ رَجُلٍ مِنْ تُجّارِ يَهُودَ، كانَ يُلابِسُهُمْ ويُبايِعُهُمْ، فقَتَلَهُ، وكانَ حُوَيِّصةُ بنُ مَسْعُودٍ إذْ ذاكَ لَمْ يُسْلِمْ، وكانَ أسَنَّ مِنْ مُحَيِّصةَ، فلَمّا قَتَلَهُ جَعَلَ حُوَيِّصةَ يَضْرِبُهُ، ويَقُولُ: أيْ عَدُوَّ اللهِ، أقَتَلْتَهُ؟! أما واللهِ لَرُبَّ شَحْمٍ في بَطْنِكَ مِنْ مالِهِ. قالَ مُحَيِّصةُ: فقُلْتُ: واللهِ لَقَدْ أمَرَنِي بِقَتْلِهِ مَنْ لَو أمرني بقتلِك لَضَرَبْتُ عُنُقَك، قالَ: فَوَاللهِ إنْ كانَ لَأوَّلَ إسْلامِ حُوَيِّصةَ، قالَ: آوَاللهِ لَوْ أمَرَكَ مُحَمَّدٌ بِقَتْلِي لَقَتَلْتَنِي؟ قالَ: نَعَمْ، واللهِ لَوْ أمَرَنِي بِضَرْبِ عُنُقِكَ لَضَرَبْتُها! قالَ: واللهِ إنَّ دِينًا بَلَغَ بِكَ هذا لَعَجَبٌ. فأسْلَمَ حُوَيِّصةُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَدَّثَنِي هذا الحَدِيثَ مَوْلًى لِبَنِي حارِثةَ، عَن ابنةِ مُحَيِّصةَ، عَنْ أبيها مُحَيِّصةَ.

[شِعْرُ مُحَيِّصةَ في لَوْمِ أخِيهِ لَهُ]

فَقالَ مُحَيِّصةُ في ذلك:

يَلُومُ ابــنُ أُمِّي لَوْ أُمِــرْتُ بِقَتْلِهِ لَطَبَّقْــتُ ذِفْــراهُ بِأَبْيَضَ قاضِبِ
حُسامٍ كَلَوْنِ المِلْحِ أُخْلِصَ صَقْلُهُ مَتى ما أُصَوِّبْــهُ فلَيْسَ بِكاذِبِ
وَمــا سَرَّنِي أنِّي قَتَلْتُــكَ طائِعًــا وأنَّ لَنــا ما بَيْنَ بُــصْرى ومَأْرِبِ

[رِوايَةٌ أُخْرى في إسْلامِ حُوَيِّصَةَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي أبو عُبَيْدَةَ، عَنْ أبي عَمْرٍو المَدَنِيِّ، قالَ: لَمّا ظَفِرَ رَسُولُ الله ﷺ بِبَنِي قُرَيْظَةَ أخَذَ مِنْهُمْ نَحْوًا من أربع مئةِ رَجُلٍ مِن اليَهُودِ، وكانُوا حُلَفاءَ الأوْسِ على الخَزْرَجِ، فأمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بِأنْ تُضْرَبَ أعْناقُهُمْ، فجَعَلَت الخَزْرَجُ تَضْرِبُ أعْناقَهُمْ ويَسُرُّهُمْ ذلك، فنَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ إلى الخَزْرَجِ ووُجُوهُهُمْ مُسْتَبْشِرةٌ، ونَظَرَ إلى الأوْسِ فلَمْ يَرَ ذلك فيهِمْ، فظَنَّ أنَّ ذلك لِلْحِلْفِ الَّذي بَيْنَ الأوْسِ وبَيْنَ بَنِي قُرَيْظَةَ، ولَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ إلّا اثْنا عَشَرَ رَجُلًا، فدَفَعَهُمْ إلى الأوْسِ، فدَفَعَ إلى كُلِّ رَجُلَيْنِ مِن الأوْسِ رَجُلًا مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ، وقالَ: «لِيَضْرِبْ فُلانٌ، ولْيُذَفِّفْ فُلانٌ»، فكانَ مِمَّنْ دَفَعَ إلَيْهِمْ كَعْبُ بنُ يَهُوذا، وكانَ عَظِيمًا في بَنِي قُرَيْظَةَ، فدَفَعَهُ إلى مُحَيِّصةَ بنِ مَسْعُودٍ وإلى أبي بُرْدةَ بنِ نِيارٍ ـ وأبو بُرْدةَ الَّذي رَخَّصَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ في أنْ يَذْبَحَ جَذَعًا مِن المَعْزِ في الأضْحى ـ وقالَ: «لِيَضْرِبْهُ مُحَيِّصةُ، ولِيُذَفِّفْ عَلَيْهِ أبو بُرْدَةَ»، فضَرَبَهُ مُحَيِّصةُ ضَرْبةً لَمْ تَقْطَعْ، وذَفَّفَ أبو بُرْدَةَ فأجْهَزَ عَلَيْهِ. فقالَ حُوَيِّصةُ ـ وكانَ كافِرًا ـ لِأخِيهِ مُحَيِّصةَ: أقَتَلْتَ كَعْبَ بنَ يَهُوذا؟! قالَ: نَعَمْ، فقالَ حُوَيِّصةُ: أما واللهِ لَرُبَّ شَحْمٍ قَدْ نَبَتَ في بَطْنِكَ مِنْ مالِهِ، إنَّكَ لَلَئِيمٌ يا مُحَيِّصةُ، فقالَ لَهُ مُحَيِّصةُ: لَقَدْ أمَرَنِي بِقَتْلِهِ مَنْ لَو أمرني بقتلك لَقَتَلْتُكَ، فعَجِبَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ ذَهَبَ عَنْهُ مُتَعَجِّبًا. فذَكَرُوا أنَّهُ جَعَلَ يَتَيَقَّظُ مِن اللَّيْلِ فيعْجَبُ مِنْ قَوْلِ أخِيهِ مُحَيِّصةَ، حتّى أصْبَحَ وهُوَ

يَقُولُ: واللهِ إنَّ هذا لَدِينٌ. ثُمَّ أتى النَّبِيَّ ﷺ فأَسْلَمَ، فقالَ مُحَيِّصةُ في ذلك أبْياتًا قَدْ كَتَبناها.

[المُدّةُ بَيْنَ قُدومِ الرَّسُولِ بَحْرانَ وغَزْوةِ أُحُدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَتْ إقامةُ رَسُولِ الله ﷺ بَعْدَ قُدُومِهِ مِنْ بَحْرانَ جُمادى الآخِرةِ ورَجَبًا وشَعْبانَ وشَهْرَ رَمَضانَ، وغَزَتْهُ قُرَيْشٌ غَزْوةَ أُحُدٍ في شَوّالٍ سَنةَ ثَلاثٍ.

قَتْلُ مُحَيِّصة اليَهُودِيَّ[1]

مُحَيِّصةُ بنُ مَسْعُودٍ كانَ أصْغَرَ مِنْ أخِيهِ حُوَيِّصةَ، لَكِنْ[2] سَبَقَهُ إلى الإسْلام، كَما ذَكَرَ ابنُ إسْحاقَ، وشَهِدَ أُحُدًا والخَنْدَقَ، وأرْسَلَهُ النَّبيُّ ﷺ إلى أهْلِ فدَكَ يَدْعُوهُمْ إلى الإسْلامِ[3]، وهُو الَّذِي اسْتَفْتى رَسُولَ اللهِ ﷺ في أُجْرةِ الحَجّامِ، فقالَ لَهُ النَّبيّ ﷺ بعدما ألَحّ عَلَيْهِ في المَسْألةِ: «أَعْلِفْهُ ناضِحَك، واجْعَلْهُ في كَرِشِك»[4]؛ وذَلِكَ أنّ أبا طَيبةَ الحَجّامَ كانَ عَبْدًا لَهُ، وقَدْ تَقَدَّمَ اسْمُ أَبِي طَيبةَ[5].

وقَوْلُهُ: «ما بَيْنَ بُصْرى ومَأْرِبَ». بُصْرى بِالشّامِ، ومَأْرِبُ بِاليَمَنِ حَيْثُ كانَ السَّدُّ، ومَأْرِبُ: اسْمُ قَصْرٍ كانَ لِسَبَأٍ. وقالَ المَسْعُودِيُّ: مَأْرِبُ اسْمُ كُلِّ مَلِكٍ

---

(١) في (أ)، (ب): «لليهودي».

(٢) في (ف): «ولكن».

(٣) بعده في (ف): «كما ذكر ابن إسحاق».

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الإجارة: (٣: ٢٦٦)، والإمام أحمد في «مسنده» (٥: ٥٣٥-٥٣٦).

(٥) انظر: (٥: ١٦٥).

ولِيَ أمْرَ سَبَأٍ(١)، كَخاقانَ في التّرْكِ، وكِسْرى في الفُرْسِ، وقَيْصَرَ في الرُّومِ، والنّجاشِي في الحَبَشَةِ.

وحُويِّصةُ: تَصْغِيرُ حَوْصةٍ، مِنْ حُصْتُ الثّوْبَ: إذا خِطتَهُ.

وفي حَدِيثِهِما ذِكْرُ سُنَيْنةَ المَقْتُولِ، كَأنّهُ تَصْغِيرُ سِنٍّ. وقالَ ابنُ هِشامٍ في اسْمِهِ: «سُبَيْنةُ» بِالباءِ كَأنّهُ مصغَّرٌ تصغيرَ الترخيمِ مِنْ «سَبَنِيّةَ»، قالَ صاحِبُ «العَيْنِ»: السّبَنِيّةُ: ضَرْبٌ مِن الثِّيابِ(٢)، وأمّا شُنَيْنةُ(٣) بالشِّينِ المَنْقُوطةِ، فوالِدُ سقْلابِ بنِ شُنَيْنةَ، قَرَأ على نافِعِ بنِ أبِي نُعَيْمٍ، وقالَ: قالَ لِي نافِعٌ: يا سقْلابُ بَيِّنَ النُّونَ عِنْدَ الحاءِ والخاءِ والعَيْنِ والغَيْنِ والهاءِ والألِفِ.

❋ ❋ ❋

(١) «مروج الذهب ومعادن الجوهر» للمسعودي: (٢: ١٦٤). (ج)
(٢) «مختصر العين» للزبيدي: (٢: ٢٢٢).
(٣) «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٣: ١٣٤٤).

غَزْوَةُ أُحُدٍ

وَكانَ مِنْ حَدِيثِ أُحُدٍ، كَما حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ، ومُحَمَّدُ بنُ يَحْيى بنِ حِبّانَ، وعاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ، والحُصَيْنُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَمْرِو بنِ سَعْدِ بنِ مُعاذٍ، وغَيْرُهُمْ مِنْ عُلَمائِنا، كُلُّهُمْ قَدْ حَدَّثَ بَعْضَ الحَدِيثِ عَنْ يَوْمِ أُحُدٍ، وقَد اجْتَمَعَ حَدِيثُهُمْ كُلُّهُ فيما سُقْتُ مِنْ هذا الحَدِيثِ عَنْ يَوْمِ أُحُدٍ قالُوا، أَوْ مَنْ قالَهُ مِنْهُمْ:

[التَّحْرِيضُ على غَزْوِ الرَّسُولِ]

لَمّا أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ كُفّارِ قُرَيْشٍ أَصْحابُ القَلِيبِ، ورَجَعَ فَلُّهُمْ إلى مَكّةَ، ورَجَعَ أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ بِعِيرِهِ، مَشى عَبْدُ الله بنُ أبي رَبِيعةَ، وعِكْرِمةُ بنُ أبي جَهْلٍ، وصَفْوانُ بنُ أُمَيّةَ، في رِجالٍ مِنْ قُرَيْشٍ، مِمَّنْ أُصِيبَ آباؤُهُمْ وأبناؤُهُمْ وإخوانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فكَلَّمُوا أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ، ومَنْ كانَتْ لَهُ في تِلْكَ العِيرِ مِنْ قُرَيْشٍ تِجارةٌ، فقالُوا: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وتَرَكُمْ، وقَتَلَ خِيارَكُمْ، فأعِينُونا بِهذا المالِ على حَرْبِهِ، فلَعَلَّنا نُدْرِكُ مِنْهُ ثَأْرَنا بِمَنْ أصابَ مِنّا، ففَعَلُوا.

[ما نَزَلَ في ذلك مِن القُرْآنِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ففيهِمْ ـ كَما ذَكَرَ لِي بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ ـ أَنزَلَ الله تَعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا

ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٣٦].

[اجْتِماعُ قُرَيْشٍ لِلْحَرْبِ]

فاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِحَرْبِ رَسُولِ الله ﷺ حِينَ فعَلَ ذلك أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ، وأصْحابُ العِيرِ بِأحابِيشِها، ومَنْ أطاعَها مِنْ قَبائِلِ كِنانةَ وأهْلِ تِهامةَ، وكانَ أبو عَزّةَ عَمْرُو بنُ عَبْدِ اللهِ الجُمَحِيُّ قَدْ مَنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ، وكانَ فقِيرًا ذا عِيالٍ وحاجةٍ، وكانَ في الأُسارى، فقالَ:

إنِّي فقِيرٌ ذُو عِيالٍ وحاجةٍ قَدْ عَرَفْتَها، فامْنُنْ عَلَيَّ صَلّى الله عَلَيْكَ وسَلَّمَ. فمَنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ. فقالَ لَهُ صَفْوانُ بنُ أُمَيّةَ: يا أبا عَزّةَ، إنَّكَ امْرُؤٌ شاعِرٌ، فأَعِنّا بِلِسانِكَ، فاخْرُجْ مَعَنا، فقالَ: إنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَنَّ عَلَيَّ، فلا أُرِيدُ أنْ أُظاهِرَ عَلَيْهِ، قالَ: بَلى، فأعِنّا بِنَفْسِكَ، فلَكَ اللهُ عَلَيَّ إنْ رَجَعْتَ أنْ أُغْنِيَكَ، وإنْ أُصِبْتَ أنْ أجْعَلَ بَناتِكَ مَعَ بَناتِي، يُصِيبُهُنَّ ما أصابَهُنَّ مِنْ عُسْرٍ ويُسْرٍ. فخَرَجَ أبو عَزّةَ في تِهامةَ، ويَدْعُو بَنِي كِنانةَ ويَقُولُ:

إيهًا بَنِي عَبْدِ مَناةَ الرُّزّامْ أنْتُمْ حُماةٌ وأبوكُمْ حامْ
لا تَعِدُونِي نَصْرَكُمْ بَعْدَ العامْ لا تُسْلِمُونِي لا يَحِلُّ إسْلامْ

وَخَرَجَ مُسافِعُ بنُ عَبْدِ مَنافِ بنِ وهْبِ بنِ حُذافةَ بنِ جُمَحَ إلى بَنِي مالِكِ بنِ كِنانةَ، يُحَرِّضُهُمْ ويَدْعُوهُمْ إلى حَرْبِ رَسُولِ الله ﷺ، فقالَ:

يا مالِ، مالِ الحَسَبِ المُقَدَّمِ أنْشُدُ ذا القُرْبى وذا التَّذَمُّمِ

مَنْ كانَ ذا رُحْمٍ ومَنْ لَمْ يرْحَمِ الحِلْفُ وسْـــطَ البَلَدِ المُحَرَّمِ
عِنْدَ حَطِيمِ الكَعْبةِ المُعَظَّمِ

وَدَعا جُبَيْرُ بنُ مُطْعِمٍ غُلامًا لَهُ حَبَشِيًّا يُقالُ لَهُ: وحْشِيٌّ، يَقْذِفُ بِحَرْبةٍ لَهُ قَذْفَ الحَبَشةِ، قَلَّما يُخْطِئُ بِها، فقالَ لَهُ: اخْرُجْ مَعَ النّاسِ، فإنْ أنْتَ قَتَلْتَ حَمْزةَ عَمَّ مُحَمَّدٍ بِعَمِّي طُعَيْمةَ بنِ عَدِيٍّ، فأنْتَ عَتِيقٌ.

[خُرُوجُ قُرَيْشٍ مَعَهُمْ نِساؤُهُمْ]

قالَ: فخَرَجَتْ قُرَيْشٌ بِحَدِّها وجَدِّها وحَدِيدِها وأحابِيشِها، ومَنْ تابَعَها مِنْ بَنِي كِنانةَ، وأهْلِ تِهامةَ، وخَرَجُوا مَعَهُمْ بِالظُّعُنِ، التِماسَ الحَفيظةِ، وألّا يَفِرُّوا. فخَرَجَ أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ ـ وهُوَ قائِدُ النّاسِ ـ بهندَ بنتِ عُتْبةَ، وخَرَجَ عِكْرِمةُ بنُ أبي جَهْلٍ بِأُمِّ حَكِيمِ بِنْتِ الحارِثِ بنِ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ، وخَرَجَ الحارِثُ بنُ هِشامِ بنِ المُغِيرةِ بِفاطِمةَ بِنْتِ الوَلِيدِ بنِ المُغِيرةِ، وخَرَجَ صَفْوانُ بنُ أُمَيّةَ بِبَرْزةَ بِنْتِ مَسْعُودِ بنِ عَمْرِو بنِ عُمَيْرٍ الثَّقَفيةِ، وهِيَ أُمُّ عَبْدِ اللهِ بنِ صَفْوانَ بن أُمَيّةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: رُقَيّةُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وخَرَجَ عَمْرُو بنُ العاصِ بِرَيْطةَ بِنْتِ مُنَبِّهِ بنِ الحَجّاجِ، وهِيَ أُمُّ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو، وخَرَجَ طَلْحةُ بنُ أبي طَلْحةَ ـ وأبو طَلْحةَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ العُزّى بنِ عُثْمانَ بنِ عَبْدِ الدّارِ ـ بِسُلافةَ بِنْتِ سَعْدِ بنِ شَهِيدٍ الأنْصارِيّةِ، وهِيَ أُمُّ بَنِي طَلْحةَ: مُسافِعٌ، والجُلاسُ، وكِلابٌ، قُتِلُوا يَوْمئِذٍ هُمْ وأبوهُمْ، وخَرَجَتْ خُناسُ بِنْتُ مالِكِ بنِ المُضَرِبِ، إحْدى نِساءِ بَنِي مالِكِ بنِ حِسْلٍ مَعَ ابنِها أبي عزيزِ بنِ عُمَيْرٍ، وهِيَ أُمُّ مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ،

وخَرَجَتْ عَمْرةُ بِنْتُ عَلْقَمةَ إحْدى نِساءِ بَنِي الحارِثِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ. وكانَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبةَ كُلَّما مَرَّتْ بِوَحْشِيٍّ أوْ مَرَّ بِها، قالَتْ: ويْهًا أبا دَسْمةَ، اشْفِ واسْتَشْفِ. وكانَ وحْشِيٌّ يُكَنّى بِأبي دَسْمةَ، فأقْبَلُوا حَتّى نزلوا بِعَيْنَيْنِ، بِجَبَلٍ بِبَطْنِ السَّبْخةِ مِنْ قَناةَ على شَفيرِ الوادِي مُقابِلَ المَدِينةِ.

غَزْوةُ أُحُدٍ

وأُحُدٌ: الجَبَلُ المَعْرُوفُ بِالمَدِينةِ، سُمِّيَ بِهَذا الِاسْمِ لِتَوحُّدِهِ وانْقِطاعِهِ عَنْ جِبالٍ أُخَرَ هُنالِكَ، وقالَ[1] الرسولُ ﷺ: «هذا جَبَلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّهُ»[2]، ولِلْعُلَماءِ في مَعْنى هَذا الحَدِيثِ أقْوالٌ؛ قِيلَ: أرادَ أهْلَهُ، وهُم الأنْصارُ، وقِيلَ: أرادَ أنَّهُ كانَ يُبَشِّرُهُ إذا رَآهُ عِنْدَ القُدُومِ مِنْ أسْفارِهِ بِالقُرْبِ مِنْ أهْلِهِ ولِقائِهِمْ، وذَلِكَ فِعْلُ المُحِبِّ، وقِيلَ: بَلْ حُبُّهُ حَقِيقةٌ، وُضِعَ الحُبُّ فيهِ كَما وُضِعَ التَّسْبِيحُ في الجِبالِ المُسَبِّحةِ مَعَ داوُدَ، وكَما وُضِعَتِ الخَشْيةُ في الحِجارةِ الَّتِي قالَ اللهُ فيها: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]، وفي الآثارِ المُسْنَدةِ: أنَّ أُحُدًا يَوْمَ القِيامةِ عِنْدَ بابِ الجَنّةِ مِنْ داخِلِها، وفي بَعْضِها: أنّهُ رُكْنٌ لِبابِ الجَنّةِ، ذَكَرَهُ ابنُ سَلّامٍ في «تفسيره»، وفي «المسند» من طريقِ أبِي عَبْسِ بنِ جَبْرٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ: «أُحُدٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّهُ، وهُو على بابِ الجَنّةِ»، قالَ: «وعَيْرٌ[3] يُبْغِضُنا ونُبْغِضُهُ، وهُو على بابٍ مِنْ أبْوابِ النّارِ»، ويُقَوّيهِ قَوْلُهُ ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ

(١) في (ف): «وقال فيه».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام، «فتح الباري» (١٣: ٣٠٤).

(٣) عَير: جبل بالمدينة. انظر: «النهاية» لابن الأثير، وانظر الحديث في: «معجم البلدان» (أحد).

أحبّ»(١)، مَعَ قَوْلِهِ: «يُحِبُّنا ونُحِبُّهُ»، فتَناسَبَتْ هذهِ الآثارُ، وشَدَّ(٢) بَعْضُها بَعْضًا.

وقَدْ كانَ عَلَيْهِ السّلامُ يُحِبُّ الِاسْمَ الحَسَنَ، ولا أَحْسَنَ مِن اسْمٍ مُشْتَقٍّ مِن الأَحَدِيّةِ، وقَدْ سَمّى اللهُ سبحانه هَذا الجَبَلَ بِهَذا الِاسْمِ؛ تَقْدِمةً لِما أرادَهُ الله سُبْحانَهُ مِنْ مُشاكَلةِ اسْمِهِ لمَعْناهُ؛ إذْ أهْلُهُ ـ وهُم الأَنْصارُ ـ نَصَرُوا التَّوْحِيدَ والمَبْعُوثَ بِدِينِ التَّوْحِيدِ، عِنْدَهُ اسْتَقَرّ حَيًّا ومَيّتًا، وكانَ مِنْ عادَتِهِ عَلَيْهِ السّلامُ أنْ يَسْتَعْمِلَ الوِتْرَ ويُحِبَّهُ في شَأْنِهِ كُلِّهِ؛ اسْتِشْعارًا لِلْأَحَدِيّةِ، فقَدْ وافَقَ اسْمُ هَذا الجَبَلِ لِأَغْراضِهِ عَلَيْهِ السّلامُ ومَقاصِدِهِ في الأسْماءِ؛ فقَدْ بَدّلَ كَثِيرًا مِن الأسْماءِ اسْتِقْباحًا لَها مِنْ أسْماءِ البقاعِ وأسماءِ الناسِ، وذلك لا يُحصى كَثْرةً، فاسْمُ هَذا الجَبَلِ مِنْ أوْفَقِ الأَسْماءِ لَهُ، ومَعَ أنّهُ مُشْتَقٌّ مِن الأَحَدِيّةِ، فحَرَكاتُ حروفِهِ الرّفْعُ، وذَلِكَ يُشْعِرُ بارْتِفاعِ دِينِ الأَحَدِ(٣) وعُلُوِّهِ، فتَعَلّقَ الحُبُّ مِن النّبِيِّ ﷺ بِهِ اسْمًا ومُسَمًّى، فخُصَّ مِنْ بَيْنِ الجبالِ بأن يكونَ معه في الجنةِ إذا بُسَّتِ الجبالُ بسًّا، فكانتْ هباءً منبثًّا.

وفي أُحُدٍ قَبْرُ هارُونَ أخِي مُوسى عَلَيْهِما السّلامُ، وفيهِ قُبِضَ، وثَمّ واراهُ مُوسى عَلَيْهِ السّلامُ، وكانا قَدْ مَرّا بِأُحُدٍ حاجَّيْنِ، أوْ مُعْتَمِرَيْنِ، رُوِيَ هَذا المَعْنى في حَدِيثٍ أسْنَدَهُ الزُّبَيْرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ في كِتابِ «فضائِلِ المَدِينةِ»(٤).

وذَكَرَ ابنُ إسحاق مسيرَ قريشٍ بالظُّعُنِ التماسَ الحفيظةِ، والحَفيظةُ: الغَضَبُ لِلْحُرَمِ، يُقالُ: أُحْفِظَ الرّجُلُ: إذا أُغضِبَ.

---

(١) «فتح الباري»، كتاب الأدب: (١٠: ٥٥٧).

(٢) في (ص): «وقوى».

(٣) في (ف): «الإسلام».

(٤) علق الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧: ٣٤٦) قائلًا بعد نقله ما ذكره السهيلي هنا عن الزبير بن بكار: «وسند الزبير بن بكار في ذلك ضعيف جدًّا من جهة شيخه محمد بن الحسن بن زبالة، ومنقطع أيضًا وليس بمرفوع». (ج)

[رُؤْيا رَسُولِ الله ﷺ]

قالَ: فلَمّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ الله ﷺ والمُسْلِمُونَ قَدْ نَزَلُوا حَيْثُ نَزَلُوا، قالَ رَسُولُ الله ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ: «إنِّي قَدْ رَأيْتُ والله خَيْرًا، رَأيْتُ بَقَرًا، ورَأيْتُ في ذُبابِ سَيْفِي ثَلْمًا، ورَأيْتُ أنِّي أدْخَلْتُ يَدِي في دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فأوَّلْتُها المَدِينَةَ».

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: «رَأيْتُ بَقَرًا لِي تُذْبَحُ؟» قالَ: «فأمّا البَقَرُ فهِيَ ناسٌ مِنْ أصْحابِي يُقْتَلُونَ، وأمّا الثَّلْمُ الَّذي رَأيْتُ في ذُبابِ سَيْفِي، فهُوَ رَجُلٌ مِنْ أهْلِ بَيْتِي يُقْتَلُ».

[مُشاوَرةُ الرَّسُولِ القَوْمَ في الخُرُوجِ أو البَقاءِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: «فإنْ رَأيْتُمْ أنْ تُقِيمُوا بِالمَدِينَةِ وتَدَعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا، فإنْ أقامُوا أقامُوا بِشَرِّ مُقامٍ، وإنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنا قاتَلْناهُمْ فيها»، وكانَ رَأْيُ عَبْدِ الله بن أُبَيِّ بنِ سَلُولَ مَعَ رَأْيِ رَسُولِ الله ﷺ، يَرى رَأْيَهُ في ذلك، وألّا يَخْرُجَ إلَيْهِمْ، وكانَ رَسُولُ الله ﷺ يَكْرَهُ الخُرُوجَ، فقالَ رِجالٌ مِن المُسْلِمِينَ، مِمَّنْ أكْرَمَ الله بِالشَّهادةِ يَوْمَ أُحُدٍ وغَيْرِهِ، مِمَّنْ كانَ فاتَهُ بَدْرٌ: يا رَسُولَ الله، اخْرُجْ بِنا إلى أعْدائِنا، لا يَرَوْنَ أنّا جَبُنّا عَنْهُمْ وضَعُفْنا؟ فقالَ عَبْدُ الله بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ: يا رَسُولَ الله، أقِمْ بِالمَدِينةِ لا تَخْرُجْ إلَيْهِم، فوَالله ما خَرَجْنا مِنْها إلى عَدُوٍّ لَنا قَطُّ إلّا أصابَ مِنّا، ولا دَخَلَها عَلَيْنا إلّا أصَبنا مِنْهُ، فدَعْهُمْ يا رَسُولَ الله، فإنْ أقامُوا أقامُوا بِشَرِّ مَحْبِسٍ، وإنْ دَخَلُوا قاتَلَهُم الرِّجالُ في

وجْهِهِمْ، ورَماهُم النِّساءُ والصِّبْيانُ بِالحِجارةِ مِنْ فوْقِهِمْ، وإنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خائِبِينَ كَما جاؤُوا. فلَمْ يَزَل النّاسُ بِرَسُولِ الله ﷺ الَّذينَ كانَ مِنْ أمْرِهِمْ حُبُّ لِقاءِ القَوْمِ، حَتّى دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْتَهُ، فلَبِسَ لَأْمَتَهُ، وذلك يَوْمَ الجُمُعةِ حِيْنَ فرَغَ مِن الصَّلاةِ. وقَدْ ماتَ في ذلك اليَوْمِ رَجُلٌ مِن الأنْصارِ يُقالُ لَهُ: مالِكُ بنُ عَمْرٍو، أحَدُ بَنِي النَّجّارِ، فصَلّى عَلَيْهِ رَسُول الله ﷺ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِمْ، وقَدْ نَدِمَ النّاسُ، وقالُوا: اسْتَكْرَهْنا رَسُولَ الله ﷺ، ولَمْ يَكُنْ لَنا ذلك. فلَمّا خَرَجَ عَلَيْهِم رَسُولُ الله ﷺ، قالُوا: يا رَسُولَ الله، اسْتَكْرَهْناكَ ولَمْ يَكُنْ ذلك لَنا، فإنْ شِئْتَ فاقْعُدْ صَلّى الله عَلَيْكَ. فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ما يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إذا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أنْ يَضَعَها حَتّى يُقاتِلَ»، فخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ في ألْفٍ مِنْ أصْحابِهِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: واسْتَعْمَلَ ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ على الصَّلاةِ بِالنّاسِ.

[انْخِذالُ المُنافِقِينَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: حَتّى إذا كانُوا بِالشَّوْطِ بَيْنَ المَدِينةِ وأُحُدٍ، انْخَزَلَ عَنْهُ عَبْدُ الله بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ بِثُلُثِ النّاسِ، وقالَ: أطاعَهُمْ وعَصانِي، ما نَدْرِي عَلامَ نَقْتُلُ أنْفُسَنا ههُنا أيُّها النّاسُ؟! فرَجَعَ بِمَن اتَّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ أهْلِ النِّفاقِ والرَّيْبِ، واتَّبَعَهُمْ عَبْدُ الله بنُ عَمْرِو بنِ حَرامٍ، أخُو بَنِي سَلِمةَ، يَقُولُ: يا قَوْمِ، أُذَكِّرُكم اللهَ ألّا تَخْذُلُوا قَوْمَكُمْ وَنَبِيَّكُمْ عِنْد ما حَضَرَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فقالُوا: لَوْ نَعْلَمُ أنَّكُمْ تُقاتِلُونَ لَمَا أسْلَمْناكُمْ، ولَكِنّا لا نَرى أنَّهُ يَكُونُ قِتالٌ. قالَ: فلَمّا اسْتَعْصَوْا عَلَيْهِ وأبَوْا إلّا الِانْصِرافَ عَنْهُمْ، قالَ: أبْعَدَكُم اللهُ أعْداءَ اللهِ، فسَيُغْنِي الله عَنْكُمْ نَبِيَّهُ ﷺ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وذَكَرَ غَيْرُ زِيادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بنِ إسْحاقَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ: أَنَّ الأنْصارَ يَوْمَ أُحُدٍ قالُوا لِرَسُولِ الله ﷺ: يا رَسُولَ الله، ألا نَسْتَعِينُ بِحُلَفائِنا مِنْ يَهُودَ؟ فقالَ: «لا حاجَةَ لَنا فيهِمْ».

فَصْلٌ

وذَكَرَ رُؤْيا رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ رَأى بَقَرًا تُنْحَرُ حَوْلَهُ، وثُلْمةً في سَيْفِهِ، وفي غَيْرِ «السّيرةِ» قالَ: «رَأَيْتُ بَقَرًا تُنْحَرُ، واللهُ خَيْرٌ، فأوّلْتُ الخَيْرَ ما جاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الخَيْرِ»، ويُروى من الخير يَوْمَ بَدْرٍ، وكانَتْ(١) بَدْرٌ قَبْلَ أُحُدٍ، ولَكِنْ نَفَعَ اللهُ بِذَلِكَ الخَيْرِ الّذِي كانَ في بَدْرٍ، وكانَ فيهِ تَأْسِيةٌ وتَعْزِيةٌ لَهُمْ، فلِذَلِكَ تَضَمّنَتْهُ الرُّؤْيا، يقولُ اللهُ تَعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥]، [وفي البُخارِيّ: «ما جاءَ اللهُ بِهِ [مِنَ الخَيْرِ](٢) بَعْدَ بَدْرٍ»(٣). وفي مُسْلِمٍ: «وإذا الخَيْرُ ما جاءَ اللهُ بِهِ بَعْدُ، وثَوابُ الصّدْقِ الّذِي أتانا اللهُ بِهِ يَوْمَ بَدْرٍ»(٤)، وهذهِ أقَلُّ الرّواياتِ إشْكالًا](٥).

قالَ المُؤَلّفُ أبُو القاسِمُ: أمّا البقرُ فعبارةٌ عَنْ رجالٍ مُسَلَّحِينَ يَتَناطَحُونَ، وقَدْ رَأَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها مِثْلَ هَذا، فكانَ تَأْوِيلُهُ قَتْلَ مَنْ قُتِلَ مَعَها يَوْمَ الجَمَلِ.

---

(١) في (ف): «وقد كانت».
(٢) ليس في (ب).
(٣) «فتح الباري» كتاب التعبير (١٢/ ٤٢١).
(٤) «صحيح مسلم»، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ (٤: ١٧٨٠).
(٥) عن (أ)، (ب)، (ف).

وقَوْلُهُ: «واللهُ خَيْرٌ»؛ أيْ: رَأَيْتُ بَقَرًا تُنْحَرُ، ورَأَيْتُ هَذا الكَلامَ؛ لِأَنَّ الرّائِيَ قَدْ يُمَثَّلُ لَهُ كَلامٌ في خَلَدِهِ، فيَراهُ بِوهْمِهِ، كَما يَرى صُورةَ الأَشْياءِ، ومَنْ خَبَرَ أَحْوالَ الرُّؤْيا عَرَفَ هَذا مِنْ نَفْسِهِ ومِنْ غَيْرِهِ، ولَكِنِ الصُّورُ المرئيّةُ في النَّوْمِ تكُونُ في الغالِبِ أَمْثالًا مَضْرُوبةً، وقَدْ تكُونُ على ظاهِرِها، وأَمّا الكَلامُ الّذِي يَسْمَعُهُ بِسَمْعِ الوهْمِ مُمَثَّلًا في الخَلَدِ، فلا يَكُونُ إلّا على ظاهِرِهِ، مِثْلَ أَنْ يَسْمَعَ: أَنْتَ سالِمٌ، أَو اللهُ خَيْرٌ لَك، أَوْ ما أَشْبَهَ هَذا مِن الكَلامِ، فلَيْسَ لَهُ مَعْنًى سِوى ظاهِرِهِ.

* * *

[حادِثةٌ تَفاءَلَ بِها الرَّسُولُ]

قالَ زِيادٌ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ إسْحاقَ، قالَ: ومَضى رَسُول الله ﷺ حتّى سَلَكَ في حَرّةِ بَنِي حارِثَة، فذَبَّ فرَسٌ بِذَنَبِهِ، فأصابَ كُلّابَ سَيْفٍ فاسْتَلَّهُ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: كُلابُ سَيْفٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ رَسُولُ الله ﷺ ـ وكانَ يُحِبُّ الفَأْلَ ولا يَعْتافُ ـ لِصاحِبِ السَّيْفِ: «شِمْ سَيْفَكَ؛ فإنِّي أرى السُّيُوفَ ستُسَلُّ اليَوْمَ».

[ما كانَ مِنْ مِرْبَعٍ حِينَ سَلَكَ المُسْلِمُونَ حائِطَهُ]

ثُمَّ قالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَصْحابِهِ: «مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنا على القَوْمِ مِنْ كَثَبٍ ـ أيْ: مِنْ قُرْبٍ ـ مِنْ طَرِيقٍ لا يَمُرُّ بِنا عَلَيْهِمْ؟» فقالَ أبو خَيْثَمةَ أخُو بَنِي حارِثَةَ بنِ الحارِثِ: أنا يا رَسُولَ الله، فنَفَذَ بِهِ في حَرّةِ بَنِي حارِثَةَ وبَيْنَ أمْوالِهِمْ، حَتّى سَلَكَ في مالٍ لِمِرْبَعِ بنِ قَيْظِيٍّ، وكانَ رَجُلًا مُنافِقًا ضَرِيرَ البَصَرِ، فلَمّا سَمِعَ حِسَّ رَسُولِ الله ﷺ ومَنْ مَعَهُ مِن المُسْلِمِينَ، قامَ يَحْثِي في وُجُوهِهِم التُّرابَ، ويَقُولُ: إنْ كُنْتَ رَسُولَ الله فإنِّي لا أُحِلُّ لَكَ أنْ تَدْخُلَ حائِطِي. وقَدْ ذُكِرَ لِي أنَّهُ أخَذَ حَفْنةً مِنْ تُرابٍ في يَدِهِ، ثُمَّ قالَ: واللهِ لَوْ أعْلَمُ أنِّي لا أُصِيبُ بِها غَيْرَكَ ـ يا مُحَمَّدُ ـ لَضَرَبْتُ بِها وجْهَكَ. فابْتَدَرَهُ القَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا تَقْتُلُوهُ، فهذا الأعْمى أعْمى القَلْبِ، أعْمى البَصَرِ». وقَدْ بَدَرَ إلَيْهِ سَعْدُ بنُ زَيْدٍ أخُو بَنِي عَبْدِ الأشْهَلِ قَبْلَ نَهْيِ رَسُولِ الله ﷺ عَنْهُ، فضَرَبَهُ بِالقَوْسِ في رَأْسِهِ، فشَجَّهُ.

[نُزُولُ الرَّسُولِ بِالشِّعْبِ وتَعْبِيَتُهُ لِلْقِتالِ]

قالَ: ومَضى رَسُولُ الله ﷺ حَتّى نَزَلَ الشِّعْبَ مِنْ أُحُدٍ في عُدْوةِ الوادِي إلى الجَبَلِ، فجَعَلَ ظَهْرَهُ وعَسْكَرَهُ إلى أُحُدٍ، وقالَ: «لا يُقاتِلَنَّ أحَدٌ مِنْكُمْ حَتّى نَأْمُرَهُ بِالقِتالِ». وقَدْ سَرَّحَتْ قُرَيْشٌ الظَّهْرَ والكُراعَ في زُرُوعٍ كانَتْ بِالصَّمْغةِ مِنْ قَناةَ لِلْمُسْلِمِينَ، فقالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ حِينَ نَهى رَسُولُ الله ﷺ عَنِ القِتالِ: أتُرْعى زُرُوعُ بَنِي قَيْلَةَ ولمّا نُضارِبْ؟! وتَعَبّى رَسُولُ الله ﷺ لِلْقِتالِ وهُوَ في سبعِ مئةِ رَجُلٍ، وأمَّرَ على الرُّماةِ عَبْدَ الله بنَ جُبَيْرٍ أخا بَنِي عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، وهُوَ مُعْلَمٌ يَوْمئذٍ بِثِيابٍ بِيضٍ، والرُّماةُ خَمْسُونَ رَجُلًا، فقالَ: «انْضَح الخَيْلَ عَنّا بِالنَّبْلِ، لا يَأْتُونا مِنْ خَلْفِنا، إنْ كانَتْ لَنا أوْ عَلَيْنا، فاثْبُتْ مَكانَكَ لا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلِكِ».

وَظاهَرَ رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَ دِرْعَيْنِ، ودَفَعَ اللِّواءَ إلى مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ أخِي بَنِي عَبْدِ الدّارِ.

وذَكَرَ: «أنّ فرَسًا ذَبَّبَ بِذَيْلِهِ، فأصابَ كُلّابَ سَيْفٍ فسَلَّهُ». قالَ ابنُ هِشامٍ: كِلّاب[1] وهِيَ الحَدِيدةُ العَقْفاءُ، وهِيَ الّتِي تَلِي الغِمْدَ. وفي كِتابِ «العَيْنِ»[2]: الكَلْبُ مِسْمارٌ في قائِمِ السَّيْفِ.

قالَ: وكانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يتفاءَل ولا يَعْتافُ، يَعْتافُ: يَفْتَعِلُ مِن العِيافةِ. وظاهِرُ كَلامِهِ أنّ العِيافةَ في المَكْرُوهِ خاصّةً، والفَأْلَ في المَحْبُوبِ وقَدْ يَكُونُ في

(١) كذا ضبط في (ب)، وكان مثله في (أ)، ولكن ضرب على كسرة الكاف، ولم يقع لي هذا الضبط.

(٢) «مختصر العين» للزبيدي: (٢: ٣٣).

المكروهِ، والطِّيَرةُ تكونُ في المحبوبِ والمكروهِ، وفي الحَدِيثِ: أنَّهُ نَهى عَن الطِّيَرةِ، وقالَ: «خَيْرُها الفَأْلُ»، فدَلَّ على أنّها تكُونُ على وُجُوهٍ، والفَأْلُ خَيْرُها. ولَفْظُها يُعْطِي أنّها تَكُونُ في الخَيْرِ والشّرِّ؛ لِأَنّها مِن الطَّيْرِ، تَقُولُ العَرَبُ: جَرى لَهُ الطّائِرُ بِخَيْرٍ، وجَرى لَهُ بِشَرٍّ، وفي التّنْزِيلِ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ﴾ [الإسراء: ١٣].

وقَوْلُهُ في هَذا الحَدِيثِ: «إنّي أرى السّيُوفَ سَتُسَلُّ اليَوْمَ»، يُقَوِّي ما قَدّمْناهُ مِن التّوسُّمِ والزَّجْرِ المُصِيبِ، وأنّهُ غَيْرُ مَكْرُوهٍ، ولَكِنّهُ غَيْرُ مَقْطُوعٍ بِهِ إلّا أنْ يَكُونَ مِنْ كَلامِ النّبِيّ ﷺ، وقَدْ قَدّمْنا فيهِ قَوْلًا مُقْنِعًا في حَدِيثِ زَمْزَمَ[1] ونُقْرةِ الغُرابِ الأعْصَمِ، ولله[2] في كُلّ شَيْءٍ حِكْمةٌ، وإعْمالُ الفِكْرِ في الوقفِ على حِكْمةِ اللهِ تعالى عِبادةٌ.

* * *

(١) انظر: (٢: ٩٨).

(٢) في (ف): «وأنه».

[مَنْ أجازَهُم الرَّسُولُ وهُمْ في الخامِسةَ عَشْرةَ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وأجازَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمئِذٍ سَمُرةَ بنَ جُنْدُبٍ الفَزارِيَّ، ورافِعَ بنَ خَدِيجٍ أخا بَنِي حارِثةَ، وهُما ابنا خَمْسَ عَشْرةَ سَنةً، وكانَ قَدْ رَدَّهُما، فقِيلَ لَهُ: يا رَسُولَ اللهِ، إنَّ رافِعًا رامٍ. فأجازَهُ، فلَمّا أجازَ رافِعًا، قِيلَ لَهُ: يا رَسُولَ اللهِ، فإنَّ سَمُرةَ يَصْرَعُ رافِعًا. فأجازَهُ، ورَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُسامةَ بنَ زَيْدٍ، وعَبْدَ اللهِ بنَ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ، وزَيْدَ بنَ ثابِتٍ أحَدَ بَنِي مالِكِ بنِ النَّجّارِ، والبَراءَ بنَ عازِبٍ أحَدَ بَنِي حارِثةَ، وعَمْرَو بنَ حَزْمٍ أحَدَ بَنِي مالِكِ ابنِ النَّجّارِ، وأُسَيْدَ بنَ ظُهَيْرٍ أحَدَ بَنِي حارِثةَ، ثُمَّ أجازَهُمْ يَوْمَ الخَنْدَقِ، وهُمْ أبناءُ خَمْسَ عَشْرةَ سَنةً.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وتَعَبَّأَتْ قُرَيْشٌ، وهُمْ ثَلاثةُ آلافِ رجلٍ، ومَعَهُمْ مِئَتا فرَسٍ قَدْ جَنَبُوها، فجَعَلُوا على مَيْمَنةِ الخَيْلِ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ، وعلى مَيْسَرَتِها عِكْرِمةَ بنَ أبي جَهْلٍ.

[أمْرُ أبي دُجانةَ]

وَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ يَأْخُذُ هذا السَّيْفَ بِحَقِّهِ؟» فقامَ إلَيْهِ رِجالٌ، فأمْسَكَهُ عَنْهُمْ، حَتّى قامَ إلَيْهِ أبو دُجانةَ سِماكُ بنُ خَرَشةَ أخُو بَنِي ساعِدةَ، فقالَ: وما حَقُّهُ يا رَسُولَ اللهِ؟ قالَ: «أن تَضربَ بِهِ العَدُوَّ حَتّى يَنْحَنِيَ»، قالَ: أنا آخُذُهُ يا رَسُولَ اللهِ بِحَقِّهِ، فأعْطاهُ إيّاهُ. وكانَ أبو دُجانةَ رَجُلًا شُجاعًا يَخْتالُ عِنْدَ الحَرْبِ إذا كانَتْ، وكانَ إذا أُعلِمَ بِعِصابةٍ لَهُ حَمْراءَ فاعتَصَبَ بها، علِمَ

الناسُ أنَّهُ سَيُقاتِلُ، فلَمّا أخَذَ السَّيْفَ مِنْ يَدِ رَسُولِ الله ﷺ أخْرَجَ عِصابَتَهُ تِلْكَ، فعَصَبَ بِها رَأْسَهُ، وجَعَلَ يَتَبَخْتَرُ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي جَعْفَرُ بنُ عَبْدِ الله بنِ أسْلَمَ مَوْلى عُمَرَ بنِ الخَطّابِ، عَنْ رَجُلٍ مِن الأنْصارِ مِنْ بَنِي سَلِمةَ، قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ رَأى أبا دُجانةَ يَتَبَخْتَرُ: «إنَّها لَمِشْيةٌ يُبغِضُها اللهُ إلّا في مِثْلِ هذا المَوْطِنِ».

[أمْرُ أبي عامِرٍ الفاسِقِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ: أنَّ أبا عامِرٍ عَبْدَ عَمْرِو ابنِ صَيْفيٍّ بنِ مالِكِ بنِ النُّعْمانِ، أحَدَ بَنِي ضُبَيْعةَ، وقَدْ كانَ خَرَجَ حِينَ خَرَجَ إلى مَكّةَ مُباعِدًا لِرَسُولِ الله ﷺ، مَعَهُ خَمْسُونَ غُلامًا مِن الأوْسِ، وبَعْضُ النّاسِ كانَ يَقُولُ: كانُوا خَمْسةَ عَشَرَ رَجُلًا، وكانَ يَعِدُ قُرَيْشًا أنْ لَوْ قَدْ لَقِيَ قَوْمَهُ لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنهُمْ رَجُلانِ، فلَمّا التَقى النّاسُ كانَ أوَّلَ مَنْ لَقِيَهُمْ أبو عامِرٍ في الأحابِيشِ وعُبْدانِ أهْلِ مَكّةَ، فنادى: يا مَعْشَرَ الأوْسِ، أنا أبو عامِرٍ، قالُوا: فلا أنْعَمَ اللهُ بِكَ عَيْنًا يا فاسِقُ ـ وكانَ أبو عامِرٍ يُسَمّى في الجاهِلِيّةِ: الرّاهِبَ، فسَمّاهُ رَسُولُ الله ﷺ: الفاسِقَ ـ فلَمّا سَمِعَ رَدَّهُمْ عَلَيْهِ قالَ: لَقَدْ أصابَ قَوْمِي بَعْدِي شَرٌّ. ثُمَّ قاتَلَهُمْ قِتالًا شَدِيدًا، ثُمَّ راضَخَهُمْ بِالحِجارةِ.

[أُسْلُوبُ أبي سُفيانَ في تَحْرِيضِ قُرَيْشٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقَدْ قالَ أبو سُفيانَ لِأصْحابِ اللِّواءِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدّارِ يُحَرِّضُهُمْ بِذلك على القِتالِ: يا بَنِي عَبْدِ الدّارِ، إنَّكُمْ قَدْ وُلِّيتُم لِواءَنا يَوْمَ

بَدْرٍ، فأصابَنا ما قَدْ رَأَيْتُمْ، وإنَّما يُؤْتى النّاسُ مِنْ قِبَلِ راياتِهِمْ إذا زالَتْ زالُوا، فإمّا أنْ تَكْفُونا لِواءَنا، وإمّا أنْ تُخَلُّوا بَيْنَنا وبَيْنَهُ فنَكْفيكُمُوهُ. فهَمُّوا بِهِ وتَواعَدُوهُ، وقالُوا: نَحْنُ نُسْلِمُ إلَيْكَ لِواءَنا؟! سَتَعْلَمُ غَدًا إذا التَقَيْنا كَيْفَ نَصْنَعُ، وذلك أرادَ أبو سُفيانَ.

[تَحْرِيضُ هِنْدَ والنِّسْوةِ مَعَها]

فَلَمّا التَقى النّاسُ، ودَنا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، قامَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ في النِّسْوةِ اللّاتِي مَعَها، وأخَذْنَ الدُّفُوفَ يَضْرِبنَ بِها خَلْفَ الرِّجالِ، ويُحَرِّضْنَهُمْ، فقالَتْ هِنْدُ فيما تَقُولُ:

وَيْهًا بَني عَبْدِ الدّارْ ... ويْهًا حُماةَ الأَدْبارْ
ضَرْبًا بِكُلِّ بَتّارْ

وَتَقُولُ:

إنْ تُقْبِلُوا نُعانِقْ ... ونَفْرِش النَّمارِقْ
أوْ تُدْبِرُوا نُفارِقْ ... فِراقَ غَيْرِ وامِقْ

[شِعارُ المُسْلِمِينَ]

وَكانَ شِعارُ أَصْحابِ رَسُول الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ: أمِتْ، أمِتْ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ.

[تَمامُ قِصّةِ أبي دُجانَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فاقْتَتَلَ النّاسُ حَتّى حَمِيَت الحَرْبُ، وقاتَلَ أبو دُجانَةَ حَتّى أمْعَنَ في النّاسِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنِي غَيْرُ واحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، أَنَّ الزُّبَيْرَ بنَ العَوّامِ قالَ: وَجَدْتُ في نَفْسِي حِينَ سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ السَّيْفَ فمَنَعْنِيهِ وأَعْطاهُ أبا دُجانَةَ، وقُلْتُ: أنا ابنُ صَفيةَ عَمَّتِهِ، ومِنْ قُرَيْشٍ، وقَدْ قُمْتُ إلَيْهِ فسَأَلْتُهُ إيّاهُ قَبْلَهُ، فأَعْطاهُ إيّاهُ وتَرَكَنِي، واللهِ لأَنْظُرَنَّ ما يَصْنَعُ، فاتَّبَعْتُهُ، فأَخْرَجَ عِصابةً لَهُ حَمْراءَ، فعَصَبَ بِها رَأْسَهُ، فقالَتِ الأنْصارُ: أَخْرَجَ أبو دُجانَةَ عِصابَةَ المَوْتِ، وهَكَذا كانَتْ تَقُولُ لَهُ إذا تَعَصَّبَ بِها. فخَرَجَ وهُوَ يَقُولُ:

أنــا الَّذي عاهَــدَنِي خَلِيلِي ... ونَحْنُ بِالسَّــفْحِ لَدى النَّخِيلِ
ألّا أقُــومَ الدَّهْــرَ في الكَيُّولِ ... أَضْرِبُ بِسَيْفِ الله والرَّسُولِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُرْوى: «في الكُبولِ».

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فجَعَلَ لا يَلْقى أحَدًا إلّا قَتَلَهُ. وكانَ في المُشْرِكِينَ رَجُلٌ لا يَدَعُ لَنا جَرِيحًا إلّا ذَفَّفَ عَلَيْهِ، فجَعَلَ كُلُّ واحِدٍ مِنْهُما يَدْنُو مِنْ صاحِبِهِ.

فَدَعَوْتُ اللهَ أنْ يَجْمَعَ بَيْنَهُما، فالتَقَيا، فاخْتَلَفا ضَرْبَتَيْنِ، فضَرَبَ المُشْرِكُ أبا دُجانَةَ، فاتَّقاهُ بِدَرَقَتِهِ، فعَضَّتْ بِسَيْفِهِ، وضَرَبَهُ أبو دُجانةَ فقَتَلَهُ، ثُمَّ رَأَيْتُهُ قَدْ حَمَلَ السَّيْفَ على مَفْرِقِ رَأْسِ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ، ثُمَّ عَدَلَ السَّيْفَ عَنْها. قالَ الزُّبَيرُ: فقُلْتُ: اللهُ ورَسُولُهُ أعْلَمُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ أبو دُجانةَ سِماكُ بنُ خَرَشَةَ: رَأَيْتُ إنْسانًا يَحْمِشُ النّاسَ حَمْشًا شَدِيدًا، فصَمَدْتُ لَهُ، فلَمّا حَمَلْتُ عَلَيْهِ السَّيْفَ ولْوَلَ فإذا امْرَأةٌ، فأَكْرَمْتُ سَيْفَ رَسُولِ الله ﷺ أنْ أَضْرِبَ بِهِ امْرَأةً.

فَصْلٌ

وذَكرَ المُسْتَصْغَرِينَ يَوْمَ أُحُدٍ الّذِينَ أرادُوا الخُرُوجَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فرَدَّهم لِصغرِهِم، مِنْهُم: البَراءُ بنُ عازِبٍ، وأُسَيْدُ بنُ ظُهَيْرٍ(١)، وزَيْدُ بنُ ثابِتٍ، إلى آخرِهِمْ، ولَمْ يَذْكُرْ فيهِمْ عَرابةَ بنَ أوْسِ بنِ قَيْظِيٍّ، وقَدْ ذَكَرَتْهُ طائِفةٌ فيهِمْ، ومِمّنْ ذَكرَهُ فيهِم القُتَبِيُّ في كِتابِ «المَعارِفِ»(٢)، وهُو الّذِي يَقُولُ فيهِ الشّمّاخُ(٣): [من الوافر]

إذا ما رايةٌ رُفعَتْ لمجدٍ   تلقّاها عَرابةُ باليَمينِ

ولِعَرابةَ أخٌ اسْمُهُ: كَباثةُ(٤)، لَهُ صُحْبةٌ.

ومِن المستصغَرينَ يومَ أُحدٍ: سعدُ بنُ حَبْتةَ، عُرِفَ بِأُمّهِ، وهِيَ حَبْتةُ بنْتُ مالِكٍ الأنصاريّةُ، وهو سعد بن بَحيرٍ مِنْ بَجِيلةَ، رَدّهُ رسولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ لِصِغَرِه، فلَمّا كانَ يَوْمُ الخَنْدَقِ رَآهُ يُقاتِلُ قِتالًا شَدِيدًا، فدَعاهُ ومَسَحَ على رَأْسِهِ، ودَعا لَهُ بِالبَرَكةِ في ولَدِهِ ونَسْلِهِ، فكانَ عَمًّا لِأرْبَعِينَ، وخالًا لِأرْبَعِينَ، وأبًا لِعِشْرينَ، ومِنْ ولَدِهِ أبُو يُوسُفَ القاضِي يَعْقُوبُ بنُ إبْراهِيمَ بنِ حَبِيبِ بنِ خُنَيسٍ(٥) بنِ سَعْدِ بنِ حَبْتةَ.

---

(١) في حاشية (أ): «وأما ابن حضير فكان كبيرًا إذ ذاك».

(٢) «المعارف» (ص: ٣٣٠).

(٣) «ديوانه» (ص: ٣٣٦).

(٤) في (أ): «كنانة»، وكأنها معدلة. وما أثبتناه يوافق ما في «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (٤: ١٩٦٣)، وفي «حاشيته عن التوضيح» (٢: ٤٦٧): «بموحدة مفتوحة مخففة بعد الكاف المفتوحة».

(٥) في (أ): «حبيش»، وفي (ب): «حسين»، وكلاهما محرَّف. انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني: (١: ١٥٩)، (٢: ٦٩٤)، (٣: ١٤١٠)، و«أسد الغابة» (٣: ٣٣٩).

وذَكرَ قَوْلَ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبةَ(١): [من مجزوء الرجز]

ويْهًـا بَنِي عَبْـدِ الدّارْ

«ويْهًا»: كَلِمةٌ مَعْناها الإغْراءُ. قالَ الرّاجِزُ(٢): [من الرجز]

وهْو إذا قِيلَ له: ويهًا فُلُ   فإنه مُواشِـكٌ مُسْتَعجِلُ

فأمّا «واهًا» فإنّ مَعْناها التّعَجُّبُ، و«إيهًا» مَعْناها: الأمْرُ بِالكَفِّ(٣).

وقَوْلُها: [من مجزوء الرجز]

إنْ تُقْبِلُوا نُعانِقْ

فيُقالُ: إنّها تَمَثّلَتْ بِهَذا الرّجَزِ، وإنّهُ لِهِنْدَ بِنْتِ طارِقِ بنِ بَياضةَ الإيادِيّةِ، قالَتْهُ في حَرْبِ الفُرْسِ لإيادٍ، فعَلى هذا يكونُ إنشادُه: «بَناتِ طارِقْ»، بِالنّصْبِ على الِاخْتِصاصِ، كَما قالَ(٤): [من مجزوء الرجز]

نَحْنُ بَنِي ضَبّـةَ أصْحاب الجَمَلْ

وإنْ كانَتْ أرادتِ النّجمَ فـ«بناتُ» مرفوعٌ؛ لِأنّهُ خَبَرُ مُبْتَدَإٍ؛ أيْ: نَحْنُ شَرِيفاتٌ رَفِيعاتٌ كالنّجُومِ، وهَذا التّأْوِيلُ عِنْدِي بَعِيدٌ؛ لِأنّ طارِقًا وصْفٌ لِلنّجْمِ لِطُرُوقِهِ، فلَوْ أرادَتْهُ لَقالَتْ: بَناتُ الطّارِقِ، إلّا أنّي وجَدْتُ لِلزّبَيْرِ بنِ أبِي بَكْرٍ أنّهُ قالَ في كِتابِ «أنْسابِ قُرَيْشٍ» له أوّل هذا الرَّجَزِ الذي قالَتْه هِنْدُ يَوْمَ أُحُدٍ: [من مجزوء الرجز]

---

(١) «الأغاني» (١٥: ٥٥٠٠)، وفيه: «إيهًا».

(٢) الرجز في «اللسان» (فلن، ويه)، وفيه: «ويهًا كلُ».

(٣) انظر: «ارتشاف الضرب» لأبي حيان: (٥: ٢٢٩٧).

(٤) الرجز للأعرج المعنيِّ، وهو في «شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي: (١: ٢٩١).

نَحْنُ بَنــاتُ طارِقْ   نَمْشِي على النّمارقْ
مشي القطــا النّواتقْ

إلى آخِـرِ الرّجَـزِ، قالَ: وحَدّثَنِي يَحْيى بنُ عَبْدِ المَلِكِ الهُدَيْـرِيُّ، قالَ: جَلَسْتُ لَيْلةً وراءَ الضّحّاكِ بنِ عُثْمانَ الحزاميِّ في مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وأنا مُتَقَنّعٌ، فذَكرَ الضّحّاكُ وأصْحابُهُ قَوْلَ هِنْدَ يَوْمَ أُحُدٍ: [من مجزوء الرجز]

نَحْــنُ بَناتُ طارِقْ

فقالُوا: ما طارِقٌ؟ فقُلْت: النّجْمُ، فالتَفَتَ الضّحّاكُ، فقالَ: أبا زَكَرِيّا، وكَيْفَ بذَلِكَ؟ فقُلْت(١): قالَ اللهُ تبارَكَ وتَعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ * ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ١-٣]؛ فإنّها قالَتْ: نَحْنُ بَناتُ النّجْمِ، فقالَ: أحْسَنْت.

وذَكَرَ أبا دُجانةَ، ولُبْسَهُ المُشَهّرةَ(٢)، وأبُو دُجانةَ السّاعِدِيُّ مِمّنْ دافَعَ عَن النّبيّ ﷺ وحَنا عَلَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ وتَرَّسَ بِنَفْسِهِ، حَتّى كَثُرَت النّبْلُ في ظَهْرِهِ، واسْتُشْهِدَ يَوْمَ اليَمامةِ بَعْدَ أنْ شارَكَ في قَتْلِ مُسَيْلِمةَ، اشْتَرَكَ في قَتْلِهِ هُو ووحْشِيٌّ وعَبْدُ اللهِ بنُ زَيْدٍ، وسَنَذْكُرُ ما قالَهُ سَيْفُ بنُ عُمَرَ في قاتِلِ مُسَيْلِمةَ في آخِرِ البابِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى(٣).

وذَكَرَ قَولَ أبي دُجانةَ: [من الرجز]

إنّــي امــرؤٌ عاهَدَني خليلي

يَعْنِي: رَسُولَ اللهِ ﷺ، وكَذَلِكَ كانَ أبُو هُرَيْرةَ يَقُولُ: «حَدَّثَنِي خَلِيلِي»،

---

(١) في (ف): «قلت».
(٢) في (ب): «ونسبته المشتهرة». وكان أبو دجانة قد عصب رأسه بعصابة حمراء.
(٣) انظر: (٥: ٤٣٥).

وأنْكَرَهُ عَلَيْهِ بَعْضُ الصّحابةِ، وقالَ لَهُ: مَتى كانَ خَلِيلَك؟! وإنّما أنْكَرَ عَلَيْهِ [هَذا][(١)] المُنْكِرُ[(٢)] لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السّلامُ: «لَوْ كُنْتُ مُتّخِذًا خَلِيلًا لاتخذتُ أبا بَكْرٍ خَلِيلًا[(٣)]، ولَكِنْ أُخُوّةُ الإسْلامِ»، ولَيْسَ في هَذا الحَدِيثِ ما يَدْفَعُ أنْ يَقُولَ الصّحابِيُّ: حَدّثَنِي خَلِيلِي؛ لِأنّهُمْ يُرِيدُونَ[(٤)] مَعْنى الحَبِيبِ، وإنّما فيهِ أنّ النّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَقُولُها لِأحدٍ مِنْ أصْحابِهِ، ولا خصّ بها أحَدًا دُونَ أنْ يَمْنَعَ غَيْرَهُ مِنْ أصْحابِهِ أنْ يَقُولَها لَهُ، وما كانَ في قُلُوبِهِمْ مِن المَحَبّةِ [لَهُ][(٥)] يَقْتَضِي هَذا وأكْثَرَ مِنْهُ، ما لَمْ يَكُن الغُلُوُّ والقَوْلُ المَكْرُوهُ؛ فقَدْ قالَ عَلَيْهِ السّلامُ: «لا تُطْرُونِي كَما أطْرَت النّصارى المَسِيحَ؛ فإنّما أنا عَبْدُ اللهِ ورَسُولُهُ»[(٦)]. وقالَ لِرَجُلٍ قالَ لَهُ: أنْتَ سَيّدُنا وأطْولُنا طولًا، وأنْتَ الجَفْنَةُ الغَرّاءُ، فقالَ: «قُولُوا بقَوْلِكُمْ، ولا يَسْتَجْرِيَنّكم الشّيْطانُ»[(٧)]؛ أيْ: قُولُوا بِقَوْلِ أهْلِ دِينِكُمْ وأهْلِ مِلّتِكُمْ[(٨)]، كَذا فسّرَهُ الخَطّابِيُّ[(٩)]، ومَعْناهُ عِنْدِي: قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، لا بِقَوْلِ الشّيْطانِ؛ لِأنّهُ قَدْ جَعَلَهُمْ جريًّا له؛ أي: وكيلًا ورسولًا، وإذا كانوا جريًّا له، وقالُوا ما يُرْضِيهِ مِن الغُلُوِّ في المَنْطِقِ[(١٠)]؛ فقَدْ قالُوا بِقَوْلِهِ. و«يَسْتجْرِيَنّكم» مِنْ قَوْلِهِمْ:

---

(١) عن (ص)، (ف).

(٢) في (ف): «وإنما أنكر عليه المنكر هذا».

(٣) «فتح الباري»، كتاب الصلاة: (١ : ٥٥٨).

(٤) في (ف): «يريدون به».

(٥) عن (أ)، (ج)، (ف).

(٦) «فتح الباري»، كتاب الأنبياء: (٦: ٤٧٨).

(٧) «سنن أبي داود»، كتاب الأدب: (٤: ٢٥٤).

(٨) في (ف): «بقول أهل ملتكم وأهل دينكم».

(٩) الذي في «غريب الحديث» (٣: ٢٦٤): «معناه: لا يتخذنكم الشيطان جريًّا. والجَريّ: الأجير والوكيل».

(١٠) في (ف): «النطق».

جَرَّيْتُ[١] جَريًّا، أيْ: وكّلْتُ وكَيْلًا.

وقالَ لَهُ رَجُلٌ آخَرُ: أَنْتَ أَشْرَفُنا حَسَبًا، وأكْرَمُنا أُمًّا وأبًا، فقال: «كم دونَ لِسانِك مِنْ طَبَقٍ؟» فقالَ: أرْبَعةُ أطْباقٍ، فقالَ: «أما كانَ فيها ما يَزَعُ مِنِّي[٢] غَرْبَ لِسانِك؟». رَواهُ ابنُ وهْبٍ في «جامِعِهِ».

وقَوْلُ أَبِي دُجانَةَ: [من الرجز]

أَلّا أقومَ الدَّهْــرَ في الكَيُّولِ

قالَ أَبُو عُبَيْدٍ: الكَيّولُ: آخِرُ الصّفُوفِ. قالَ أبو عبيدٍ: ولَمْ يُسْمَعْ إلّا في هَذا الحَدِيثِ[٣]، وقالَ الهَرَوِيُّ مِثْلَ ما قالَ أَبُو عُبَيْدٍ، وزادَ في الشّرْحِ، وقالَ: سُمِّيَ بِكَيّولِ الزَّنْدِ، وهِيَ[٤] سَوادٌ ودُخانٌ يَخْرُجُ مِنْهُ آخِرًا بَعْدَ القَدَحِ إذا لم يورِ نارًا، وذلك شيءٌ لا غَناء فيهِ، يُقالُ فيْهُ: كالَ الزّنْدَ يَكُولُ، فالكَيُّولُ فيْعُولٌ مِنْ هَذا، وكَذَلِكَ كَيُّولُ الصُّفُوفِ من الحربِ [لا يُوقِدُ نارَ الحَرْبِ][٥] ولا يُذْكِيها، هَذا مَعْنى كَلامِهِ لا لَفْظُهُ. وقالَ أَبُو حَنِيفةَ نَحْوًا مِنْ هَذا، إلّا أَنّهُ قالَ: كالَ الزّنْدَ يَكِيلُ بِالياءِ[٦] لا غَيْرُ.

وقَوْلُهُ: «رَأَيْتُ رَجُلًا يَحْمُشُ النّاسَ حَمْشًا شَدِيدًا»، يُرْوى بِالشّيْنِ والسّينِ، فالمَعْنى بِالسِّينِ غَيْرِ مُعْجَمةٍ في هَذا المَكانِ: الشّدّةُ، كَأَنّهُ قالَ: يَشُدّهُمْ

(١) في (ف): «قد جريت».

(٢) في (ف): «عني».

(٣) «غريب الحديث» (٢: ٢٤٦).

(٤) في (ف): «وهو».

(٥) سقط من (أ).

(٦) «النبات» (١٣٦).

ويُشَجِّعُهُمْ؛ لِأَنَّهُ يُقالُ: رَجُلٌ أحْمَسُ، أيْ: شُجاعٌ شَدِيدٌ، والمَعْنى فيهِ بالشِّينِ المُعْجَمةِ(١): الإيقادُ والإغْضابُ؛ لِأَنَّهُ يُقالُ: أحْمَشْتُ النارَ: أوقدتُها، وحَمَشْتُ الرجل وأحْمَشْتُهُ: أغْضَبْتُه، فيَكُونُ أفَعَلْتُ مِنْ ذَلِكَ لِلْإيقادِ والإغْضابِ، وفَعَلْتُ لِلْإغْضابِ.

[مَقْتَلُ حَمْزَةَ]

وَقاتَلَ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ حَتّى قَتَلَ أرْطاةَ بنَ عَبْدِ شُرَحْبِيلَ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ عَبْدِ الدّارِ، وكانَ أحَدَ النَّفَرِ الَّذينَ يَحْمِلُونَ اللِّواءَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ سِباعُ بنُ عَبْدِ العُزّى الغُبْشانِيُّ، وكانَ يُكَنّى بِأبي نِيارٍ، فقالَ لَهُ حَمْزَةُ: هَلُمَّ إلَيَّ يا ابنَ مُقَطِّعةِ البُظُورِ، وكانَتْ أُمُّهُ أُمَّ أنْمارٍ مَوْلاةَ شَرِيقِ بنِ عَمْرِو بنِ وهْبٍ الثَّقَفِيِّ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: شَرِيقُ بنُ الأخْنَسِ بنِ شَرِيقٍ. وكانَتْ خَتّانةً بِمَكّةَ، فلَمّا التَقَيا ضَرَبَهُ حَمْزةُ فقَتَلَهُ.

قالَ وحْشِيٌّ غُلامُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ: واللهِ إنِّي لَأنْظُرُ إلى حَمْزَةَ يَهُدُّ النّاسَ بِسَيْفِهِ ما يُلِيقُ بِهِ شَيْئًا، مِثْلَ الجَمَلِ الأوْرَقِ، إذْ تَقَدَّمَنِي إلَيْهِ سِباعُ بنُ عَبْدِ العُزّى، فقالَ لَهُ حَمْزةُ: هَلُمَّ إلَيَّ يا ابنَ مُقَطِّعةِ البُظُورِ، فضَرَبَهُ ضَرْبةً، فكَأنَّما أخْطأَ رَأْسَهُ، وهَزَزْتُ حَرْبَتِي حَتّى إذا رَضِيتُ مِنْها دَفَعْتُها عَلَيْهِ، فوَقَعَتْ في ثُنَّتِهِ حَتّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ، فأقْبَلَ نَحْوِي، فغُلِبَ فوَقَعَ، وأمْهَلْتُهُ حَتّى إذا ماتَ جِئْتُ فأخَذْتُ حَرْبَتِي، ثُمَّ تَنَحَّيْتُ إلى العَسْكَرِ، ولَمْ تَكُنْ لِي بِشَيْءٍ حاجةٌ غَيْره.

---

(١) في (ف): «معجمة».

[وَحْشِيٌّ يُحَدِّثُ الضَّمْرِيَّ وابنَ الخِيارِ عَنْ قَتْلِهِ حَمْزَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بنُ الفَضْلِ بنِ عَبّاسِ بنِ رَبِيعةَ بنِ الحارِثِ، عَنْ سُلَيْمانَ بنِ يَسارٍ، عَنْ جَعْفَرِ بنِ عَمْرِو بنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ، قالَ: خَرَجْتُ أنا وعُبَيْدُ اللهِ بنُ عَدِيِّ بنِ الخِيارِ أخُو بَنِي نَوْفَلِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ في زَمانِ مُعاوِيةَ بنِ أبِي سُفيانَ، فأدْرَبنا مَعَ النّاسِ، فلَمّا قَفَلْنا مَرَرْنا بِحِمْصَ، وكانَ وحْشِيٌّ مَوْلى جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ قَدْ سَكَنَها، وأقامَ بِها، فلَمّا قَدِمْناها، قالَ لِي عُبَيْدُ اللهِ بنُ عَدِيٍّ: هَلْ لَكَ في أنْ نَأْتِيَ وحْشِيًّا فنَسْألَهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزةَ كَيْفَ قَتَلَهُ؟

قالَ: قُلْتُ لَهُ: إنْ شِئْتَ. فخَرَجْنا نَسْألُ عَنْهُ بِحِمْصَ، فقالَ لَنا رَجُلٌ ونَحْنُ نَسْألُ عَنْهُ: إنَّكُما سَتَجِدانِهِ بِفِناءِ دارِهِ، وهُوَ رَجُلٌ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الخَمْرُ، فإنْ تَجِداهُ صاحِيًا تَجِدا رَجُلًا عَرَبِيًّا، وتَجِدا عِنْدَهُ بَعْضَ ما تُرِيدانِ، وتُصِيبا عِنْدَهُ ما شِئْتُما مِنْ حَدِيثٍ تَسْألانِهِ عَنْهُ، وإنْ تَجِداهُ وبِهِ بَعْضُ ما يَكُونُ بِهِ، فانْصَرِفا عَنْهُ ودَعاهُ، قالَ: فخَرَجْنا نَمْشِي حَتّى جِئْناهُ، فإذا هُوَ بِفِناءِ دارِهِ على طِنْفِسةٍ لَهُ، فإذا شَيْخٌ كَبِيرٌ مِثْلُ البُغاثِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: البُغاثُ: ضَرْبٌ مِن الطَّيْرِ إلى السَّوادِ.

فإذا هُوَ صاحٍ لا بَأْسَ بِهِ. قالَ: فلَمّا انْتَهَيْنا إلَيْهِ سَلَّمْنا عَلَيْهِ، فرَفَعَ رَأْسَهُ إلى عُبَيْدِ اللهِ بنِ عَدِيٍّ، فقالَ: ابنٌ لِعَدِيِّ بنِ الخِيارِ: أنْتَ؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: أما واللهِ ما رَأَيْتُكَ مُنْذُ ناوَلْتُكَ أُمَّكَ السَّعْدِيّةَ الَّتِي أرْضَعَتْكَ بِذِي طُوًى؛ فإنِّي ناوَلْتُكها وهِيَ على بَعِيرِها، فأخَذَتْكَ بِعُرْضَيْكَ، فلَمَعَتْ لِي قَدَماكَ حِينَ رفَعْتُكَ إلَيْها، فواللهِ ما هُوَ إلّا أنْ وقَفْتَ عَلَيَّ فعَرَفْتُهُما. قالَ: فجَلَسْنا إلَيْهِ،

فقُلْنا لَهُ: جِئْناكَ لِتُحَدِّثَنا عَنْ قَتْلِكَ حَمْزَةَ، كَيفَ قَتلتَه؟ فقالَ: أما إنِّي سَأُحَدِّثُكُما كَما حَدَّثْتُ رَسُولَ الله ﷺ حِينَ سَأَلَنِي عَنْ ذلك، كُنْتُ غُلامًا لِجُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، وكانَ عَمُّهُ طُعَيمةُ بنُ عَدِيٍّ قَدْ أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ، فلَمّا سارَتْ قُرَيْشٌ إلى أُحُدٍ، قالَ لِي جُبَيْرٌ: إنْ قَتَلْتَ حَمْزةَ عَمَّ مُحَمَّدٍ بِعَمِّي فأنْتَ عَتِيقٌ، قالَ: فخَرَجْتُ مَعَ النّاسِ، وكُنْتُ رَجُلًا حَبَشِيًّا أَقْذِفُ بِالحَرْبةِ قَذْفَ الحَبَشةِ، قَلَّما أُخْطِئُ بِها شَيْئًا، فلَمّا التَقى النّاسُ خَرَجْتُ أَنْظُرُ حَمْزةَ وأَتَبَصَّرُه، حَتّى رَأَيْتُهُ في عُرْضِ النّاسِ مِثْلَ الجَمَلِ الأَوْرَقِ، يَهُدُّ النّاسَ بِسَيْفِهِ هَدًّا، ما يَقُومُ لَهُ شَيْءٌ، فواللهِ إنِّي لَأَتَهَيَّأُ لَهُ أُرِيدُهُ وأَسْتَتِرُ مِنْهُ بِشَجَرةٍ أَوْ حَجَرٍ لِيَدْنُوَ مِنِّي؛ إذْ تَقَدَّمَنِي إلَيْهِ سِباعُ بنُ عَبْدِ العُزّى، فلَمّا رَآهُ حَمْزةُ قالَ لَهُ: هَلُمَّ إلَيَّ يا ابنَ مُقَطِّعةِ البُظُورِ. قالَ: فضَرَبَهُ ضَرْبةً كَأَنَّما أخطأَ رَأْسَهُ. قالَ: وهَزَزْتُ حَرْبَتِي، حَتّى إذا رَضِيتُ مِنْها، دَفَعْتُها عَلَيْهِ، فوَقَعَتْ في ثُنَّتِهِ، حَتّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، وذَهَبَ لِيَنُوءَ نَحْوِي، فغُلِبَ، وتَرَكْتُهُ وإيّاها حَتّى ماتَ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فأَخَذْتُ حَرْبَتِي، ثُمَّ رَجَعْتُ إلى العَسْكَرِ، فقَعَدْتُ فيهِ، ولَمْ يَكُنْ لِي بِغَيْرِهِ حاجةٌ، وإنَّما قَتَلْتُهُ لِأُعْتَقَ، فلَمّا قَدِمْتُ مَكّةَ أُعْتِقْتُ، ثُمَّ أَقَمْتُ حَتّى إذا افْتَتَحَ رَسُولُ الله ﷺ مَكّةَ هَرَبْتُ إلى الطّائِفِ، فمَكَثْتُ بِها، فلَمّا خَرَجَ وفْدُ الطّائِفِ إلى رَسُولِ الله ﷺ لِيُسْلِمُوا، تَعَيَّتْ عَلَيَّ المَذاهِبُ، فقُلْتُ: أَلْحَقُ بِالشّأْمِ، أو اليَمَنِ، أَوْ بِبَعْضِ البِلادِ، فواللهِ إنِّي لَفِي ذلك مِنْ هَمِّي، إذْ قالَ لِي رَجُلٌ: وَيْحَكَ! إنَّهُ والله ما يَقْتُلُ أحدًا مِن النّاسِ دَخَلَ في دِينِهِ، وتَشَهَّدَ شَهادَتَهُ.

[وَحْشِيٌّ بَيْنَ يَدَي الرَّسُولِ يُسْلِمُ]

فَلَمّا قالَ لِي ذلك، خَرَجْتُ حَتّى قَدِمْتُ على رَسُولِ الله ﷺ المَدِينةَ، فلَمْ يَرُعْهُ إلّا بِي قائِمًا على رَأْسِهِ أَتَشَهَّدُ بِشَهادةِ الحَقِّ، فلَمّا رَآنِي قالَ: «أَوَحْشِيٌّ؟»

قُلْتُ: نَعَمْ يا رَسُولَ الله. قالَ: «اقْعُدْ فحَدِّثْنِي كَيْفَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ»، قالَ: فحَدَّثْتُهُ كَما حَدَّثْتُكُما، فلَمّا فرَغْتُ مِنْ حَدِيثِي، قالَ: «ويْحَكَ! غَيِّبْ عَنِّي وجْهَكَ، فلا أَرَيَنَّكَ». قالَ: فكُنْتُ أتَنَكَّبُ رَسُولَ الله ﷺ حَيْثُ كانَ لِئَلّا يَرانِي، حَتّى قَبَضَهُ الله ﷺ.

حَدِيثُ وحْشِيٍّ

قالَ فيهِ: «فإذا شَيْخٌ كالبُغاثِ»، قالَ أبُو عُبَيْدٍ: البَغاثُ: الطَّيْرُ الَّذِي لا يُصادُ بِهِ مِثْلُ الرَّخَمِ(١) والحِدَأِ، واحِدَتُها(٢): بَغاثَةَ. [ويُقالُ: بَغاثٌ](٣)، وجَمْعُهُ: بِغاثٌ وبِغْثانٌ. وقالَ ابنُ إسْحاقَ في رِوايةِ يُونُسَ عِنْدَ ذِكْرِ البُغاثِ: البَغاثُ هُو الذَّكَرُ مِنَ الرَّخَمِ(٤) إذا هَرِمَ اسْودَّ.

وقَوْلُ وحْشِيٍّ لِعُبَيْدِ اللهِ: «ما رَأَيْتُك مُنْذُ ناولْتُك أُمَّك السَّعْدِيّةَ»، ولَمْ يَذْكُر اسْمَها، وأُمّ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عَدِيّ هِيَ أُمُّ قِتالٍ بِنْتُ أبِي العِيصِ بنِ أُمَيّةَ، ذَكَرَها البُخارِيّ(٥) في هَذا الخَبَرِ، ولَمْ يَقُل: «السّعْدِيّة» فهِيَ إذًا قُرَشِيّةٌ أُمَوِيّةٌ لا سَعْدِيّةٌ، إلّا أنْ يُرِيدَ بِها مُرْضِعَتَهُ إنْ كانَتْ سَعْدِيّةً، وأمّا عُبَيْدُ اللهِ بنُ عَدِيٍّ، فوُلِدَ في حَياةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وماتَ في خِلافةِ الولِيدِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ، ولَهُ دارٌ بِالمَدِينةِ عِنْدَ

---

(١) الرَّخَم: طائر غزير الريش أبيض اللون مبقع بسواد، له منقار طويل، وجناح طويل مدبب، يبلغ طوله نحو نصف متر.

(٢) في (ف): «والواحدة».

(٣) عن (أ)، (ف). وفي «اللسان»: من جعل البُغاث واحدًا فجمعه: بُغثان، ومن قال للذكر والأنثى: بُغاثة، فجمعه: بَغاث مثل نعامة ونعام.

(٤) في (ب)، (ص): «هو ذكر الرخم».

(٥) «فتح الباري»، كتاب المغازي، باب قتل حمزة: (٧: ٣٦٧).

دارِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه، يروي عَنْ عُثْمانَ بنِ عَفّانَ وغيرِه، ولَهُ حَدِيثٌ في «المُوطّأ» في كِتابِ الصّلاةِ[1].

وقَوْلُهُ: «بِذِي طُوًى» [بالضمِّ][2]: مَوْضِعٌ بِمَكّةَ، وقَدْ قَدَّمْنا[3] الفَرْقَ بَيْنَهُ وبَيْنَ ذِي طِواءٍ بِالهَمْزِ والمَدّ، وبَيْنَ طُوًى بِالضّمِّ والقَصْرِ، فأغْنى عن إعادتِه ههنا.

وقولُ وحشيٍّ: «يَهُذُّ النّاسَ كالجَمَلِ الأَوْرقِ»[4]، يُرِيدُ ـ واللهُ أعْلَمُ ـ وُرْقةَ[5] الغُبارِ، وأنّهُ قَدْ تَلَفَّعَ بِهِ؛ إذ الأوْرَقُ مِن الإبِلِ لَيْسَ بِأقْواها، ولَكِنّهُ أطْيَبُها لَحْمًا فيما ذَكَرُوا.

وقَوْلُهُ: «يَهُذُّ النّاسَ» هُو بِالذّالِ المَنْقُوطةِ، ذَكَرَهُ صاحِبُ «الدّلائِلِ»، وفَسّرَهُ مِن الهَذِّ، وهو[6] السُّرْعةُ، وأمّا «الهَذْمُ» بِالمِيمِ فسُرْعةُ القَطْعِ، يُقالُ: سَيْفٌ مِهْذَمٌ، والهَيْذامُ: الكَثِيرُ الأكْلِ، وهُو الشُّجاعُ أيْضًا، وفي الحَدِيثِ: «أكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هاذِمِ اللّذّاتِ»[7]، يُرْوى بِالذّالِ المَنْقُوطةِ؛ أيْ: قاطِعِها.

ومِمّا ذَكَرَ غَيْرُ ابنِ إسْحاقَ في خَبَرِ وحْشِيٍّ، قالَ: «فخَرَجْتُ حين قال لي سَيّدِي ما قالَ، فنَظَرْتُ فإذا رَجُلٌ عَبْعَبٌ عَلَيْهِ دِرْعٌ قَضّاءُ، فإذا[8] هُو عَلِيٌّ،

(١) «الموطأ»، كتاب الصلاة: (١: ١٧١).

(٢) عن (أ).

(٣) انظر: (٤: ١٦١).

(٤) لفظ «السيرة»: «مثل الجمل الأورق، يهز الناس بسيفه».

(٥) الوُرقة: سواد في غُبرة.

(٦) في (ف): «وهي».

(٧) «عارضة الأحوذي»، كتاب الزهد: (٩: ١٨٦-١٨٧).

(٨) في (ف): «وإذا».

فقُلْت: لَيْسَ هَذا مِنْ شَأْنِي، وإذا رَجُلٌ حُلابِسٌ أَيْهمُ غَشَمْشَمٌ[1] يَهُذُّ النّاسَ، كَأَنّهُ جَمَلٌ أوْرَقُ، فكَمَنْتُ لَهُ إلى صَخْرةٍ كَأَنّها فُسْطاطٌ، وقُلْت: هَذا الّذِي أُرِيدُ، وهَزَزْتُ حَرْبةً لِي عَرّاصةً[2]، فرَمَيْتهُ بِها، فأَصَبْت ثُنّتَهُ»، وذَكرَ باقِيَ الحَدِيثِ.

العَبْعَبُ: الشّابُّ، والدِّرْعُ القَضّاءُ: المُحْكَمةُ النَّسْجِ، والأيْهَمُ: الّذِي لا يَرُدُّهُ شَيْءٌ. وفي الحَدِيثِ: «أعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ الأيْهَمَيْنِ»[3]، يَعْنِي: السّيْلَ، والحَرِيقَ. والعَرّاصةُ: الّتِي تَضْطَرِبُ مِن اللِّينِ.

* * *

(١) الحُلابِس: الشجاع. والغَشَمْشَم: الجريء الماضي.

(٢) في (ب)، (ص): «عراضة»، بالضاد المعجمة، وهو تصحيف.

(٣) «غريب الحديث» لأبي عبيد: (٣: ١١٩).

[قَتْلُ وحْشِيٍّ لَمُسَيْلِمَةَ]

فَلَمّا خَرَجَ المُسْلِمُونَ إلى مُسَيْلِمَةَ الكَذّابِ صاحِبِ اليَمامةِ خَرَجْتُ مَعَهُمْ، وأخَذْتُ حَرْبَتِي الَّتِي قَتَلْتُ بِها حَمْزَةَ، فلَمّا التقى النّاسُ رَأيْتُ مُسَيْلِمةَ الكَذّابَ قائمًا في يَدِهِ السَّيْفُ، وما أعْرِفُهُ، فتَهَيَّأْتُ لَهُ، وتَهَيَّأَ لَهُ رَجُلٌ مِن الأنْصارِ مِن النّاحِيَةِ الأُخْرى، كِلانا يُرِيدُهُ، فهَزَزْتُ حَرْبَتِي حَتّى إذا رَضِيتُ مِنْها دَفَعْتُها عَلَيْهِ، فوَقَعَتْ فيهِ، وشَدَّ عَلَيْهِ الأنْصارِيُّ فضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ، فرَبُّكَ أعْلَمُ أيُّنا قَتَلَهُ، فَإنْ كُنْتُ قَتَلْتُهُ، فقَدْ قَتَلْتُ خَيْرَ النّاسِ بَعْدَ رَسُولِ الله ﷺ، وقَدْ قَتَلْتُ شَرَّ النّاسِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي عَبْدُ الله بنُ الفَضْلِ، عَنْ سُلَيْمانَ بنِ يَسارٍ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ ـ وكانَ قَدْ شَهِدَ اليَمامةَ ـ قالَ: سَمِعْتُ يَوْمئِذٍ صارِخًا يَقُولُ: قَتَلَهُ العَبْدُ الأسْوَدُ.

[خَلْعُ وحْشِيٍّ مِن الدِّيوانِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: فبَلَغَنِي أنَّ وحْشِيًّا لَمْ يَزَلْ يُحَدُّ في الخَمْرِ حَتّى خُلِعَ مِن الدِّيوانِ، فكانَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ يَقُولُ: قَدْ عَلِمْتُ أنَّ الله تَعالى لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ قاتِلَ حَمْزَةَ.

وقَوْلُهُ في قَتْلِ مُسَيْلِمَةَ: «سَبَقَنِي إلَيْهِ رجلٌ من الأنصارِ»، وسيأتي ذكرُ مُسَيْلِمَةَ، ونَسَبُهُ وطَرَفٌ مِنْ حَدِيثِهِ في آخِرِ الكِتابِ[1].

وأمّا الرّجُلُ مِن الأنْصارِ الّذِي ذَكَرَهُ وحْشِيٌّ ولَمْ يُسَمِّهِ ابنُ إسْحاقَ، فذَكَرَ

(١) انظر: (٧: ٤٢٦).

مُحَمّدُ بنُ عُمَرَ الواقِدِيُّ في كِتابِ «الرّدّةِ» له[١]، أنّ الرّجُلَ الّذِي شارَكَ وحْشِيًّا في قَتْلِ مُسَيْلِمةَ هُو عَبْدُ اللهِ بنُ زَيْدِ بنِ عاصِمٍ المازِنِيُّ مِن الأنْصارِ، وذَكرَ سَيْفُ ابنُ عُمَرَ[٢] في كِتابِ «الفُتُوحِ» أنّهُ عَدِيُّ بنُ سَهْلٍ، وأنْشَدَ لَهُ[٣]: [من المتقارب]

أَلَمْ تَـرَ أنّي ووحْشِـيَّهُمْ قَتَلْـتُ مُسَـيْلِمةَ المُفْتَتَنْ
ويَسْـألُنِي النّاسُ عَنْ قَتْلِهِ فقُلْتُ: ضَرَبْتُ وهَذا طَعَنْ

في أبْياتٍ لَهُ، وقَدْ ذَكَرْنا قُبَيْلَ هَذا الحَدِيثِ أنّ أبا دُجانةَ أيْضًا شارَكَ في قَتْلِ مُسَيْلِمةَ، وذَكرَهُ أبُو عُمَر النّمَرِيُّ، فاللهُ أعْلَمُ أيَّ هَؤُلاءِ الثّلاثةِ أرادَ وحْشِيٌّ.

وفي رِوايةِ يُونُسَ عَن ابنِ إسْحاقَ زِيادةٌ في إسْلامِ وحْشِيٍّ، قالَ: لَمّا قَدِمَ المَدِينةَ، قالَ النّاسُ: يا رَسُولَ اللهِ، هَذا وحْشِيٌّ، فقالَ: «دَعُوهُ؛ فَلَإسْلامُ رَجُلٍ واحِدٍ أحَبُّ إلَيَّ مِنْ قَتْلِ ألْفِ رَجُلٍ كافِرٍ».

* * *

(١) «الردة» للواقدي: (ص: ١٣٦). (ج)

(٢) سيف بن عمر الأسدي. «تهذيب التهذيب» (٤: ٢٩٥).

(٣) الأبيات ـ وهي سبعة ـ ذكرها الواقدي في كتاب «الردة» (ص: ١٣٧) منسوبة إلى عبد الله ابن زيد الأنصاري قاتل مسيلمة كما في روايته.

[مَقْتَلُ مُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقاتَلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ دُونَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتّى قُتِلَ، وكانَ الَّذي قَتَلَهُ ابنُ قَمِئَةَ اللَّيْثِيُّ، وهُوَ يَظُنُّ أنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فرَجَعَ إلى قُرَيْشٍ، فقالَ: قَتَلْتُ مُحَمَّدًا. فلَمّا قُتِلَ مُصْعَبُ بنُ عُمَيْرٍ أعْطى رَسُولُ اللهِ ﷺ اللِّواءَ عَلِيَّ بنَ أبي طالِبٍ، وقاتَلَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ ورِجالٌ مِن المُسْلِمِينَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وحَدَّثَنِي مَسْلَمَةُ بنُ عَلْقَمَةَ المازِنِيُّ، قالَ: لَمّا اشْتَدَّ القِتالُ يَوْمَ أُحُدٍ، جَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ رايةِ الأنْصارِ، وأرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ رِضْوانُ اللهِ عَلَيْهِ: أنْ قَدِّمَ الرّايَةَ. فتَقَدَّمَ عَلِيٌّ، فقالَ: أنا أبو الفُصَمِ ـ ويُقالُ: أبو القُصَمِ، فيما قالَ ابنُ هِشامٍ ـ فناداهُ أبو سَعْدِ بنُ أبي طَلْحَةَ، وهُوَ صاحِبُ لِواءِ المُشْرِكِينَ: أنْ هَلْ لَكَ يا أبا القُصَمِ في البِرازِ مِنْ حاجةٍ؟ قالَ: نَعَمْ. فبَرَزا بَيْنَ الصَّفينِ، فاخْتَلَفا ضَرْبَتَيْنِ فَضَرَبَهُ عَلِيٌّ فصَرَعَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ ولَمْ يُجْهِزْ عَلَيْهِ، فقالَ لَهُ أصْحابُهُ: أفَلا أجْهَزْتَ عَلَيْهِ؟ فقالَ: إنَّهُ اسْتَقْبَلَنِي بِعَوْرَتِهِ، فعَطَفَتْنِي عَنْهُ الرَّحِمُ، وعَرَفْتُ أنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قَدْ قَتَلَهُ. ويُقالُ: إنَّ أبا سَعْدِ بنَ أبي طَلْحَةَ خَرَجَ بَيْنَ الصَّفينِ، فنادى: أنا قاصِمٌ مَنْ يُبارِزُ بِرازًا؟ فلَمْ يَخْرُجْ إلَيْهِ أحَدٌ. فقالَ: يا أصْحابَ مُحَمَّدٍ، زَعَمْتُمْ أنَّ قَتْلاكُمْ في الجَنّةِ، وأنَّ قَتْلانا في النّارِ، كَذَبْتُمْ واللاتِ! لَوْ تَعْلَمُونَ ذلك حَقًّا لَخَرَجَ إلَيَّ بَعْضُكُمْ، فخَرَجَ إلَيْهِ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ، فاخْتَلَفا ضَرْبَتَيْنِ، فضَرَبَهُ عَلِيٌّ فقَتَلَهُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: قَتَلَ أبا سَعْدِ بنَ أبي طَلْحةَ سَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ.

[شَأْنُ عاصِمِ بنِ ثابِتٍ]

وَقاتَلَ عاصِمُ بنُ ثابِتِ بنِ أبي الأقْلَحِ، فقَتَلَ مُسافِعَ بنَ طَلْحةَ وأخاهُ الجُلاسَ بنَ طَلْحةَ، كِلاهُما يُشْعِرُهُ سَهْمًا، فيأْتِي أُمَّهُ سُلافةَ، فيضَعُ رَأْسَهُ في حِجْرِها، فتَقُولُ: يا بُنَيَّ، مَنْ أصابَكَ؟ فيقُولُ: سَمِعْتُ رَجُلًا حِينَ رَمانِي وهُوَ يَقُولُ: خُذْها وأنا ابنُ أبي الأقْلَحِ. فنَذَرَتْ إنْ أمْكَنَها اللهُ مِنْ رَأْسِ عاصِمٍ أنْ تَشْرَبَ فيهِ الخَمْرَ، وكانَ عاصِمٌ قَدْ عاهَدَ اللهَ ألّا يَمَسَّ مُشْرِكًا أبَدًا، ولا يَمَسَّهُ مُشْرِكٌ.

وَقالَ عُثْمانُ بنُ أبي طَلْحةَ يَوْمئِذٍ وهُوَ يَحْمِلُ لِواءَ المُشْرِكِينَ:

إنَّ على أهْلِ اللِّواءِ حَقّا ... أنْ يَخْضِبُوا الصَّعْدةَ أوْ تَنْدَقّا

فَقَتَلَهُ حَمْزةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

وذَكَرَ قَوْلَ أَبِي سَعْدِ[1] بنِ أَبِي طَلْحَةَ: أنا قاصِمٌ مَنْ يُبارِزُني، فبَرَزَ إلَيْهِ عَلِيُّ ابنُ أبي طالبٍ، فقالَ: أنا أبُو القُصَمِ بالقافِ، قالَهُ ابنُ هِشامٍ، [وهُو أصَحُّ][2]، وإنّما قالَ عليٌّ: أنا أبُو القُصَمِ؛ لِقَوْلِ أَبِي سَعْدٍ: أنا قاصِمٌ مَنْ يُبارِزُني، فالقُصَمُ: جَمْعُ قُصَمةٍ، وهي[3] العُضْلةُ[4] المهلِكةُ، ويجوزُ أنْ يَكُونَ جَمْعَ القُصْمى؛

---

(١) كذا في (أ)، (ب)، (ف)، و«جمهرة ابن الكلبي» (ص: ٦٤)، و«جوامع السيرة» لابن حزم: (ص: ١٣٩). وفي (ج)، (ص): «أبو سعيد»، وكذلك في «المغازي» للواقدي: (١: ٣٠٧).

(٢) ليس في (أ).

(٣) في (ف): «وهو».

(٤) العضلة: الداهية.

أيْ: الدّاهِيةُ الّتِي تَقْصِمُ. والدّواهِي القُصَمُ[١] على وزْنِ الكُبَرِ، وهَذا المَعْنى أصَحُّ؛ لِأَنّهُ لا يُعْرَفُ قُصَمةٌ، ولَكِنّهُ لما قال أبو سعدٍ[٢]: أنا قاصِمٌ، قالَ عَلِيٌّ: أنا أقْصَمُ مِنْك، بَلْ أنا أبُو القُصَمِ؛ أيْ: أبُو المُعْضِلاتِ القُصَمِ والدواهي العُظَمِ، والقَصْمُ: كَسرٌ بِبَيْنُونةٍ، والفَصْمُ: كسرٌ بغير بَيْنُونةٍ، كَكَسْرِ القَضِيبِ الرّطْبِ ونَحْوِهِ، وفي التّنْزِيلِ: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء: ١١]، وفيه: ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقَوْلُ ابنِ إسْحاقَ: قَتَلَ أبا سَعْدِ[٣] بنِ أبِي طلحةَ سَعْدُ بنُ أبِي وقّاصٍ، كَذا[٤] رَواهُ الكَشّيُّ[٥] في «تَفْسِيرِهِ» عَنْ سَعْدٍ، قالَ: لَمّا كَفَّ عَلِيٌّ عَنْهُ طَعَنْتُه في حَنْجَرَتِهِ، فدَلَعَ[٦] لِسانَهُ إلَيّ كَما يَصْنَعُ الكَلْبُ، ثُمّ ماتَ.

وذَكرَ ابنُ إسْحاقَ [هَذا أيْضًا][٧] في غَيْرِ[٨] رِوايةِ ابنِ هِشامٍ. وقَوْلُ عَلِيٍّ: إنّهُ اتَّقانِي بِعَوْرَتِهِ، فأذْكَرَنِي الرَّحِمَ، قَدْ فعَلَها عَلِيٌّ مَرّةً أُخْرى يَوْمَ صِفّينَ؛ حَمَلَ على بُسرِ بنِ أرْطَاةَ، فلَمّا رَأى أنّهُ مَقْتُولٌ كَشَفَ عَنْ عَوْرَتِهِ، فانْصَرَفَ عَنْهُ، ويُرْوى[٩] مِثْلُ ذَلِكَ[١٠] عَنْ عَمْرِو بنِ العاصي مع عليٍّ رضي الله عنه

---

(١) في (ف): «هي القصم».

(٢) في (ص): «أبو سعيد».

(٣) في (ف): «سعيد».

(٤) في (ف): «كذلك».

(٥) في (ب): «الكلبي».

(٦) أي: خرج من الفم واسترخى.

(٧) عن (أ)، (ب)، (ف).

(٨) في (ص)، (ج): «في غير هذه الرواية».

(٩) بعده في (ف): «أيضًا».

(١٠) في (ف): «هذا».

يومَ صِفِّينَ، وفي ذَلِكَ يَقُولُ الحارِثُ بنُ النّضْرِ السّهْمِيُّ ـ رواه ابن[1] الكلبيِّ وغيرُه ـ: [من الطويل]

أفـي كُلِّ يَـوْمٍ فارِسٌ غَيْـرُ مُنْتَهٍ ... وعَوْرَتُهُ وسْـطَ العَجاجـةِ بادِيَهْ

يَكُـفُّ لَهـا عَنْـهُ عَلِيٌّ سـنانَهُ ... ويضحَكُ منهُ في الخَلاءِ مُعاوِيَهْ

* * *

(١) «ابن» سقط من: (ف).

[حَنْظَلةُ غَسِيلُ المَلائِكةِ]

والتَقى حَنْظَلةُ بنُ أبي عامرٍ الغَسِيلُ وأبو سُفيانَ، فلَمّا اسْتَعْلاهُ حَنْظَلةُ ابنُ أبي عامرٍ، رَآهُ شَدّادُ بنُ الأَسْوَدِ ـ وهُوَ ابنُ شَعُوبٍ ـ قَدْ عَلا أبا سُفيانَ، فضَرَبَهُ شَدّادٌ فقَتَلَهُ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنَّ صاحِبَكُمْ ـ يَعْنِي: حَنْظَلةَ ـ لَتُغَسِّلُهُ المَلائِكةُ، فاسألُوا أهْلَهُ: ما شَأْنُهُ؟» فسُئِلَتْ صاحِبَتُهُ عَنْهُ. فقالَتْ: خَرَجَ وهُوَ جُنُبٌ حِينَ سَمِعَ الهاتِفةَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: الهائِعةُ. وجاءَ في الحَدِيثِ: «خَيْرُ النّاسِ رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنانِ فرَسِهِ، كُلَّما سَمِعَ هَيْعةً طارَ إلَيْها». قالَ الطِّرِمّاحُ بنُ حكيمٍ الطّائِيُّ ـ والطِّرِمّاحُ: الطَّوِيلُ مِن الرِّجالِ ـ:

أنا ابنُ حُماةِ المَجْدِ مِنْ آلِ مالِكٍ إذا جَعَلَتْ خُورُ الرِّجالِ تَهِيعُ

والهَيْعةُ: الصَّيْحةُ الَّتِي فيها الفَزَعُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ رَسُول الله ﷺ: «لِذلك غَسَّلَتْهُ المَلائِكةُ».

فَصْلٌ

وذَكَرَ مَقْتَلَ حَنْظَلةَ بنِ أبِي عامرٍ الغَسِيلِ، واسْمُ أبِي عامرٍ: عَمْرٌو، وقِيلَ: عَبْدُ عَمْرِو[1] بنِ صَيْفِيٍّ، وذَكَرَ شَدّادَ بنَ الأسودِ بنِ شَعوبٍ حين قتَله، بعدما

(١) في (ب): «عبد بن عمر». وما أثبت يوافق ما في «جمهرة ابن حزم» (ص: ٣٣٣)، و«أسد الغابة» (٢: ٦٦).

كانَ عَلا حَنْظَلةُ أبا سُفْيانَ لِيَقْتُلَهُ، وذَكرَ عبدُ بنُ حُميدٍ[١] في «التّفْسيرِ» مَكانَ «شَدّادٍ» جَعْونةَ بنَ شَعُوبٍ اللّيْثِيَّ، وهُو مَوْلى نافِعِ بنِ نُعَيْمٍ[٢] القارِئ[٣].

وذَكرَ قَوْلَ النّبيّ ﷺ: «إنّ المَلائِكةَ غسَّلته»[٤]، يَعْنِي: حَنْظَلةَ. وفي غَيْرِ «السِّيرةِ» قالَ: «رَأيْتُ المَلائِكةَ تُغَسِّلُهُ في صِحافِ الفِضّةِ بماءِ المُزْنِ بَيْنَ السّماءِ والأرْضِ»، قالَ ابنُ إسْحاقَ: فسُئِلَتْ صاحِبَتُهُ[٥]، فقالَتْ: كان جُنُبًا فسَمِعَ الهاتِفةَ، فخرَجَ.

«صاحِبَتُهُ»، يَعْنِي: امْرَأتَهُ، وهِيَ جَمِيلةُ بِنْتُ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ أُخْتُ عَبْدِ اللهِ ابنِ أُبَيٍّ، وكانَ ابْتَنى بِها تِلْكَ اللّيْلةَ، فكانَتْ عَرُوسًا عِنْدَهُ، فرأتْ في النومِ تلكَ اللّيلةَ كَأنّ بابًا في السّماءِ قد فُتِحَ لَهُ فدَخَلَهُ، ثم أُغْلِقَ دُونَهُ، فعَلِمَتْ أنّهُ مَيِّتٌ مِنْ غَدِهِ، فدَعَتْ رِجالًا حِينَ أصْبَحَتْ من قَوْمِها، فأشْهَدَتْهُمْ على الدّخُولِ بِها خَشْيةَ أنْ يَكُونَ في ذَلِكَ نِزاعٌ، ذَكرَهُ الواقِدِيُّ [فيما ذُكِرَ لِي][٦].

وذَكرَ غَيْرُهُ أنّهُ الْتُمِسَ في القَتْلى، فوجَدُوهُ يَقْطُرُ رَأْسُهُ ماءً ولَيْسَ بقُرْبِهِ ماءٌ؛ تَصْدِيقًا لِما قاله رسولُ اللهِ ﷺ، وفي هَذا الخَبَرِ مُتَعَلَّقٌ لِمَنْ قالَ مِن الفُقَهاءِ: إنّ الشّهِيدَ يُغَسَّلُ إذا كانَ جُنُبًا، ومِن الفُقَهاءِ مَنْ يَقُولُ: لا يُغَسَّلُ كَسائِرِ الشّهَداءِ؛ لِأنّ التّكْلِيفَ ساقِطٌ عَنْهُ بِالمَوْتِ.

---

(١) في (أ)، (ب)، (ف): «وذكر الحميدي». وقد تقدمت ترجمة عبد بن حميد من قريب.

(٢) في (ف): «بن أبي نعيم».

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٧: ٣٣٦)، وهو فيه: «نافع بن أبي نعيم».

(٤) في (ص): «تغسله».

(٥) في (ف): «امرأته».

(٦) عن (أ)، (ب)، (ف). وانظر: «المغازي» للواقدي: (١: ٢٧٣).

[شِعْرُ الأَسْوَدِ في قَتْلِهِما حَنْظَلَةَ وأبا سُفيانَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ شَدّادُ بنُ الأَسْوَدِ في قَتْلِهِ حَنْظَلَةَ:

لَأَحْمِيَنَّ صاحِبِي ونَفْسِي ... بِطَعْنَةٍ مِثْلِ شُعاعِ الشَّمْسِ

وَقالَ أبو سُفيانَ بنُ حَرْبٍ، وهُوَ يَذْكُرُ صَبْرَهُ في ذلك اليَوْمِ ومُعاوَنَةَ ابنِ شَعُوبٍ إيّاهُ على حَنْظَلَةَ:

وَلَوْ شِئْتُ نَجَّتْنِي كُمَيْتٌ طِمِرَّةٌ ... ولَمْ أَحْمِلِ النَّعْماءَ لِابنِ شَعُوبِ
وَما زالَ مُهْرِي مَزْجَرَ الكَلْبِ مِنْهُمُ ... لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتّى دَنَتْ لِغُرُوبِ
أُقاتِلُهُمْ وأَدَّعِي يا لَغالِبٍ ... وأَدْفَعُهُمْ عَنِّي بِرُكْنٍ صَلِيبِ
فَبَكِّي ولا تَرْعَي مَقالَةَ عاذِلٍ ... ولا تَسْأَمِي مِنْ عَبْرَةٍ ونَحِيبِ
أَباكِ وإخْوانًا لَهُ قَدْ تَتابَعُوا ... وحُقَّ لَهُمْ مِنْ عَبْرَةٍ بِنَصِيبِ
وَسَلّى الَّذي قَدْ كانَ في النَّفْسِ أَنَّنِي ... قَتَلْتُ مِنَ النَّجّارِ كُلَّ نَجِيبِ
وَمِنْ هاشِمٍ قَرْمًا كَرِيمًا ومُصْعَبًا ... وكانَ لَدى الهَيْجاءِ غَيْرَ هَيُوبِ
وَلَوْ أَنَّنِي لَمْ أَشْفِ نَفْسِيَ مِنْهُمُ ... لَكانَتْ شَجًا في القَلْبِ ذاتَ نُدُوبِ
فَآبُوا وقَدْ أَوْدَى الجَلابِيبُ مِنْهُمُ ... بِهِمْ خَدَبٌ مِنْ مُعْطِبٍ وكَئِيبِ
أَصابَهُمُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمائِهِمْ ... كِفاءً ولا في خُطَّةٍ بِضَرِيبِ

[شِعْرُ حَسّانَ في الرَّدِّ على أبي سُفيانَ]

فَأَجابَهُ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ ـ فيما ذَكَرَ ابنُ هِشامٍ ـ فقالَ:

ذَكَرْتَ القُرُومَ الصِّيدَ مِنْ آلِ هاشِمٍ ولَسْتَ لِزُورٍ قُلْتَهُ بِمُصِيبِ
أَتَعْجَبُ أنْ أَقْصَدْتَ حَمْزَةَ مِنْهُمُ نَجِيبًا وقَدْ سَمَّيْتَهُ بِنَجِيبِ
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وعُتْبَةَ وابنَهُ وشَيْبَةَ والحَجّاجَ وابنَ حَبِيبِ
غَداةَ دَعا العاصِي عَلِيًّا فراعَهُ بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بَلَّهُ بِخَضِيبِ

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ ابنُ شَعُوبٍ يَذْكُرُ يَدَهُ عِنْدَ أَبِي سُفيانَ فيما دَفَعَ عَنْهُ، فقالَ:

وَلَوْلا دِفاعِي يا ابن حَرْبٍ ومَشْهَدِي لَأُلْفِيتَ يَوْمَ النَّعْفِ غَيْرَ مُجِيبِ
وَلَوْلا مَكَرِّي المُهْرَ بِالنَّعْفِ قَرْقَرَتْ ضِباعٌ عَلَيْهِ أَوْ ضِراءُ كَلِيبِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: قَوْلُهُ: «عَلَيْهِ أَوْ ضِراءُ» عَنْ غَيْرِ ابنِ إسْحاقَ.

[شِعْرُ الحارِثِ في الرَّدِّ على أبي سُفيانَ أيْضًا]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ الحارِثُ بنُ هِشامٍ يُجِيبُ أبا سُفيانَ:

جَزَيْتَهُمُ يَوْمًا بِبَدْرٍ كَمِثْلِهِ على سابِحٍ ذِي مَيْعَةٍ وشَبِيبِ
لَدى صَحْنِ بَدْرٍ أَوْ أَقَمْتُ نَوائِحًا عَلَيْكَ ولَمْ تَحْفِلْ مُصابَ حَبِيبِ
وَإنَّكَ لَوْ عايَنْتَ ما كانَ مِنْهُمُ لَأُبْتَ بِقَلْبٍ ما بَقِيتَ نَخِيبِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وإنَّما أجابَ الحارِثُ بنُ هِشامٍ أبا سُفيانَ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ عَرَّضَ بِهِ في قَوْلِهِ:

وَما زالَ مُهْرِي مَزْجَرَ الكَلْبِ مِنْهُمُ

لِفِرارِ الحارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ.

[حَدِيثُ الزُّبَيْرِ عَنْ سَبَبِ الهَزِيمةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ثُمَّ أنْزَلَ اللهُ نَصْرَهُ على المُسْلِمِينَ وصَدَقَهُمْ وعْدَهُ، فحَسُّوهُمْ بِالسُّيُوفِ حتّى كَشَفُوهُمْ عَن العَسْكَرِ، وكانَت الهَزِيمةُ لا شَكَّ فيها.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي يَحْي بنُ عَبّادِ بنِ عَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ عَبّادٍ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ، عَن الزُّبَيْرِ، أنَّهُ قالَ: واللهِ لَقَدْ رَأيْتُنِي أنْظُرُ إلى خَدَمِ هِنْدَ بِنْتِ عُتْبَةَ وصَواحِبِها مُشَمِّراتٍ هَوارِبَ، ما دُون أخْذِهِنَّ قَلِيلٌ ولا كَثِيرٌ؛ إذْ مالَت الرُّماةُ إلى العَسْكَرِ حِينَ كَشَفْنا القَوْمَ عَنْهُ وخَلَّوْا ظُهُورَنا لِلْخَيْلِ، فأُتِينا مِنْ خَلْفِنا، وصَرَخَ صارِخٌ: ألا إنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فانْكَفَأْنا وانْكَفَأَ عَلَيْنا القَوْمُ بَعْدَ أنْ أصَبنا أصْحابَ اللِّواءِ حتّى ما يَدْنُو مِنْهُ أحَدٌ مِن القَوْمِ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: الصّارِخُ: أزَبُّ العَقَبةِ، يَعْنِي: الشَّيْطانَ.

[شَجاعةُ صُؤابٍ، وشِعْرُ حَسّانَ في ذلك]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ: أنَّ اللِّواءَ لَمْ يَزَلْ صَرِيعًا حَتّى أخَذَتْهُ عَمْرةُ بِنْتُ عَلْقَمةَ الحارِثِيّةُ، فرَفَعته لقريشٍ، فلاثُوا به. وكانَ اللِّواءُ مَعَ صُؤابٍ؛ غُلامٌ لِبَنِي أبي طَلْحةَ حَبَشِيٌّ، وكانَ آخِرَ مَنْ أخَذَهُ مِنْهُمْ، فقاتَلَ بِهِ حَتّى قُطِعَتْ يَداهُ، ثُمَّ بَرَكَ عَلَيْهِ، فأخَذَ اللِّواءَ بِصَدْرِهِ وعُنُقِهِ حَتّى قُتِلَ عَلَيْهِ، وهُوَ يَقُولُ: اللهُمَّ هَلْ أعْزَرْتُ؟ - يَقُولُ: أعْذَرْتُ - فقالَ حَسّانُ ابنُ ثابِتٍ في ذلك:

فَخَرْتُم بِاللِّواءِ وشَرُّ فخْرٍ ... لِواءٌ حِـينَ رُدَّ إلى صُؤابِ

جَعَلْتُـمْ فَخْرَكُمْ فيـهِ بِعَبْدٍ وأَلْأَمُ مَنْ يَطـا عَفَرَ التُّرابِ
ظَنَنْتُـمْ والسَّـفيهُ لَهُ ظُنُونٌ وما إنْ ذاكَ مِنْ أمْرِ الصَّوابِ
بِـأَنَّ جِلادَنـا يَـوْمَ التَقَيْنا بِمَكّـةَ بَيْعُكُمْ حُمْرَ العِيابِ
أقَرَّ العَـيْنَ أنْ عُصِبَتْ يَداهُ وما إنْ تُعْصَبانِ على خِضابِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: آخِرُها بَيْتًا يُرْوى لِأَبي خِراشٍ الهُذَلِيِّ، وأَنْشَدَنِيهِ لَهُ خَلَفٌ الأَحْمَرُ:

أقَرَّ العَيْنَ أنْ عُصِبَتْ يَداها وما إنْ تُعْصَبانِ على خِضابِ

في أبْياتٍ لَهُ، يَعْنِي: امْرَأَتَهُ، في غَيْرِ حَدِيثِ أُحُدٍ. وتُرْوى الأبْياتُ أيْضًا لِمَعْقِلِ بن خُوَيْلِدٍ الهُذَلِيِّ.

[شِعْرُ حَسّانَ في عَمْرةَ الحارِثِيّةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ في شَأْنِ عَمْرةَ بِنْتِ عَلْقَمةَ الحارِثِيّةِ ورَفْعِها اللِّواءِ:

إذا عَضَلٌ سِـيقَتْ إلَيْنـا كَأَنَّها جِدايةُ شِرْكٍ مُعْلَماتِ الحَواجِبِ
أقَمْنا لَهُـمْ طَعْنًا مُبِـيرًا مُنَكِّلًا وحُزْناهُمُ بِالضَّرْبِ مِنْ كُلِّ جانِبِ
فَلَوْلا لِـواءُ الحارِثِيّـةِ أصْبَحُوا يُباعُونَ في الأسْواقِ بَيْعَ الجَلائِبِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: وهَذِهِ الأبْياتُ في أبْياتٍ لَهُ.

وقَوْلُ أبِي سُفْيانَ: [من الطويل]

وما زالَ مُهْرِي مَزْجَرَ الكَلْبِ مِنْهُمُ لَدُنْ غُـدْوةٍ حَتّى دَنَـتْ لِغُرُوبِ

يُرْوى بِخَفْضِ «غُدْوةٍ» ونَصْبِها، فمَنْ خَفَضَها[١] فإعْرابُهُ[٢] بَيِّنٌ؛ لِأنّ «لَدُنْ» بِمَنْزِلةِ «عِنْدَ»، لا يَكُونُ ما بَعْدَهُ إلّا مَخْفُوضًا، وأمّا نَصْبُهُ فغَرِيبٌ، وشَيْءٌ خَصّتِ العَرَبُ بِهِ غُدْوةً، ولا يُقاسَ عَلَيْها[٣]، وكَثِيرًا ما يَذْكُرُها سِيبَوَيْهِ[٤] ويَمْنَعُ مِن القِياسِ عَلَيْها؛ وذَلِكَ أنّ «لَدُنْ» يُقالُ فيها: لَدُنْ ولَدُ، فلَمّا كانَتْ تُنَوّنُ تارةً[٥]، ولا تُنَوّنُ أُخْرى، شَبّهُوها إذا نُوِّنَتْ بِاسْمِ الفاعِلِ فنَصَبُوا «غُدْوةً» بَعْدَها، تَشْبِيهًا بِالمَفْعُولِ، ولَوْلا أنّ «غُدْوةً» تنوَّنُ إذا نُكِّرت، وتُنوَّن ضرورةً إذا كانَتْ مَعْرِفةً؛ ما عُرِفَ نَصْبُها؛ لِأنّها اسْمٌ غَيْرُ مُنْصَرِفٍ لِلْعَلَمِيّةِ والتّأْنِيثِ، فخَفْضُها ونَصْبُها سَواءٌ، فإذا نُوِّنَتْ لِلضّرُورةِ ـ كَما في بَيْتِ أَبِي سُفْيانَ، أَوْ أَرَدْتَ غُدْوةً مِن الغَدَواتِ ـ تَبَيّنَ حِينَئِذٍ أَنّهُمْ قَصَدُوا النّصْبَ والتّشْبِيهَ بِالمَفْعُولِ.

ووجْهٌ آخَرُ أيضًا مِن البَيانِ؛ وهُو أَنّهُمْ قَدْ رَفَعُوها فقالُوا: «لَدُنْ غُدْوةُ» غَيْرَ مَصْرُوفةٍ، كَما يُرْفَعُ الِاسْمُ بَعْدَ اسْمِ الفاعِلِ إذا كانَ فاعِلًا، ويُنْصَبُ إذا كانَ مَفْعُولًا إذا نُوِّنَ اسْمُ الفاعِلِ، كَذَلِكَ «غُدْوة» بَعْد «لَدُنْ»، لا يَكُونُ هَذا فيها إلّا إذا نُوِّنَتْ «لَدُنْ».

فإن قلت: «لَدُ غُدوةٍ» لَمْ يَكُنْ إلّا الخَفْضُ إنْ نَوّنْتَها، وإنْ تَرَكْتَ صَرْفَها لِلتّعْرِيفِ، فالفَتْحةُ عَلامةُ خَفْضِها، ولا تَكُونُ «غُدْوة» عَلَمًا إلّا إذا أَرَدْتَها لِيَوْمٍ بِعَيْنِه، و«بُكْرةٌ» مِثْلُها[٦]، ولَيْسَتْ مِثْلَها مع «لَدُنْ»، و«ضحوةٌ وعَشِيّةٌ»

---

(١) في (أ)، (ب): «خفضه».

(٢) في (ب): «فإعرابه ظاهر بيِّن».

(٣) في (ص): «عليه».

(٤) «الكتاب» (١: ٥١، ٥٨-٥٩، ١٥٩، ٢١٠)، (٢: ٢٨١، ٣٧٥)، (٣: ١١٩).

(٥) في (ف): «تارة تنون».

(٦) في (ف): «مثلها في العلمية».

مَصْرُوفَتانِ وإنْ أرَدْتهما [لِيَوْم][١] بِعَيْنِهِ.

وقَدْ فرَغْنا مِنْ كَشْفِ أسْرارِ هَذا البابِ في «نَتائِجِ الفِكَرِ»[٢]، وأوْضَحْنا هُنالِكَ عَجائِبَ وبَدائِعَ[٣]، ولَمْ يُبَيِّنْها أحَدٌ إلّا أنّها مُنْتَزَعَةٌ مِنْ فحَوى كَلامِ سِيبَوَيْهِ، ومِنْ قَواعِدِهِ الّتِي أصّلَ، والحَمْدُ لله.

وقَوْلُ أبِي سُفْيانَ في هَذا الشِّعْرِ: «بِهِمْ خَدَبٌ». الخَدَبُ: الهَوَجُ: وفي «الجَمْهَرةِ»: طَعْنَةٌ خَدْباءُ: إذا هَجَمَتْ على الجَوْفِ، وهَذا هُو الّذِي أرادَ أبُو سُفْيانَ بِالخَدَبِ.

وأمّا قَوْلُ حَسّانَ[٤]: [من الطويل]

إذا عَضَلٌ سِيقَتْ إلَيْنا كَأنّها ... جِدايَةُ شُرْكٍ مُعْلَماتِ الحَواجِبِ

شُرْكٌ: جَمْعُ شِراكٍ. [والجِدايَةُ: جِدايَةُ السَّرْجِ، على أنّ المَعْرُوفَ جَدِيّةُ[٥] السَّرْجِ، لا جِدايَتُه][٦].

ويُرْوى «شِرْكٍ» بِكَسْرِ الشِّينِ، وأقْرَبُ ما يُقالُ في مَعْنى[٧] هَذا البَيْتِ: أنّهُ أرادَ الجِدايَةَ مِن الوحْشِ، وهِيَ أوْلادُ الظِّباءِ ونَحْوِها، فقَدْ ذَكَرَ أبُو عُبَيْدٍ أنّهُ يُقالُ: جِدايَةٌ لِلْواحِدِ والجَمِيعِ[٨]، والذّكَرِ والأُنْثى، ويَكُونُ الشِّرْكُ على هَذا

(١) سقط من (ب).
(٢) انظر: «نتائج الفكر» (ص: ٣٨٠-٣٨٢).
(٣) في (ف): «بدائع وعجائب».
(٤) «ديوانه» (ص: ١٧٢)، و«لسان العرب» (شرك). (ج)
(٥) الجدية: القطعة من الكساء المحشوة تحت دفّتي السرج والرحل، والجمع: الجدايا.
(٦) عن (ص)، (ج).
(٧) في (ف): «في معناها».
(٨) في غير (ص): «والجمع» وكلاهما صواب.

في مَعْنى الأشراك التي يُصادُ بها، وقَدْ قِيلَ: إنّ شُرْكًا اسْمُ مَوْضِعٍ، واللهُ أعْلَمُ.

وعَضَلٌ: قَبِيلةٌ مِنْ خُزَيْمةَ غادِرةٌ، وسَيَأْتِي ذِكْرُ عَضَلٍ والقارةِ(١).

وقَوْلُهُ: «مُعْلماتِ الحَواجِبِ»، [يَعْنِي: بِالدّماءِ](٢)، [ويَجُوزُ أنْ يُرِيدَ سَوادَ ما بَيْنَ أعْيُنِها، كَما أنْشَدَ سِيبَوَيْهِ](٣): [من الكامل]

وكَأنّهُ لَهِقُ السَّـراةِ كَأنّهُ ما حاجِبَيْهِ مُعَيّنٌ بِسَـوادِ

فَصْلٌ

وذَكرَ الصّارِخَ يَوْمَ أُحُدٍ بِقَتْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وقَوْلَ النبيِّ ﷺ: «هو إزْبُ العَقَبةِ»، هَكَذا قُيِّدَ في هَذا المَوْضِعِ بِكَسْرِ الهَمْزةِ وسُكُونِ الزّايِ، وذَكَرْنا في بَيْعةِ العَقَبةِ(٤) ما قالَهُ ابنُ ماكُولا في أُمّ كُرْزٍ بِنْتِ الأزَبّ بنِ عَمْرٍو(٥) بنِ بَكِيلٍ، وأنّهُ قالَ: لا يُعْرَفُ الأزَبُّ [في العَرَبِ](٦) إلّا هَذا، وأزبُّ العَقَبةِ، وذَكَرْنا حَدِيثَ ابنِ الزّبَيْرِ الّذِي ذَكرَهُ القُتَبِيُّ إذْ رَأى رَجُلًا طُولُهُ شِبْرانِ على بَرْذعةِ رَحْلِهِ، فنَفَضَها منه، ثم عادَ إلَيْهِ، فقالَ: ما أنْتَ؟ فقالَ: أنا إزْبٌ، قالَ: وما إزْبٌ؟ قالَ: رَجُلٌ مِن الجِنِّ... وذَكَرنا(٧) باقِيَ الحَدِيثِ، ففي هَذا الحَدِيثِ ما يدلُّ

---

(١) انظر: (٦: ١٥٣).

(٢) ليس في: (أ)، (ف).

(٣) مكانه في (ص): «ويجوز أن يكون معلمات بالسواد خلقة فيهما كما قال». والبيت في «كتاب سيبويه» (١: ١٦١).

واللهق: الأبيض. والسراة: أعلى الظهر. والمعيّن: الثور بين عينيه سواد.

(٤) انظر: (٤: ١٣٢).

(٥) في (ص): «عمر».

(٦) ليس في (ب).

(٧) في (ف): «وذكر».

على أنه «إزْب» مع قولِ يَعْقُوبَ في «الألْفاظِ»: الإزْبُ: الرّجُلُ القَصِيرُ، فاللهُ أعْلَمُ [هَل الإزْبُ][(١)] والأزَبّ شَيْطانٌ واحِدٌ أو اثْنانِ.

ويُقالُ للموْضِعُ الّذِي صَرَخَ مِنْهُ الشّيْطانُ: جَبَلُ عَيْنَيْنِ[(٢)]؛ ولِذَلِكَ قِيلَ لِعُثْمان رحمه الله: «أفَرَرْت يَوْمَ عَيْنَيْنِ؟»، وعَيْنانِ أيْضًا: بَلَدٌ عِنْدَ الحِيرةِ، وبهِ عُرِفَ خُلَيْدُ عَيْنَيْنِ[(٣)] الشّاعِرُ.

* * *

---

(١) سقط من (أ)، (ب).

(٢) عينان: هضبة جبل أحد بالمدينة، ويقال: جَبَلان عند أُحد. كذا في «معجم البلدان». وعينان أيضًا بالبحرين: ماء من مياه العرب، وهو في ديار عبد القيس، وإليه يُنسَب خليد عينين.

(٣) هو شاعر من عبد القيس. انظر خبره في: «الشعر والشعراء» (ص: ٤٦٣)، و«طبقات فحول الشعراء» (ص: ٤٠٤-٤٠٥، ٤٤٩-٤٥٠).

[ما لَقِيَهُ الرَّسُولُ يَوْمَ أُحُدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ، فأصابَ فيهِم العَدُوُّ، وكانَ يَوْمَ بَلاءٍ وتَمْحِيصٍ، أكْرَمَ اللهُ فيهِ مَنْ أكْرَمَ مِن المُسْلِمِينَ بِالشَّهادةِ، حَتّى خَلَصَ العَدُوُّ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ. فدُثَّ بِالحِجارةِ حَتّى وقَعَ لِشِقِّهِ، فأُصِيبَتْ رَباعِيَتُهُ، وشُجَّ في وجْهِهِ، وكُلِمَتْ شَفَتُهُ، وكانَ الّذي أصابَهُ عُتْبَةُ بنُ أبي وقّاصٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ، عَنْ أنَسِ بنِ مالِكٍ، قالَ: كُسِرَتْ رَباعِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وشُجَّ في وجْهِهِ، فجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ على وجْهِهِ، وجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ وهُوَ يَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وجْهَ نَبِيِّهِمْ وهُوَ يَدْعُوهُمْ إلى رَبِّهِمْ؟!» فأنْزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ في ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

قالَ ابنُ هِشامٍ: وذَكَرَ رُبَيْحُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ، عَنْ أبيهِ، عَنْ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ: أنَّ عُتْبَةَ بنَ أبي وقّاصٍ رَمى رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمئذٍ، فكَسَرَ رَباعِيَتَهُ اليُمْنى السُّفْلى، وجَرَحَ شَفَتَهُ السُّفْلى، وأنَّ عَبْدَ اللهِ ابنَ شِهابٍ الزُّهْرِيَّ شَجَّهُ في جَبْهَتِهِ، وأنَّ ابنَ قَمِئَةَ جَرَحَ وجْنَتَهُ، فدَخَلَتْ حَلْقَتانِ مِنْ حَلَقِ المِغْفَرِ في وجْنَتِهِ، ووَقَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في حُفْرةٍ مِن الحُفَرِ الّتِي عَمِلَ أبو عامِرٍ؛ لِيَقَعَ فيها المُسْلِمُونَ وهُمْ لا يَعْلَمُونَ، فأخَذَ عَلِيُّ بنُ أبي طالِبٍ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ورَفَعَهُ طَلْحةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ حَتّى اسْتَوى

قائِمًا، ومَصَّ مالِكُ بنُ سِنانٍ ـ أبو أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ـ الدَّمَ عَنْ وجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ ازْدَرَدَهُ، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَسَّ دَمِي دَمَهُ لَمْ تُصِبْهُ النّارُ».

قالَ ابنُ هِشامٍ: وذَكَرَ عَبْدُ العَزِيزِ بنُ مُحَمَّدٍ الدَّراوَرْدِيُّ: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «مَنْ أحَبَّ أنْ يَنْظُرَ إلى شَهِيدٍ يَمْشِي على وجْهِ الأرْضِ، فلْيَنْظُرْ إلى طَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ اللهِ». وذَكَرَ ـ يَعْنِي: عَبْدَ العَزِيزِ الدراوَرْديَّ ـ عَنْ إسْحاقَ ابنِ يَحْيِي بنِ طَلْحةَ، عَنْ عِيسى بنِ طَلْحةَ، عَنْ عائِشةَ، عَنْ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ: أنَّ أبا عُبَيْدةَ بنَ الجَرّاحِ نَزَعَ إحْدى الحَلْقَتَيْنِ مِنْ وجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ، ثُمَّ نَزَعَ الأُخْرى، فسَقَطَتْ ثَنِيَّتُهُ الأُخْرى، فكانَ ساقِطَ الثَّنِيَّتَيْنِ.

[شِعْرُ حَسّانَ في عُتْبةَ وما أصابَ بِهِ الرَّسُولَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ لِعُتْبةَ بنِ أبي وقّاصٍ:

إذا اللهُ جازى مَعْشَرًا بِفِعالِهِمْ ... وضَرَّهُمُ الرَّحْمَنُ رَبُّ المَشارِقِ
فَأخزاكَ رَبِّي يا عُتَيْبُ بنَ مالِكٍ ... ولَقّاكَ قَبْلَ المَوْتِ إحْدى الصَّواعِقِ
بَسَطْتَ يَمِينًا لِلنَّبِيِّ تَعَمُّدًا ... فأدْمَيْتَ فاهُ، قُطِّعَتْ بِالبَوارِقِ
فَهَلّا ذَكَرْتَ اللهَ والمَنْزِلَ الَّذي ... تَصِيرُ إلَيْهِ عِنْدَ إحْدى البَوائِقِ

قالَ ابنُ هِشامٍ: تَرَكْنا مِنْها بَيْتَيْنِ أقْذَعَ فيهِما.

[ابنُ السَّكَنِ وبَلاؤُهُ يَوْمَ أُحُدٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ غَشِيَهُ القَوْمُ: «مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي لَنا نَفْسَهُ؟» ـ كَما حَدَّثَنِي الحُصَيْنُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَمْرِو بنِ سَعْدِ

ابنِ مَعاذٍ، عَنْ مَحْمُودِ بنِ عَمْرٍو ـ قالَ: فقامَ زِيادُ بنُ السَّكَنِ في نَفَرٍ خَمْسةٍ مِن الأنْصارِ ـ وبَعْضُ النّاسِ يَقُولُ: إنَّما هُوَ عُمارةُ بنُ يَزِيدَ بنِ السَّكَنِ ـ فقاتَلُوا دُونَ رَسُولِ الله ﷺ، رَجُلًا ثُمَّ رَجُلًا، يُقْتَلُونَ دُونَهُ، حَتّى كانَ آخِرَهُمْ زِيادٌ أوْ عُمارةُ، فقاتَلَ حَتّى أثْبَتَتْهُ الجِراحةُ، ثُمَّ فاءَتْ فِئةٌ مِن المُسْلِمِينَ، فأجْهَضُوهُمْ عَنْهُ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أدْنُوهُ مِنِّي»، فأدْنَوْهُ مِنْهُ، فوَسَّدَهُ قَدَمَهُ، فماتَ وخَدُّهُ على قَدَمِ رَسُولِ الله ﷺ.

[حَدِيثُ أُمِّ سَعْدٍ عَنْ نَصِيبِها في الجِهادِ يَوْمَ أُحُدٍ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: وقاتَلَتْ أُمُّ عُمارةَ نُسَيْبةُ بِنْتُ كَعْبٍ المازِنِيّةُ يَوْمَ أُحُدٍ.

فَذَكَرَ سَعِيدُ بنُ أبي زَيْدٍ الأنْصارِيُّ: أنَّ أُمَّ سَعْدٍ بِنْتَ سَعْدِ بنِ الرَّبِيعِ كانَتْ تَقُولُ: دَخَلْتُ على أُمِّ عُمارةَ، فقُلْتُ لَها: يا خالةُ، أخْبِرِينِي خَبَرَكِ، فقالَتْ: خَرَجْتُ أوَّلَ النَّهارِ وأنا أنْظُرُ ما يَصْنَعُ النّاسُ، ومَعِي سِقاءٌ فيهِ ماءٌ، فانْتَهَيْتُ إلى رَسُولِ الله ﷺ وهُوَ في أصْحابِهِ، والدَّوْلةُ والرِّيحُ لِلْمُسْلِمِينَ.

فَلَمّا انْهَزَمَ المُسْلِمُونَ، انْحَزْتُ إلى رَسُولِ الله ﷺ، فقُمْتُ أُباشِرُ القِتالَ، وأذُبُّ عَنْهُ بِالسَّيْفِ، وأرْمِي عَنِ القَوْسِ، حَتّى خَلَصَت الجِراحُ إلَيَّ.

قالَتْ: فرَأيْتُ على عاتِقِها جُرْحًا أجْوَفَ لَهُ غَوْرٌ، فقُلْتُ: مَنْ أصابَكِ بِهذا؟ قالَتِ: ابنُ قَمِئةَ، أقْمَأهُ اللهُ! لَمّا ولّى النّاسُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أقْبَلَ يَقُولُ: دُلُّونِي على مُحَمَّدٍ، فلا نَجَوْتُ إنْ نَجا، فاعْتَرَضْتُ لَهُ أنا ومُصْعَبُ ابنُ عُمَيْرٍ، وأُناسٌ مِمَّنْ ثَبَتَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فضَرَبَنِي هَذِهِ الضَّرْبةَ ولَكِنْ فلَقَدْ ضَرَبْتُهُ على ذلك ضَرَباتٍ، ولَكِنَّ عَدُوَّ الله كانَ عَلَيْهِ دِرْعانِ.

[أبو دُجانَةَ وابنُ أبي وقّاصٍ يَدْفَعانِ عَن الرَّسُولِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وتَرَّسَ دُونَ رَسُولِ الله ﷺ أبو دُجانَةَ بِنَفْسِهِ، يَقَعُ النَّبْلُ في ظَهْرِهِ وهُوَ مُنْحَنٍ عَلَيْهِ، حَتّى كَثُرَ فيهِ النَّبْلُ. ورَمى سَعْدُ بنُ أبي وقّاصٍ دُونَ رَسُولِ الله ﷺ، قالَ سَعْدٌ: فلَقَدْ رَأَيْتُه يُناوِلُني النَّبْلَ وهُوَ يَقُولُ: «ارْمِ، فِداكَ أبي وأُمّي»، حَتّى إنَّهُ لَيُناوِلُني السَّهْمَ ما لَهُ نَصْلٌ، فيقُولُ: «ارْمِ بِهِ».

[بَلاءُ قَتادةَ وحَدِيثُ عَيْنِه]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَمى عَنْ قَوْسِهِ حَتّى انْدَقَّتْ سِيَتُها، فأَخَذَها قَتادةُ بنُ النُّعْمانِ، فكانَتْ عِنْدَهُ، وأُصِيبَتْ يَوْمئذٍ عَيْنُ قَتادةَ بنِ النُّعْمانِ حَتّى وقَعَتْ على وجْنَتِهِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتادةَ: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَدَّها بِيَدِهِ، فكانَتْ أحْسَنَ عَيْنَيْهِ وأحَدَّهُما.

[شَأْنُ أنَسِ بنِ النَّضْرِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وحَدَّثَني القاسِمُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ رافِعٍ أخُو بَني عديِّ بنِ النجّارِ، قالَ: انْتَهى أنَسُ بنُ النَّضْرِ عَمُّ أنَسِ بنِ مالِكٍ إلى عُمَرَ ابنِ الخَطّابِ وطَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ الله في رِجالٍ مِن المُهاجِرينَ والأنْصارِ، وقَدْ ألْقَوْا بأيْدِيهِمْ، فقالَ: ما يُجْلِسُكُمْ؟ قالُوا: قُتِلَ رَسُولُ الله ﷺ، قالَ: فماذا تَصْنَعُونَ بِالحَياةِ بَعْدَهُ؟ قُومُوا فمُوتُوا على ما ماتَ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ القَوْمَ، فقاتَلَ حَتّى قُتِلَ. وبَهْ سُمِّيَ أنَسُ بنُ مالِكٍ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَني حُمَيْدٌ الطَّوِيلُ، عَنْ أنَسِ بنِ مالِكٍ، قالَ: لَقَدْ

وجَدْنا بِأنَسِ بنِ النَّضْرِ يَوْمئِذٍ سَبْعِينَ ضَرْبةً، فما عَرَفَهُ إلّا أُخْتُهُ؛ عَرَفَتْهُ بِبَنانِهِ.

[ما أصابَ ابنَ عَوْفٍ مِن الجِراحاتِ]

قالَ ابنُ هِشامٍ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أهْلِ العِلْمِ: أنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ عَوْفٍ أُصِيبَ فُوهُ يَوْمئِذٍ فهُتِمَ، وجُرِحَ عِشْرِينَ جِراحةً أوْ أكْثَرَ، أصابَهُ بَعْضُها في رِجْلِهِ فعَرِجَ.

[أوَّلُ مَنْ عَرَفَ الرَّسُولَ بَعْدَ الهَزِيمةِ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ أوَّلَ مَنْ عَرَفَ رَسُولَ الله ﷺ بَعْدَ الهَزِيمةِ وقَوْلِ النّاسِ: قُتِلَ رَسُولُ الله ﷺ - كَما ذَكَرَ لِي ابنُ شِهابٍ الزُّهْرِيُّ - كَعْبُ بنُ مالِكٍ، قالَ: عَرَفْتُ عَيْنَيْهِ تَزْهَرانِ مِنْ تَحْتِ المِغْفَرِ، فنادَيْتُ بِأعلى صَوْتِي: يا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أبْشِرُوا، هذا رَسُولُ الله ﷺ، فأشارَ إلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ: أنْ أنْصِتْ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فلَمّا عَرَفَ المُسْلِمُونَ رَسُولَ الله ﷺ نَهَضُوا بِهِ، ونَهَضَ مَعَهُمْ نَحْوَ الشِّعْبِ، مَعَهُ أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وعُمَرُ بنُ الخَطّابِ، وعَلِيُّ ابنُ أبي طالِبٍ، وطَلْحةُ بنُ عُبَيْدِ الله، والزُّبَيْرُ بنُ العَوّامِ، رِضْوانُ الله عَلَيْهِمْ، والحارِثُ بنُ الصِّمّةِ، ورَهْطٌ مِن المُسْلِمِينَ.

[مَقْتَلُ أُبَيِّ بنِ خَلَفٍ]

قالَ: فلَمّا أَسْنَدَ رَسُولُ الله ﷺ في الشِّعْبِ، أدْرَكَهُ أُبَيُّ بن خَلَفٍ وهُوَ يَقُولُ: أيْ مُحَمَّدُ، لا نَجَوْتُ إنْ نَجَوْتَ، فقالَ القَوْمُ: يا رَسُولَ الله، أيَعْطِفُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنّا؟ فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «دَعُوهُ»، فلَمّا دَنا تَناوَلَ رَسُولُ الله ﷺ

الحَرْبَةَ مِن الحارِثِ بنِ الصِّمّةِ، يَقُولُ بَعْضُ القَوْمِ فيما ذُكِرَ لِي: فلَمّا أخَذَها رَسُولُ الله ﷺ مِنْهُ انْتَفَضَ بِها انْتِفاضةً، تَطايَرْنا عَنْهُ تَطايُرَ الشَّعْراءِ عَنْ ظَهْرِ البَعِيرِ إذا انْتَفَضَ بِها ـ قالَ ابنُ هِشامٍ: الشَّعْراءُ: ذُبابٌ لَهُ لَدْغٌ ـ ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ فطَعَنَهُ في عُنُقِهِ طَعْنةً تَدَأْدَأَ مِنْها عَنْ فرَسِهِ مِرارًا.

قالَ ابنُ هِشامٍ: تَدَأْدَأَ، يَقُولُ: تَقَلَّبَ عَنْ فرَسِهِ فجَعَلَ يَتَدَحْرَجُ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: وكانَ أُبَيُّ بن خَلَفٍ ـ كَما حَدَّثَنِي صالِحُ بنُ إبْراهِيمَ ابنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ ـ يَلْقى رَسُولَ الله ﷺ بمَكّةَ، فيقُولُ: يا مُحَمَّدُ، إنَّ عِنْدِي العَوْذَ، فرَسًا أعْلِفُهُ كُلَّ يَوْمٍ فرَقًا مِنْ ذُرةٍ، أقْتُلُكَ عَلَيْهِ، فيقُولُ رَسُولُ الله ﷺ: «بَلْ أنا أقْتُلُكَ إنْ شاءَ الله». فلَمّا رَجَعَ إلى قُرَيْشٍ وقَدْ خَدَشَهُ في عُنُقِهِ خَدْشًا غَيْرَ كَبِيرٍ، فاحْتَقَنَ الدَّمُ، قالَ: قَتَلَنِي والله مُحَمَّدٌ! قالُوا لَهُ: ذَهَبَ والله فُؤادُكَ! والله إنْ بِكَ مِنْ بَأْسٍ، قالَ: إنَّهُ قَدْ كانَ قالَ لِي بِمَكّةَ: أنا أقْتلك، فوالله لَوْ بَصَقَ عَلَيَّ لَقَتَلَنِي. فماتَ عدوُّ الله بسَرِف وهُمْ قافِلُونَ بِهِ إلى مَكّةَ.

[شِعْرُ حَسّانَ في مَقْتَلِ أُبَيِّ بنِ خَلَفٍ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ في ذلك:

لَقَدْ ورِثَ الضَّلالةَ عَنْ أبيهِ ... أُبَيٌّ يَوْمَ بارَزَهُ الرَّسُولُ
أتَيْتَ إلَيْهِ تَحْمِلُ رِمَّ عَظْمٍ ... وتُوعِدُهُ وأنْتَ بِهِ جَهُولُ
وَقَدْ قَتَلَتْ بَنُو النَّجّارِ مِنْكُمْ ... أُمَيّةَ إذْ يُغَوِّثُ: يا عَقِيلُ
وَتَبَّ ابنا رَبِيعةَ إذْ أطاعا ... أبا جَهْلٍ، لِأُمِّهِما الهَبُولُ
وَأفْلَتَ حارِثٌ لَمّا شُغِلْنا ... بِأسْرِ القَوْمِ، أُسْرَتُهُ فَلِيلُ

قالَ ابنُ هِشامٍ: أُسْرَتُهُ: قَبِيلَتُهُ.

وَقالَ حَسّانُ بنُ ثابِتٍ أيْضًا في ذلك:

أَلا مَــنْ مُبْلِــغٌ عَــنِّي أُبَيًّا لَقَدْ أُلْقِيتَ في سُحُقِ السَّعِيرِ
تَمَــنّى بِالضَّلالةِ مِــنْ بَعِيدٍ وتُقْسِمُ إنْ قَدَرْتَ مَعَ النُّذُورِ
تَمَنِّيــكَ الأمانِي مِــنْ بَعِيدٍ وقَوْلُ الكُفْرِ يَرْجِعُ في غُرُورِ
فَقَدْ لاقَتْكَ طَعْنَةُ ذِي حِفاظٍ كَرِيمِ البَيْتِ لَيْسَ بِذِي فُجُورِ
لَهُ فضْــلٌ على الأحْيــاءِ طُرًّا إذا نابَــتْ مُلِمّــاتُ الأُمُورِ

[انْتِهاءُ الرَّسُولِ إلى الشِّعْبِ]

قالَ: فلَمّا انْتَهى رَسُولُ الله ﷺ إلى فمِ الشِّعْبِ خَرَجَ عَلِيُّ بن أبي طالِبٍ، حتّى مَلَأَ دَرَقَتَهُ ماءً مِن المِهْراسِ، فجاءَ بِهِ إلى رَسُولِ الله ﷺ لِيَشْرَبَ مِنْهُ، فوَجَدَ لَهُ رِيحًا، فعافَهُ، فلَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ، وغَسَلَ عَنْ وجْهِهِ الدَّمَ، وصَبَّ على رَأْسِهِ وهُوَ يَقُولُ: «اشْتَدَّ غَضَبُ الله على مَنْ دَمّى وجْهَ نَبِيِّهِ».

[حِرْصُ ابنِ أبي وقّاصٍ على قَتْلِ عُتْبَةَ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فحَدَّثَنِي صالِحُ بنُ كَيْسانَ عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ سَعْدِ بنِ أبي وقّاصٍ أنَّهُ كانَ يَقُولُ: واللهِ ما حَرَصْتُ على قَتْلِ رَجُلٍ قَطُّ؛ كَحِرْصِي على قَتْلِ عُتْبَةَ بنِ أبي وقّاصٍ، وإنْ كانَ ما عَلِمْتُ لَسَيِّئَ الخُلُقِ، مُبَغَّضًا في قَوْمِهِ، ولَقَدْ كَفانِي مِنْهُ قَوْلُ رَسُولِ الله ﷺ: «اشْتَدَّ غَضَبُ الله على مَنْ دَمّى وجْهَ رَسُولِهِ».

[صُعُودُ قُرَيْشٍ الجَبَلَ، وقِتالُ عُمَرَ لَهُمْ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فبَيْنا رَسُولُ الله ﷺ بِالشِّعْبِ مَعَهُ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنْ أصْحابِهِ، إذْ عَلَتْ عالِيَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ الجَبَلَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: كانَ على تِلْكَ الخَيْلِ خالِدُ بنُ الوَلِيدِ.

قالَ ابنُ إسْحاقَ: فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اللهُمَّ إنَّهُ لا يَنْبَغِي لَهُمْ أنْ يَعْلُونا!». فقاتَلَ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ ورَهْطٌ مَعَهُ مِن المُهاجِرِينَ حَتّى أَهْبَطُوهُمْ مِن الجَبَلِ.

[ضَعْفُ الرَّسُولِ عَن النُّهُوضِ، ومُعاوَنةُ طَلْحةَ لَهُ]

قالَ ابنُ إسْحاقَ: ونَهَضَ رَسُولُ الله ﷺ إلى صَخْرةٍ مِن الجَبَلِ لِيَعْلُوَها، وقَدْ كانَ بَدَّنَ رَسُولُ الله ﷺ، وظاهَرَ بَيْنَ دِرْعَيْنِ، فلَمّا ذَهَبَ لِيَنْهَضَ ﷺ لَمْ يَسْتَطِعْ، فجَلَسَ تَحْتَهُ طَلْحةُ بنُ عُبَيْدِ الله، فنَهَضَ بِهِ، حَتّى اسْتَوى عَلَيْها. فقالَ رَسُولُ الله ﷺ، كَما حَدَّثَنِي يَحْيى بنُ عَبّادِ بنِ عَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أبيهِ، عَنْ عَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ، عَن الزُّبَيْرِ، قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَوْمَئِذٍ يَقُولُ: «أَوْجَبَ طَلْحةُ» حِينَ صَنَعَ بِرَسُولِ الله ﷺ ما صَنَعَ.

قالَ ابنُ هِشامٍ: وبَلَغَنِي عَنْ عِكْرِمةَ، عَن ابنِ عَبّاسٍ، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمْ يَبْلُغ الدَّرَجةَ المَبنِيّةَ في الشِّعْبِ.

[صَلاةُ الرَّسُولِ قاعِدًا]

قالَ ابنُ هِشام وذكر عُمَرُ مولى غُفْرةَ: «أنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلّى الظُّهْرَ يَوْمَ أُحُدٍ قاعِدًا؛ مِن الجِراحِ الَّتِي أصابَتْهُ، وصَلّى المُسْلِمُونَ خَلْفَهُ قُعُودًا».

فَصْلٌ

وذَكَر ابنَ قَمِئةَ، واسمُهُ: عَبْدُ اللهِ، وهُو الّذِي قَتَلَ مُصْعَبَ بنَ عُمَيْرٍ، وجَرَحَ وجْهَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وعُتْبَةُ بنُ أَبِي وقّاصٍ[١] هُو الّذِي كَسَرَ رَباعِيَتَهُ عَلَيْهِ السّلامُ، ثُمّ لَمْ يُولَدْ مِنْ نَسْلِهِ ولَدٌ فبَلَغَ الحُلُمَ إلّا وهُو أبْخرُ أوْ أهْتَمُ، يُعْرَفُ ذَلِكَ في عَقِبِهِ.

ومِمّنْ رَماهُ يَوْمئِذٍ عَبْدُ اللهِ بنُ شِهابٍ [الزُّهريُّ، وهو][٢] جَدُّ[٣] ابنِ شِهابٍ شَيْخِ مالِكٍ مُحَمّدِ بنِ مسلمِ بنِ عبيدِ الله [بنِ عَبْدِ اللهِ][٤] بنِ شِهابٍ، وقَدْ قِيلَ لابنِ شِهابٍ: أكانَ جَدُّكَ[٥] عَبْدُ اللهِ بنُ شِهابٍ مِمّنْ شَهِدَ بَدْرًا؟ فقالَ: نَعَمْ، ولَكِنْ مِنْ ذَلِكَ الجانِبِ. يَعْنِي: مَعَ الكُفّارِ، [وعَبْدُ اللهِ هَذا هُو عَبْدُ اللهِ الأصْغَرُ، وأمّا عَبْدُ اللهِ بنُ شِهابٍ ـ وهُو عَبْدُ اللهِ الأكْبَرُ ـ فهُو مِنْ مُهاجِرةِ الحَبَشةِ، [تُوُفّيَ بِمَكّةَ قَبْلَ الهِجْرةِ، وقَد اخْتُلِفَ فيهِما: أيّهُما كانَ المُهاجِرَ إلى أرْضِ الحَبْشةِ][٦]؟ فقِيلَ: الأكْبَرُ، وقِيلَ: الأصْغَرُ، وكانَ أحَدُهُما جَدَّ الزُّهْرِيِّ لأبِيهِ، والآخَرُ لِأُمِّهِ، وقَدْ أسْلَمَ الّذِي شَهِدَ أُحُدًا مَعَ الكُفّارِ وجرَحَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فاللهُ[٧] يَنْفَعُهُ بِإسْلامِهِ][٨].

وذَكَرَ مالِكَ بنَ سِنانٍ والِدَ أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ مِنْ بَنِي خُدْرةَ، وهُو الحارِثُ ابنُ الخَزْرَجِ، والخُدْرةُ في اللّغةِ: نَحْوٌ مِنْ خُمْسِ اللّيْلِ، وبَعْدَهُ اليَعْفُورُ، وهُو خُمْسٌ آخرُ مِن اللّيْلِ، وبَعْدَهُ الجَهْمةُ والسُّدْفةُ، والّذِي قَبْلَ الخُدْرةِ يُقالُ لَهُ:

(١) بعده في (ف): «أخو سعد».
(٢) عن (ص)، (ج).
(٣) في (ص)، (ج): «عَم».
(٤) في (أ)، (ب): «مسلم بن عبد الله بن شهاب»، وفي (ص)، (ج): «مسلم بن عبيد الله بن شهاب». وما بين القوسين عن «جمهرة ابن حزم» (ص: ١٣٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ٣٢٦).
(٥) في (ص)، (ج): «أكان عم أبيك؟». وانظر: التعليق السابق، و«أسد الغابة» (٣: ٢٧٨).
(٦) عن (أ)، (ب)، (ف).
(٧) في (ب): «والله».
(٨) سقط من (ب).

الهَزِيعُ، كلُّ هذا من كتاب كُراعٍ[١].

وذَكَرَ أنّ مالكَ بنَ سِنانٍ مَصَّ دَمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وازْدَرَدَهُ، وقَدْ فعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ ابنُ الزّبَيْرِ وهُو غُلامٌ حَزَوّرٌ[٢] حِينَ أعْطاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ دَمَ مَحاجِمِهِ لِيَدْفِنَهُ فشَرِبَهُ، فقالَ لَهُ النّبيّ ﷺ ـ كَما قالَ لِمالِكٍ حِينَ ازْدَرَدَ دَمَ جُرْحِهِ ـ: «مَنْ مَسّ دَمُهُ دَمِي، لَمْ تُصِبْهُ النّارُ». لَكِنّهُ قالَ لابنِ الزُّبَيْرِ: «ويْلٌ لَك مِن النّاسِ، وويْلٌ لِلنّاسِ مِنْك». ذَكَرَه الدّارقطنيُّ في «السُّنَنِ»[٣].

وفي هَذا مِن الفِقْهِ: أنّ دَمَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُخالِفُ دَمَ غَيْرِهِ في التّحْرِيمِ، وكَذاك[٤] بَوْلُهُ قَدْ شَرِبَتْهُ أُمّ أيْمَنَ[٥] حِينَ وجَدَتْهُ في إناءٍ مِنْ عَيْدانٍ[٦] تَحْتَ سَرِيرِهِ، فلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَلَيْها، [وذَلِكَ][٧] ـ واللهُ أعْلَمُ ـ لِلْمَعْنى الّذِي بيّنّاه في حديث نزولِ الملَكَينِ عَلَيْهِ حِينَ غَسَلا جَوْفَهُ بِالثّلْجِ في طَسْتِ الذّهَبِ، فصارَ بِذَلِكَ مِن

(١) هو أبو الحسن علي بن الحسن الهُنائي، عُرِف بكُراع النمل لصِغَره، كان إمامًا في اللغة. له كتب في المعجم الموضوعي والغريب. تُوفِّي بعد (٣٠٩هـ).

(٢) الحزوَّر: الذي شبَّ وقوي.

(٣) «سنن الدارقطني»، آخر كتاب الطهارة: (١ : ٢٢٨)، وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٣: ٣٦٦).

(٤) في (ف): «وكذلك».

(٥) هي بَرَكة الحبشية، مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته. وقيل: إنَّ التي شربت بوله بركة جارية أم حبيبة، وتُكنى: أم أيمن. وقد أخرج أبو داود الحديث في كتاب الطهارة: (١ : ٧)، والنسائي في كتاب الطهارة، باب البول في الإناء: (١ : ٣١)، وكل منهما رواه مختصرًا، ولفظ النسائي: «كان للنبي ﷺ قَدَح من عَيدان يبول فيه ويضعه تحت السرير». ويقول السيوطي في شرحه: «هذا مختصر، وقد أتمه ابن عبد البر في «الاستيعاب» بنحو ما هنا»، ثم قال: «قال الحاكم في «المستدرك»: هذه سُنة غريبة».

(٦) العَيْدان ـ بفتح العين ـ: واحدته عَيْدانة، وهي النخلة الطويلة، والمراد: قدح من خشب يُنقَر ليحفظ ما يُوضَع فيه.

(٧) ليس في (ب).

المُطَهَّرِينَ، وبيّنا أيْضًا هُنالِكَ أنّهُ مِن المُتَطَهِّرِينَ كأُمّتِهِ؛ لِتَطَهُّرِهِ مِن الأحْداثِ، والحَمْدُ للهِ، إلّا أنّ أبا عُمَرَ النَّمَرِيَّ ذَكرَ في «الِاسْتِيعابِ»(١) أنّ رَجُلًا مِن الصّحابةِ اسْمُهُ: سالِمٌ حَجَمَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ثُمّ ازْدَرَدَ دَمَهُ، فقالَ له النبيُّ ﷺ: «أما عَلِمْتَ أن الدّمَ كُلّهُ حَرامٌ؟» غَيْرَ أنّهُ حَدِيثٌ(٢) لا يُعْرَفُ لَهُ إسْنادٌ [والحمدُ لله](٣)، وحَدِيثُ [ابنِ](٤) الزّبَيْرِ الّذِي تَقَدّمَ ذِكْرُهُ رَوى الزّبَيْرُ بنُ أبِي بَكْرٍ ما يَشُدُّهُ ويُتَمِّمُ مَعْناهُ.

قالَ في حَدِيثٍ أسْنَدَهُ: لَمّا وُلِدَ عَبْدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ نَظَرَ إلَيْهِ رسولُ الله ﷺ، فقال: «هُو هُو»، فلَمّا سَمِعَتْ ذَلِكَ(٥) أسْماءُ أُمُّهُ أمْسَكَتْ عَنْ إرْضاعِهِ، فقالَ لَها [النبيُّ](٦) عَلَيْهِ السّلامُ: «أرْضِعِيهِ ولَوْ بماءِ عَيْنَيْك، كَبْشٌ بَيْنَ ذِئابٍ، وذئابٌ عَلَيْها ثِيابٌ، لَيُمْنَعَنَّ البيتَ، أو لَيُقْتَلَنَّ دُونَه».

فصْلٌ

وذَكَرَ قَتْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِأُبَيٍّ، وفيهِ: «تَطايَرْنا عَنْهُ تَطايُرَ الشَّعْراءِ عَنِ البَعِيرِ». الشَّعْراءُ: ذُبابٌ صَغِيرٌ لَهُ لَدْغٌ، تَقُولُ العَرَبُ في أمْثالِها(٧): قِيلَ لِلذّئْبِ:

---

(١) «الاستيعاب» (٢: ٥٦٩). (ج)

(٢) في (ص)، (ج): «غير أن حديثه».

(٣) مكانه في (أ)، (ب)، (ف): «فالله أعلم».

(٤) عن (أ)، (ب).

(٥) في (أ)، (ب)، (ف): «بذلك».

(٦) عن (ب)، (ص).

(٧) انظر المثل في: «جمهرة الأمثال» لأبي هلال العسكري: (١: ٤٥٤)، و«المُستقصى» للزمخشري: (٢: ١٢٧)، و«مجمع الأمثال» للميداني: (١: ٣٦٤)، و«لسان العرب» (قطع). وعبّر عنه الزمخشري بأنه من أكاذيب العرب، يريد: خيالهم، وقال: «يُضرب لما أنتَ على ثقة من الظفر به، والاشتمال عليه».

ما تَقُولُ في غُنَيمةٍ تَحْرُسُها جُوَيْرِيةٌ؟ قالَ: شُحَيْمةٌ في قَلْعي(١)، قِيلَ: فما تَقُولُ في غُنَيمةٍ يحرُسها غُلَيِّمٌ؟ قالَ: شَعْراءُ في إبْطِي أخْشى خَطَواتِهِ. الخَطَواتُ: سِهامٌ مِنْ قُضْبانٍ لَيّنةٍ يَتَعَلّمُ بِها الغِلمانُ الرّمْيَ، وهي الجُمّاحُ [أيْضًا](٢)، [ولا نَصْلَ له](٣)، قالَ الشّاعِرُ(٤): [من الهزج]

أصابَتْ حَبّةَ القَلبِ بِسَـهْمٍ غَيْرِ جُمّاحِ

مِنْ كِتابِ [أحمد بن داود الدِّينوريِّ](٥)، ورَواهُ القُتَبِيُّ(٦): «تَطايُرَ الشُّعْرِ»، وقالَ: هي(٧) جَمْعُ شَعْراءَ، وهي ذُبابٌ أصْغَرُ مِنَ القَمَعِ(٨).

وفي الحَديثِ مِنْ غَيْرِ رِوايةِ ابنِ إسْحاقَ: «فزَجَلَهُ بِالحَرْبةِ» أيْ: رَماهُ بِها(٩).

وَذَكَرَ قَتادةَ بنَ النُّعْمانِ بنِ زَيْدٍ، وهُوَ أخُو أبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ لِأُمّهِ، وهُوَ الرّجُلُ الّذِي سَمِعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]،

(١) في النسخ: «حلقي». وأحسبه تحريفًا، والمثبت عن المراجع المتقدمة. والقلع: ما يحفظ فيه الراعي والصانع أثاثه ومتاعه.
(٢) عن (أ)، (ب).
(٣) عن (ص)، (ج).
(٤) البيت في «النبات» (ص: ٣٧٣)، وفيه: «ولم ترم بجماح». و«اللسان» (جمح)، وفيه: «فلم تخطئ بجماح».
(٥) عن (ص)، (ج). ومكانه في (أ)، (ب)، (ف): «أبي حنيفة». وانظر: «كتاب النبات» (ص: ٣٥٦، ٣٧٣).
(٦) لم أجده في «غريب الحديث» لابن قتيبة، وهو بنحوه في «النهاية» (شعر).
(٧) في (ف): «وهي».
(٨) كذا في (أ)، (ج)، (ف)، وفي (ص): «القمح»، وفي (ب): «القصع». والقَمَع ـ كما في «النبات» (ص: ٥٠): واحدته: قَمَعة، وهي من ذبّان العشب وتعتري الوحش.
(٩) «النهاية» (زجل).

ويُرَدِّدُها(١)، فقالَ: «وجَبَتْ»، وحَدِيثُهُ في «المُوَطَّأ»(٢). وذكرَ أنّ عَيْنَهُ أُصِيبَتْ يَوْمَ أُحُدٍ. رُوِيَ عَنْ جابِرِ بنِ عبدِ الله [أنه](٣) قالَ: أُصِيبَتْ عَيْنُ رَجُلٍ مِنّا يَوْمَ أُحُدٍ، وهُوَ قَتادةُ بنُ النّعْمانِ، حَتّى وقَعَتْ عَلى وجْنَتِهِ، فأتَيْنا بِهِ رسول الله ﷺ فقال: [يا رسول الله](٤) إنّ لِي امْرَأَةً أُحِبُّها، وأخْشى إنْ رَأتْنِي [أنْ](٥) تَقْذَرَنِي. فأخَذَها رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ ورَدّها إلى مَوْضِعِها، وقالَ: «اللهُمّ اكْسُه جَمالًا»، فكانَتْ أحَسَنَ عَيْنَيْهِ، وأحَدَّهُما نَظَرًا، وكانَتْ لا تَرْمَدُ إذا رَمِدَت الأُخْرى(٦).

وقَدْ وفَدَ عَلى عُمَرَ بنِ عبدِ العَزِيزِ رَجُلٌ مِنْ ذُرِّيّتِهِ، فسَألَهُ عُمَرُ: مَنْ أنْتَ؟ فقالَ(٧): [من الطويل]

أنا ابنُ الّذِي سالَتْ عَلى الخَدِّ عَيْنُهُ ... فرُدّتْ بِكَفِّ المُصْطَفى أيّما رَدِّ
فَعادَتْ كَما(٨) كانَتْ لِأوّلِ أمْرِها(٩) ... فيا حُسْنَ ما عَيْنٍ ويا حُسْنَ ما خَدِّ

فَقالَ عُمَرُ بنُ عبدِ العَزِيزِ رضي الله عنه: [من البسيط]

تِلكَ المَكارِمُ لا قَعْبانِ مِنْ لَبَنٍ ... شِيبا بِماءٍ فعادا بَعْدُ أبْوالا

فَوَصَلَهُ عُمَرُ، وأحْسَنَ جائِزَتَهُ.

---

(١) في (ص)، (ج): «يرددها» دون واو.
(٢) «الموطأ»، كتاب القرآن: (١: ٢٠٨).
(٣) عن (أ)، (ب)، (ف).
(٤) عن (ص)، (ج).
(٥) عن (أ)، (ب).
(٦) انظر: «المغازي» للواقدي: (١: ٢٤٥)، و«دلائل النبوة» للبيهقي: (٣: ٢٥٢-٢٥٣).
(٧) الشعر في «أسد الغابة» (٤: ٣٩٠).
(٨) في (ف): «لما».
(٩) في (ف): «مرة».

وقَدْ رُوِيَ أنّ عَيْنَيْهِ جَمِيعًا سَقَطَتا، فرَدّهُما النّبيُّ ﷺ. رَواهُ مُحَمّدُ بنُ أَبِي عُثْمانَ عَنْ مالِكِ بنِ أنَسٍ، عَنْ مُحَمّدِ بنِ عبدِ اللهِ[1] بنِ أَبِي صَعْصَعةَ، عَنْ أبِيهِ، عَنْ أبِي سَعِيدٍ [الخُدْريِّ][2] عَنْ أخِيهِ قَتادةَ بنِ النّعْمانِ، قالَ: «أُصِيبَتْ عَيْنايَ يَوْمَ أُحُدٍ[3]، فسَقَطَتا عَلى وجْنَتَيَّ، فأتَيْتُ بِهِما النّبِيَّ[4] ﷺ فأعادهما مَكانَهُما، وبَصَقَ فيهِما، فعادتا تَبْرُقانِ». قالَ. الدّارَقُطْنِيّ: هَذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ عَنْ مالِكٍ، تفرَّد به عمّارُ بنُ نصر[5]، وهُوَ ثِقةٌ، ورَواهُ الدّارَقُطْنِيّ عَنْ إبْراهِيمَ الحَرْبِيّ، عَنْ عَمّارِ بنِ نَصْرٍ.

[تمَّ الجزء الخامس بعون الله تعالى ورِعايته][6]

---

(١) في (ج): «عبد الرحمن». وفي أصل (ص): «عبد العزيز»، وكتب فوقه: «عبد الله». ومحمد ابن عبد الله بن أبي صعصعة يروي عنه مالك؛ كما في «سير أعلام النبلاء» (٨: ٤٦).

(٢) عن (أ)، (ف).

(٣) في (ص): «يوم بدر».

(٤) في (ف): «رسول الله».

(٥) «الجرح والتعديل» (٦: ٣٩٤).

(٦) هذه العبارة من صنيعنا. (ج)

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

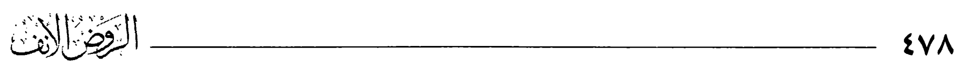
الموضوع **الصفحة**

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع | الصفحة

الموضوع **الصفحة**



الموضوع الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**